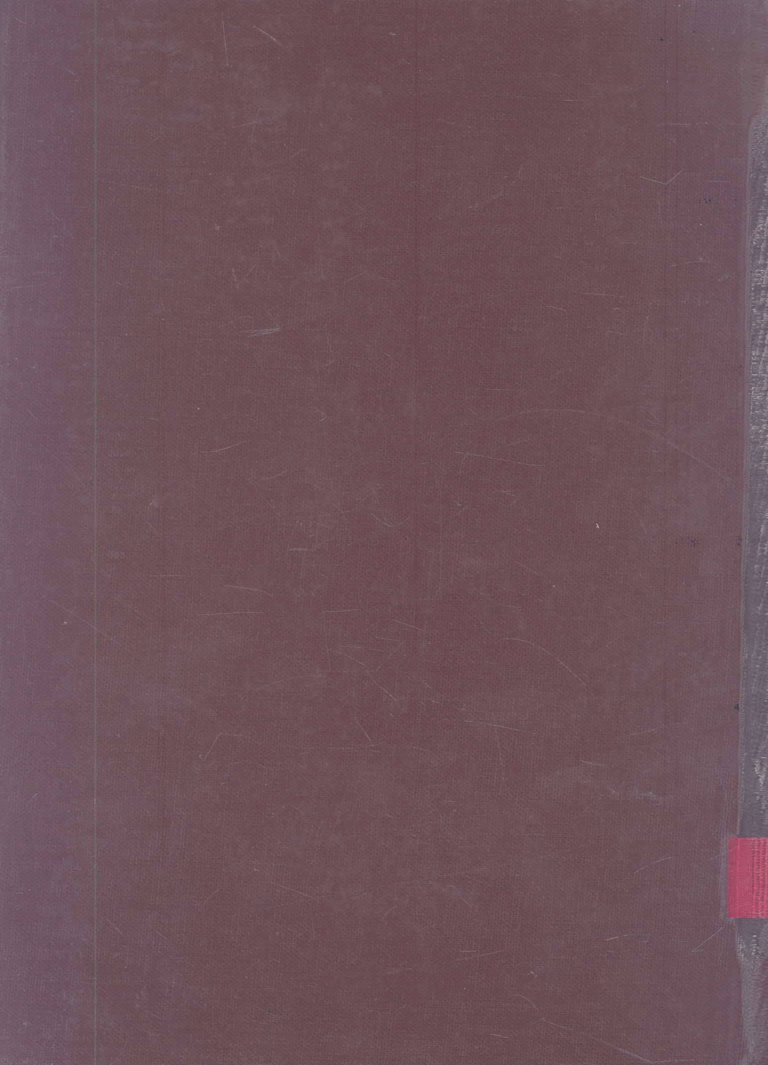


دار الكتب المصرية

القسم الأدبى



تأليف

جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى

الجزء الحادى عشر

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين .

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد على مصر

السلطان الملك المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ٱبن السلطان الملك المظفّر حاجى ٱبن السلطان الملك الناصر محمد ٱبن السلطان الملك المنصور قلاوون المنصورى الحادى والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية . جلَس على تخت الملك صبيحة قُبِض على عَمّه الملك الناصر حسن وهو يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة ٱثنتين وستين وسبعمائة وكان عمُره يومئذ نحوا من أربع عشرة سنة ، بعد أن ٱجتمع الخليفة المعتضِد بالله والقضاة والأعيان . ثم فوض عليه خِلْعة السلطنة وهو التشريف الخليفتى فى يوم الخميس عاشر الشهر المذكور، ولقبوه الملك المنصور وحَلفت له الأمراء على العادة ، ورَكب من باب الستارة (١) من قلعة الجبل إلى الإيوان (٢) وعمره ستّ عشرة سنة . قاله العَيْنى . والأصحُّ (٣) ما قلناه .

تنبيــه : يلاحظ أن المؤلف قد يأتى بكثير من العبارات التى تخالف قواعد اللغة العربية فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، فآثرنا إبقاءها على ما هى عليه مسايرة للؤلف فى تعبيره : وذلك ليتعرف القارئ بعض أساليب مؤرخى العصور الوسطى . وسنرمز للأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بأمريكا بحرف « م » وللأصل الفتوغرافى بحرف « ف » .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) الإيوان بالقلعة ، أنشأه الملك المنصور قلاوون ، ثم جدّده ابنــه الملك الأشرف خليل فعرف بالقاعة الأشرفية ، ثم أقام عليه الملك الناصر محمد قبة جليلة ، ونصب فى صدره سرير الملك وجلس فيه لنظر المظالم ؛ فسمى دار العدل . ومكانه اليوم جامع محمد على باشا . راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) وافق هذا ما ورد فى المنهل الصافى للؤلف (ص ١٤١ (أ) ج ٣) وما ورد فى السلوك للقريزى (ج ٣ لوحة ٣٥) .

ثم خَلَع على الأمير يلبغا العُمرى الناصرى الخاصّكى وصار مدبر مملكة، ويشاركه فى ذلك خشداشه الأمير طَيْبغا الطويل، على أن كلّا منهما لا يُخالف الآخر فى أمر من الأمور؛ ثم خلَع على الأمير قطلوبغا الأحمدى واستقر رأسَ نوبة النُّوب، وخلَع على قَشْتمر المنصورى بنيابة السلطنة بالديار المصرية وناظر البيمارَستان المنصورى عوضا عن الأمير آقتمُر عبد الغنى، وخلَع على الشريف عز الدين عَجْلان بإمْرة مكة على عادته. ثم كتَب بالإفراج عن جماعة من الأمراء من الحُبُوس(١) وهم الأمير جَرَكْتمُر المارِدِينى وطَشْتمر القاسمى وقُطلوبغا المنصورى وخَلَع على طشتمر القاسمى بنيابة الكَرَك من يومه وعلى مَلِكْتَمرا المحمدى بنيابة صَفَد، ونفى طقتمر المؤمنى إلى أُسوان وخَلَع على الأمير أَلْجاى اليوسفى حاجب الحجّاب واستقر أمير جاندار، وأفرج عن الأمير طاز اليوسفى الناصرى من اعتقاله بثغر الإسكندرية بعد أن حُبس بها ثلاث سنين وزيادة، وكان السلطان الملك الناصر حسن قد أكْحَله وأفرج أيضا عن أخوَى طاز: الأمير جَنْتَمر وكُلْتاى، وقرابغا وحضروا الجمع إلى بين يدى السلطان، وحضَر طاز وعلى عينيه شَعْرية(٢) فأخلع عليه وسأل أن يُقيم بالقُدس فأُجيب وسافر إلى القُدس وأقام به إلى أن مات على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ولمّا بلغ خبرُ قتل الملك الناصر حسن إلى الشأم عَظُم ذلك على بَيْدَمر نائب الشأم وخرج عن الطاعة فى شعبان من سنة اثنتين وستين وسبعمائة وعصى معه أسندمر الزينى ومنجك اليوسفى وحصّنوا قلعة دِمَشق، فلمّا بلغ ذلك يلبغا العمرى استشار الأمراء فى أمرهم فاتّفقوا على خروج السلطان إلى البلاد الشامية وتجهّز يَلْبُغا وجهّز

---

(١) رواية (ف): «ثم كتب بالإفراج عن جماعة من المسجونين».

(٢) الشعرية (بفتح الشين وسكون العين): نسبة إلى الشعر وهى غشاء أسود رقيق يكون على أوجه النساء والأرمد. وأصله ينسج من الشعر ثم أطلق على كل ما شابهه. وهى كلمة مولدة. وقد قال فى وصفها الشعراء شعرا كثيرا. راجع شفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجى (ص ١٣٣) طبع بولاق.

السلطان الملك المنصور إلى السفر وأنفق في الأمراء والعساكر وخرج السلطان ويلبغا بالعساكر المصرية إلى الرَّيْدانية[1] في أواخر شعبان .

ثم رحّل الأمير يلبغا جاليش العسكر في يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان ورحّل السلطان الملك المنصور في يوم الثلاثاء الثاني منه ببقية العساكر وساروا حتى وصلوا دمَشق في السابع والعشرين من شهر رمضان المذكور، فتحصّن الأمراء المذكورون بمن معهم في قلعة دمشق ، فلم يقاتلهم يلبغا وسيّر إليهم في الصلح وتردّدت الرسـل إليهم ، وكان الرسُل قضاة الشام ، حتى حَلف لهم يلبغا أنه لا يؤذيهم وأمّنهم فنزلوا حينئذ إليه، فحال وقع بصرُه عليهم أمر بهم فقُبِضوا وقُيّدوا وحملهم[2] إلى الإسكندرية الى الاعتقال بها وخلَع يلبغا على أمير عليّ المـارديني بنيابة دمَشق على عادته أوّلا ، وهذه ولاية أمير عليّ الثالثة على دمشق وتولّى الأمير قُطْلوبُغا الأحمـدي رأس نَوْبة نيابة حلب عوضًا عن الأمير شهاب الدين أحمد بن القَشْتَمُرى .

وأقام السلطان ويلبغا مدّة أيام، ومهّد يلبغا أمورَ البلاد الشامية حتى استوثق له الأمر . ثم عاد إلى جهـة الديار المصرية وصحبته الملك المنصور والعساكر حتى وصل إليها في ذى القعدة من سـنة آثنتين وستين وسـبعمائة . وصار الأمر جميعُه ليلبغا وأخذ يلبغا في عَزْل مَن آختار عزلَه وتوليةَ من اختاره، فأخلع على الطواشي سابق الدين مِثقال الآنوكي زِمام الدار واستقرّ في تقدمة المماليك السلطانية عوضا عن الطواشي شرف الدين مُخلص الموفّق .

ثم في شهر رجب آستقرّ الأمير طُغَيْتَمر النِّظامي حاجب الحجاب بالديار المصرية ، وكانت شاغرة منذ وَلِّي ألجاي اليُوسفي الأمير جاندار ، ثم في شعبان استقرّ الأميرُ قُطْلُقْتَمر العلائي الجاشْنَكير أميرَ مائة ومقدّم ألف بديار مصر .

(١) راجع الحاشية (رقم ٥ ص ٧) من الجزء العاشر من هذه الطبعة .
(٢) في « ف » . « وحملوا إلى الاسكندرية » .

ثم فى شـوال أخلع على الأمير إشِقِتمر(١) المـاردينى أمير مجلس بنيـابة طرابُلُس واستقر طغيتمر النظامى عوضه أمير مجلس، واستقر الأمير اسنبغا الأبو بكرى حاجب الحجّاب عوضا عن طغيتمر النظامى. ثم أخلع على الأمير عزّ الدين أيْدَمر الشيخى بنيابة حماة. ثم استقر الأمير مَنْكلى بغا الشمسى فى نيابة حلب عوضا عن قطلوبغا الأحمدى بُحكم وفاته. ثم أمسك الأمير شرف الدين موسى بن الأَزْكُشى الأستادار ونفى الى حماة واستقر عوضه فى الأستادارية أُروس المحمودى.

ثم تزوج الأمير الكبير يلبغا بطُولُو(٢) بيه زوجة أسـتاذه الملك النـاصر حسن. وفى هـذه السنة بويع المتوكّل على الله أبو عبد الله محمـد بالخلافة بعـد وفاة أبيـه المعتضد بالله أبى بكر بعهد من أبيـه فى يوم الأربعاء ثامن عشر جُمادَى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

ثم أُشيع فى هذه السنة عن السلطان الملك المنصور محمد أمور شنعة نفّرت قلوبَ الأمراء منه وآتّفقوا على خلعه من السلطنة، فخُلع فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة وتسلطن بعده ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين، وحسين المذكور لم يتسلطن غير أنه كان لُقِّب بالأمجد من غير سلطنة، وأخذوا الملك المنصور محمدا وحبسوه داخل الدور السلطانية بقلعة الجبل. وكانت مدّة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستّة(٣) أيام، وليس له فيهـا من السلطنة إلا مجرّد الاسم فقط. والأتَابك يلبغا هو المتصرف فى سائر أمور المملكة.

(١) هكذا ضبطه المؤلف بالحركات فى المنهل الصافى (ج١ص٢٢٦ (أ)). (٢) فى «م» طولو بيه وفى «ف» وهامش «م» والمنهل الصافى (ج٢ص٢٤٧): طولو بيه وهى الرواية الصحيحة.
وخوند طولو بيه هذه بنت عبد الله الناصرية زوجة الملك الناصر حسن ثم تزوجت من بعده بالأتابك يلبغا العمرى الخاصكى. توفيت سنة ٧٦٥ هـ ودفنت بتربتها التى أنشأتها بجوار تربة خوند طغاى أم آنوك وتركت مالا جما. راجع المنهل الصافى فى المصدر المتقدّم. (٣) فى المنهل الصافى و«م»: «خمسة أيام».

وسبب خلعه — والذى أُشيع عنه — أنه بلغَ الأتابك يلبغا أنه كان يدخل بين نساء الأمراء ويَمْزح معهن، وأنه كان يعمل مُكاريًّا للجوارى ويُرْكِبُهنّ ويجرى هو وراء الحمار بالحوش السلطانى وأنه كان يأخذ زِنْبيلًا فيه كَعْك ويدخل بين النساء ويبيع ذلك الكعك عليهن على سبيل المماجنة . وأنه يفسُق فى حريم الناس ويُخِلّ بالصلوات وأنه يجلس على كرسى المُلك جُنُبًا وأشياء غير ذلك، فاتّفق الأمراء عند ذلك على خلعه فخلعوه وهم يَلْبُغا العمرى الخاصّكى وطَيْبُغا الطويل وأرغون الإسعردى وأرغون الأشرفى وطيبغا العلائى وأَلْجاى اليوسفى وأروس المحمودى وطَيْدَمُر البالسى وقُطْلُوبُغا المنصورى وغيرهم من المقدّمين والطبلخانات والعشروات .

وآستمر الملك المنصور محبوسا بالدور السلطانية من القلعة إلى أن مات بها فى ليلة السبت تاسع المحرّم من سنة إحدى وثمانمائة . وزوّج الملك الظاهر برقوق الوالدَ(١) بابنته خَوَنْد فاطمة فى حياة والدها الملك المنصور المذكور واستولدَها الوالدُ عِدّةَ أولاد وماتت تحته فى سنة أربع وثمانمائة، ولما مات الملك المنصور صلّى عليه الملك الظاهر برقوق بالحوش(٢) السلطانى من القلعة ودُفن بتربة(٣) جدّته أم أبيه بالروضة(٤) خارج

(١) يريد المؤلف : والده « تغرى بردى » .

(٢) الحوش السلطانى هو بذاته الحوش بالقلعة الذى سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ١١٩ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هذه التربة هى التى تعرف بتربة خوند طغاى أم آنوك ولعلها كانت أم أخيه الملك المظفر زين الدين حاجى بن محمد بن قلاوون وجدّة الملك المنصور محمد بن حاجى وسبق التعليق على هذه التربة فى الحاشية رقم ٣ ص ١٨٧ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) الروضة هى المنطقة التى تعرف الآن بقرافة المجاورين شرق تل قطع المرأة بالقاهرة . فى هذه المنطقة من المبانى الشهيرة، جامع وضريح الشيخ عبد الله الشرقاوى وبقايا خانقاه خوندطغاى أم آنوك، وتربة خوند طولباى وتربة الشيخ هلال عبد البارى وتربة الشيخ على الليثى وتربة حسن نصر الله المعروف بكوز العسل وتربة أزرمك الناشف، وما جاور تلك الترب من المقابر الحالية .

باب المحروق[1] بالقرب من الصحراء، وكان مُحِبًّا للهو والطرب راضيا بمـا هو فيه من العيش الطيب، وكان له مَغَانٍ عدّة، جُوقة كاملة زيادة على عشر جوارٍ يُعرفن بمغانى المنصور استخدمهنّ الوالد بعد موته ، وكانت العادة تلك الأيام ، أنّ لكل سلطان أو ملك يكون له جُوقة من المغانى عنده فى داره، ولم يخلّف الملك المنصور مالا له صورة وخلّف عدّة أولاد ذكور و إناث . رأيت أنا جماعةً منهم . انتهى والله أعلم .

* * *

السنة الأولى وهى سنة آثنتين وستين وسبعمائة ومدبّر الممـالك يَلْبُغَا العُمَرِى على أن الملك النـاصر حسنا حَكَمَ منها إلى تاسـع جُمادَى الأولى ثم حكم فى باقيهـا الملك المنصور هذا .

فيها كانـــ خَلْع الملك الناصر حسن وقتله حسب ما تقـدّم وسلطنة الملك المنصور هذا .

---

(١) سبق التعليق على هذا الباب فى الحاشية رقم ١ ص ١٨٧ بالجزء التاسع من هذه الطبعة ، وقلنا إن الباب المحروق كان واقعا على رأس درب المحروق المنسوب إلى هـذا الباب بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة نقلا عما ورد بخريطة القاهرة رسم الحمـلة الفرنسية سنة ١٨٠٠ ، وعما ذكره كل من على باشا مبارك فى خططه ، والأستاذان بول رافيس و بول كازانوفا فى كتبهما عن القاهرة .

وفى سنة ١٩٤٢ حدّثنا فى هـذا الموضوع المستر كرسويل أستاذ العمارة الإسـلامية والآثار العربية فى جامعة فؤاد الأوّل ، وزميلى فى اللجنة الدائمة لحفظ الآثار فقال : إن الباب الذى اشتهر باسم الباب المحروق لا يتجاوز عرضه مترا ، وأنه ليس من أبواب المدينة ، بل إنه فتحة من فتحات برج كبير مثل برج الظفر ، وأن هذه الفتحة لم تستعمل للرور بل للدفاع ، وأنه يرى أن الباب المحروق لم يكن على رأس درب المحروق عند البرج رقم ١٧ كما ذكر الباحثون السابقون ، بل يرى أنـــ مكانه بين البرجين رقم ١٣ و ١٤ من أبراج سور القاهرة الشرقى وأن هذا الباب هدم وسدّ مكانه من قديم ببناء يختلف شكلا ونوعا عن بناء العهد القديم .

و بناء على ذلك وعلى مباحثنا الخاصة عن الباب المحروق تبين لنا صدق نظرية الأستاذ كرسويل ، وظهر لنا أن الطريق التى كانت توصل من هذا الباب إلى داخل المدينة ، كانت تسير من الباب المذكور إلى الرحبة الواقعة الآن أمام جامع أصلم البهائى ، على رأس درب شغلان بقسم الدرب الأحمر .

ولمـا بطل استعمال هـذا الباب اهتدى الأهالى على الطريق التى توصل بينه وبين الرحبة المذكورة ، وأقاموا المبانى الحالية التى نشاهدها اليوم بين البرجين المذكورين و بين تلك الرحبة ، ولهذا وجب تصحيح موقع الباب المحروق بما ذكرناه هنا .

وفيها تُوفّى الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علىّ بن محمد المعروف بآبن أبى طُرْطُور الشاعر المشهور بحماة عن بضع وسبعين سنة. وكان رحمه الله شاعرا ماهرا حسن العِشْرة، مدح الأكابر والأعيان ورَحَل إلى الشام ثم آستوطن حَماة إلى أن مات، رحمه الله. ومن شعره فى مَليح اسمه يعقوب، وهو هذا. [الرمل]

يا مليحاً حاز وجهًا حسنا * أورث الصَّبَّ البكا والحـَزَنا
غلطوا فى آسمك إذ نادَوْا به * يوسفٌ أنت ويعقوبٌ أنا

وتُوُفّى الحافظ المفتّن علاء الدين أبو عبد الله مُغْلطَاى بن قِليج[1] بن عبد الله البَكْجَرىّ الحنفىّ الحافظ المصنف المحدّث المشهور فى شعبان ومولده سنة تسعين وسبعمائة قاله آبن رافع[2]، وغيره فى سنة تسع وثمانين وسمع من التاج أحمد[3] آبن دَقيق العيد وابن الطبّاخ والحسن بن عمر الكُرْدىّ وأكثر عن شيوخ عصره وتخرّج بالحافظ فتح الدين ابن سيد الناس[4] وغيره ورَحَل وكَتَب وصنّف «وشرح صحيح البخارىّ» ورتب «صحيح ابن حِبّان» «وشرح [سنن][5] أبى داود» ولم يكمّله وذَيّل على «المشتَبه لآبن نقطة» وذَيّل على «كتاب الضعفاء لآبن الجَوْزىّ» وله عدّة مصنّفات أُخر، وكان له اطلاع كبير وباع واسع فى الحديث وعلومه وله مشاركة فى فنون عديدة. تغمّده الله برحمته.

(١) فى الأصلين: «فليج» بالفاء وتصحيحه عن الدرر الكامنة (ص ٣٥٢ ج ٤) والمنهل الصافى (ج٣ص٣٥٩ (أ)) وقد أورده فى لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ تأليف الحافظ تقى الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكى طبع دمشق ص ١٣٣ مع اختلافات كثيرة فى نسبه والصحيح ما ذكرناه. (٢) ابن رافع هو الحافظ المتقن المفيد الرحالة تقى الدين أبو المعالى محمد ابن الشيخ العالم المحدّث الفاضل جمال الدين أبى محمد رافع بن أبى محمد هجرس بن محمد بن شافع الصميدى الأصل المصرى ثم الدمشقى الشافعى. ولد سنة أربع وسبعمائة. توفى سنة ٧٧٤ هـ. (٣) هذا الاسم وما بعده من الأسماء وردت هكذا فى الأصلين وبعد بحث دقيق لم نقف لها على تعريف كامل.

(٤) هو فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى الإشبيلى، تقدّمت وفاته سنة ٧٣٤ هـ. (٥) تكلة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٥٩ (ب)).

وتوفّى الشيخ الإمام البارع المحدّث العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف [ابن محمد] الزَّيْلَعىّ[(١)] الحنفىّ فى الحادى والعشرين من المحرّم. وكان — رحمه الله — فاضلًا بارعًا فى الفقه والأصول والحديث والنحو والعربية وغير ذلك، وصنّف وكَتَب وأفتى ودرّس وخرّج أحاديث الكَشّاف فى جزء وأحاديث الهِداية [فى الفقه على مذهب أبى حنيفة][(٢)] فى أجزاء وأجاد، أظهر فيه على اطلاع كبير وباع واسع . رحمه الله تعالى .

وتوفّى السيّد الشريف[(٣)] شهاب الدين حُسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن زيد الحُسَيْنىّ المصرىّ الشافعىّ الشهير بابن قاضى العسكر نقيب الأشراف بالديار المصرية عن أربع وستين سنة وكان كاتبا بارعا أديبا بليغا كتب الإنشاء بمصر وباشر كتابة السرّ بحلب وله ديوان خُطَب وتعاليق ونظم ونثر، ومن شعره قوله .

[المتقارب]

تَلَقّ الأمورَ بصبر جميل * وصدر رحيبٍ وخلِّ الحَرَج
وسَلِّم إلى الله فى حكمه * فإمّا الممات وإمّا الفَرَج

وتوفّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن خلف[(٤)] [ابن محمود بن على][(٥)] بن بدر المعروف بابن بنت الأعزّ العَلَامِىّ الفقيه الشافعى

---

(١) التكلة عن الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣١٠) . (٢) زيادة عن السلوك للقريزى (ج٣ص٣٦) . (٣) وردت ترجمته هكذا فى الأصلين فآثرنا إبقاءها على ماهى عليه ، وقد ترجم له المصنف فى المنهل الصافى ترجمة ممتعة (ج ٢ ص ٤٧ (أ) . وترجم له أيضا ابن حجر العسقلانى صاحب الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٦٦) وترجمتهما تختلف اختلافا كثيرا عما ورد فى الأصلين بزيادات فى نسبه .

(٤) ذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٩ هـ باسم : القاضى علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف ابن محمود بن على بن بدر العلامى ... الخ . ورواية المنهل الصافى للؤلف (ج ١ ص ٩٠ (أ)) : أحمد ابن عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلائى ... الخ . ولفظ : « العلائى » محرف عن العلامى وتصحيح نسبه عما تقدّم ذكره فى وفيات ٦٩٩ هـ وعن هامش الدرر الكامنة (ج ١ ص ١٩٦) .

(٥) تكلة عما تقدّم ذكره فى (ص ١٨٩ س ١٤) من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

فى يوم الخميس ثامن عشر شهر ربيع الآخر وكان فقيها بارعا فاضلا وَلِيَ نظر الأحباس بالقاهرة ووكالة بيت المـال وعِدّة وظائف دينيّة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الأمير سيف الدين بَلَبَان بن عبد الله السِّنانى الناصرى الأستادار وأحدُ أمراء المقدّمين بالقاهرة، وكان من أعيان أمراء الديار المصرية وفيه شجاعةٌ ومروءة وكَرَم . تغمّده الله برحمته .

وتُوُفِّيَ القـاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عيسى [بن عيسى][1] بن محمد آبن عبد الوهاب بن ذؤيب الآمِدى الدمشقىّ الشافعىّ المعروف بابن قاضى شُهْبَة — رحمه الله — كان إماما بارعا أديبا ماهرا باشر الخَطابة بمدينة غزّة سنين، ثم كتب الإنشاء بدمشق وكان له نظم ونثر وخُطَب .

وتُوُفِّيَ الشيخ شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود [بن عبد اللطيف البَعْلَبَكى][2] المعروف بابن المجد الموسوى فى سَلْخ صفر، وكان فقيها فاضلا إلا أنه كان غَلَبَ عليه الوَسْوَاس[3] ، حتى إنه كان فى بعض الأحيان يتوضّأ من فسقية الصالحية بين القصرين فلا يزال به وسواسُه حتى يُلْقِي نفسه فى المـاء بثيابه .

وتُوُفِّيَ الفقيه الكاتب المنشئ كمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أحمد آبن يعقوب بن فضـل بن طَرْخان الزينبىّ الجعْفَرىّ العباسىّ الدمشقىّ الشافعىّ بضواحى القاهرة . كان معدودا من الرؤساء الفضلاء الأدباء .

---

(١) تكلة عن السلوك للقريزى (ج ٣ ص ٣٧ (١) .

(٢) تكلة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٣) المقصود بها المدارس الصالحية التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بشارع المعز لدين الله شارع بين القصرين سابقا وقـد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم (١ ص ٣٤١) من الجزء السادس من هـذه الطبعة .

وتُوُفِّى الشيخ المعمَّر المعتَقَد أبو العباس أحمـد بن موسى الزرعىّ الحنبلىّ أحد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فى المحترم بمدينة حبراص[١] من الشأم وكان قويا فى ذات الله جريئا على الملوك والسلاطين . أبطل عدّة مكوس ومظالم كثيرة وقدِم إلى القاهرة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وله معه أمور يطول شرحها وكان يُخاطِب الملوك كما يُخاطِب بعض الحرافيش وله على ذلك قوة وشـدّة بأس . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بُرْناق بن عبد الله نائب قلعـة دمشق بها فى شـعبان وكان مشكور السِّيرة فى ولايته .

وتُوُفِّى قاضى الكَرَك[٢] محيى الدين أبو زكريّا يحيى بن عمر بن الزكىّ الشافعىّ — رحمه الله — فى أوائل ذى القعدة وهو معزول .

وتُوُفِّى قتيلا صاحب فاس[٣] من بلاد المغرب السلطان أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المَرِينِىّ فى ليلة الأربعاء ثامن عشر[٤] ذى القعدة — رحمه الله تعالى — وكان من أجلّ ملوك الغرب .

وتُوُفِّى الخواجا عِزّ الدين حسين بن داود بن عبد السيّد بن علوان السَّلَامى التاجر فى شهر رجب بدمشق وقد حدّث وكان مُثْرِيًا وخلَّف مالا كبيرا .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وعشر أصابع . والله أعلم .

---

(١) وردت هذه الكلمة فى المصادر التى تحت يدنا محرفة : فى (ف) وشذرات الذهب «حبراص» وفى « م » : « خراص » وفى هامشها : « حراص » وفى السـلوك (ج ٣ ص ٣٧ (أ) : « جراص » ولهـذا لم نقف على وجه الصواب فيها .

(٢) ذكر له صاحب الدرر الكامنة : ترجمة مطولة عما هنا (ج ٤ ص ٤٢٤) .

(٣) راجع الحاشية رقم (٤ ص ٣٢٩) من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٤) فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٥٥) أنه توفى سـنة ٧٥٢ ﻫ وقد ذكره المقريزى فى السلوك فى وفيات سنة ٧٦٣ ﻫ وترجم له ترجمة وافية .

* * *

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجّى على مصر وهى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى الشيخ الإمام العالم الخطيب شمس الدين أبو أُمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدّكّالى المصرى الشافعى الشهير بآبن النقاش — رحمه الله تعالى — فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأوّل ودُفِن آخر النهار بالقُرْب من باب البرقية (١) خارج القاهرة عن ثلاث وأربعين سنة. وكان إماما بارعا فصيحا مفوّها وله نظم ونثر ومواعيد . وخَطَب بجامع أصلم (٢) ودرّس به و بالآنوكيّة (٣) وعَمِل عدّة مواعيد بالقاهرة والقُدس والشأم وآتّصل بالملك الناصر حسن وحَظِى عنده وهو الذى كان سببا لخراب بيت الهِرْماس (٤) الذى

(١) باب البرقية هو أحد أبواب القاهرة فى سورها الشرقى وكان بجواره جبانة لدفن الموتى لاتزال آثارها باقية . وسبق التعليق على هذا الباب فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٥ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) جامع أصلم سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٧٤ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٣) الآنوكية هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه أم آنوك (ص ٤٢٥ ح ٢) فقال : إن هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء ، أنشأتها الخاتون طغاى أم آنوك فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة ثم قال المقريزى : إنها من أعمر الأماكن فى أيامه .

وأقول : إن هذه الخانقاة لاتزال باقية ولكنها معطلة من التدريس و بها قبة تحتها تربة خوند طغاى أم آنوك زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد أنشأت تلك الخانقاه حوالى سنة ٧٤٥ هـ . أى بعد وفاة زوجها ، والخانقاة المذكورة قائمة على ناصية شارعى خوند طغاى والسلطان أحمد بجبانة المجاورين شرق القاهرة .

(٤) عقد له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٠٥ (أ)) ترجمة ممتعة فقال : «هو محمد بن محمود ابن هرماس بن ماضى الشيخ قطب الدين أبو عبد الله بن أبى الليث المقدسى الشافعى المعروف بالهرماس . ولد فى حدود سنة تسعين وستمائة تقريبا ، وسمع بالقاهرة من وزيرة المحدثة صحيح البخارى وأم بجامع الحاكم مدة واختص بالسلطان حسن بن محمد بن قلاوون ثم نكبه . توفى سنة ٧٦٩ هـ... الخ وانظر السلوك للقريزى =

كان عمّره فى زيادة جامع الحاكم[1] وساعده فى ذلك العلّامة قاضى القضاة سراج الدين[2] الهندىّ الحنفى وكان له نظم ونثر وخُطَب ومن شعره قصيدته التى أوّلها :

[الكامل]

طَرقتْ وقد نامتْ عيونُ الحُسَّدِ * وتوارت الرقبـاء غير الفرْقـدِ

وتُوُفّى قاضى القضاة تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضى علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بَدْران[3] السّعدى الإخنائى[4] المـالكىّ — رحمه الله — بالقاهرة، وكان فقيها فاضلا رئيسا ولِى نظرَ الخزانة السلطانيــة ثم باشر الأحكام الشرعيــة إلى أن مات .

وتُوُفّى الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح ثم أبو بكر ابن الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسن بن

= (ج ٣ لوحة ٦٤ (ب) وانظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٨٢ وج ٤ ص ٢٥٣) . وبيت الهرماس كان بجوار الجامع الحاكى من قبليه ، شارعا فى رحبة الجامع على يسرة من يمرّ إلى باب النصر . عمره الهرماس وسكنه مدّة ، وكان للسلطان حسن فيه اعتقاد كبير ، فلما سعى به عنده ابن النقاش ركب السلطان فى سنة ٧٦١ هـ إلى باب النصر إلى أن وصل إلى رحبة الجامع الحاكى فوقف تجاه دار الهرماس وأمر بهدمها فهدمت ، وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع ونفى إلى مصياف ، فلما قتل السلطان حسن سنة ٧٦٢ هـ عاد الهرماس إلى القاهرة وأعاد بعضها (انظر أخبار دار الهرماس فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٧٦) .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٧٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٣ هـ . (٣) فى «م» و«ف» : «ابن بدر» وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٩٥ (أ) والسلوك للقريزى (ج ٣ ص ٣٩ (ب) . (٤) الإخنائى : نسبة إلى بلدة اخنواى التى بمركز طنطا بمديرية الغربية بمصر ، وهى قرية قديمة اسمها الأصلى اخنويه كما وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى من أعمال الغربية ، وفى التحفة السنية لابن الجيعان اخنويه الزلاقة وعرفت بذلك لأنه كان فى عرض الترعة التى تمر بجوار هذه القرية عتب من البناء يسمونه الزلاقة ، وهى التى يطلق عليها فى وقتنا الحاضر اسم الهدار لغرض رفع منسوب المياه أمامها مثل قنطرة الجز ، وكل مازاد من المياه فوق العتب يتزلق من عليه إلى الجهة الأخرى . وفى العهد العثمانى حرف اسمها إلى اخنواى كما ورد فى تاج العروس للزبيدى ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ باسم إخناوى الزلاقة وهو اسمها الحالى وعلى ألسنة العامة إخنيه . ووردت فى الخطط التوفيقية «اخنا» وهو اسم ناقص قاصر على المقطع الأوّل من اسمها الحالى . وإخنواى الزلاقة بلدة زراعية يبلغ مساحة أطيانها حوالى ٢٠٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس .

أبى بكر بن على بن حسن آبن الخليفة الراشد بالله منصور آبن الخليفة المسترشد بالله الفضل آبن الخليفة المستظهر بالله أحمد آبن الخليفة المقتدى بالله عبيد الله آبن الأمير ذخيرة الدين محمد آبن الخليفه القائم بأمر الله عبد الله آبن الخليفة القــادر بالله أحمد آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة المقتــدر بالله جعفر آبن الخليفة المعتضــد بالله أحمد آبن الأمير الموفّق طلحة آبن الخليفة المتوكّل على الله جعفر آبن الخليفة المعتصم بالله محمد آبن الخليفة الرشــيد بالله هارون آبن الخليفة المهدى محمد آبن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الهاشمى المصرى — رحمه الله — بالقاهرة فى ليلة الأربعاء (١) ثامن عشر شهر جُمَادى الأولى وعهد بالخلافة لولده من بعده المتوكّل محمد .

وتُوُفِّى الأمير سـيف الدين طاز بن عبـد الله الناصرىّ المقـدّم ذكره فى عدّة أماكن من تراجم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو بطّال (٢) بالقُدس وكان من خواصّ المـلك الناصر محمد ثم تَرَقَّى بعـد موته إلى أن صار مدَبِّر الديار المصرية . ثم وَلِى نيابة حلب بعـد أمور وقعت له ثم قُبِض عليه وحُبِس وسُمِل إلى أن أطلقه يَلْبُغا فى أوائل سلطنة الملك المنصور محمد هـذا وأرسله إلى القدس بطّالا فمات به وكان من الشجعان .

وتُوُفِّىَ القاضى أمين الدين محمد بن جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله المعروف بابن القلانسىّ التيمى الدِّمشقى بها . كان أحد أعيان دِمَشق معدودا من الرؤساء، باشر بها عدّة وظائف ثم ولى كتابة سِرّ دِمشق أخيرا، وكان فاضلا كاتبا.

---

(١) فى المنهل الصافى « ج ٣ ص ٤٧٩ (أ) » : أنه توفى ليلة الأربعاء ثانى عشر جمادى الأولى وفى السلوك (ج ٣ ص ٣٩ (أ) أنه توفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٢ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وتُوُفِّى القاضى ناصر الدين محمد آبن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبدالكريم (١) الحلبى الشافعى كاتب سِرّ حلب ثم دِمَشق . وُلِدَ سنة سبع وسبعمائة بحلب ونشأبها ، وبَرَع فى عِدّة علوم وأُذِن له بالإفتاء والتـدريس وولى كتابة السِّرّ والإنشاء بحلب عوضًا عن القاضى شهاب الدين آبن القطب وأُضيف إليه قضاء العسكر بها . ثم نُقِل الى كتابة سِرّ دِمشق بعد وفاة تاج الدين بن الزين خِضْر (٢) ، وكان ساكنا محتملا مُداريًا كثير الإحسان إلى الفقراء . وكان يكتب خطًّا حسنا ، وله نظمٌ ونثر جيِّد إلى الغاية وكان مستحضرًا للفقه وأصوله وقواعد أصول الدين والمعانى والبيان والهيئة والطب ومن شعره رحمه الله : [الرمل]

وكأنَّ القَطْرَ فى ساحِى الدُّجَى * لُؤْلُـؤٌ رُصِّـع ثَوْبًا أسـوَدَا
فإذا جادت على الأرض غدَا (٣) * فِضَّةً تُشْرِق مع بُعْدِ المَـدَى

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَيْنَبَك بن عبد الله أخو الأمير بَكْتَمُر الساقى وكان من جُمْلة أمراء الطبلخانات .

وتُوُفِّى الأمير الطواشى صفىّ الدين جوهر الزُّمُرُّدى بقُوص فى شـعبان وكان من أعيان الخدّام وله رياسة ضخمة .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن محمد بن مُفْلح بن مفرّج الدمشقى الحنبلى بدِمَشق فى شهر رجب (٤) . وكان فقيهاً بارعا مصنّفا صنّف « كتاب الفروع » وهو مفيد جدّا وغيره .

---

(١) عقد له محمد راغب الطباخ فى مؤلفه : « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » ترجمة ممتعة تقع فى ثلاث صفحات تقريبا ذكر فيها المناصب التى تولاها والعلوم التى برع فيها . راجعه فى (ج ٥ ص ٣٢ وما بعدها) .

(٢) هو تاج الدين محمد بن زين الدين خضر بن جمال الدين عبد الرحمن . تقدمت وفاته سنة ٧٤٧ هـ .

(٣) رواية هذا الشطر فى « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » :
« وإذا ما قارب الأرض غدا ... ... »

(٤) يوجد منه الجزء الأوّل والثانى مخطوطان تحت رقمى [٤٦ و ٤٧ فقه حنبلى] .

وتُوُفِّى الشيخ المعتقد فتح الدين يحيى بن عبد الله بن مَروان [بن عبد الله بن قمر] الفارِقىّ الأصل الدمشقى الشافعى فى شهر ربيع الأوّل بدمشق ومولده بالقاهرة فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة — رحمه الله تعالى — وكان صالحا عالمـا صُوفيّا .(١)

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ست أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان .

*
* *

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور محمد على مصر وهى سنة أربع وستين وسبعمائة وهى التى خُلِـع فيها الملك المنصور المذكور بآبن عمه الأشرف شعبان بن حسين فى شعبان منها .

فيها كان الطاعون بالديار المصرية والبلاد الشامية ومات فيه خَلْقٌ كثير، لكنه كان على كلّ حال أخفّ من الطاعون(٢) الأوّل الذى كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة المقدّم ذكره .

وفيها تُوُفِّى الشيخ عماد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن(٣) بن على بن عمر القرشى الإسنائى الشافعى فى ثامن عشرين جُمَـادَى الآخرة ودفن خارج باب النصر من القاهرة . كان إماما عالمـا مفتيا مدرّسا .

وتُوُفِّى الشيخ سراج الدين أبو حفص عمـر بن شرف الدين عيسى(٤) بن عمـر البَارِينىّ الشافعى الحلبى بحلب عن ثلاث وستين سنة وكان من الفقهاء الأفاضل — رحمه الله .

(١) تكملة عن الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٢٠) . (٢) فى م : « الطاعون العام » .
(٣) فى السلوك (ج ٣ ص ٤١) (ب) : « ابن الحسين بن على » . (٤) فى م : « موسى » .
وما أثبتناه عن ه مش : « م » والسلوك (ج ٣ ص ٤١ ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٨٣) .

وتُوفّى القاضى كمال الدين أبو العباس أحمـد ابن القاضى تاج الدين محمـد بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر[1] بن هبة الله بن عبد القاهر[2] بن عبد الواحد بن هبة الله ابن طاهر بن يوسف الحلبى الشهير بابن النصيبى بحلب عن تسع وستين سـنة . كان كاتبا بارعا سمع الحديث وحدث وعلّق بخطه كثيرا، و باشر كتابة الإنشاء بحلب ثم ترك ذلك كلّه ولزِم العُزْلَة إلى أن مات .

وتُوفّى الصاحب تقىّ[3] الدين سليمان بن علاء الدين علىّ بن عبـد الرحيم بن أبى سالم بن مَراجِل[4] الدمَشقى بدمشق وهو من أبناء الثمانين ،وكان كاتبا رئيسا ،ولى نظر الدولة بمصر،ثم ولى وزارة دِمَشق ونظر قلعتها وغير ذلك من الوظائف ،وتُقل فى عدّة خِدَم ؛ ومن إنشاده لوالده : [الطويل]

أأحبابَنا شَـوْقى إليكم مضاعَفٌ * وذِكْرُكُمُ عنـدى مع البعدِ وافـرُ
وقَلْـبِىَ لمّـا غبـتمُ طار نحـوَكم * وأعْجَبُ شىءٍ واقـعٌ وهـو طائرُ

وتُوفّى القاضى شمس الدين عبـد الله بن شرف الدين يوسف بن عبـد الله بن يوسف بن أبى السقّاح[5] الحلبى بالقاهرة عن نيّف وخمسين سـنة — رحمه الله — كان جليلا باشر كتابة الإنشاء بحلب وعِدّةً من الوظائف الديوانية وتنقّل فى الخِدَم وقال فى مرض موته : [الخفيف]

إن قَضَى اللهُ موْتَتى * وفِـــراق أحبّـتى
فعليهـــم تأسّــفى * و إليهـــم تلفُّــتى
أو يكُنْ حانَ مَصْرَعى * وتَـــدانتْ مَنيَّــتى
رَحِــم الله مُسلمًــا * زار قبرى وحُفْرَتى

(١) فى «م و ف» : «ابن عبد القادر» وتصويبه عن «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ» (ج ٥ ص ٣٧) وعن «الدرر الكامنة» (ج ١ ص ٢٦٧). (٢) تصويبه عن الحاشية المتقدمة. (٣) فى السلوك (ج ٣ ص ٤١ ب) : «عبد الرحمن» . (٤) (راجع هامش) ص ١٢٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة. (٥) فى إعلام النبلاء : «يوسف بن السفاح» (ج ٥ ص ٣٩).

وتُوفِّى الشـيخ[1] الإمام البارع الأديب المفتَنّ صـلاح الدين أبو الصفاء خليـل ٱبن الأمير عِز الدين أَيْبَك بن عبد الله الأَلْبكي الصَّفَدى الشاعر المشهور بدِمَشْق في ليلة الأحد عاشر شوّال . ومولده سـنة ستّ وتسعين وستمائة وكان إماما بارعا كاتبًا ناظمًا ناثرًا شاعرًا . وديوانُ شعره مشهور بأيدى الناس وهو من المكثرين . وله مصنَّفات كثيرة في التاريخ والأدب والبـديع وغير ذلك وتاريخـه المُسمَّى : « الوافى بالوَفَيات »[2] في غاية الحسن وقفت عليه وٱنتقيتُه ونقلت منه أشياء كثيرة في هذا المؤلّف وفى غيره، وله تاريخٌ آخر أصغرُ من هذا سمّاه «أعوان النصر في أعيان العصر»[3] في عدّة مجلدات .

وقـد استوعبنا من أحواله وشعره ومكاتباته نُبْذَةً كبيرةً في ترجمته في تاريخنا « المنهـل الصافى والمستَوْفَى بعـد الوافى » وتسميتى للتاريخ المـذكور « والمستَوْفَى بعد الوافى » إشارة لتاريخ الشيخ صلاح الدين هذا ، لأنه سمّى تاريخه : « الوافى بالوفيـات » إشارة على تاريخ ابن خَلِّكان أنه يُوَفِّى بمـا أَخَلّ به ابن خَلِّكان، فلم يحصُـل له ذلك وسَكَت هـو أيضا : عن خلائق فخشيتُ أنا أيضا أن أقـول : «والمستَوْفَى على الوافى» فيقع لى كما وقع له ؛ فقلتُ : «والمستَوْفَى بعد الوافى» انتهى .

---

(١) عقد له المؤلف ترجمـة ممتعة في المنهل الصافى (ج ٢ ص ٦٥ « ب ») تقع في خمس عشرة صفحة ، ذكر فيها مؤلفاته وشيوخه ومحاوراته مع الأدباء والشعراء وقد ذكره الحافظ أبو عبد الله الذهبي في معجمه وأثنى عليه وكتب عنـه من نظمه ونثره ، فقال : كان إماما عالمـا صادقا ماهرا رأسا في صناعة الإنشاء قدوة في فن الأدب ، حسن الأخلاق والمحاضرة ، رحلة الطالبين ، كتب وصنف التصانيف الكثيرة وحدّث وسمع عليه خلائق كثيرة .

(٢) توجد منه في دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى في سـبعة عشر جزءا وهى غير كاملة ، و يظن أنها مسودّة المؤلف و بخطه تحت رقم [١٢١٩ تاريخ] .

(٣) هكذا ورد في الأصلين . والتسمية الصحيحة : « أعيان العصر في أعوان النصر » توجد منه نسخة غير كاملة في عدّة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى تحت رقمى : [١٠٩١ و ١٠٩٤ تاريخ] .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود ولنَعود لترجمة الشيخ صلاح الدين ونذكُر من مقطّعاته ما تُعْرَف به طبقتُه بين الشعراء على سبيل الاختصار ، فمن شـعره بسَنَدنا إليه : أنشدَنَا مُسْنِدُ عصره ابن الفُرات الحنفى[(١)] إجازةً ، أنشدَنا الشيخ صلاح الدين خليل الصَّفَدى إجازةً . [السريع]

المُقْـــلةُ[(٢)] الســوداءُ أجفانُهـا * تَرْشُقُ فى وَسْــط فؤادى نِبالْ
وتقْطَـعُ الطُّرْق على سَــلْوَتى * حتى حسِبْنا فى السُّوَيدَا رجالْ

قال — وله أيضا — رحمه الله تعالى : [الوافر]

مُحيّـاه[(٣)] له حُسْنٌ بديـــعُ * غدا رَوْضُ الخُدود به مُزَهَّرْ
وعارِضُه رأَى تلكَ الحواشى * مُذَهَّبـــةً فزَمَّكَهَا وشَـــعَّرْ

وله — عفا الله عنه — : [البسيط]

بسَهْــــمِ ألحاظِــه رمانى * فذُبْتُ من هَجْره وبَيْنِـهْ
إن متُّ مالى سواه خَصْمٌ * فـــإنه قاتـــلِى بعَيْنِـــهْ

وقال : [المتقارب]

كُئوس المُـدَام تُحِبُّ الصَّفَا * فكُنْ لتَصـاويرِهـا مُبْـطِلا
ودَعْها سَــواذِجَ من نَقْشها * فأحسنُ ما ذُهِّبَت بالطِّـــلاَ

وله : [الطويل]

أقــولُ له ما كان خَدُّك هــكذا * ولا الصُّدْغ حتى سالَ فى الشّفق الدُّجَى
فمن أين هذا الحسنُ والظُّرْف قال لى * تفـتَّح وَرْدى والعـذارُ تَخَــرَّجَا

(١) هو محمـد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن عبـد العزيز المعروف بابن الفرات الفقيه الحنفى ولد سنة ٧٣٥ هـ وتوفى سنة ٨٠٧ هـ راجع المنهل الصافى للؤلف (ص ١٧٩ ج ٣ أ) .

(٢) رواية المنهل الصافى . « مقلته السوداء ... الخ » .

(٣) المحيا : جماعة الوجه ، والعارض هنا الخـد ، والزمكة محركة : إدخال الشيء بعضه فى بعض ، والتزميك والتشعير فى صناعة تجليد الكتب معروفان ، والنكات البلاغية ظاهرة .

وله : [الكامل]

أنفقتُ كنزَ مـدائحى فى ثَغْـره * وجمعتُ فيـه كُلّ معنًى شـاردِ
وطَلَبْتُ منـه جزاءَ ذلك قُبْـلةً * فأبى وراح تَغَـزُّلى فى البـاردِ

وله : [المنسرح]

أفْـديه ساجى الجُفـونِ حين رَنَا * أصـابَ مـنِّى الحَشَـا بسهمَيْنِ
أعْدَمنى الرشـدَ فى هـواه ولا * أفـلَحَ شىءٌ يصـابُ بالعَيْنِ

وله : [البسيط]

سـألتمُ عن منَـام عَيْـنى * وقـد بَـراه جَفًـا وبَيْنُ
والنـومُ قـد غاب حين غِبْتُمْ * ولم تقـع لى عليـه عَيْنُ

وتُوفِّى الأمـير بدر الدين حسين المنعوت بالملك الأمجـد آبن السلطان المـلك الناصر محمـد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون بالقلعة فى ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر وهو آخِرُ من بَقِى من أولاد الملك الناصر محمـد بن قلاوون من الذكور، وهو والد السلطان الملك الأشرف شـعبان بن حسين . وموته قبل سـلطنة ولده الأشرف بنحو خمسة شهور وأيام ولو عاش لَمـا كان يَعْدِل عنه يَلْبُغا إلى غيره. وكان حسين هـذا حريصًا على السلطنة فلم يَنَلْها دون إخوته على أنه كان أمثلَ إخوته .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين بَزْدار الخليلى أمير شكار أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية بها، وكان من أعيان الأمراء، عُرِف بالشجاعة والإقدام .

وتُوفِّى شيخ القراءات مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن يوسف بن محمد الكُفْتِى فى نصف شبعان — رحمـه الله — وكان إماما فى القراءات ، تَصَـدّى للإقراء سنين وانتفع الناس به .

وتُوفِّى السـيد الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشريف صـدر الدين حَمْـزة العراقىّ والد الشريف مُرْتَضَى — تغمـده الله تعالى — وكان رئيسا فاضلا نبيلا .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين جركس بن عبد الله النَّوْرُوزِىّ أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة وكان من أعيان المماليك الناصرية .

وتُوفِّى الشيخ المُعْتَقَد مُسْلم السلمى[(1)] المقيم بجامع الفيلة[(2)] — رحمه الله — كان صالحا مجاهدًا عابدا قائما فى ذات الله تعالى وكان يُجاهد بطرابُلُس الغرب ويُقيم حالَه وفقراءه من الغنائم . وله كرامات ومناقبُ ، فمن ذلك كان عنده سَبُعٌ ربّاه حتى صار بين فقرائه كالهِرّ[(3)] يدور البيوت : فلما مات الشيخ — رحمه الله — أخذه السَّبّاعون فتوحّش عندهم إلى الغاية ، حتى أبادهم وعجزوا عنه .

---

(١) فى (ف) : «السليمى» . (٢) هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه (ص ٢٨٩ ج ٢) فقال : إنه بسطح الجرف المطل على بركة الحبش المعروف بالرصد ، بناه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى شعبان سنة ٤٧٨ هـ وبلغت النفقه على بنائه ٦٠٠٠ دينار وقيل له : جامع الفيلة لأن فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطر إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرّعين على فيلة كالتى كانت تعمل فى المواكب وأيام الأعياد وعليها السرير وفوقها المدرّعون أيام الخلفاء ثم قال : وهـذا الجامع لا تقام فيه اليوم — أى زمن المقريزى — جمعة ولا جماعة لخراب ما حوله من القرافة . وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بإبلهم يقال لهم : « المسلمية » وعما قليل يدثر كما دثر غيره .

وأقول : إن الرصد هو الجبل الذى يشرف على قرية أثر النبى الواقعة على النيل جنوبى مصر القديمة ، ويعرف اليوم بجبل اسطبل عنتر . وبالبحث عن مكان جامع الفيلة فوق هذا الجبل تبين لى أنه زال واندثر من قديم ، ويوجد الآن فى مكانه مبنى قديم مربع الشكل تسميه العامة : إسطبل عنتر أو طابية أثر النبى ، والصواب أن هذا البناء أنشأه محمد على باشا الكبير وجعله مخزنا للبارود باسم جبخانة أثر النبى . وقد تكلمنا عن الرصد فى الحاشية رقم ٤ ص ١٦٠ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٢ ب) : بمنزلة الهر فى البيوت .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغا[(١)] بن عبد الله الأحمدى الناصرى نائب حلب بهـا ، وكان من خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون وترقّى من بعـده حتى صار أميرَ مائة ومقـدّم ألف بديار مصر . ثم ولى حجوبية الحجّاب بهـا ثم أمير مجلس ثم ولى نيـابة حلب فى أوائل سلطنة الملك المنصور محمـد بن المظفّر حاجى صاحب الترجمة ، فلم تطل مدّته بحلب ومات بها ، وكان من الأماثل . رحمه الله تعالى .

وتُوفِّى الطواشى صفىّ الدين جوهر بن عبد الله اللّالا . وكان من أعيان الخُدّام ، وله عزّ ووجاهة .

وتُوفِّى خطيب دِمشق جمال الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن إبراهيم بن جُمْلة فى يوم الاثنين العشرين من شهر رمضـان ، وكان فصيحا ، مفوّها ولى خِطـابة دمَشق سنين .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم لم يُحرّر . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع . والله أعلم بالصواب .

(١) فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٢ « أ ») : أنه توفى سنة ٧٦٥ هـ .

ذكر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر[1] زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمـد آبن السلطان الملك المنصـور قلاوون . تسلطن باتفاق الأمير يَلْبُغَا العُمَرى وطَيْبُغا الطويل مع الأمراء على سلطنته بعد خلع آبن عمه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفّر حاجّى وهو السلطان الثانى والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية .

ولمـّا آتفق الأمراء على سلطنته أُحْضِر الخليفة المتوكّل على الله أبو عبـد الله محمد والقضاة الأربعة وأفيض عليـه الخلعة الخليفتيّة السوداء بالسلطنة وجلس على تخت الملك وعمرُه عشر سنين فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة من غير هَرْج فى المملكة ولا آضطراب فى الرعية ، بل فى أقلّ من قليل وقَعَ خلعُ المنصور وسلطنةُ الأشرف هـذا وآنتهى أمرهما ونزل الخليفة إلى داره وعليـه التشريف ولم يَعْرِف الناس ما وقع إلا بدقّ البشائر والمناداة باسمه وزُيِّنت القاهرة وتمّ أمره على أحسن الأحوال .

ومولد الأشرف هـذا فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة بقلعة الجبل . وآستقرّ الأتابك يلبغا العمرى الخاصّكى مدبّر الممالك ومعـه خجداشُه الأمير طَيْبغا الطويل أمير سلاح على عادتهما وعند ما ثبّت قواعدَ المَلِك الأشرف أرسل يَلْبُغا بطلب الأمير على المـارِدينى نائب الشام إلى مصر فلمّا حضر أخلع عليه بنيابة السلطنة بديار مصر وتولّى عِوضَه[2] نيابة دمشق الأمير مَنْكَلى بغا الشمسى نائب حلب وتولى نيابة حلب

(١) فى السلوك للمقريزى (ج ٣ ص ٤٠ أ) : « أبو المعالى » .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٠ ب) : «وآستقر الأمير منكلى بغا الشمسى فى نيابة الشام عوضا عن الأمير قشتمر ... الخ » . ورواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ١٧٩ (ب) توافق رواية الأصلين .

عوضا عن الشمسىّ الأمير إشِقْتَمُر المـاردينى وتولّى نيابة طرابُلُس عوضًا عن اشقتمر الأميرُ أَزْدَمُر الخازن نائب صفد وتولّى نيابة صفد عِوضا عن أَزْدَمُر الخازن الأميرُ قَشْتَمُر المنصـورى الذى كان نائبا بالديار المصرية لأمر وقـع منه فى حقّ يَلْبُغا العُمرى الأتابكى واستقرّ الأمير أَرْغون الأحمدى الخازندار لالا الملك الأشرف شعبان واستقرّ الأمير يعقوب شاه السَّيْفى [تابع](١) يَلْبُغا اليَحْيَاوى خازنداراً عوضا عن أَرْغون الأحمـدى ثم استقرّ الأمير أُرُنْبغا الخاصّكى فى نيابة غزّة عوضا عن تمـان تَمُـر العُمرى بحكم وفاته . ثم ولى الأمـير عمرشاه حاجب الحجاب نيابة حَماة عوضا عن أَيْدَمُر الشيخى واستقر الشريف بكتمر فى ولاية القاهرة عوضا عن علاء الدين علىّ بن الكُورانىّ بحكم استعفائه عنها . ثم استقرّ الأمير أحمد بن القَشْتَمُرى فى نيابة الكَرَك . ثم ورد الخبر بوقوع الوباء بمدينة حلب وأعمالها وأنه مات بها خلق كثير، والأكثر فى الأطفال والشبان .

ثم نزل السلطان الملك الأشرف شـعبان إلى سِرْياقُوس(٢) بعسـاكره على عادة المـلوك .

ثم سَمَّـر الأتابك يَلْبُغا خادمين من خُدّام السلطان الملك المنصور لكلام بلغـه عنهما فشُفِع فيهما فخُلِّيا ونُفيا إلى قُوص(٣) .

ثم فى سنة خمس وسبعين(٤) أُنْعم على الأمـير طَيْدَمُر البَالسىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية .

(١) زيادة يقتضيها السياق . ورواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ١٧٩ ب) : « كل ذلك بترتيب يلبغا وطيبغا » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) فى « م » : « خمس وستين » وهو خطأ .

ثم أُخلِـع على الأمير أسن بُغَا بنيابة مَلَطْية (١) فى ثالث صفر وٱستقرّ الأمير عمر بن أرغون النائب فى نيابة صفـد عوضا عن قشتمر المنصورى وحضر قشتمر المذكور الى مصر على إقطاع عمر بن أرغون المذكور وٱستقر الأمير طَيْبال المَارِدينيّ (٢) نائب قلعـة الجبل عوضا عن أَلْطَنْبُغَا الشمسى بحكم استعفائه . ثم أُنعم على جماعة بإمرة طَبْلَخاناه وهم تَمُرْبُغا العُمَرِيّ ومحمد بن قمـارى أمير شكار وأَلْطَنْبُغا الأحمديّ وآقْبُغا الصّفَويّ وأنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرات وهم : إبراهيم بن صَرْغَتْمِش (٣) وأَرْزَمَك من مصطفى ومحمـد بن قشتمر وآقبغا الجوهرى وطَشْتَمُر العلائىّ خازندار طَيْبُغَا الطويل وطاجار من عوض وآروس بُغَا الخليليّ ورجب بن كلبك التركمانىّ .

ثم وقع الفناء فى هـذه السنة فى البقـر حتى هَلَكَ منهـا شىء كثير وأضرّ ذلك بحال الزرّاع .

ثم فى هذه السنة فتح الأمير مَنْكَلِى بغا الشمسيّ نائب الشام باب كيسان (٤) ، أحد أبواب دمشق بحضور أمراء الدولة وأعيان أهل دمشق ، وذلك بعد بروز المرسوم الشريف إليه بذلك وعَقَد عليه قَنْطرة كبيرةً ومدّ له الى الطريق جِسْرا وعمّر هناك جامعا وكان هذا مُغْلَقا من مدّة تزيد على مائتى سنة ، كان سدّه الملك العادل نور الدين محمود الشهيد لأمر ٱقتضى ذلك ، فيه مصلحة للإسلام .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) هو طيبال بن عبد الله الماردينى الناصرى الأمير سيف الدين أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية . توفى سنة ٧٩٩ هـ .
(٣) توفى سنة ٧٧١ هـ عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٨) . (٤) هو أحد أبواب سور دمشق فى الزاوية الشرقية الجنوبية منه ، ينسب إلى كيسان مولى معاوية وقيل مولى غيره ، والنصارى يسمونه باب بولس و يقولون إنه دلى نفسه من نافذته هربا من الاضطهاد وهو على بعد خطوات من مدافن المسيحين قريبا من مرقد بلال الحبشى مؤذن النبي صلى عليه وسلم المدفون فى مقبرة باب الصغير . انظر دليل سوريا وفلسطين لبدكر ص ٣١١ وتاريخ ابن عساكر طبع دمشق (ج ١ ص ٢٦٢) وخطط الشام لكرد على (ج ٦ ص ١٥٧) وفلسطين الاسلامية لاسترانج (ص ٢٣١) .

ثم رُسم فى هذه السنة بإبطال الوكلاء المتصرفين فى أبواب القضاة . وفى هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب، رحمه الله تعالى : [السريع]

يقولُ ذو الحقِّ الذى عانَهُ * خَصمٌ أَلَدٌّ ولسانٌ كَلِيلْ
إنْ صيَّروا أمرَ وكيلى سُدًى * فحسبىَ اللهُ ونعم الوكيلْ

ثم استقرّ الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضا عن الأمير جُرْجى الإدريسىّ بحكم آنتقال جرجى إلى نيابة حلب عوضا عن إِشْقَتَمُر(1) المَارِدِينى .

ثم فى سنة ست وستين وسبعمائة استقرّ الأمير قُطْلُقْتَمُر العلائىّ أمير جاندار فى نيابة صَفَد عوضًا عن الأمير عمر بن أرغون النائب وحضر عمر بن أرغون إلى مصر على إقطاع قُطْلُقْتَمُر المذكور فى سابع شهر رجب . ثم استقرّ الأمير عبد الله ابن بَكْتَمُر الحاجب أمير شِكار عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن أُلْجِيبُغا، وآستقرّ أَسَنْدَمر العلائى الحُرْفُوش حاجبًا عوضا عن عبد الله بن بَكْتَمُر المذكور .

ثم أنعم السلطان على الأمير أسندمر المظفّرى بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى سلخ شهر رمضان . ثم أنعم على الأمير شعبان ابن الأتَابَك يَلْبُغا العمرى بإمرة مائة وتقدمة ألف .

ثم استقرّ الأمير قشتمر المنصورىّ فى نيابة طرابُلُس ، واستقرّ الأمير أَزْدَمُر الخازن فى نيابة صَفَد عوضًا عن الأمير قُطْلُقْتَمُر العلائىّ .

ثم استقرّ الأمير أَلْطَنْبُغا البَشْتَكى فى نيابة غزّة عوضًا(2) عن أُرنبغا الكاملى بحكم وفاته .

---

(1) فى « ف » : « اقشتمر ... الخ » وهو تحريف .

(2) لم توجد هذه الكلمة فى : (ف)

ثم أخلع على الأمير مَنْجَك اليوسفى باستقراره فى نيابة طَرَسُوس بعد تلك الرُّتب العاليــة من تحكمه لمّــا ولى الوَزَر[1] [بالديار المصرية[2]] ونيابة طرابُلُس والشام وقد تقــدّم ذكر ذلك كلّه فى عدة أماكن ، و إنمــا أردنا التعريف به هنا لمـَا تقدّم له ولمَا هو آت . وكانت ولاية منجك اليوسفى لنيابة طَرَسُوس عوضا عن قُمارِى أمير شِكار بحكم وفاته فى سلخ ذى القعدة .

ثم أنعم السلطان على جماعة بإمرة طبلخاناه وهم : قُطْلُوبُغا البَلَبانىّ وكَمَشْبُغا[3] الحَمَوى أحد مماليك الأتابك يَلْبُغا العمرىّ وآقْبُغا[4] الجوهرى أحد اليَلْبغاوِيّة أيضــا وعلى جماعة بإمرة عشرات وهم : سَلْجُوق الرومى وأروس السَّيْفى بشتاك وسُنقر السيفى أَرُقْطاى ثم أنعم[5] السلطان على الأمير ألْجــاى اليُوسفى فى حادى عشرين شهر رجب بإمرة جاندار .

وفى هذه السنة وهى سنة ست وستين وسبعمائة عزَل[6] قاضى القضاة عزّ الدين[7] عبد العزيز بن محمد بن جَماعة نفسَه من قضاء الديار المصرية فى سادس عشر جُمادَى الأولى ونزل إليه الأتابك يَلْبُغا بنفسه الى بيته وسأله بعَوْده إلى المَنصب فلم يَقبل ذلك وأشار على يَلْبُغا بتولية نائبه بهاء الدين أبى[8] البقاء السُّبْكىّ فولى بهاء الدين قضاة الشافعية عِوَضه . ثم استقرّ قاضى القضاة جمال الدين محمود بن أحمــد بن مسعود القُونَوىّ الحنفى قاضى قضاة دمشق بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف ابن أحمد الكَفرىّ (بفتح الكاف) .

(١) فى (ف) : «الوزارة» . (٢) التكلة عن (م) . (٣) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠١ هـ . (٤) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٢ هـ . (٥) فى « ف » : «أخلع» . (٦) فى «ف» : « نزل » . (٧) هو قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٦٧ هـ . (٨) هو قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد آبن قاضى القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين يحيى السبكى الأنصارى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٧ هـ .

وفى هذه السنة أسلم الصاحب شمس الدين المقسى وكان نَصْرانيا يُباشر فى دواوين الأمراء ، فلما أسلم آستقرّ مستوفى المماليك السلطانية .

وفى سنة سبع وستين وسبعمائة أخذت الفرنج مدينة إسكندرية فى يوم الجمعة ثالث عشرين المحرّم (١)، وخبر ذلك أنه لمّا كان يوم الجمعة المذكور طَرَق الفرنج مدينة الاسكندرية على حين غَفْلة فى سبعين قطعة ومعهم صاحبُ قُبرس وعدّةُ الفرنج تزيد على ثلاثين ألفا وخرجوا من البحر المالح إلى برّ الإسكندرية فخرَج أهلُها إليهم فتقاتلوا فقُتِل من المسلمين نحوُ أربعة آلاف نفس وآقتحمت الفرنج الإسكندريةَ وأخذوها بالسيف وآستمروا بها أربعة أيام وهم يقتلون و ينهبون و يأسرون وجاء الخبر بذلك إلى الأتابَك يَلْبغا وكان السلطان بسِرْياقوس (٢) ، فقام من وقتـه و رَجَع إلى القلعـة ورَسَم للعساكر بالسفر إلى الإسكندرية ، وصلّى السلطان الظُّهرَ وركب من يومه ومعه الأتابَك يَلْبُغا والعساكر الإسلامية فى الحال وعَدّوا النيل وجَدّوا فى السَّير من غير ترتيب ولا تعبيـة حتى وصلوا إلى الطَّـرّانة (٣) والعساكر يتبع بعضُها بعضا ، فلمّا وصل السلطان إلى الطرّانة أرسل جاليشا (٤) من الأمراء أمامه فى خِفْية وهم قُطْلُوبُغَا المنصورى وكُوُنْدُك وخليل بن قَوْصون و جماعة من الطبلخانات والعشرات وغيرهم وجَدّوا فى السير ، و بينما هم فى ذلك جاء الخبرُ بأن العدوّ المخذول لمّا سمعوا بقدوم

---

(١) عبارة السلوك (ج ٣ ص ٤٥ (ب) : «ورد الخبر فى يوم السبت رابع عشرين المحرم بمنازلة الفرنج مدينة الإسكندرية وأنهم قدموا يوم الأربعاء حادى عشرينه» وهى تختلف عما ورد فى الأصلين .

(٢) تقدم الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هى بلدة مصرية قديمة ، وهى الآن إحدى قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة . وسبق التعليق عليها فى الحاشـية رقم ١ ص ١٦ من الجزء الثامن من هـذه الطبعة وأضيف إلى ما سبق ذكره أنها بلدة زراعيـة تبلغ مساحة أراضيها ١٨٥٠ فـدانا وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس بمـا فيهم سكان العزب التابعة لهـا .

(٤) الجاليش : مقدّمة الجيش والراية العظيمة فى رأسها خصلة من الشعر وانظر حاشية رقم ٣ ص ١٠١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

السلطان تركوا الإسكندرية وهَرَبوا ، ففرح الناس بذلك ، ورسم السلطان بعمارة ما تهدّم من الإسكندرية و إصــلاح أسوارها وأخلع السلطان على الشريف بَكْتَمُر (١) بنيابة الإسكندرية وأعطاه إمرة مائة وتقدمة ألف و بكتمر هــذا هو أوّل نائب ولى نيابة الإسكندرية من النوّاب ، وما كانت أوّلا إلا ولاية ، فمن يومئــذ عَظُم قَدرُ نُوّابها وصار نائبُها يُسمى مَلِكَ الأمراء ثم أمرَ يَلْبُغا فنُودى بمصر والقاهرة بأن البحّارة والنقّاطة كلّهــم يَحضُرون إلى بيت الأتابَك يَلْبُغا للعَرْض والنَفَقــة ليسافروا فى المراكب التى تُنْشأ ، و بدأ يلبغا فى عمارة المــراكب و بَعَث مراســيمَ إلى سائر البلاد الشامية والحلبية بإخراج جميع النجّارين وكلّ مَن يعرف يمسك مِنْشارا بيده ، ولا يُترَكُ واحدٌ منهم ، وكلُّهم يخرجون إلى جبل شغلان وهو جبل عظيم فيه أشجار كثيرة من الصَّنوبر والقرو ونحو ذلك ، وهذا الجبل بالقرب من مدينة أنطاكية (٢) ، وأنهم يقطعون الألواح و ينشُرون الأخشاب للمراكب و يحملونها إلى الديار المصرية ، فامتثل نائب حلب ذلك وفعل ما أُمِرَ به ووَقَع الشروع فى عمل المراكب .

هــذا ، وقــد ثَقُل على يلبغا وطأةُ خُشداشــه طَيْبُغا الطويل فأراد أن يَستبدّ بالأمر وحدَه وأخذ يلبغا يدبِّر عليه فى الباطن . ولقد حَكَى لى بعضُ من رآهما قال : كانا ينزلان من الخدمة السلطانية معًا ، فتقول العامّة : ياطويل حِسّــك من هذا القصير! فكان طيبغا يلتفت إلى يلبغا و يقول له وهو يضحك : ما يقولون هؤلاء! فيقول يلبغا : هذا شأن العامة يثيرون الفِتَن . انتهى .

---

(١) لما كانت الإسكندرية من المدن المصرية القديمة التى لها شأن عظيم فى التاريخ خصص لها المرحوم على باشا مبارك جزءا من خططه وهو الجزء السابع و يقع هذا الجزء فى خمس وتسعين صفحة من القطع الكبير . (٢) تقدم الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٥٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وٱستمرّ يلبغا على ذلك إلى أن خرج طيبغا الطويل إلى الصيد بالعبّاسة[1] أرسل إليه يلبغا جماعةً من مُقَدّمى الألوف وهم : أَرْغون الإسْعِرْدى الدّوادار والأمير آروس المحمودى الأستادار وأرغون الأزرق وطيبغا العلائى حاجب الحجّاب ومعهم[2] تشريفٌ له بنيابة دِمَشق فساروا حتى قَدِموا على طَيْبُغا الطويل وأخبروه بما وقع فلما سَمِع طيبغا ذلك غَضِب وأبى قبولَ الخِلْعة . وخامر وٱتّفق معه أَرْغون الإسْعِرْدى الدوادار وآروس المحمودى وهَرَب طيبغا العلائى وأرغون الأزرق ولَحِقا بالأتابك يلبغا وأعلماه بالخبر فركب يلبغا في الحال ومعه السلطان الملك الأشرف شعبان بالعساكر في صبيحة اليوم المذكور وقد ساق طيبغا الطويل من العبّاسة حتى نَزَل بقبّة النصر[3] خارج القاهرة ليأتيه مَن له عنده غَرَض ، فوافاه يلبغا في حال وصوله بالعساكر وقاتَله فاقتتلا ساعة وٱنكسر طيبغا الطويل بمن معه وأُمسك هو وأصحابُه من الأمراء وهم أرغون الإسْعِردى وآروس المحمودى وكُونُدُك[4] أخو طيبغا الطويل وجَرَكْتَمُر السّيفى مَنْجَك وأرغون من عبد الله[5] وجُمَق الشّيخونى وكليم أخو طيبغا الطويل وتُلَك أخو بيبغا الصالحى وآقبغا العُمرى البالسى وجُرْجِى ابن كُونُدُك[6] وأَرْزَمك من مصطفى وطَشْتَمر العلائى ، وأُرْسِلوا الجمع إلى سجن الإسكندرية ، وأخذ يلبغا إقطاع ولَدَى طيبغا الطويل وهما : على وحمزة وكانا أميرَىْ طبلخاناه .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) فى (ف) : « ومعه » .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٩ ب) : « كوكنداى أخو طيبغا الطويل » .

(٥) فى السلوك : (ج ٣ ص ٤٩ ب) « ابن عبد الملك » .

(٦) فى لسلوك : (ج ٣ ص ٤٩ ب) : «جرجى بن كوكنداى» .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين شعبان من ســنة سبع وستين وســبعمائة ، باست الأمراء الأرض للسلطان و يلبغا الأتابك معهم وطلبوا من السلطان الإفراج عن الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية المقدّم ذكرهم ، فقَبِل السلطان شفاعتهم ، ورسم بالإفــراج عن طَيْبُغا الطويل خاصــة فأُفرج عنه ورسم بسفره إلى القُــدس بطّالا ، فسافر إلى القدس وأقام به إلى ما يأتى ذكره .

ثم بعد ذلك فى يوم عيد الفطر رَسَم السلطان بالإفراج عمن بَقِى فى الإسكندرية من أصحاب طيبغا الطويل ، فأُفرج عنهــم وحضروا فأُخرجوا إلى الشام متفرّقين بطّالين وصفا الوقت ليَلْبُغا العُمَــرىّ وصار هو المتكلّم فى الأمور من غير مُشارِك والسلطان الملك الأشرف شعبان معه آلةٌ فى السلطنة ، وأنعم يلبغا بإقطاعات أصحاب طيبغا الطويل على جمــاعة من أصحابه ، فأنعم على الأمير أَرْغون بن بلبــك الأزقىّ بتقدِمة ألف ، عوضا عن قُطْلُوبَغا المنصورىّ وأنعم على طيبغا العلائى السيفىّ بزلار بتقدِمة ألف ، عوضا عن مَلِكْتَمُر المــارديْنىّ بحكم وفاته ، وأنعم على أَيْنَبك البدرىّ أمير آخور يلبغا العمرىّ بإمرة طبلخاناه واستقرّ أَسْتادار أستاذه يلبغا .

ثم اســتقرّ الأمير إِشقَتَمُر المــارديْنىّ المعزول عن نيابة حلب قبــل تاريخــه فى نيــابة طرابلس ، عوضا عن قشتمر المنصورىّ ، وطلِب قشتمر المــذكور إلى مصر .

ثم استقرّ الأمير طَيْدَمر البالسى أمير سلاح عوضا عن طيبغا الطويل فى سابع جمادى الأولى . ثم استقرّ طيبغا الأبُو بكرى دواداراً كبيرا بإمرة طبلخاناه عوضا عن الإسْعِرْدى ، فأقام دواداراً إلى حادى عشرين شــعبان عُزِل بأمير بيبغا دوادارَ أمير على المــارِديْنى بإمرة طبلخاناه أيضا .

ثم آستقرّ الأمير أرغون طَطَر رأس نَوْبة النُّوَب عوضا عن مَلِكْتَمُر العمرى المارِدِينى فى آخر جُمادَى الآخرة، وآستقرّ أَرْغون الأزقى أُستادارا عوضا عن آروس المحمودى وآستقرّ يعقوب شاه[1] أمير آخور مقدّم ألف وحاجبًا ثانيا عوضا عن قُطْلُوبُغا المنصورى وآستقرّ طُقْتَمر الحَسَنى أمير آخور كبيرا عوضا عن يعقوب شاه المُنتقل إلى الحُجوبيّة الثانية واستقرّ قُطْلُوشاه الشَّعبانى أمير طبلخاناه وشادّ الشراب خاناه عوضا عن أَرْغون بن عبد الملك واستقرّ تَمُرقَبَا العُمَرى جوكندارا عوضا عن جَرِكْتَمُر السَّيفى مَنْجَك وأنعم على آقبُغا الأحمدى المعروف بالجلب بتقدمة ألف وعلى أسَنْدَمُر الناصرى بتقدمة ألف أيضا، وكلاهما بالديار المصريّة وآستقرّ حُسين [ابن على][2] بن الكُورانى فى ولاية القاهرة وهذه أوّل ولايته .

ثم فرّق على جماعة كبيرة بإمرة طبلخانات وهم : طُغَيْتَمُر العثمانى وآقْبُغا الجوهرى وبجماس السيفى طاز وأَلْطَنْبُغا العزى وأَرْغون[3] كَتّك العزى وقراتمر المحمدى، الشهابى هذا قراتمر[4]، رأيته وقد شاخ وكان بطّالا يسكن بالقرب من الكبش[5] بعد سنة عشرين وثمانمائة . انتهى . وآروس بغا الكاملى[6] وطاجار من عوض وآقبغا اليوسفى وألطنبغا الماردينى . وهو غير صاحب[7] الجامع، ذاك متقدّم على هذا ورسلان الشيخونى[8] واستقرّ حاجبا بإسكندرية على إمرة

---

(١) سيذكر المؤلف وفاته فى سنة ٧٧٨ هـ . (٢) زيادة عما سيذكر المؤلف فى سنة وفاته وهى سنة ٧٩٣ هـ . (٣) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٠ (أ)) : «وأرغون العزى كتك» . (٤) غير موجودة فى (ف) . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٦) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥ (أ)) : « الخليلى » .
(٧) تقدم الكلام على هذا الجامع فى الحاشية رقم ٣ ص ١١٢ هـ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٨) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٠ (أ) قسم ٢) : « رسلان السيفى » .

طبلخاناه وعلىّ بن قَشْتَمُر المنصورى وسُودُون القُطْلُقْتَمُرى وقُطلُوبَغَا الشعبانى[1] ومحمد المهندس التُّرْكمانى[2] وعلى جماعة بعشرات ، وهم : تنبك الأزقى وأَرْغون الأحمدى وطَيْبُغا[3] السيفى يلبغا وأرغون الأرغونى وسُودُون الشيخونى ، وهو الذى صار نائب السلطنة فى دولة الملك الظاهر بَرْقُوق كما سيأتى ذكره . وأزدمر العزى أبو ذقن ويونُس العُمرى ودُرْت بُغا البالسى وقرابُغا الصَّرْغَتمشى وطاز الحسينى[4] وقرقماس[5] الصرغتمشى وطيبغا العلائى وقُمارى الجمالى .

ثم فى هذه السنة أبطل يلبغا المكوس من مكة والمدينة ورتّب عوض ذلك من بيت المال مائتى ألف وستين ألفا .

ثم فى سنة ثمان وستين طلَب السلطان الأمير مَنْكَلى بغا الشمسى نائب الشام إلى الديار المصرية فلما حضره أكرمه وأخلع عليه بنيابة حلب عوضا عن جُرْجى الإدريسى لعجزه عن القيام بمصالح حلب مع التُّركمان، فامتنع منكلى بغا من نيابة حلب كونه نائب دمشق ، ثم ينتقل منها إلى نيابة حلب ، فأضيف اليه أربعة آلاف نفر[6] من عسكر دمشق لتكون منزلته أكبر من منزلة نائب دمشق ؛ فأذعن عند ذلك ولَبِس الخلْعة وتوجه إلى حلب وتولّى نيابة دمشق عوضه الأميرُ آقتمر عبد الغنى حاجب الحُجّاب بالديار المصرية وتولّى عوضه حجوبيّة الحُجّاب طَيْبُغا العلائى . وأما جُرْجى الإدريسى المعزول عن نيابة حلب فإنه ولى نيابة طرابُلُس بعد عزل منجك اليوسفى عنها .

(١) فى السلوك : « ج ٢ و ٤ ص ٥٠ (أ) » : قطلوبغا » . (٢) فى السلوك المصدر المتقدم « الترجمان » بالجيم . (٣) فى السلوك المصدر المتقدّم : « ككبغا السيفى » .
(٤) فى م : « الحسنى » . (٥) فى السلوك المصدر المتقدم : « قرابغا الصرغتمشى » .
(٦) فى السلوك المصدر المتقدّم : « أربعة آلاف فارس » .

وفى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وستين المذكورة استقرّ أَرْغون الأزرق الأستادار فى نيابة غَزّة عوضا عن أَلْطَنْبُغا البَشْتَكى . وفى الشهر أيضا آستقرّ آقْبُغا الأحمدى المعروف بالجلب لالا السلطان الملك الأشرف عوضًا عن أرغون الأحمدى بحكم نَفْيه إلى الشام لأمر اقتضى ذلك ونُفى معه تَمُرْبُغا العُمَرى .

ثم فى آخر الشهر المذكور أَمْسَك الأتابك يَلْبُغا الأميرَ الطواشى سابقَ الدين مِثْقالا الآنوكى[1] مقدّم المماليك السلطانية وضَرَبه داخل القصر بقلعة الجبل ستمائة عصاة ونفاه إلى أسوان[2]، وسببُه ظهور كَذِبه له وولّى مكانه مختارالدّمَنْهورى المعروف بشاذروان ، وكان مُقدّم الأوْجاقية بباب السِّلسلة[3] ، كلّ ذلك والعمل فى المراكب مستمرّ إلى أن كَمُلت عمارة المراكب من الغِرْبان[4] والطَّرائد لحمل الغُزاة والخيول وكانوا نحو مائة غُراب وطَريدة ، عُمِّرت فى أقلّ من سنة مع عدم الأخشاب والأصناف يوم ذاك .

وبينما النّاس فى ذلك قُتل يَلْبُغا العُمَرى بيد مماليكه فى واقعة كانت بينهم؛ وخَبَرُ ذلك أنه لمّا كان فى مستهل شهر ربيع الآخر نَزَل السلطان من قلعة الجبل وعدّى إلى بَرّ الجيزة ليتوجه إلى الصّيد بالبحيرة بعد أن أَلْزَمَ الأمراءَ أن يجعلوا — فى الشّوانى التى نَجَز عملُها برسم الغُزاة — العُدَدَ والسلاحَ والرجالَ على هيئة القتال

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشيه رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) قال ابن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى كتابه قوانين الدواوين فى وصف الأسطول المصرى ما ملخصه : ومنفعة المسلمين به أشهر من أن تذكر ، ومن أسماء مراكبه الطريدة والحمالة والشينى الخ الخ . وفسر الطريدة بأنها مركب برسم حمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرسا ، كما فسر الشينى وسماه الغراب أيضا بأنه يجدف بمائة وأربعين مجدافا ، وفيه المقاتلة والجذافون . انظر كتاب قوانين الدواوين طبعة الجمعية الزراعية ص ٣٣٩ و ٣٤٠

لينظَر السلطانُ والناسُ ذلك، فامتثلوا الأمراءُ المرسوم الشريف وأشحنوا المراكبَ بالعُدَد والسلاح والرجال المُلْبَسة وضربوا الطَّبلخاناه بهاوصارتْ فى أبْهَى زىّ ولَعبوا بها فى البحر قُدّامَ السلطان والأتَابك يَلْبُغا وخَرَج الناس للتفرُّج من كلّ فَجّ ، وكان يومٌ من الأيام المشهودة الذى لم يُرَ مثلُه فى سالف الأعصار .

ثم سار السلطان والأتَابك ويَلْبُغَا بالعساكرْ من برّ الجـيزة يُريدون البُحَيْرة(١) حتى نزلوا فى ليـلة الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر من سنة ثمـان وستين وسـبعمائة بالطرّانة(٢) وباتوا بها وكانت ممـاليك يَلْبُغا قد نَفَرت قلوبهم منه لكثرة ظُلْمه وعَسْفه وتنوعه فى العذاب لهم على أدنى جُرْم ، حتى إنه كان إذا غَضب على مملوك ربمـا قَطعَ لسانَه فاّتفق جماعةٌ من ممـاليك يلبغا تلك الليلةَ على قتـله من غير أن يُعْلموا الملكَ الأشرفَ هـذا بشىء من ذلك، وركبوا عليه نصف الليل، ورءوسهُم من الأمراء : آقْبُغا الأحمـدى الجلب وأسَـنْدَمُر الناصرى وقجماس الطازى وتَغْرى بَرْمش العـلائى وآقبغا جارَكس أمير سـلاح وقَرابُغا الصَّرْغَتْمِشى فى جمـاعة من أعيان اليَلْبُغاويّة ولبِسوا آلة الحرب وكَبَسوا فى الليل على يلبغا بخَيْمته بَغْتة وأرادوا قتله، فأحسّ بهم قبل وصولهم إليه ، فرَكب فَرَسَ النَّوبة بخواصِّـه من ممـاليكه وهَرَب تحت الليل وعَدّى النيلَ إلى القاهرة ومنَع سائرالمراكب أن يُعدّوا بأحد وأجتمع عنده من الأمراء طَيْبُغا حاجب الحُجاب وأيْنبك البَدرى أميرآخور وجماعةُ الأمراء المقيمين بالقاهرة، وأمّا ممـاليك يَلْبُغا فإنهم لمـّا علِموا بأن أسـتاذهم نجا بنفسه وهَرَب، اشتدّ تخوُّفُهم من أنه إذا ظَفَر بهم بعد ذلك لا يُبْقِى منهم أحدا، فاجتمعوا الجميعُ بمن ٱنضاف إليهم من الأمراء وغيرهم وجاءوا إلى الملك الأشرف

(١) مديرية البحيرة الآن . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٩ من هذا الجزء .

شعبان — تغمّده الله برحمته — وهو بخيّمه أيضا بمنزله بالطّرانة وكلّموه فى موافقتهم على قتال يَلْبُغا فٱمتنع قليلا ثم أجاب لمـّا فى نفسه من الحَزازة من حجر يلبغا عليه، وعدم تصرُّفه فى المملكة ، وركب بمماليكه وخاصّكيته، فأخذوه وعادوا به إلى جهة القاهرة، وقـد ٱجتمع عليه خلائقُ من ممـاليك يَلْبُغا وعساكر مصر وساروا حتى وصـلوا إلى ساحل النيل ببولاق التَّكْرورى (١) تُجاه بولاق والجزيرة الوسـطى ، فأقام الملك الأشرف ببولاق التَّكْرورى (٢) يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة فلم يجدوا مراكب يُعدّون فيها .

وأما يلبغا فإنه لمـّا علِم أنّ الملك الأشرف طاوَع ممـاليكه وقـرّبهم أنزلَ من قلعة الجبل سَيِّدى آنوك ٱبن الملك الأمجد حُسين أخى الملك الأشرف شعبان وسلطَنه ولقَّبـه بالملك المنصور وذلك بخيّمه بجزيرة أرْوَى المعروفة بالجزيرة الوسطانيـة (٣) ، تُجاه بولاق التَّكْرورى حيث الملك الأشرف نازل بمماليك يَلْبُغا بالبرّ الشرقىّ ، والأشرف بالبر الغربى، فسَمَّتْه العوامّ سلطان الجزيرة .

ثم فى يوم الجمعة حضر عند الأتابك يلبغا الأمير طُغَيْتَمر النظامىّ والأمير أرغون طَطَر، فإنهـما كانا يتصيّدان بالعباسّة (٤) وٱنضافا بمن معهما إلى يلبغا فقَوِى أمره بهما وعدّى إليه أيضا جماعة من عنـد الملك الأشرف وهم الأمير قرابُغا البدرى والأمير يعقوب شاه والأمير بَيْبُغا العلائى الدّوادار والأمير خليـل بن قَوْصون وجماعة من

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) هذه الجزائر بجمعها كلها جزيرة أروى وهى التى تعرف اليوم بالجزيرة أو الجزيرة الكبرى أو جزيرة بولاق الواقعة وسط النيل تجاه بولاق القاهرة ويتوصل إليها بواسطة كبرى الخديوى إسماعيل المعروف بكوبرى قصر النيل ، وبواسطة كوبرى الملك فؤاد الأوّل المعروف بكوبرى بولاق وبها ميدان السباق والمعرض الزراعى والجمعية الزراعية الملكية وغيرها . وقد سبق التعليق على هذه الجزيرة باسم جزيرة أروى فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ممـاليك يلبغا الذين أمّرهم : مثـل آقْبغا الجوهرى وكَمَشْبُغا الحَموى و يلبغا شُـقَير فى آخرين وآسمــتر الأتابَك يلبغا وآنوك بجــزيرة الوسطى والملك الأشرف وممـاليك يلبغا ببولاق التَّكْرورى، إلى أن حضر إلى الأشرف شخص يُعرف [بمحمد][1] آبن بنت لبطة رئيس [شوانى] السلطان وجَهّز للسلطان من الغِرْبان[2] التى عَمّرها برسم الغُزاة نحو ثلاثين غُرابا برجالها وكَسَّر بُروقَها، وجعلها مثل الفلاة لأجل التَّعـدية ، فنزل فيها جماعة من الأمراء ومن مماليك يلبغا ليُعَدوا فيها إلى الجزيرة فَرَمى عليهم يلبغا بمكاحل النّفط وصار هـؤلاء يرمون على يلبغا بالسِّهام فيُردّونهم على أعقابهم وأخذ يلبغا ومَنْ معه يُرمون أيضا النفط والنُّشّاب ، والأشرفيــة لا يلتفتون الى ذلك ، بل يزيدون فى سبّ يلبغا ولَعْنه وقتاله ، وأقاموا على ذلك الى عصر يوم السبت وقد قَوِى أمرُ الملك الأشرف وضَعُف أمرُ يلبغا .

ثم اتّفق رأى عساكر الملك الأشرف على تَعْـدِية الملك الأشرف من الورّاق[3]، فعَدّى وقت العصر من الوَرّاق الى جزيرة الفيل[4] وتتابعَتْــه عساكرُه ، فلما صاروا

(١) زيادة عن المنهل الصافى للؤلف (ج ٣ ص ٤٣٤ (أ) .   (٢) فى م : «الذى» .

(٣) الوراق : بلد واقعة على الشاطئ الغربى للنيل بمركز إمبابة ، تجاه ساحل روض الفرج الواقع على الشاطىء الشرق بالقـاهرة ؛ وهى من القرى القديمــة وردت فى « قوانين الدواوين » لابن ممـاتى من الأعمال الجـيزية ، و وردت فى دليــل أسماء البلاد المصرية ســنة ١٢٢٤ ﻫ باسم الوراق الجيش . وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ ﻫ قسمت إلى ناحيتين : إحداهما هذه وهى الأصلية وعرفت باسم وراق العرب، لكثرة من بها منهم وهــذه تقع على بعد كيلو متر واحد من شاطىء النيــل ، والثانية وهى المستجدة تعرف باسم وراق الحصر لكثرة من بهـا من أهل الحصر وتقع على شاطىء النيــل الغربى مباشرة ويشترك معها فى السكن وفى الزمام والإدارة ناحيتان أخريان وهمـا أمبــوبه وميت النصارى وكلها تتبع مركز إمبـابة بمديرية الجيزه وبلدة الوراق التى يقصــدها المؤلف هى بلدة وراق العرب وهى بلدة زراعيــة يبلغ مساحة أراضيها ٢٨٣٣ فدانا وعدد سكانها حوالى ١١٠٠٠ نفس .

وأما وراق الحصر وما معها فتبلغ مساحة أراضيها ١٥٦٦ فدانا وعدد سكانها حوالى ٧٠٠٠ نفس بما فيهــم سكان جزيرة وراق الحصر ويسكن هذه الناحية كثيرون من الصناع الذين يشتغلون فى القاهرة .

(٤) جزيرة الفيل : مكانها اليوم الأرض التى عليها مسـاكن قسمى شبرا وروض الفرج من أقسام مدينة القاهرة . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

الجميع فى برّ القاهرة وبلغ ذلك يَلْبُغا هرب الأمراء الذين كانوا مع يلبغا بأجمعهم وجاءوا إلى الملك الأشرف وقبّلو الأرض بين يَدَيْه ، فلمّا رأى يلبغا ذلك رَجع إلى جهة القاهرة ، ووقف بسوق الخيل من تحت قلعة الجبل ، ولم يبقَ معه غيرُ طَيْبُغا حاجب الحُجّاب الذى كان أوّلا أستادَارَه فوقف يلبغاساعة ورأى أمرَه فى إدبار ، فنَزَل عن فرســه بسوق الخيل(١) تُجاه باب المَيْدَان وصلّى العصر وحلّ سَـيْفَه وأعطاه للأمير طَيْبُغا الحاجب ، ثم نزل وقصــد بيتَه بالكَبْش(٢) فرجمتْـه العوامُّ من رأس سُوَيْقَة مُنْعِم(٣) إلى أن وصل حيث اتّجه وسار الملك الأشرف شعبان بعساكره، حتى طلَع إلى قلعــة الجبل فى آخر نهار السبت المذكور ، وأرسل جماعةً من الأمراء إلى يلبغا فأخذُوه من بيته ومعه طيبغا الحاجب وطلَعوا به إلى القلعة ، بعد المغرب فسُجِن بها إلى بعد عشاء الآخرة من اليوم المذكور فلمّا أُذّن للعشاء جاء جماعةٌ من ممــاليك يلبغا مع بعض الأمراء وأخذوا يلبغا من سجنه وأنزلوه من القلعة فلما صَــار بحدرة القلعة أحضروا له فرسا ليركَبَه ، فلما أراد الركوب ضَرَبه مملوكٌ من مماليكه يُسَمّى

(١) سوق الخيل مكانه اليوم : ميدان محمد على بين القلعة وجامع السلطان حسن . وسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . والميدان مكانه اليوم ميــدان صلاح الدين وسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على جامع شيخون أن هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة وممـا ذكره السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة قانى باى بن عبد الله المحمدى من أنه عمر مدرسة برأس سويقة منعم . وبمـا أن جامع شيخون لايزال قائما فى النهاية الغربية من شارع شيخون ومدرسة قانى باى لاتزال كذلك قائمة باسم جامع المحمدى فى النهاية الشرقية من شارع شيخون المذكور الموصل من الصليبة الى ميدان صلاح الدين عند قسم بوليس الخليفة ، فتكون سويقة منعم هى بذاتها الطريق التى تسمى اليوم شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة .

وذكر ابن إياس هذه السويقة فى عدة مواضع من كتاب تاريخ مصر باسم سويقة عبد المنعم ، وقــد دل البحث على أنها هى بذاتها هى سويقة منعم المذكورة .

قراتَمُر فأرْمَى رأسَه ثم نزلوا عليه بالسيوف حتى هَبَّروه تهبيراً وأخذوا رأسَه وجعلوها فى مشعل [النــار] [١] إلى أن انقطع الدم فلمّــا رآه بعضهم أنكره وقال : أخفيتموه وهذه رأس غيره فرفعوه من المشعل ومسحوه ليعرفوه أنه رأس يَلْبُغا بِسلْعةٍ كانت خلف أذنه فعند ذلك تحقّق كلّ أحد بقتله ، وأخذوا جثته فغيبوها بين العروستين [٢] ، لجاء الأمير طَشْتَمر الدوادار فأخذ الرأس منهــم فى الليل وٱستقصى على الجثّة حتى أخذها وحَطّ الرأس على الجثّة وغسّلها وكفّنها وصلّى عليه فى الليل ودَفَنه بتربته [٣] التى أنشأها بالصحراء بالقُرب مــن تربة [٤] خَــوَنْد طُغَاى أمّ آنوك زوجة الناصر محمد ابن قلاوون . وفيه يقول بعض الشعراء [مخلع البسيط] :

بدا شــــقا يَلْبُغَــا وعَدّتْ * عُــــدَاه فى سُــفْنِه إليــهِ

والكَبْش لم يَفْدِه وأضحتْ * تَنوح غِــــرْبانُه عليـــهِ

قلت : لاجرم أنّ الله سبحانه وتعالى عامل يلبغا هذا من جنس فعله بأستاذه الملك الناصر حسن فسلّط عليه مماليكَه فقتلوه كما قَتَلَ هو أستــاذَه الناصرُ حسناً ، فالقصاص قريب والجزاء من جنس العمل .

ولمــا أصبح نهار الأحد عاشر شهر ربيع الآخر وهو صبيحة ليلة قُتِل فيها يَلْبُغا العُمَرِىّ الخاصّكى المقدّم ذكرُه طلع جميعُ الأمراء إلى القلعة وٱستقرّ الأمير طُغَيْتَمر النّظامىّ هو المتحدِّث فى حلّ المملكة وعَقْدها ومعه آقبغا جلب الأحمدىّ وأَسَنْدَمر

---

(١) زيادة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤٣٤ (أ)) . (٢) العروستان كان اسمـا لمكان الذى عليه الآن مبنى دار المحفوظات العمومية بالقلعة بالقاهرة والظاهر أن هذا المكان كان به بعض القبــور المهجورة ولذلك قال المؤلف : فأخذوا جثته وغيبوها أى أخفوها بين العروستين . وقــد سبق التعليق على هذا المكان فى الحاشية رقم ١ ص ٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) هذه التربة غير تربة طشتمر حمص أخضر الواردة فى الحاشية رقم ٣ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة ، لأن طشتمر هذا غير ذلك . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الناصري وجماس الطازي وقبضوا من الأمراء على تمربغا (١) البدري و يعقوب شاه و بيبغا العلائي الدوادار وقيدوا وأرسلوا عشية النهار إلى الإسكندرية ورسم للأمير خليل بن قوصون أن يلزم بيته بطالا .

وفي يوم الاثنين حادي عشرة استقر قشتمر المنصوري حاجب الحجاب عوضا عن طيبغا العلائي واستقر أيدمر الشامي دودارا بإمرة مائة وتقدمة ألف وناظر الأحباس ولم يعلم قبله دوادار أمير مائة ومقدم ألف . ثم قبض على جماعة من الأمراء وهم : أزدمر العزي وآقبغا الجوهري وأرغون ككك العزي أيضا وأرغون الأرغوني و يونس الرماح العمري وكشبغا الحموي وأرسلوا الجميع في القيود إلى ثغر الإسكندرية فحبسوا (٢) بها . ثم استقر طيدمر البالسي أستادار العالية ثم أخلع على جماس الطازي واستقر أمير سلاح عوضا عن طيدمر البالسي المنتقل إلى الأستادارية وأنعم على قرابغا الصرغتمشي بتقدمة ألف دفعة واحدة من إمرة عشرة .

ثم في العشرين من الشهر استقر أسنبغا القوصوني لالا السلطان ، عوضا عن آقبغا جلب (٣) واستقر قراتمر المحمدي خازندارا ، عوضا عن تلكتمر المحمدي وحضر سابق الدين مثقال [الآنوكي] (٤) من قوص بطلب من السلطان وقبل الأرض ونزل إلى داره . وفي [يوم الخميس] (٥) ثاني [عشر] (٥) جمادى الأولى قبض على فخر الدين ماجد بن قروينة وسلم لقرابغا [الصرغتمشي] (٦) ليستخلص منه الأموال، واستقر عوضه في الوزارة الصاحب جمال الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر وأضيف إليه نظر الخاص أيضا وكان أولا صاحب ديوان يلبغا .

(١) في السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٦ (أ)) : «وقبضوا على الأمير قرابغا البدري» . (٢) عبارة السلوك المصدر المتقدم : «وسجنوا بالقلعة ماعدا كمشبغا الحموي وآقبغا الجوهري فإنهما سجنا بخزانة شمائل» .
(٣) في السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٦ (ب) : «عوضا عن آقبغا الأحمدي» . (٤) تكملة عن السلوك المصدر المتقدم . (٥) التكملة عن السلوك المصدر المتقدم . (٦) زيادة يقتضيها السياق .

وفى سادس عشر جمادى الأولى أعيد [الطواشى][1] سابق الدين مثقال إلى تَقْدمة المماليك السلطانية وصُرف الدَّمَنْهورىّ المعروف بشاذَرْوان .

وفى يوم الخميس سادس عشر شهر رجب قُبِض على قَرابُغا الصرغتمشىّ وعندما قُبض على قرابغا المذكور رَكب الأمير تَغْرِى بَرْمَش بالسلاح ومعه عدّة من الأمراء والخاصّكية فرسم السلطان بركوب الأمراء والخاصّكية فركبوا فى الحال وقبضوا عليه وأمسكوا معه الأمير أَيْنَبَك البدرىّ و إسحاق الرَّجَبِىّ وقرابغا العزّى ، ومقْبِل الرومىّ وأرسلوا إلى الإسكندرية . ثمّ أنعم السلطانُ على كلّ من قُطْلُوبُغَا جركس وأَقْطَاى بتقدمة ألف .

ومن هذا الوقت أخذ أَسَنْدَمُر الناصرىّ فى التعاظم وانضمام الناس عليه فاتّفق جماعة من الأمراء العِزِّية مع طُغَيْتَمُر النظامىّ وآقبُغا جلب على قبض أسندمر ودَبّروا عليه إلى أن كانت ليلة الأحد سابع شهر شوّال من سنة ثمانٍ وستين المذكورة ركبُوا نصف الليل وضَرَبُوا الكُوسات وأنزلوا الملك الأشرفَ إلى الإصطبل السلطانىّ وقَصَدوا مَسْك أسندمر الناصرىّ و بعضَ مماليك يَلْبُغَا العُمَرىّ الأشرار و بَلغ ذلك أسندمر، فمكث فى بيته إلى طلوع الشمس . ثمّ رَكب من بيته بالكَبْش[2] فإنّه كان سكَن فيه بعد قتل يلبغا وتوجّه بمَنْ معه إلى قُبَّة النَّصْر[3] ومنها إلى

(١) التكملة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٧ (أ قسم ثان) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) فى « م » و « ف » : « إلى قبة الصفراء » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٧ (ب قسم ثان) .

القرافة إلى باب الدَّرْفِيــل(١) من وراء القلعة ، فلم يَفْطُن به الأمراء إلّا وهو تحت الطبلخاناه السلطانية من القلعة وكَبَس عليهم من الصَّوّة(٢) فهرَب أكثرُ الأمراء وكان غالبهم قد آستخدم عنده جماعةً من مماليك يَلْبُغا فلما رأى مماليك يلبغا أَسَنْدَمُر ومن

---

(١) يقصد بذلك قرافة المماليك المعروفة الآن بجبانة أبي سبحة الواقعة في الجهة الجنوبية من قلعة الجبل ، وأما باب الدرفيل فهو أحد أبواب القلعة في سورها الشرقي المشرف على جبــل المقطم ، ذكره المقريزي في خططه (ص ٢٠٥ ج ٢) فقال : إن هــذا الباب بجانب خنــدق القلعة ويعرف أيضا بالباب المدرج (وهو غير باب المدرج الغربي الأصلي) ثم قال : وكان يعرف قديما بباب سارية ويتوصل إليه من تحت دار الضيافة وينتهي منه إلى القرافة وهو فيما بين سور القلعة والجبل . ثم قال : وباب الدرفيل هــذا ينسب إلى الأمير حسام الدين لاجين الأيدمري المعروف بالدرفيل ، كان دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري . ومات سنة ٦٧٢ هـ .

وبالبحث عن مكان باب الدرفيل بالقرب من مسجد سارية الذي كان ينسب إليه الباب فتبين لي :

أولا — أن مسجد سارية هو الذي يعرف الآن بجامع سليمان باشا الواقع في الجهة البحرية الشرقية من قلعة الجبل .

ثانيا — أن أقرب باب لهذا الجامع بين القلعة والجبل يقع في سورها الشرقي من الجهة الشمالية بين البرجين المعروفين ببرجي الإمام على بعد خمسين مترا شرقي حوض السباحة بثكنات الجيش بالقلعة ، وبناء على ما ذكر يكون هذا الباب الذي لا يوجد لخلافه أثر بالسور الشرقي هو باب الدرفيل .

وفي العهد العثماني سد هذا الباب بالبناء من الخارج عند تجديد السور الشرقي ويدل عليه من الخارج برجا الإمام المذكوران . وأما من الداخل فآثاره باقية إلى اليوم ودهليزه باق ومسدود بالأتربة وأنقاض البناء .

وقد كتب الأستاذ كرسويل رسالة في البحوث الأثرية بقلعة القاهرة ونشرها في الجزء الثالث والعشرين من نشرات المجمع العلمي الفرنسي لآثار الشرق بالقاهرة في سنة ١٩٢٤ وسمى جنابه باب الدرفيل هــذا بآسم باب القرافة في حين أن باب القرافة هو باب آخر في ســور القلعة القبلي الشرقي . وقد سبق لنا التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) يستفاد مما ذكره المقريزي في خططه عنــد الكلام على جامع الصوّة (ص ٢١٣ ج ٢) وعلى الطبلخاناه (ص ٢١٣ ج ٢) وعلى المارستان المؤيدي (ص ٤٠٨ ج ٢) أن الصوّة آسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة القــاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعي ويتوسطها الطريق المعروفة بسكة المحجر ودرب المــارستان بخط القلعة .

معــه من خُشداشيتهــم توجّهوا إليهم وتركوا أمراءهم . ثمّ خرج إلى أســندمر آقبُغا جلب وطردوا الحاجب آبن أخى آل ملك فقوِى أَسَــنْدَمر بهم على الأمراء وصدَمهم صَــدْمة هائلة كسرهم فيها كَسْرةً شنيعة وهربوا الجميع إلّا أُلْجاى اليوسفىّ وأَرْغون طَطَر فإنهما ثبتا وقاتلا أسندمر وليس معهما غير سبعين فارســا ، فقاتلوا أســندمر وجماعته إلى قريب الظهر ، فلم يرجع إليهما أحد من أصحابهما فآنكسرا وآنتصر أســندمر الناصرىّ عليهم وطلع إلى القلعــة وقبّل الأرض بين يدى الملك الأشرف شعبان فأخلع عليه الأشرف بآستقراره أتابكا ومدبّر المماليك كما كان يلبغا العُمَرِىّ الخاصّكى .

ثم قَبَض أَسَندمر على جماعة من الأمراء وقيّدَهم وأرْسلُوا إلى ثغر الإسكندرية فحُبِسُوا بهــا وهم : ألجاى اليوسفىّ وطُغَيْتمر النظامىّ وأَيْدَمُرُ الشامى وآقبُغا جلب وقُطْلوبُغا جركس وأَقْطاى وأرغون طَطَرو خِجاس الطازىّ وجميع هؤلاء مقدّمو ألوف. ثم قبض على جماعة من الأمراء الطبلخانات وهم : طاجار من عَوَض ويلبغا شُــقَيْر وقَرَابُغا شــادّ الأحواش وقَرَابُغــا الأحمدىّ وقُطْلُوبُغا الشعبانىّ وأَيْدَمُر الخطائىّ وتمراز الطازىّ وآسن الناصرىّ وقَرَاتَمُر المحمدىّ .

ثم أصبح أَسَنَدُمُر فى يوم حادى عشر شوّال أنعم على جماعة مــن الأمراء وآســتقرّوا مُقَدَّمى ألوف بالديار المصرية وأصحــاب وظائف ، فأخلع على أَزْدَمُر العِزّىّ وآستقرّ أميرَ مائة ومقدم ألف وأمير سلاح وآستقرّ جَرَكْتَمُر السيفىّ مَنْجَك أميرَ مائة ومقدّم ألف وأميرَ مجلس وآســتقرّ أَلْطُنْبغا اليَلْبغَاوِىّ رأسَ نَوْبة النُّوب من إمْرأة عشرة دفعة واحدة وآستقرّ قطلُقْتَمُر العلائى أميرَ جاندار وآستقرّ سلطان شاه أميرَ مائة ومقدّم ألف وحاجباً ثانيا وآستقرّ بَيرَم العِزّىّ دوادارا بتقدمة ألف وكانــ جنديًا قبل ذلك ، فانْعِم عليه بإقطاع طُغَيْتَمُر النظامىّ ووظيفته وجميع

موجوده ومماليكه وحواصله وأنعم على خليل بن قَوْصُون بتقدمة ألف وعلى قَبَق العِزِّىّ بتقدمة ألف وعلى أَرْغون القَشْتَمُرى بتقدمة ألف وعلى محمد بن طَيْطَق[1] العلائىّ بتقدمة ألف .

ثم أنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه وهم : بُزْلار العُمَرِىّ وأَرْغُون المحمدىّ الآنوكىّ الخازن وأرغون الأَرْغونىّ ومحمد بن طُقُبُغَا الماجارى وباكيش السيفىّ يَلْبُغا وآقْبُغا آص الشَّيْخونىّ وسودون الشيخونىّ وجُلْبان السَّعدىّ وكَبَك الصَّرْغتمشى وإينال اليوسفىّ وكَمَشْبُغا الطازىّ وبَكْتَمُر العلمىّ وقُمارى الجمالى وأَرْسلان نَجَا ومبارك الطازىّ وتُلَكْتَمُر[2] الكَشْلاوىّ وأَسَنْبُغا العِزىّ وقطلوبغا[3] الحموى ومأمور القلمطاوىّ .

ثم أنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم : كُزُك[4] الأَرغونى وأَلْطُنْبُغا المحمودى وقرابُغا الأحمدى ، وهذا غير قرابغا الأحمدى الحَلَب وحاجّى ملك بن شادى وعلى بن باكيش[5] ورجب بن خضر وطَيْطَق الرمّاح . ثم خَلَع على جماعة وآستقرت جُوكندارية وهم : مبارك الطازى المقدّم ذكُره وقرمش الصرغتمشى وإينال اليوسفى وأخلع على مَلَكْتَمُر[6] المحمدى وآستقر خازندارا على عادته وبهادُر الجمالى شادّ الدواوين ، عوضا عن خليل بن عَرّام بحكم آنتقال آبن عرّام إلى نيابة الإسكندرية وآستقر أَسَنْدَمُر الزين فى نيابة طرابُلُس ، عوضا عن اِشِقْتَمُر المارِدِينى وأُمسِك اِشِقْتمر وحُبِس

---

(١) هذه رواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٨ (أ) وهى الأرجح ، ورواية «م» طيعلق . وفى هامشها : « طبطلق » . وفى « ف » : « طيطلق » .
(٢) فى «ف» « ملكتمر الكشلاوى » .
(٣) فى السلوك (ج ٣ و ٤ ص ١٨ (أ) : «قطلوبغا الحلبى» .
(٤) فى : «م» و «ف» : « كزل » باللام . وما أثبتناه عن السلوك المصدر المتقدّم .
(٥) هـذه رواية الأصلين . ورواية السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٨ (أ) : «بكّاش» .
(٦) فى «م» : (تلكتمر المحمدى) .

بالإسكندرية وآستقر طيبغا الطويل الناصرى رفيق يلبغا العمرى الخاصكى المقـدّم ذكره فى نيابة حماة وكان بطّالا بالقُدس فى تاسع صفر، فلم تَطُلْ مدّته وقُبِض عليه منهـا فى ذى القعـدة وآعتقل بالإسكندرية ثانيا، وتولّى نيابة حَماة عُمـر شاه على عادته وآسـتقرّ يَبيغا القَوْصُونى أمير آخـور كبيرا، عوضا عن آقْبُغا الصَّفَوى بحكم وفاته، وأرسل الى الأمير منكلى بُغا الشمسى نائب حلب خِلْعة الآستمرار .

وقد كَمُل جامع مَنْكلى بُغا[1] الذى أنشاه بحلب فى هذه السنة بِقنسرين .

وآستهلت سنة تسع وستين والملك الأشرف شعبان كالمحجور عليه مع أَسَندَمُر، غير أن آسمـه السلطان، وخليفة الوقت المتوكّل على الله وأسـندمر الناصرى أمير كبير أتابك العساكر ومـدبِّر المملكة ونائب السلطنة مـع أمير علىّ المـارِدِينى آلة يتعاطَى الأحكام لاغير، ونائب دِمَشق آقْتَمُر عبـد الغنىّ ونائب حلب مَنْكلى بُغا الشمسىّ وهو يومئـذ يُخْشى شرُّه ونائب طرابُلُس مَنْجك اليوسُفىّ ونائب حَمَاة عمر

(١) أنشأه سنة ٧٦٨ هـ حين كسر الإمرنج على آياس فى غرة شهر صفر . وكان يومئذ أتابك الجيوش المنصورة بالديار المصرية، كما هو ثابت على بابه للآن .

والجامع على الطراز المصرى، محرابه من الرخام المرمر والأحجار التى فوق المحراب من الرخام الملون والمنبر جميعه من حجر المرمر وهو منقوش نقشا متقنا وله صحن واسع فى وسطه حوض كبير، وللجامع منارة عظيمة الارتفاع، تعدّ من أجمل الآثار القديمة فى حلب، كتب على أسفلها عند آخر جدار الجامع من فوق من جهة الشمال بقلم عريض : « أنشأه العبـد الفقير الى الله تعالى منكلى بغا الشمسى عفو الله له » ومثل ذلك من الطرف الشرقى .

وقد جدّده فى سنة ٩١٧ هـ جانم الحمزاوى كما هو ثابت على حجر صغير على باب الجامع .

وفى سنة ١٣٢٠ هـ حضر الى حلب رجل من الأتراك اسمه الشيخ رجب من طرابزون وتوطن حلب وأخذ يقيم حفلات الذكر فى الجامع فعمر الجامع بالمصلين من أهـل الجهـة، وليس للجامع الآن أوقاف ولكن دائرة الأوقاف فى حلب عينت له إماما وخادما ومؤذنا فى السنين الأخيرة .

وشهرة الجامع فى حلب اليوم : باسم (جامع الرومى) ولم نقف على سر هذه التسمية ولا سببها . انظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٤٤ وما بعدها) .

شاه صاحب القنطرة على الخليج خارج القاهرة ونائب صَفَد أَرْغون الأزرق واستمر الأتابك أسندمر على ماهو عليه الى يوم الجمعة سادس صفر اتفقت عليه مماليك يَلْبُغا الأجلاب وركبوا معهم الأمراء وقت صلاة الجمعة ودخلوا على أَسَنْدَمُر الناصرى وسألوه أن يُمْسك جماعة من الأمراء، فمَسَك أَزْدَمُر العزّى أمير سلاح و جَرَكْتَمُر المَنْجكى أمير مجلس و بيرم العِزّى الدوادار الكبير و بيبغا القَوْصُونى والأمير آخور كك الصرغتمشى الجُوكندار واستمرت المماليك لابسين السلاح، وأصبحوا يوم السبت ومسكوا خليل بن قَوْصُون ثم أطلقوه وانكسرت الفتنة الى عشيّة النهار وهى ليلة الأحد وقالوا لأَسَنْدَمُر : نريد عَزْل الملك الأشرف ، وكان أسندمر مقهورا معهم و بلغ الخبرُ الملك الأشرف، فأرسل فى الحال إلى [خليل](٢) ابن قَوْصُون فحضر وركب الملك الأشرف وركب ابن قوصون ومماليكُ الأشرف الجميعُ مع أستاذهم، وكانوا نحو المائتين لا غيرُ ، وكان الذين اجتمعوا من مماليك يَلْبُغا فوق الألف وخمسمائة وركب مع الملك الأشرف جماعةٌ(٣) من الأمراء الكبار مثل أَسَنْبُغا ابن الأبو بكرى وقَشْتَمُر المنصورى فى آخرين وضُربت الكوسات واجتمع على السلطان خلْقٌ كثير من العوام، ولمّا بلغ أَسَنْدَمُر الناصرى ركوبُ الملك الأشرف أَخذ جماعة من مماليك يَلْبُغا وطلع من خلف القلعة كما فَعَل أوّلا فى واقعة آقبغا الجلب وتقدّمت مماليك يَلْبُغا وصدموا المماليك الأشرفية وتقاتلوا، و بينما هم فى ذلك جاء أَسَنْدَمر بمن معه من تحت الطبلخاناه كما فعل تلك المرة ، فعَلِم به الأشرفية والأمراء فمالوا عليه فكسروه أقبح كَسرة وهَرَب أسَنْدمر، ثم أُمسك وتمزقت المماليك اليَلْبُغاوية، فلما جىء للأشرف بأسَنْدمر وحضر بين يديه شفَعت فيه الأمراء

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٥ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .
(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) تكملة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٩ «ب») .

الكبار ، فأطلقه السلطان ورسم له أن يكون أتابكا على عادته ورَسَم له بالنزول الى بيته بالكَبْش[1] ورسم للأمير خليل بن قَوْصون أن يكون شريكه فى الأتابكيّة ، فنزل أسَنْدمر الى بيته ليلة الاثنين وأرسل السلطانُ معــه الأمير خليلَ بن قوصون صفة الترسيم وهــو شريكه فى وظيفة الأتابكيّة ليُحْضِره فى بُكْرة نهار الاثنين ، فلمّــا نزلا الى الكبش تحالفا وخامَرا ثانيــا على السلطان وآجتمع عنــد أسَنْدمر وخليــل بن قوصون فى تلك الليلة جماعةٌ كبيرة من مماليك يلبغا وصاروا مع أســندمر كما كانوا أوّلا وأصبحا يوم الاثنين وركبا الى سوق الخيل[2] ، فركب السطان بمن معه من الأمراء . والمماليك الأشرفية وغيرهم فالتقَوْا معهــم وقاتلوهم وكسروهم وقتَلوا جماعة كبيرة من ممــاليك يَلْبُغا وهرب أسَنْدمر وآبن قَوْصون وآشتغل مماليك السطان والعوامّ بمسك ممــاليك يَلْبُغا ، يُمسكونهم ويحضرونهــم عَرَايا مكشّفى الرءوس وتوجّه فرقــة من السلطانية الى أسندمر وآبن قَوْصون فقبَضوا عليهما وعلى أَلْطُنْبُغا اليَلْبغاوىّ وجماعة أخر من الأمراء اليلبغاوية فقُيّدوا وأُرسلوا إلى سجن الإسكندرية .

وفى هذه الواقعة يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العَطّار : [البسيط]

هلالُ شعبانَ جَهْرًا لاح فِي صَفَرٍ * بالنصرِ حتى أرى عِيــدًا بِشعبانِ
وأهلُ كبْشٍ كأهلِ الفيلِ قد أُخذوا * رغْمًا وما انتطحتْ فِي الكَبْشِ شاتانِ

ثم جلس الملك الأشرف شعبان فى الإيوان وبين يديه أكابر الأمراء ، ورَسَم بتسمير جماعة من مماليك يَلْبُغا نحو المــائة وتوسيطهم ، ونفى جماعة منهم الى الشام وأُخذ مال أسَنْدَمُر وأُنفق على مماليكه لكل واحد مائةُ دينار ، ولكل واحد من غير مماليكه خمسون دينارا ، ورَسَم للامير يَلْبُغا المنصورى باستقراره أتابَك العساكر هو

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٩ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢ من هذا الجزء .

والأمير مَلِكْتَمر الخازندار، وأَنْعم على كل منهما بتقدمة ألف وأنعم على تُلُكْتَمُر بن بَرَكَة بتقدمة ألف عوضًا عن خليل بن قَوْصون، وكان ذلك فى سادس عشر صفر.

ثم أصبح السلطان من الغد فى يوم الثلاثاء (١) سابع عشر صفر قَبَض على يلبغا المنصورىّ المذكور ورَفيقه تُلُكْتُمر المحمدىّ لأنهما أرادا الإفراج عن مماليك يلبغا وقَصَد يلبغا المنصورىّ أن يسكن بالكَبْش فمسكهما الملك الأشرف وأرسلهما إلى الإسكندرية. ثم أرسل السلطان بطلب الأمير مَنْكَلى بغا الشمسىّ نائب حلب إلى الديار المصرية، فحضرها بعد مدّة وأخلع عليه السلطان خِلْعة النيابة بديار مصر، فأبى أن يكون نائبا، فأنعم عليه بتقدمة ألف وجعله أتابَك العساكر وتولى نيابة حلب عِوضَه طُبُغَا الطويل، وكان أخرجه من سجن الإسكندرية قبل ذلك.

ثم زوّج السلطان أُخته (٢) للأمير منكلى بُغا الشمسى المذكور فتزوجها وأولدها بنتا (٣) تزوّجها الملكُ الظاهر بَرْقُوق وعاشت بعد الملك الظاهر الى أن ماتت فى سنة ثلاث وثلاثين بقاعتها بخُطّ (٤) الكعكيين من القاهرة، ثم رسم الملك الأشرف أن يفرج عن طُغَيْتَمر النظامى وأيدمر الخطائى وأُلْجاى اليُوسفى وكانوا محبوسين بالإسكندرية فحضروا إلى بين يدى السلطان وقبَّلوا الأرض بين يديه وخلَع على

(١) فى الأصلين: «يوم الاثنين». وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٦١ (أ)).

(٢) هى خوند سارة بنت حسين بن محمد بن قلاوون (عن السلوك ج ٣ و ٤ ص ٦٦ (أ)).

(٣) هى هاجر بنت منكلى بغا الشمسى.

(٤) ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ج ١ ص ٣٧٣) فقال فى كلامه على الشارع الأعظم وهو قصبة القاهرة: من باب زويلة بعد حارة الجودرية ثم يسلك أمامه إلى سوق الحلاويين فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق العكيين المعروف قديما بالقطانين وسكنى الأساكفة.

وأقول: إن الكعكيين هم الذين يبيعون الكعك، وسوق الكعكيين هو الذى يسمى الآن شارع الكعكيين أحد الشوارع المتفرعة من شارع المعز لدين الله فيما بين باب زويلة وشارع الأزهر بالقاهرة، ولا يوجد الآن لهذا الشارع أثر بالقاعة المذكورة.

بَكْتَمُر المؤمنى وآستقرّ أمير آخور كبيرا بتقدمة ألف وهو صاحب المصلّاة[(١)] والسبيل بالرُّمَيلة ثم رسم السلطان بإحضار الأمير آقْتَمر عبد الغنى. فلما وصل آقتمر إلى مصر أخلع عليه السلطان باستقراره حاجب الحجّاب بالديار المصرية ، وكان آقتمر هـذا قد ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، قبل نيـابة الشام وتولى نيابة دمشق بعده بَيْـدَمُر الخُوَارَزْمىّ قليلا ، ثم عُزِل وآستقرّ عوضه فى نيابة دِمَشق منجك اليوسفى نائب طرابُلُس وآستقرّ فى نيابة طرابلس بعد مَنْجَك أَيْدَمُر الآنوكى .

(١) ذكر مؤلف هذا الكتاب فى وفيات السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان وهى سنة ٧٧١ﻫ أن الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى الأمير الكبير مات فى تلك السنة قال : وهو صاحب المصلاة بالرميـلة والسبيل المعروف بسبيل المؤمنى ، ومن هـذا يتضح أن السبيل عرف بالمؤمنى نسبة الى منشئه ، ولكن ابن إياس ذكره فى تاريخ مصر (ص ٢١١ ج ١) بآسم سبيل المؤمنين . وورد كذلك بهذا الآسم فى كتاب وقف السلطان قانصوه الغورى الخاص بهذا السبيل ، ثم ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ص ١٢٣ ج ٥) بآسم جامع المؤمنين ، وإنى أرى أن الاسم الصحيح هو سبيل المؤمنى ، وأما كلمـة المومنين فهى تحريف الأصل ، ودلنى البحث على أن هذا السبيل أنشئ حوالى سنة ٧٦٥ﻫ .

ويستفاد من كتاب وقف السلطان الغورى المدرج صورته فى الخطط التوفيقية (ص ١٢٤ ج ٥) : أنه فى سنة ٩٠٩ ﻫ جدّد العمارة المستجدّة الإنشاء التى تشتمل على المصلى وسبيل المؤمنين والمزملة والميضاة ومغسل الموتى بالرميلة تحت القلعة ، وكان لكل مكان منها باب خاص به ، وأن هذه العمارة كانت تشرف من جهتها البحرية على الرميلة (ميدان صلاح الدين الآن) ومن جهتها الغربيـة على الرميلة كذلك (شارع السيدة عائشة الآن) .

وبمعاينة هذه العمارة تبين لى أنها تقع على يسار الداخل بأول شارع السيدة عائشة من جهة ميدان صلاح الدين ولم يبق منها الآن إلا المصـلى وهى عبارة عن مسجد بمحرابه مبنى بالحجر النحيت ويشتمل على رواقين بثلاث بوائك ويعرف الآن بجامع الغورى . وأما السبيل والمزملة فقـد هدما وأقامت وزارة الأوقاف فى مكانهما العمارة المطلة على ميدان صلاح الدين ورأس شارع السيدة عائشة ، وأما الميضاة ومغسل الموتى فكانا واقعين قبلى المسجد ومكانهما أرض فضاء وكذلك وجهة تلك الأماكن المشرفة على شارع السيدة عائشة قد هدمت وأقيم عليها دكاكين ولم يبق منها إلا الطرقة التى توصل إلى المسجد الواقع خلف تلك الدكاكين .

وقام بعض سكان تلك الجهة بعمل دورة مياه حديثة للسجد ووضعوا فيه منبرا بسيطا من الخشب لجعله مسجدا جامعا وسلموه لوزارة الأوقاف للصرف عليه وهو مقام الشعائر .

وأما الرميلة فسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١١١ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم أخلع السلطان على الأمير الأكز الكشلاوىّ باستقراره شادّ الدواوين ، عوضا عن بهادُر الجمالى . ثم أفرج عن الأمير أرْغون طَطَر وأخلع عليه واستقرّ أمير شكار بتقدمة ألف . ثم رسم بإحضار قطلوبغا الشعبانى من الشام فحضر بعد مدّة .

[ثم فى ثامن عشر جُمادى الآخرة (١) استقرّ الأمير آقتمر الصاحبي دوادارا عوضا عن آقبغا بن عبد الله بإمرة طبلخاناة واستقرّ طُغَيْتُمر العثمانى شادّ الشراب خاناه واستقرّ بَشْتَك العُمَرى رأس نوبة ثانيا] .

ثم أخلع الملك الأشرف فى تاسع عشرين شهر رمضان على الأمير أرغون الأزقى باستقراره رأس نوْبة كبيرا عوضا عن تُلَكْتَمُر بن بَرَكَة واستقرّ تلكتمر المذكور أمير مجلس عوضا عن طُغَيْتُمر النظامى .

ثم استقرّ الأمير ألْجاى اليوسفى أمير سلاح برانيًّا عوضا عن أزْدَمُر العِزّى . واستقرّ آقبغا بن عبد الله دوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه . ثم استقرّ الأكز أستادارا عوضا عن ألْطُنْبُغا بحكم وفاته .

وفى سابع شوّال استقرّ الأمير عمر بن أرغون النائب فى نيابة الكرك ، عوضا عن ابن القَشْمرى واستقرّ طيدمر البالسىّ فى نيابة الإسكندرية ، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرّام واستقرّ خليل بن عرّام حاجبا بثغر الإسكندرية . ثم استقرّ أيدمر الشيخى فى نيابة حمَاة عوضا عن عمر شاه ، وأخلع على شمس الدين ابن المقسىّ باستقراره ناظر الخواص الشريفة بالقاهرة عوضا عن ابن أبى شاكر

---

(١) وردت هذه العبارة فى الأصلين بعد الكلام الذى بعدها وقد أثبتناها فى مكانها ليستقيم الكلام ويصح التاريخ .

فى ثالث عشر ذى القعدة . وآستقرّ العلامة سراجُ[1] الدين عمر بن إسحاق الغَزْنَوِى الهنـدىّ الحنفىّ قاضى قُضاة الحنفية بالديار المصرية ، بعـد موت قاضى القضاة جمال الدين التُّركمانى[2] وآستقرّ الشيخ سراج عمر بن رَسْلان بن نُصَير بن صالح الكِنانى[3] البُلقينى الشافعى فى قضاء دِمشق عوضًا عن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب السُّبْكىّ ، فلم تَطُل مدّة البُلقينى فى قضاء دمشق وعُزِل وأعيـد تاجُ الدين السُّبْكى وآستقرّ القاضى بدر الدين محمـد آبن القاضى علاء الدين على آبن القاضى مُحيِى الدين يحيى بن فضـل الله العُمَرى فى كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده وآسـتقرّ فتحُ[4] الدين محمـد بن الشهيد فى كتابة سِرّ دمشق عوضا عن جمال الدين بن الأثير[5] .

ثم وقَع الوباء بالديار المصرية حتى بلغت عدّةُ الموتى فى اليوم أكثرَ من ألف نفس وأقام نحو الأربعة أشهر وآرتفع .

وفى هذه السنة أيضا وهى سـنة تسع وستين وسبعمائة قصدت الفرنج مدينـة طرابُلُس الشام فى مائة وثلاثين مَرْكبا من الشوانى والقَرَاقير[6] والغُرْبان والطرائد وصحبتهم صاحب قُبْرُس وهو المقدّم ذكُره عليهم وكان نائبها وأكثر عسكرها غائبين

(١) سيذكر المؤلف وفاته سة ٧٧٣ هـ . (٢) سيذكر المؤلف وفاته سـنة ٧٦٩ هـ .

(٣) فى بعض المصادر : «الكنانى» بالتاء بدل النون . (٤) هو القاضى فتح الدين أبو بكر محمد ابن القاضى عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبى الكرم محمد الدمشقى الشافعى المعروف بآبن الشهيد كاتب سر دمشق سيذكر المؤلف وفاته سة ٧٩٣ هـ وانظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (ج ٦ ص ٣٢٩) . (٥) جمال الدين بن الأثير هو عبد الله بن الكمال محمد بن العماد اسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبى ، أحد أفراد الأسرة المعروفة بكتابة السر فى مصر والشام وأصحاب حكم ابن الأثير فى بولاق ، وقد ذكر المقريزى فى السلوك خبر توليته كتابة سر دمشق عوضا عن فتح الدين بن الشهيد فى حوادث سـنة ٧٦٨ هـ . كما ذكر عوده للقاهرة فى ٧٦٩ هـ انظر السـلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٣ (أ) وص ٦٣ (أ) قسم ثان) . (٦) القراقير : جمع قرقور وهو ضرب من السفن وقيل هى السفينة العظيمة أو الطويلة (انظر لسان العرب مادة قرر) .

عنها ، فاغتنمت الفرنج الفُرْصــة وخرجوا من مراكبهم إلى الساحل فخرج لهم من طرابُلُس بقيــة عسكرها بجمــاعة من المسلمين فتراموْا بالنِّبال ثم اقتتلوا أشدّ قتــال وتقهقر المسلمون ودخل المدينــةَ طائفةٌ من الفرنج فنهبوا بعضَ الأسواق . ثم إن المسلمين تلاحقوا وحصل بينهم وبين الفرنج ،وقائعُ عديدةٌ استُشْهِد فيها من المسلمين نحوُ أربعين نفرًا وقُتِل من الفرنج نحوُ الألف وألقَى الله تعالى الرُّعْبَ فى قلوب الفرنج فرجعوا خائبين .

وفى هذه السنة قوى أمرُ الملك الأشرف فى السلطنة وصار تدبيرُ مُلْكه إليه يعزل ويُولّى من غير مَشورة الأمراء وصار فى المُلْك من غير مُنــازِع ولا مُعانِد وحسُنت سيرتُه وحَبَّتْه الرعية إلى الغاية وصار يقصد المقاصدَ الجميلةَ ممــا سيأتى ذكْرُه .

ثم فى أوّل جُمادى الآخرة عَزَل الأشرفُ أسَنْبُغا بن الأبو بكرى عن نيابة حلب بالأمير قَشْتَمُر المنصورىّ . ثم قَبض السلطانـــ على أرغون العجمىّ الساقى أحد الممــاليك السلطانية بسبب أنه سَرَق أحجارًا مثمّنة من الخزانة السلطانية وباعها على الفرنج ، وفيهــا حجرٌ يُعرف بوجه الفَرَس فجاء به الفرنج الى مَنْجَك اليُوسُــفى نائب الشام فَعرفه وأرســله الى السلطان وأخبره بخبر أرْغون العجمىّ وكيف باعه للفرنج فصفَح السلطانُ عنه ونفاه الى الشام .

ثم فى يوم السبت العشرين من شهر رمضان نَفَى السلطان الأميرَ آقْتَمُر الصاحبىّ الدوادار الكبيرَ إلى الشام لأمر وقَعَ بينه وبين الأمير أَلجاى اليُوسفىّ .

وفى تاسع عشر ذى القعدة أحضر الأميرُ بَيْــدَمُر الخُوارَزمى المعزول عن نيابة الشام قبل تاريخه وأُدخِل الى قاعة الصاحب (١) بقلعة الجبل وطُلب منه ثلاثمائة ألف

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

دينـار وكان متولِّى أمره علىٌّ بن محمـد بن كلبك التُّركمانى فعُصِر يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى القَعْـدة ، ثم أُفرج عنه ونُفِى الى طرابُلُس بعد أن اخذ منه مائة ألف دينـار .

ثم قَدِم الخبرُ على السلطان بقتل الأمير قَشْتَمُر المنصورى نائب حلب ، وخبرُه أنه لمـا ولى نيابة حلب فى جمادى الآخرة من هذه السنة وتوجّه إلى حلب فلم يُقِم بهـا إلا يسيرًا وخرج منها وكَبَس أمير آل فضل بعَربه بتل السلطان فركب العربُ وقاتلته فقُتل فى المعركة هو وولده محمـد بن قشتمر وكان الذى قتله حيّار أمير آل فضـل وولده نُعَيْر بن حيّار وكان ذلك يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة ولمـا بلغ المـلكَ الأشرفَ عَظُم عليه وأرسل تقليدا للامير اشْقْتَمُر المـارديني بنيابة حلب على يد الأمير قطلوبغا الشعبانى وعزل حيّارا عن إمرة العرب وولّاها لزامل[1] .

ثم أنعم الملك الأشرف فى هذه السنة على ألوف بتقادم وطبلخانات وعشرات ، فممن أنعم عليهم بتقدِمة ألف الأمير بهادر الجمالى و بِشتك العمرى وممن أنعم عليـه بإمرة طبلخاناه صَراى الإدريسى و بيبغـا القوصونى وأحمـد بن آقْتَمُر عبد الغنى وأحمد بن قنغلى وخليل بن قمـارى الحموى وطُغَيْتَمر الحُسَيْنى وحسين بن الكورانى وأرغون شاه الأشرفى .

وكان أمير الحاج فى هذه السنة بهادُر الجمالى ، وحجّت فى هذه السنة أيضا خَوَنْد بركة والدة السلطـان الملك الأشرف صاحب الترجمـة بتجمُّل زائد ورَخْت[2] عظيم و بَرْك هائل وفى خدمتها من الأمراء الألوف بِشتَك العُمَرى و بهـادر الجمالى

(١) هو زامل بن موسى بن عيسى بن مهنا . (٢) البرك والرخت لفظان فارسيان معناهما المتاع الخاص من ثياب وقاش الأمراء وسلاطين المماليك . وفى كتابنا هذا أمثلة كثيرة لاستعمال هذين اللفظين . انظر معجم دوزى وسلاطين المماليك لكترمير (ج ا ص ٢٩) والسلوك تحقيق الأستاذ زيادة (ج ا ص ١٣٤ ، ١٩٠) .

أمير الحاج ومائة مملوك من المماليك السلطانية الخاصّكية وكان من جملة ما معها بدرب الحجاز كوسات وعصائب سلطانية وعِدّة مِحفّات بأغطية زَرْكش وعِدّةُ محاير[١] كثيرة بأفخر زينة وحُمل معها أشياء كثيرة يطول الشرح فى ذكرها من ذلك: قطر جمال عليها مَزْروع خضر وغير ذلك وحجّت وعادتْ إلى الديار المصرية، بعد أن آحتَفَل جميع أمراء الدولة إلى ملاقاتها، ولما وصلت إلى القلعة أثنتْ على بهادر الجمالى فأخلع السلطانُ عليه.

ثم بعد مدّة فى يوم حادى عشرين المحرّم من سنة إحدى وسبعين وسبعمائة آستقرّ به[٢] أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير بَكْتَمُر المؤمنى بعد موته وآستقرّ الأميرُ تُلُكْتَمُر [من بَرَكَة][٣] أستادارا عوضًا عن بهادُر [الجمالى][٤] المذكور وآستقرّ أرغون شاه الأشرفى أمير مجلس عوضا عن تلكتمر المنتقل الى الأستادارية ثم نُقِل أرغون شاه المذكور بعد مدّةٍ يسيرةٍ من وظيفة أمير مجلس إلى وظيفة رأسُ نَوْبة النُّوب، بعد موت بَشْتَك العُمَرى وآستقرّ أرغون [الأحمدى][٥] اللّالا أمير مجلس عوضا عن أرغون شاه المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير طَيْنَال المارديني بتقدمة ألف وعلى عَلَم دار أيضا بتقدمة ألف وآستقرّ أستادار العالية عوضا عن تُلُكْتَمُر.

ثم فى سنة آثنتين وسبعين آستقرّ الأمير طَشْتَمُر العلائى دَوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه، انتقل إليها من الجندية عوضًا عن مَنْكُوتَمُر من عبد الغنى وآستقرّ يَلْبُغا الناصرى اليَلْبَغاوى خازندارا كبيرا، عوضا عن يعقوب شاه.

---

(١) المحاير، جمع محارة وهى مرادفه للحفة، صندوقان يشدان إلى جانب الرحل كالهوادج. وكان للحاير سوق خاص بالقاهرة اسمه سوق المحاير ين اشتهر تجاره بتحديد أثمان بضاعهم بغير مساومة. ومكانه قرب الجامع الأقمر وآستحدث آخر قرب الجامع الطولونى على عهد المقريزى. انظر الخطط المقريزية (ج ٢ ص ١٠١، ١٠٢) والسلوك تحقيق الأستاذ زيادة ص ٢٣٣ ج ٢. (٢) يراد به: الأمير بهادر الجمالى المقدّم ذكره. (٣) تكملة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٦٨ (أ) قسم ثان. (٤) تكملة عن السلوك المصدور المتقدّم. (٥) تكملة عن السلوك (ج٣و٤ ص ٦٨ (ب) قسم ثان.

قلت : والناصرى هـذا هو صاحب الوقعـة مع الملك الظاهر بَرْقُوق الآتى ذكرها فى ترجمة الظاهر المذكور .

ثم فى سنة ثلاث وسبعين عَزَل السلطان الأمير اِشْقَتُمر المـارديني عن نيـابة حلب بالأمير عز الدين أيدمر الدوادار .

قلت : و إِشْقَتُمر الماردينى هذا ومَنْجَك اليوسفى نائب الشام و بَيْدَمُر الخُوارزمى هؤلاء الثلاثة لا أعلم أحدا فى الدولة التركيّة وَلِى ولا يَتِم من الأعمال والوظائف ولا طال مُكْثُه فى السعادة مثلهم على ماذكرناه فيما مضى وما سنذكره فيما يأتى إن شاء الله تعالى على أن اشقتمر هذا طال عمره فى السعادة حتى ولى نيابة الشام عن الملك الظاهر برقوق ، و برقوق يومئذ فى خدمة منجك اليوسفى نائب الشام ، و إلى الآن لم يتصل بخدمة السلطان ولا صار من جُملة المماليك السلطانية وقد تقدّم أنّ اشْقَتُمر وَلى الأعمال الجليلة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى وكان يَلْبُغَا العمرى أستاذ بَرْقوق يوم ذاك خاصّكيًّا ، فانظُر إلى تقلّبات هذا الدهر ونَيْل كلّ موعود بما وُعِد . انتهى .

وفى سنة ثلاث وسبعين المذكورة رَسَم السلطان الملك الأشرف أنّ الأشراف بالديار المصرية والبلاد الشامية كلّهم يَسِمُون عمائمَهم بعلامة خَضْراء بارزة للخاصّة والعامّة إجلالا لحقّهم وتعظيمًا لقَدْرهم لِيُقَابَلُوا بالقَبول والإقبال و يمتازوا عن غيرهم من المسلمين ، فوقع ذلك ولَبِسُوا الأشرافُ العلائمَ الخُضْر ، التى هى الآن مستمرّة على رءوسهم ، فقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الشهير بالمزيّن فى هـذا المعنى : [الكامل]

أطرافُ تيجانٍ أتتْ مِن سُنْدُسٍ * خُضْرٍ كأعلامٍ على الأشرافِ
والأشرفُ السلطانُ خصّصهم بِها * شرفا لِنعرِفهم مِن الأطرافِ

وقال أيضا فى المعنى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسى : [الكامل]

جَعَلُوا لأبْناءِ الرَّسول علامةً * إنّ العلامَةَ شأنُ مَنْ لم يُشْهَرِ
نُورُ النُّبُوَّةِ فِى كَرِيمِ وُجُوهِهِمْ * يُغْنِى الشَّرِيفَ عن الطِّرازِ الأَخْضَرِ

وقال أيضا فى المعنى الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى : [الرجز]

عمائمُ الأشرافِ قد تميّزتْ * بخُضْرةٍ رَقَّت وراقَتْ مَنْظَرا
وهذه إشارةٌ أنّ لهم * فِى جَنّةِ الْخُلْدِ لِباسًا أخضرا

وقال ولده أبو العز طاهر بن حسن بن حبيب فى المعنى أيضا : [الطويل]

ألا قُلْ لِمن يَبْغِى ظهور سِيادةٍ * تملّكها الزُّهْرُ الكرامُ بنو الزَّهرا
لئِن نَصبوا لِلفخرِ أعلامَ خُضْرةٍ * فكم رَفَعوا لِلمجدِ أَلْوِيةً حُمرا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة التِّلِمْسانىّ الحنفى — تغمده الله تعالى — فى المعنى أيضا : [الطويل]

لآلِ رسولِ اللهِ جاهٌ ورِفْعَةٌ * بِها رُفِعت عَنّا جميعُ النوائِب
وقد أصبحوا مثلَ الملوكِ بِرَنْكِهِم [1] * إذا ما بَدَوْا لِلناسِ تحت العصائب

قلتُ : وبهذه الفعلة يُدَلُّ على حُسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور فى آل بيت النبوّة وتعظيمه لهم ؛ ولقد أحدث شيئا كان الدهرُ محتاجا إليه ولا ألهم الله تعالى الملوكَ ذلك من قبله ؛ ولله درّ القائل : « كم ترك الأوّلُ للآخر » .

وفى أوّل سنة أربع وسبعين وسبعمائة آستقرّ الأميرُ أُلْجاى اليُوسُفى أمير سلاح أتابك العساكر بالديار المصرية عِوَضًا عن مَنْكَلى بُغَا الشمشى بحكم وفاته — إلى رحمة الله تعالى — وأخلع عليه أيضا بنظر البِيمارِستان [2] المنصورىّ فعند ذلك عَظُم قَدْرُ

(١) الرنك : كلمة فارسية ، معناها الشعار .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

أَلْجاى المذكور من كونه زَوْج أمّ السلطان وصار أَتَابَك العساكر ، وبهذا آستطال الجاى فى المملكة .

فإنّه قبل زواجه بأمّ السلطان خَوَنْدَ بَرَكَة كان من جملة الأمراء المقدّمين لا غير . انتهى .

ثم أخلع السلطان على الأمير بَكُك من أرطق شاه باستقراره أمير سِلَاح برانياً عوضا عن أُلجاى اليُوسفى المذكور وآستقرّ يَلْبُغا الناصرىّ شادّ الشراب خاناه عوضا عن بكك وآستقرّ تُلَكْتَمُر الجمالى خازندارا عوضا عن يلبغا الناصرى .

ثم توجّه السلطان الى سَرْحة الأهرام بالجيزة وعاد بعد أيام وعند عَوْده الى قلعة الجبل أخلع على الطّواشِى سابق الدين مِثْقال مقدَّم المماليك السلطانية قَبَاء حرير أزرق صاف بطَرْز زركش عريض أُسوة بالأمراء الخاصّكيّة وهذا شىء لم يلبسه مقدَّم قبله ، وكان السلطان الملك الأشرف قبل ذلك قد آستجدَّ فى كلّ سنة عند طلوعه من هذه السَّرحة وهى توجُّه السلطان إلى ربيع الخيل أن يُلْبِس الأمراءَ الخاصّكية مقدّمى الألوف أَقبِيَة حرير بفرو سَمُّور بأطواق سَمُّور بطُرُز زَرْكَش والطّبْلخانات والعشرات أَقْبِيَة حرير بطُرُز زَرْكش منها ما هو بفَرْو قَاقِم ومنها ما هو بفَرو سنْجاب .

ثم بعد ذلك نَزَل السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين ووالدتُه معه وهى متمّرضة إلى الرَّوْضة(١) تُجاه مصر القديمة بمَنْظَرَة الأمير طَشْتَمر الدّوادار ، فأقام فيها يوم الثلاثاء والأربعاء وصحبتُه جميع الأمراء وطلع يوم الخميس إلى القلعة وآستمرّت أمُّ السلطان متمّرضة الى أن ماتت فى ذى الحجّة وهى فى عصمة

(١) روضة مصر القديمة هى بذاتها جزيرة الروضة وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٧٢ بالجزء الخامس من هذه الطبعة . وأما منظرة الأمير طشتمر فقد اندثرت وليس لها اليوم أثر بهذه الجزيرة .

أَلْجاي اليُوسفي وصلّى عليها ٱبنها السلطان الملك الأشرف ودُفنَت بمدرستها[1] التي عمّرتها بخُطّ التّبّانة خارج القـاهرة بالقُرب من باب الوزير ووجَد عليهـا ولدُها الملك الأشرفُ وجْداً عظيماً، لأنها كانت من خِيار نساء عصرها دِيناً وخيراً وصَدَقةً ومعروفاً. ومن الاتفاق العجيب بعد موتها البيتان اللذان عمِلهما الأديبُ شهاب الدين السعديّ الأعرج وتفاءل بهما على أَلجاي اليوسفيّ وهما : [الكامل]

---

(١) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه بٱسم مدرسة أم السلطان (ص ٣٩٩ ج ٢) فقال : هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل ، يعرف خطها بالتبانة وموضعها كان قديما مقبرة لأهل القاهرة ، أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٧١ هـ وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة ، وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة التى دفن فيها كذلك ابنها الملك الأشرف بعد قتله .

وهذه المدرسة لا تزال قائمة إلى اليوم باسم جامع أم السلطان بشارع باب الوزير الذى أصـله من خط التبانة وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية . و بوابة هذه المدرسة مرتفعة ذات حجر كبير مربع بها مكسلتان وعقد البوّابة من أجمل وأبدع العقود المكوّنة من المقرنصات المتنوّعة ذات الدوالى وكانت مطلية بالنقوش المذهبة .

و يستفاد من الكتابة المنقوشـة فى الحجر سواء أكانت بأعلى بوّابة المدرسـة تحت المقرنصات أم بأعلى شباك السبيل أن الذى أمر بإنشاء هـذه المدرسة والسبيل لوالدته هو الملك الأشرف شـعبان بن حسين فى شهور سنة ٧٧٠ هـ والظاهر أنه بدأ فى العمارة فى سنة ٧٧٠ هـ وأقيمت فيها الصلاة فى سنة ٧٧١ هـ كما ذكر المقريزى لأن المدرسة كبيرة ولا بد أن عمارتها ٱستغرقت شهورا من السنتين المذكورتين .

وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بترميم و إصلاح بعض أجزاء هذه المدرسة فى سنة ١٣٢٤ هـ ، ولا زالت تواليها بالعناية . و يستفاد ممـا ذكره المقريزى أن الملك الأشرف شعبان دفن بعد قتله مع والدته فى قبة هذه المدرسـة ولكن ابن إياس ذكر فى كتاب تاريخ مصر (ص ٢٣٤ ج ١) أنه بعد قتل هـذا السلطان رموا جثته فى بئر عند باب الزغلة ثم نقلوها بعد أيام إلى مدرسة والدته و بعد غسلها هناك كفنوه وصلوا عليه ثم دفنوه فى القبة التى تجاه المدرسة .

ومن هذا يتبين أنه لم يدفن فى القبة التى دفنت فيها والدته بمدرستها و إنما دفن بقبة أخرى تقع تجاهها . و بالبحث تبين لى أنه يوجد إلى اليوم تجاه المدرسة المذكورة بقايا قبـة قديمة بجوار زاوية الهنود بشارع باب الوزير ومن المحتمل أنها هى القبة التى دفن فيها السلطان شعبان ، كما ذكر ٱبن إياس .

في مستَهَلّ العَشْرِ من ذِى الحِجــةِ * كانتْ صبيحةُ مَوْتِ أمِّ الأشرفِ
فاللهُ يرحمهــا ويُعظِــمُ أجـــرهَ * ويكون في عاشورَ موتُ اليُوسفِى

فكان الأمر على ماذُكِر، وهذا من الاتفاق الغريب وهو أنه لمّا ماتت خَوَنْد بَرَكة المذكورة، وآستهلت سنة خمس وسبعين وقع بين الملك الأشرف و بين زَوْج أمّه ألجاى اليوسفى كلامَ من أجل التَّركة المتعلقة بخَونْد بركة المذكورة وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس المحرّم من السنة المذكورة، وكثُر الكلام بين السلطان وبين أُلْجاى اليُوسفى حتى غَضب ألجاى وخرَج عن طاعة الملك الأشرف ولبس هو ومماليكه آلةَ الحرب ولبست مماليكُ السلطان أيضا وركب السلطان بمَنْ معه من أمرائه وخاصَّكيِّته . وباتوا الليلة لابسين السّلاح إلى الصّباح ، فلما كان نهارُ الأربعاء سابع المحرّم كان الوقعة بين الملك الأشرف شعبان وبين زَوْج أمّة الأتابَك أُلجاى اليُوسفى فتواقعوا إحدى عشرة مرة وعَظُم القتال بينهما حتى كانت الوقعة الحاديةَ عَشْرة انكسر فيها ألجاى اليوسفى وآنهزم إلى بِركة الحَبَش[1] .

ثم تراجع أمرُه وعاد بمَنْ معــه من على الجبل الأحمر إلى قُبّــة النَّصر ، فطلَبه السلطان الملك الأشرف فأبى فأرسل إليه خِلْعة بنيابة حماة فقال : أنا أروح بشرط أن يكون كلّ ما أملكه وجميع مماليكى معى ، فأبى السلطان ذلك وباتوا تلك الليلة فهرَب جماعةٌ من مماليك أُلجاى فى الليل وجاءوا إلى الملك الأشرف .

فلما كان صباحُ يوم الخميس ثامن المحرّم أرســل السلطان الأمراء والخاصّكية ومماليكَ أولاده وبعضَ المماليك السلطانية إلى قُبّة النصر إلى حيث أُلجاى ، فلمّــا

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

رآهم أُلْجاى هرَب فساقوا خلْفه إلى الخرقانية[1]، فلمـا رأى أُلْجاى أنه مُدْرَك رمى بنفسه وفَرسه إلى البحر، ظنًّا أنه يعدّى به إلى ذلك البرّ، وكان ألجاى عَوّاما فثقُل عليه لُبسه وقماشه فغَرق فى البحر وخرج فرسُـه وبلَغ الخبرُ السلطانَ الملكَ الأشرف فشقّ عليه موتُه وتأسّف عليه . ثم أمر بإخراجه من النيل فنزل الغوّاصون وطلعوا به وأحضروه إلى القلعة فى يوم الجمعة تاسع المحرّم فى تابوت وتحته لُبَّاد أحمر فغُسِّل وكُفِّن وصَلَّى عليه الشيخ جلال الدين التَّبانى ودُفِن فى القُبَّـة التى أنشأها بمدرسـته[2] برأس سُوَيْقة العِزّى[3] خارج القاهرة والمدرسة معروفة وبها خُطبة . وكان ألجاى من أجلّ الأمراء وأحسنها سيرة .

ثم قبض السلطان على مماليك أُلْجاى ونُودِى بالمدينة أنّ كل من لَقِى أحدا منهم يحضره إلى السلطان ويأخذ له خِلْعة . ثم أخذ السلطان أولاد أُلْجـاى وهم إخوته

---

(١) الخرقانية هى من القرى القديمة وهى الآن إحدى قرى مركز قليوب بمديرية القليوبية بمصر ، وردت فى نزهة المشتاق للادريسى : « الحرقانية » بين بيسوس (باسوس) وشلقان ، قال : وهى قرية عامرة لها مزارع وضياع وبساتين كثيرة نملك ، ووردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى باسم الخاقانية من أعمال الشرقية ، لأنها كانت تابعة لها فى ذلك الوقت ولعل اسمها الأصلى : (الخاقانية) نسبة للفتح بن خاقان . وفى التحفة السنية لابن الجيعان : «الخاقانية» وجزائرها من أعمال القليوبية ، ثم حرفت إلى الخرقانية وهو اسمها الحالى .

ومما يلفت النظر أنها وردت فى نزهة المشتاق وفى معجم البلدان لياقوت بهذا الاسم المحرف ، فى حين أنهما أقدم من قوانين ابن مماتى ، ومن التحفة السنية لابن الجيعان . وفى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سنة ١٢٢٤ هـ باسم الخاقانية وهى الخرقانية بولاية قليوب ، ومن تلك السنة استمرت باسمها الحالى . والخرقانية بلدة زراعية تبلغ مساحة أراضيها حوالى ١٥٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٣٠٠٠ نفس .

(٢) هذه المدرسة تعرف الآن بجامع ألجاى اليوسفى بشارع سوق السلاح . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) هذه السويقة تعرف الآن بشارع سوق السلاح وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

لأمه ورتب لهم ما يكفيهم واحتاط على سائر موجود أُلْجاى وأخذ جميع مماليكه وصَفَح عنهم وجعلهم فى خدمة ولديه : أمير علىّ وأمير حاج .

ثم قَبَض السلطان على جماعة من الأمراء ممن كان يَلُوذ بالأمير أُلْجاى وهم صَرَاى العلائى وسلطان شاه بن قراجا وطَقْتَمُر الحَسَنى وعلىّ بن كلبك[1] وصادره . ثم أمسك بَيْبُغا القَوْصُونى وخليل بن قُمارِى الحَمَوى فشفَع فيهما الأمير طَشْتَمُر الدوادار .

ثم فى آخر صفر رَسَم السلطان بنفى جماعة إلى البلاد الشامية، وهم محمد شاه دوادار أُلْجاى وخليل بن عَرّام المعزول عن نيابة الإسكندرية وعلىّ بن كلبك وآقْبُغا البَشْمَقْدار خازندار أُلْجاى وكان السلطان فى تاسع المحرّم رَسَم لبُورِى الحلبى الخازندار أن يتوجّه الى طرابُلُس لإحضار نائبها الأمير عزّ الدين أَيْدَمر الدوادار الناصرى الى مصر، فتوجّه بورى اليه وأحضره، فلمّا مَثَل بين يدى السلطان أخلع عليه باستقراره بأتابَك العساكر بالديار المصرية، عوضا عن ألجاى اليوسفى وتَوَلّى عِوضَه نائب طرابلس الأمير يعقوب شاه، و بعد موت ألجاى أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بإقطاعات ووظائف فأخْلَع على الأمير صَرغَتْمش الأشرفى باستقراره أمير سلاح خاصّكيا يجلس بالإيوان فى دار العدل[2] وآستقرّ أرغون الأحمدى الّالا أمير كبير برانّيا وأُجلِس بالإيوان، قاله العينى فى تاريخه ووافقه غيره .

قلت : فيكون على هذا الحكم تلك الأيام أمير كبير خاصّ وأمير كبير برّانى وأمير سلاح خاص وأمير سلاح برّانى وهذا شىء لم يَسمَع بمثله . انتهى .

---

(١) كذا فى الأصلين . ورواية السلوك (ح ٣ و ٤ ص ٧٧ (أ) قسم ثان : « ابن كلفت » وسيتكرر فى السلوك فيما بعد باسم : « ابن كلفت » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثم أنعم السلطان على قُطْلُوبُغا الشعبانى بتقدمة ألف وٱستقرّ رأس نوبة ثانيا.

قلتُ : وهذه الوظيفة الآن هى وظيفة رأس نوبة النُّوَب ورأسُ نَوْبة نُوب تلك الأيام قد بَطَلت من الدولة النـاصرية فرَج بن بَرْقُوق . وكانت تسمى رأس نوبة الأمراء وآخرُ مَنْ وَلِيَها آقْبَاىَ الطُّرُنْطاوى الحاجب .

ثم أخْلَع على جماعة وأنعَم عليهم بإمرة طبلخانات وهم : أحمد بن يَلْبُغا العُمَرى الخاصّكى وآقْتَمُر الصاحبى وتَمُرْباى الحَسَنى و إينال اليُوسفى وعلى بن بهادُر الجمالى وبلُّوط الصَّرغتْمشى ومُختار الطواشى الحسامى مَقدَم الرَّفْرف (١) .

قلتُ : وأيضا هـذا شىءٌ لم يُسْمَعْ بمثله من أن يكون بعضُ خُدّام الأطباق أميرَ طبلخاناه ، وأغربُ من ذلك أنّ مقدم المـماليك فى زماننا هذا إقطاعُه إمرةُ عشرة ضعيفة . انتهى . وعلى أُلْجيبغا المحمـدى وحاجى بك بن شادِى . وأنعم على اثنين بعشرات وهم أُلْطُنْبُغا من عبد الملك وطشْتَمر الصالحىّ .

ثم فى عاشر شهر ربيع الآخر ٱستقرّ أحمد بن آل مَلِك فى نيابة غزة عِوضا عن طَشْبُغَا المُظفَّرِى وأنعم على مُبارك الطّازِى بتقدمة ألف وعلى سُودون جَركَس المنْجكى بتقدمة ألف وٱرتجع السلطان من طَيْنال المـاردينى تقدمته وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة . ثم استقر مَنْكلى بُغا البلدى الأحمدى فى نيابة الكَرَك واستقر ناصر الدين محمـد بن آقْبُغا آص أستادارا بتقدمـة ألف . ثم أنعم السلطانُ على أُلْطُنْبُغا طَطَق العثمانى بتقدمة ألف واستقر أمير سلاح برانيا عِوضًا عن طَيْدَمُر البالِسى وأنعم على

(١) الرفرف من جملة دور القلعة ، عمره الملك الأشرف خليل بن قلاوون وجعله عاليا حتى إنه كان يشرف على الجيرة كلها و بيضـه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمـد و زخرفها ، وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك فيه ، حتى هدمه الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٠ هـ وعمل بجواره برجا بجوار الإسـطبل ، نقل اليه المماليك . والمعنى واضح من أن مختار الطواشى الحسامى كان مقدما لمماليك الرفرف . (انظر خطط المقريزى) ج ٢ ص ٢١٣ و ٢١٤) .

طُغَيْتَمُر اليلْبغاوى الدوادار الثـانى بإمرة طبلخاناه وهـو أوّل من لَبِس[(١)] الدوادارية الثانية . ثم نُقِلَ مَنْكَلى بغا البلدى من نيابة الكَرَك الى نيابة صَفَد واستقرآقتَمُر عبد الغنى النائب بديار مصر فى نيابة طرابُلُس وقـد تقدّم أن آقتمر هذا كان ولى نيابة الشام سنين .

وفى رابع عشرين ذى القعدة اسـتقرّ يَلْبُغا الناصرى اليَلْبُغَاوى صاحب الوقعة مع برقوق الآتى ذكرها حاجبا ثانيـا بإمرة مائة وتقدمة ألف . ثم عزل السلطان سابقَ الدين مِثْقالًا الآنُوكى مقدّم المماليك وأمَرَه أن يَلْزم بيتَه واستقرّ عِوضَه فى تقدمة المماليك الطواشى مختار الحُسامى مقدّم الزِّفُوف[(٢)] المقدّم ذكرُه .

ثم نَدبَ السلطانُ الأميرَ يَلْبُغا الناصرى للسفر الى دِمَشق لإحضار نائبها الأمير مَنْجك اليُوسـفى فسار من وقته الى أن وَصَـل الى دمشق وأحضر الأمـير منجك المذكور، ووصل مَنْجك الى الديار المصرية وصحبته أولاده ومملوكه جَرَكْتَمر وصِهْرُه آرُوس المحمودى بعد أن احتَفَل أهلُ الدولة لملاقاته وخَرجَت اليه الأمراءُ الى بين الحوضين[(٣)] خارج قُبّة النصر وطَلع الى القلعة من باب السرّ[(٤)] وسائر الأمراء والخاصّكيّةُ مُشاةٌ بين يديه فى ركابه، مثل أَيْدَمُر الدوادار ومَنْ دُونه بإشارة السلطان، فلمـا

(١) فى : « ف » : « أوّل من ولى الدوادارية » . (٢) راجع الحـاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء . (٣) دلى البحث على أن هذين الحوضين كانا من البناء وأنهما كانا مخصصين لشرب الناس والدواب و بجوارهما بئر تملئهما بالماء العذب وكانا واقعين فى المكان الذى به اليوم سراى الزعفران بأوّل شارع الخليفة المأمون بجهة العباسية البحرية بالقاهرة .

وكانت الأرض الواقعة بين قبة النصر السابق التعليق عليها فى الحاشـية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة و بين هذين الحوضين أرض فضاء ولأن قبة النصر كانت أقرب مكان مبنى لهذين الحوضين فى ذلك الوقت فقد اعتبرها المؤلف نقطة ثابتة بالنسبة للحوضين المـذكورين اللذين كانا بقرب الأراضى الزراعية فى تلك المنطقة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

دخَلَ مَنْجك على السلطان وقبّل الأرض أقبل عليه السلطانُ إقبالا كليًّا وخَلَع عليه باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصّكيًّا عوضا عن آقتمر عبدالغنى المُنتقِل الى نيابة طرابُلُس وفوّض اليه السلطان النظر فى الأحباس والأوقاف والنظر فى الوزارة، فإنه كان وليها بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدّم ذكره والنظر على ناظر الخاص وقُرِئ تقليدُه بالإيوان[1] ، وأن السلطان أقامه مُقام نفسه فى كل شيء وفوّض إليه سائرَ أمور المملكة ، وأنه يُخرِج الإقطاعات التى عبرتُها[2] سبعمائة دينار إلى ما دونها، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة ، وأنه يُخرِج الطبلخانات والعشرات بسائر المماليك الشامية، ورسم للوزير أن يجلس قُدّامه فى الدركاه مع الموقّعين .

ثم بدأ الغلاء بالديار المصرية فى هذه السنة وتزايد سعرُ القمح إلى أن أُبيع بتسعين درهما الإردب، وزاد النيل بعد أن نقَص فى شهر هاتور، وهذا أيضا من الغرائب ، وهذه السنة تسمى سنة الشراقى كما سنبينه فى حوادث السنين من سلطنة الملك الأشرف هذا .

ثم فى أوّل سنة ست وسبعين عَزَل السلطان الأمير آقتمر عبد الغنى عن نيابة طرابُلُس بالأمير مَنْكَلى بغا البلدى نائب صَفد وولّاه نيابة صفد .

قلت : درجة إلى أسفل .

ثم مَرِض الأمير منجك اليوسفىّ النائب فنزل السلطان لعيادته، ففرَش منجك تحت رجلى فرسه الشُّقَق الحرير وقدّم له عشرة مماليك وعشرة بقج وعدّة خيول فقبلها السلطان ثم أنعم بها عليه ، وكان ذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرين ذى الحجة ومات منجك بعد يومين .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم ورد الخبر على السلطان بأن القان حسين ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا[1] بن أيلكان، تولى مملكة تبريز[2] وبغداد بعد وفاة[3] أبيه .

وفى هذه السنة فتحت سيس[4] — وهى كرسى الأرمن — على يد الأمير إشقتمر المارديني نائب حلب، بعد أن نازلها مدّة ثلاثة شهور حتى فتحها وانقرضت منها دولة الأرمن — ولله الحمد — فدقّت البشائر لذلك وفرح الملك الأشرف فرحا عظيما بهذا الفتح العظيم .

وفى هذه السنة — أيضا وهى سنة ست وسبعين المذكورة — وقع الفناء بالديار المصرية من نصف جمادى الآخرة وتزايد فى شعبان، ثم فى شهر رمضان حتّى صار يموت فى كلّ يوم من الحشريّة[5] نحو خمسمائة نفس ومن الطّرحى[6] نحو الألف، فأبيع كلّ فرّوج بخمسة وأربعين درهما، وكل سفرجلة بخمسين درهما، وكل رمّانة بعشرة دراهم، والعشرة دراهم يوم ذاك كانت أزيد من نصف دينار، وكل رمّانة حلوة بستة عشر درهما، وكلّ بطيخة صيفية بسبعين درهما .

ولما توفّى منجك شغرت نيابة السلطنة بديار مصر الى العشرين من شهر ربيع الأوّل استقرّ فيها الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى .

---

(١) فى الأصلين : «ابن أبغا» وهو تحريف تصحيحه عن السلوك (ج ٣و٤ ص ٨٧ (ب) قسم ثان والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٠ (ب) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٤١٩) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) هكذا فى الأصلين : وفى السلوك ج ٣ و ٤ ص ٨٧ (ب) قسم ثان) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٠ (ب) أنه تولى الحكم فى حياة والده .

(٤) راجع الحاشية رقم٣ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) هم الذى توفوا ولم يكن لهم وارث شرعى، فترد أموالهم إلى ديوان المواريث الحشرية لعدم وجود وارث شرعى لهم . (راجع قوانين الدواوين لابن مماتى ص ٣٠٦و٣٥٣) . (٦) جمع طريح وهو المتروك المهمل .

وفى محـرّم سنة سبع وسبعين خَتَن السلطان أولادَه وعَمِل المهمّ سـبعة أيام . وفى العشر الأوسط من صفر هذه السنة آبتدأ الملك الأشرف بعمارة مدرسـته[(١)] التى أنشأها بالصوه تُجاه الطبلخاناة السلطانية التى موضعها الآن بِمارستان[(٢)] الملك المؤيد[(٣)] شيخ وهو كلا شيء، فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالى وشرع فى هدمه .

---

(١) ذكر آبن إياس فى كتاب تاريخ مصر عند الكلام على سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون (ص ٢٣٠ و ٢٣١ ج ١) أنه فى سنة ٧٧٧ هـ كملت عمارة المدرسة الأشرفية التى أنشأها الأشرف شعبان فى رأس الصوة تجاه الطبلخاناه وقرر بها حضورا من بعد العصر وصوفية (أى أنه قرر حضور الطلبة لتلقى الدروس بعد العصر وجعل بهـا مكانا للصوفية) ثم قال ابن إياس : وكانت هـذه المدرسة من محاسن الدنيا فى البناء والزخرفة وقد هدمت فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق .

ولمـا تكلم المقريزى فى خططه على مدرسـة الأمير جمال الدين الأستادار (ص ٤٠١ ج ٢) قال : وكان بمدرسـة الملك الأشرف شعبان بن حسين التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة ، فاشترى ذلك الأمير جمال الدين من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف شعبان بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ، ونقلها إلى داره وكان ممـا فيها عشرة مصاحف ، طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك ، ولها جلود فى غاية الحسن معمولة فى أكياس الحرير الأطلس . ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب فى أوله الإشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقره فى مدرسته .

ولمـا تكلم المقريزى فى خططه على المارستان المؤيدى (ص ٤٠٨ ج ٢) قال : إن هذا المـارستان أقيم فى مكان مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى كانت فوق الصوه تجاه الطبلخاناه بقلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق .

وممـا ذكر يتبين أن هذه المدرسة كانت من أفخر المدارس وكان بها مكتبة من أكبر المكتبات الزاخرة بالكتب النفيسة ، إلا أنه للأسف لم تطل مدة بقاء هـذه المدرسة فاندثرت ، وأقيم فى مكانها المـارستان المؤيدى الذى جعـل مسجدا جامعا لا يزال باقيـا بسـكة الكومى المتفرّعة من شارع المحجر بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هذا البيمارستان (المستشفى) ذكره المقريزى فى خططه باسم المارستان المؤيدى (ص ٤٠٨ ج ٢) فقال : إنه فوق الصوه تجاه طبلخاناة قلعة الجبل ، حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق =

وفى هـذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية ، حتى جاوز الحـدّ وجعل الغنى فقيرا ، وأُبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين ، وفى هـذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب : [الخفيف]

لا تُقيمنَّ بِي على حلب الشَّهْـ * ـباءِ وآرحلْ فأخضرُ العيشِ أدهمْ
كيف لِي بالمُقامِ والخـبزُ فِيها * كلُّ رطلٍ بِدرهمينِ ودرهـم

وفى سنة ثمان وسـبعين عَزَل السلطان الملك الأشرف آقتمر الصاحبيّ الحنبليّ عن نيابة السلطنة بالديار المصرية وآستقرّ به أتابك العساكر وعَزَل الأمـير آقتمر عبد الغنيّ عن نيابة صَفَد وآستقرّ به أمير[1] مائة ومقدّم ألف بالقاهرة .

= أنشأه الملك المؤيد شيخ المحمودى فى مدّة أوّلها جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ وآخرها رجب سنة ٨٢٣ هـ ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان من تلك السنة وعملت مصاريفه من جملة أوقاف الجامع المؤيد المجاور لباب زويلة ، فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة ٨٢٤ هـ تعطل المارستان ، ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الأوّل منها وصار منزلا للرسـل الواردين من البلاد إلى السلطان . ثم عمل فيـه منبر وجعل مسجدا جامعا ورتب له خطيب و إمام ومؤذنون و بواب وقومـة (خدم) وأقيمت به الجمعـة فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ . ومن ذلك التاريخ استمر جامعا تصرف معاليم (مرتبات) أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى .

و بمعاينة هذا البناء تبين لى أنه خرب من قديم وآعتدى بعض الناس عليه وأحدثوا مساكن فى وسطه . وفى سـنة ١١١٢ هـ أنشأ الخواجة أحمـد بن على بن إبراهيم السكرى الصولى الشهـير بأبى غالية مسجدا فى الحوش البحرى للبيمارستان المذكور .

ولمـا رأت إدارة حفظ الآثار ما وقع لهـذا البيمارستان من الخراب ، فى حين أنه من المبانى الأثرية الجميـلة التى يجب المحافظة على بنائها القديم برسمـه الأصلى البديع ، قامت الإدارة المذكورة بإزالة كل ما استجد من المبانى الحديثة داخل البيمارستان وفى حرمه ، ثم شرعت فى بناء وجهته البحرية فأتمتها على أحسن شكل وأبدع مثال ، ولا زالت العمارة جارية فيه إلى اليوم حتى يعود إلى حالته الأولى .

ولهـذا البناء بابان أحدهما وهو العمومى بالوجهة البحرية التى يتوصـل إليها من شارع الكومى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، والثانى يتوصل إليه من درب المـارستان المتفرع من سكة المحجر بخط القلعة .

(١) رواية السلوك (جـ ٣ و ٤ ص قسم ثان) : « وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى وآستقر حاجب الحجـاب » .

ثم فى العشرين من شهر ربيع الآخر غَرِقت الحُسينية [(١)] خارج القاهرة وخرب فيها أزيدُ من ألف بيت، وكان سببُ هذا الغرق أنّ أحمد بن قايماز أستادار محمد ابن آقْبُغا آص آستأجر مكانًا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بِركة وفتح له مَجْرًى [(٢)] من الخليج فتزايد الماءُ وغَفِلوا عنه فطَفَح على الحسينية فغرّقها فقبَض السلطانُ بعد ذلك بمدّة على محمد بن آقبغا آص وصادره وعَزَله عن الأستادارية؛ هذا والسلطان فى تأهُّب سَفَر الحجاز .

فلما كان يومُ الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان [(٣)] سَفَّر السلطان إخوتَه وأولاد أعمامه إلى الكرك صُحبةَ الأمير سودون الفخرى الشيخونى ليُقِيم عندهم بالكرك مدّة غَيْبة السلطان فى الحجاز، كلُّ ذلك والسلطان متضعِّف وحركة الحجاز عَمّالة وحواشيه وخواصّه يَنْهَونه عن السفر فى هذه السنة وهو لا يلتفت إلى كلامهم .

ثم توجه السلطان الى سِرْياقُوس [(٤)] على عادته فى كل سنة وعاد وقد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثانى عشر من شوّال خرجت أطلاب [(٥)] الأمراء المتوجّهين صحبة السلطان إلى الحجاز .

وفى الأحد ثالث عشر خرجَ السلطان بتجمّل زائد وطُلْب عظيم إلى الغاية جُرّ فيه عشرون قطارا من الهُجُن الخاص بقماش ذهب وخمسة عشر قطارا بقماش حرير وقطار واحد بلبس خليفتى وقطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام ومائة فرس مُلبسة

(١) هى إحدى الحارات الكبيرة التى يخترقها اليوم شارع الحسينية بالقاهرة وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٠ بالجزء الثامن وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٢) رواية السلوك (جـ ٣ و ٤ ص ٩٣ (أ) قسم ثان) أن السد انقطع أوائل شهر ربيع الأوّل وحصل الغرق فى يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الأوّل .

(٣) فى السلوك (جـ ٣ و ٤ قسم ثان) : « شعبان » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وبَجَاوَتانْ(١) بأغْشِية زَرْكَش وتسع مِحفّات، غِشاء خمس منهن زَرْكش وستة وأربعون زَوْجا من المَحَـاير وخزانةٌ عشرون جمَـلا وقطاران من الجمال مُحَمَّـلة خضر مزروعة كالبَقْل والشّمار والنعناع والسلق والكُسبرة وغير ذلك. وأما أحمالُ المطاعم والمشارب والمـآ كل فلا تدخل تحت حَصْر كثرة: منها ثلاثون ألف عُلْبة حلاوة فى كل عُلْبة خمسة أرطال كلُّها معمولة من السكر المكرر المصرىّ وطُيِّبت بمـائة مِثقال مسك، سـوى الصَّنْدل والعُود؛ هذا خلاف ما كان للأمراء والخاصّكية وإنمـا كان هذا للسلطان خاصّـة نفسه وأشياء من هذا النَّمُوذَج كثيرة ومع هذا كلّه لم يتغيَّر سـعرُ السكّر بمصر.

وسار السلطان بأمرائه فى أُبَّهة عظيمة حتى نزل سِرْياقوس فأقام بهـا يوما، وفى هـذا اليوم أخلع السلطان على الشـيخ ضياء الدين القِرمى الحنفىّ باسـتقراره شيخ شيوخ المدرسة التى أنشأها بالصُّوة وقـد أشرفت على الفراغ وجاءت من أحسن البناء.

ثم رحل السلطان من سِرْياقوس حتى نزل بالبركة(٢) على عادة الحُجّاج فأقام بهـا إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شوّال ورَحَل بعساكره وأمرائه إلى جهـة الحجاز وكان الذى صَحِبـه من أمراء الألوف تسـعة وهم: الأمير صرغتمش الأشرفى وأرُغُون شاه الأشرفى ويَلْبُغا الشامىّ وهـؤلاء الثلاثة أشرفيّة مماليكُه والأميرُ بهـادُر الجمالىّ وصَرَاى تَمُر المحمدىّ وطَشْتَمُر العلاّئى الدوادار ومُبارك الطازى وقُطْلُقتَمُر العلائى الطويل وبَشْتَك من عبـد الكريم الأشرفىّ أيضا. ومن أمراء الطبلخانات خمسةٌ وعشرون أميرا وهم: بُورى الأحمدىّ وأيدَمر الخطائىّ من صديق وعبد الله بن

(١) الكجاوة: هودج النساء فارسية (عن استنجاس).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

بَكْتَمُر الحاجب وبَلوط الصرغتمشى وآروس المحمودى ويَلْبُغا المحمدى ويَلْبُغا الناصرىّ، على أنه كان أنعم عليه بتقدمة ألف، غيرَ أنه أُضيف إلى الطبلخانات كونه كان حاجباً ثانيا وأرغون العِزّى الأفرم وطُغَيْتَمُر الأشرفى ويلبغا المَنْجَكىّ وكزل الأرْغُونى وقُطْلُوبُغَا الشعبانىّ وأمير حاج بن مُغْلطاى وعلىّ بن مَنْجَك اليوسفى ومحمد ابن تَنْكِزبُغَا وتَمُرباى الحَسَنى الأشرفىّ وأَسَنْدَمُر العثمانى وقَرَابُغا الأحمدىّ وإينال اليُوسفى وأحمد بن يلبغا العُمَرى وموسى بن دَنْدَار بن قَرَمان ومُغْلطاى البدرى وبَكْتَمُر العلمى وآخر. ومن العشرات خمسة عشر أميرا وهم: آقبُغا بُوز الشيخونى وأبو بكر بن سُنْقُر الجمالى وأحمد بن محمد بن بِيبَرْس الأحمدى وأَسَنْبُغا التَّلَكىّ وشَيْخون ومحمد بن بَكْتَمُر الشمسى و[محمد بن](١) قُطْلُوبُغَا المحمدى وخضر بن عمر ابن أحمد بن بَكْتَمُر الساقى وجُوبان الطَّيْدَمُرى وأَلْطُنْبُغا من عبد الملك وقُطْلُوبُغا البُزْلارى وطُوغان العُمَرى الظهيرى وتُلَكْتَمُر العيسوىّ ومحمد بن سُنْقُر المحمدىّ.

وعَيَّن الملك الأشرف جماعة من الأمراء ليُقيموا بالديار المصرية، عَيَّن الأميرَ: أيدمُر الشمسىّ نائب الغَيْبة بالقلعة وأميرين أُخر تسكن بالقلعة أيضا وعيَّن الأمير آقتمر عبد الغنى نائب الغَيْبة وأن يسكن بالقاهرة للحُكم بين الناس وعيَّن أيضا للاقامة بالديار المصرية من الأكابر: الأمير طَشْتَمُر اللَّفّاف وقُرطاى الطازى وأَسَنْدَمُر الصرغتمشى وأَيْنَبَك البَدْرى.

وسافر السلطان وهو متوعِّك فى بَدَنه، بعد أن أشار عليه جماعةٌ من الصُّلحاء والأعيان بتأخير الحج فى هذه السنة فأَبَى إلا السفرَ لأمر يريده الله تعالى، وأمر السلطان لنائب الغَيْبة وغيره أن يَطْلعوا القلعة فى كل يوم مَوْكب(٢) ويدخلوا إلى باب

(١) التكلة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٩٦ (أ) قسم ثان).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

السِّتارة ويخرجُ الأسيادُ أولاد السلطان الملك الأشرف ساعةً ثم يعود كلُّ واحد إلى محلّه فآمتثلوا ذلك، فكانوا لمـا يَطلعون إلى القلعة ويخرُج عليهم الأسـياد وأكبرهم أميرُ علىّ يقوم الأمراء ويَبوسون أيديَهـم ويقعـدون ساعةً لطيفةً فيقوم أمير علىّ ويُشير بيده أمرًا باسم الله فيقومُ الأمراء وينصرفون بعد أن يُسْقَوْن مشروبًا ووقع ذلك فى غَيبة السلطان مدّةً يسيرة .

فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة آتفق طَشْتَمُر اللفّاف وقُرطاى الطازى وأسَـنْدَمُر الصرغتمشى وأَيْنَبَك البدرى وجماعةٌ من المماليك السلطانية وجماعةٌ من مماليك الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف وجماعة من مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان الملك الأشرف ولَبِسوا السلاح وآتفق معهم مَنْ بالأطباق من المماليك السلطانية وهجموا الجميع القلعة وقَصدوا باب السِّتارة فغَلَق سابق الدين مثقال الزِّمام باب الساعات ووقف داخل الباب ومعه الأمير جُلْبان اللّالا، لَالا أولاد السلطان وآقبغا جَرَكَس اللّالا أيضا، فدقَّت المماليك الباب وقالوا : أعطونا سيّدى أمير علىّ، فقال لهم اللّالا : مَنْ هـو كبيرُكم حتى نسلم لهم سـيّدى عليًّا ! وأبى أن يسلمهـم سيدى عليًّا ، وكثُرَ الكلام بينهم ومِثقال الزِّمام يُصمِّم على منع أمير علىّ فقالوا له : السلطان الملك الأشرف مات : ونُريد أن نُسلطن ولده أميرَ علىّ ، فلم يلتفت مثقالٌ الى كلامهـم، فلما عَلِموا الممـاليك ذلك، طَلَعوا جميعا وكسَروا شُـبّاك الزِّمام المُطلّ على باب الساعات، ودخلوا منه ونَهبوا بيتَ الزمام وقماشَه، ثم نزلوا إلى رَحْبَة باب السِّتارة ومسكوا مثقالًا الزِّمام وجُلْبان اللّالا وفتحوا البـاب ، فدَخَلت بقيّتُهم وقالوا : أخرِجوا أمير علىّ، حتى نسلطنَه فانّ أباه تُوُفّى إلى رحمة الله تعالى، فدخل الزمام على رغم أنفـه وأخرج لهم أمير علىّ فأقعـد فى باب الستارة، ثم أحضر الأميرُ أيدمر الشمسى فبوّسوه الأرض لأمير علىّ، ثم أركبوا أمـير علىّ على بعض خيولهم

وتوجّهوا به إلى الإيوان الكبير وأرسلوا خلف الأمراء الذين بالقاهرة، فركبُوا إلى سوق الخيل وأبَوْا أن يطلعوا إلى القلعة فأنزلُوا أميرَ علىّ إلى الإسطبل السلطان، حتى رأوه الأمراء فلمـا رأوه طلعوا وقبّلوا له الأرض وحلفوا له، غير أنّ الأمير طَشْتَمُر الصالحى و بلاطَ السّيفى أَلجاى[1] الكبير وحَطَط رأس نَوْبة النُّوَب لم يوافقوا ولا طلعوا، فنزلوا اليهـم المماليكُ ومَسكُوهم وحبَسوهم بالقصر وعقَدوا لأمير علىّ بالسلطنة ولقّبوه با « لملك المنصور » على ما يأتى ذكره فى محـله، ونسوق الواقعة على جليّتهـا .

ثم نادَوْا بالديار المصرية بالأمان والبيع والشراء، بعد أن أخذوا خطوطَ سائر الأمراء المقيمين بمصر فأقاموا ذلك النهارَ وأصبحوا يوم الأحد رابع ذى القَعْـدة من سـنة ثمـانٍ وسبعين وسبعمائة وهم لا بسون آلةَ الحرب واقفون بسوق الخيل يتكلمون فى إتمـام أمرهم، و بينما هم فى ذلك جاءهم الخبرُ أنّ شخصا يُسمَّى قازان اليَرْقَشِىّ كان مسافرًا صحبـةَ السلطان الملك الأشرف إلى الحجـاز الشريف وجدوه متنكِّرا فمسكوه وأتَوْا به إلى الأمراء فسألوه عن خَبَر قدومه وعن أخبار السلطان، فأبَى أن يُخبرهم بشىء وأنكر أنه لم يتوجّه إلى الحجاز، فأوهموه بالتوسيط فأقرّ وأعلمهم الخبرَ بقدوم السلطان الملك الأشرف شعبان وكَسْرته من مماليكه بالعَقَبة فقالوا له : وما سببُ هزيمة السلطان من عقبة أَيْلا[2] ؟ قال : لمـا نزل السلطان الملك الأشرف بمن معه من أمرائه وعساكره إلى العقبة وأقام بها يوم الثلاثاء و يوم الأربعاء سَنَخ

---

(١) هكذا فى الأصلين . ورواية السلوك (جـ ٣ و ٤ قسم ثان ص ١٩٧) : « والأمـير بلاط الكبير السيفى » و يظهر أن كلمة : « ألجاى » مقحمة .

(٢) هى البلدة التى تعرف اليوم باسم العقبة لوقوعها فوق عقبة عالية من جبل . وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

شوّال فطلب المماليك السلطانية العليق، فقيل لهم اصبروا إلى منزلة الأزلم (١) : فغَضبوا وامتنعوا من أكل السِّماط عصر يوم الأربعاء وآتفقوا على الركوب، فلما كانت ليلة الخميس المـذكورة ركبوا على السلطان ورءوسُهم الأمير طَشْتَمُر العلائى ومُبـارك الطازى وصَراى تَمُـر المحمدى وقُطْلُقتَمُر العلائى الطويل وسائر ممـاليك الأسياد وأكثر الممـاليك السلطانية ، فلمـا بلغ السلطانَ أمرُهم ركَب بأمرائه وخاصَّكيتـه وتواقعوا فانكسر السلطان وهَرَب هو ومَنْ كان معه من الأمراء وهم : صرغتمش الأشرفى وأرْغُون شـاه الأشرفى ويَبْغا الأشرفى ويَشْتَك الأشرفى وأرْغُون كَتك ويلبغا الناصرى وصار السلطان بهؤلاء إلى بركة عجرود (٢) ، فنزلَ بها وهو مقيمٌ به ،

(١) منزلة الأزلم كانت محطـة من محطات الحجاج فى الطريق بين القاهرة ومكة المشرفـة ، ذكرها على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ص ٢٦ ج ٩) بين محطة سلمى ومحطة إصطبل عنتر فى الطريق بين المويلح والوجه . وقال : إن محطة الأزلم بهـا قلعة خربة وآبار غير صالحة للشرب ويباع عندها الحشيش لغذاء الدواب والسمن والغنم والسمك وغير ذلك مما تجلبه العرب . وبالبحث عن منزلة الأزلم التى كانت واقعة على شاطئ البحر الأحمر بين بلدتى المويلح والوجه : تبين لى أن هذه المنزلة تعرف اليوم بمنزلة دمرا أو منزلة دمرها . وفى شمالها محطة وادى سلمى الذى يعرف بالشرم وفى جنوبها محطة إصبطل عنتر التى تعرف برأس مرغة على شاطئ البحر من أرض إقليم تهامة أحد أقاليم بلاد الحجاز والمملكة السعودية العربية ببلاد العرب بقارة آسيا . (٢) يقصد من قوله : «بركة عجرود» المنطقة الصحراوية الواقعة عند محطة عجرود إحدى محطات الحاج القديمة على الطريق ما بين القاهرة والسويس . ويستفاد ممـا ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية عند الكلام على عجرود (ص ٧ ج ١٤) أن هذه المحطة تقع فى الجهة البحرية الغربية من السويس على بعـد عشرين كيلو مترا وأن أرضها جبلية على ارتفاع ١٠٥ متر من سطح البحر المـالح وبها بئر نقرت فى المحجر عمقها سبعون مترا وماؤها مر وعليها ساقية تخرج المـاء فى حوض لمنافع الحجاج .

وفى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ الحاج آل ملك الجوكندار خانا للمسافرين وبه بئر وساقية ماؤها مرّ زعاف وأنشأ الملك الناصر حسن بجوار هذه الساقية أربع فساق تملأ بالمـاء .

وفى سنة ٩١٥ هـ جدد السلطان أبو النصر قانصوه الغورى الخان السابق ذكره وأنشأ به مسجدا بمئذنة ثم أنشأ بجوار الخان قلعة بها حرس للمحافظة على الطريق وجددت هذه القلعة فى أيام محمد على باشا الكبير والى مصر .

وقـد آندثرت تلك المبانى ولم يبق منها إلا آثار أطلالها التى تقع على السكة الصحراوية الحالية الموصلة من القاهرة إلى السويس قبل الوصول إلى السويس بمسافة عشرين كيلو مترا ، وعند نقطة عجرود المعروفة بالبرج رقم ١٤ تقترب السكة الصحراوية المذكورة من السكة الحديدية الموصلة ما بين القاهرة والسويس ويسيران بجوار بعضهما إلى السويس .

فقالوا له : كَذَبْتَ قل لنا حقيقةَ أمره ، فامتنع وحلَف، فأرادوا توسيطَه حقيقة ، فقال : أطلقونى أنا أدلُّكم عليهم،فأطلقوه فأخذهم وتوجّه بهم إلى قُبّة النصرخارج القاهرة إلى محل كان الأشرف نزل فيه بجماعته فوجدوا بالمكان أرْغُون شاه وصرغتمش و يَبْغُا و بَشْتَك وأرْغُون كَتَك وكان الذى توجّه مع قازان البَرقشىّ من القوم أسَنْدَمُر الصرغتمشىّ وطُولُو الصرغتمشىّ ومعهما جماعةٌ كبيرة من المماليك الذين ثاروا بالقاهرة،فقَبَضوا على الأمراء المذكورين وسألوهم عن الملك الأشرف، فقالوا : فارَقَنا وتوجّه هو و يَلْبُغا الناصرىّ إلى القاهرة ليختفى بها ، فقتلوا الأمراء المذكورين فى الحال وحزوا رءوسهم وأتَوْا بهـا إلى سوق الخيل ففَرِح بذلك بقيّةُ الأمراء الذين هم أصلُ الفتنة وعلموا أنّ الأشرف قد زال مُلْكُه .

وأمّا الملك الأشرف فإنه لمـا وصـل إلى قُبّة النصر توجّه منها نحـو القاهرة ومعه يلبغا الناصرىّ وآختفى عند أستادار يَلْبُغا الناصرىّ ، فلم يأمن على نفسه فتوجّه تلك الليلةَ من عند أستادار يلبغا الناصرىّ الى بيت آمنـة زوجة المشتولىّ(١) فاختفَى عندها ، فقَلِق عند ذلك الأمراء الذين أثاروا الفتنةَ وخافوا عاقبةَ ظهور الأشرف وهم : قُرطاى الطازىّ وطَشْتَمُر اللفّاف وأسندمر الصرغتمشىّ وقُطْلُوبغا البدرىّ وأَلْطُنْبُغا السلطانىّ وبَلاط الصـغير ودِمْراش اليُوسـفىّ وأَيْنَبَك البـدرىّ ويَلْبُغا النظامىّ وطُولو الصرغتمشىّ وهؤلاء الأمراء، وأمّا الأجناد فكثير فاشتد قلقُهم . و بينماهم فى ذلك فى آخر نهار الأحد يوم قتلوا الأمراء المذكورين بقُبّة النصر،وقبل أن يَمْضى النهار جاءت آمرأة إلى الأمراء وذكرتْ لهم أنّ السلطان مُخْتَفٍ عند آمنة

(١) هـذه رواية الأصلين والسلوك (ص ٩٨ (ب) جـ ٣ و ٤) قسم ثان . ورواية المنهل الصافى (جـ ٢ ص ٨٣ (أ)) : « زوجة المسقولى » .

زوجة المشتولىّ فى الجُودَرِيّة[1]، فقام أَلْطُنبغا من فوْره ومعه جماعةٌ وكَبَسوا بيت آمنة المذكورة فَهَرب السلطان واختفى فى بادهنج[2] البيت فطلَعوا فوجدوه فى البادهنج وعليه قماش النساء، فمسكوه وألْبَسوه عِدّة الحرب وأحضروه الى قلعة الجبل فتسلَّمه الأمير أَيْنَبَك البدرىّ وخلا به وأخذ يُقرّره على الذخائر فأخبره الملك الأشرف بها وقيل . إنّ أَيْنَبَك المــذكور ضَرَبه تحت رجليه عدّة عصيّ . ثم أصبحوا فى يوم الاثنين خَنَقوه وتَوَلّى خنقه جاركس شادّ عمائر أُجاى اليُوسـفىّ فأُعْطى جاركس المذكور إمرة عشرة واستقرّ شادّ عمائر السلطان .

ثم بعد خَنْق الملك الأشرف لم يُدفِنوه، بل أخذوه و وضعوه فى قُفّة وخَيّطوا عليها ورَمَوْه فى بئر، فأقام بها أياما إلى أن ظهرت رائحتُه، فاطّلَع عليه بعضُ خُدّامه من الطواشــيّة، ثم أخرجوه ودَفَنُوه عند كِيمان[3] السيدة نفيسة وذلك الخادِم يتبعهم من بُعْد حتى عرف المكان، فلما دخل الليل أخذ جماعةً من إخوته وخدمه ونقلوه فى تلك الليــلة من موضع دَفَنُوه المــاليك ودَفَنُوه بتربة والدته خَوَنْد بَرَكة بمدرستها التى بخُطّ التّبّانة فى قُبّة وحدَه، بعد أن غسّلوه وكفّنوه وصَلّوا عليه وقيل: غير ذلك وهو أنهم لمّـا وجدوه فى البيت المذكور وعليه قُماش النِّسوة أركبوه على هيئة بازار خَلْف مملوك ومشَوْا خلفَــه وطلعوا به من على قنطرة باب الخــلق[4] وطلعوا به على

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١ ٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) البادهنج : كلمة فارسية ، معناها المنفذ الهوائى فى أعلى المنزل وهو ما يعبر عنه العــوام بالشخشيخة (انظر قاموس استينجاس) .

(٣) هــذه الكيمان لا تزال باقية فى الجهة الغربية من جامع السيدة نفيسة وتمتد إلى الغرب والجنوب بين التلول المعروفة بتلول زينهم (زين العابدين) و بين حائط مجرى المــاء المعروف بالعيون بالقاهرة .

(٤) هذه القنطرة هى إحدى قناطر الخليج المصرى بالقاهرة وتعــرف بقنطرة باب الخلق ، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٤٧ جـ ٢) فقال : إن هذه القنطرة على الخليج الكبير ، كان موضعها ساحلا ومورده للسقايين فى أيام الخلفاء الفاطميين ، فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطانى =

معـدّية فُريج[1] وطلعوا به من على الصّـليبة وقت الظهـر ، وكان من رآه

═ بأرض اللوق وعمر به المناظر فى سنة ٦٣٩ هـ أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها إلى الميدان المذكور . ثم قال . وقيل لهـا قنطرة باب الخرق لأنها كانت تجاه أرض زراعية واقعـة على الجانب الغربى للخليج وكانت هـذه الأرض تخترقها الرياح لا ستوائها فعرفت القنطرة باسم قنطرة باب الخرق وكان الميدان الذى فيـه القنطرة يعرف بميدان باب الخرق ولاستهجان كلمة الخرق استبدلت هذه الكلمة فى أيام الخديوى إسماعيل وأطلق على الميدان اسم ميدان باب الخلق لكثرة ازدحام الناس المـارين فيه ، كما أطلق على القنطرة قنطرة باب الخلق ، وبقيت هـذه القنطرة على حالتها إلى أن فتح شارع محمـد على فى سنة ١٨٧٣ فهـدمت القنطرة وأنشأت مصلحة التنظيم بدلا عنها قنطرة جديدة على الخليج فى عرض شارع محمد على وبذلك اختفت تلك القنطرة ، ومكانها اليوم بميـدان باب الخلق فى النقطة التى يتلاق فيهـا محور شارع تحت الربع بخط ترام الخليج عند الزاوية القبلية الشرقية لمبنى دار الكتب المصرية بشارع محمد على بالقاهرة .

(١) هذه المعدية كانت واقعـة فى الخليج المصرى بين قنطرة باب الخلق وقنطرة سنقر بالقاهرة ، ولم يفردها المقريزى فى خططه بذكر ، وإنما ذكرها عرضا فى كلامه على جامع كرل بغا الفيروزى (ص ٣٣١ ج ٢) وعلى زاوية الجميزة (ص ٤٣١ ج ٢) وحدث أن سكن الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلى فى حارة عابدين التى تعرف الآن بسكة رحبة عابدين فأنشأ تجاهها على الخليج قنطرة فى مكان معدية فريج حوالى سنة ١١٧٠هـ للمرور عليها بين داره وبين المدينة وعرفت باسم القنطرة الجديدة كما ورد فى تاريخ مصر للجبرتى (ص ٧ ج ٢) ووردت كذلك بهذا الاسم فى خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية سنة ١٨٠٠ لأنه لم يكن مضى عليها من تاريخ إنشائها الى يوم الاحتلال الفرنسى أكثر من ٤٣ سنة .

وعرفت هذه القنطرة فى عصرنا الحاضر باسم قنطرة «اللى كفر» وقد ذكرها على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية عند كلامه على شارع الجنينة (ص ٩ ج ٣) باسم قنطرة الذى كفر وقال . إنه لم يقف على تاريخ إنشائها وعلى اسم منشئها فى حين أنها مذكورة بكل وضـوح ضمن عمارات عبد الرحمن كتخدا التى ذكرها الجبرتى فى الجزء الثانى من كتاب تاريخ مصر (ص ٥ وما بعدها) .

ولمـا تكلم مبارك باشا على شارع جميزة (ص ٥٧ ج ٣) قال : إنه يرجح أن معدية فريج مكانها قنطرة باب الخلق فى حين أن هـذه القنطرة كانت موجودة مـع معدية فريج فى عصر واحد والمعـدية لم تبطل الا فى سنة ١١٧٠ هـ كما ذكرنا .

ولمـا شرعت مصلحة التنظيم فى تسمية الطرق ووضعت أسماءها على خريطة القاهرة أطلقت اسم « سكة قنطرة الذى كفر » على الطريق التى كانت توصل بين هذه القنطرة وبين شارع درب الجماميز تجاه سكة رحبة عابدين .

وعند ماردم الخليج المصرى سنة ١٨٩٩ اختفت معالم هذه القنطرة ، كما اختفت بعد ذلك سكة قنطرة الذى كفر وما على جانبيها من المبانى حين أخذ فى توسيع شارع الخليج المصرى فى أيامنا هذه .

أما تسميتها بقنطرة اللى كفر فترجع الى قصة رواها لنا منذ حوالى أربعين سنة بعض كبار السن الموثوق برواياتهم ممن يقيمون قريبا من تلك القنطرة . وتتلخص هذه القصة فى أن رجلا ظل فى خدمة أحد ═

ظنّه[(١)] أميرا من الأمراء وفعلوا ذلك خوفا من العامّة فإنهــم لو عَلِموا أنه السلطان خلّصوه منهم ولو ذَهَبت أرواحُهم الجميع لمحبة الرعية فى الأشرف المذكور .

ثم دخلوا بالأشرف إلى إسطبل بالقرب من الصليبة[(٢)]، مخافةً من العامّة لا يعرفون به لـمّـا تكاثروا للفُرْجَة عليه، فأقام بالإسطبل ونزل إليه قُرْطاى وقرّره على الذخائر، فقرّ له . ثم قتله ودفنه بمصْطَبة بالإسطبل المذكور، فهذه روايةٌ أخرى غير ما ذكرنا أوّلا والأوّلُ أشهرُ وأظنه الأصحّ والأقوى .

وأمّا الذين تخلّفوا بالعقبة من الذين وثَبوا على الملك الأشرف وكَسَروه وهرب الأشرفُ إلى جهة الديار المصرية ولم يُدْركوه ، فإنهم آتّفقوا الجميع الأمراء وغيرهم وتوجّهوا إلى الخليفة المتوكّل على الله وكان أيضا فى صحبة السلطان الملك الأشرف وقالوا له : يا أمير المؤمنين تَسلْطَنْ ونحن بين يديك . وكانت العصائب السلطانية حاضرة فامتنع الخليفةُ من ذلك .

هــذا وهم لا يعلمون بمـا وقع بالديار المصرية من ركوب هؤلاء وسلطنة أمير علىّ فإنّ كلّ طائفــةٍ وثبتْ على السلطان . وليس للأخرى بهـا علم ولا كان بينهم

= البكوات الجراكسة نحو ثلاثين سنة وفى أحد الأيام وكان دلك فى عهد حكم عباس الأوّل ، غصب هذا البيك على خادمه من جراء تهمة لفقتها عليه سيدته فطرده فى الحال وأبى أن يستمع لرده على التهمة فخرج الرجل حزينا ساخطا ثم بلغ به الحزن حدا أصيب معــه بذهول أفقده فى النهاية عقله حتى أصبح من المجانين ولكنه لم يفارق الحى الدى عاش فيه وظل مدى عشر سنوات بجوار القنطرة المشار اليها وكان لجنونه وكثرة ماحملت نفسه من الكراهة والبغض للظلم والظالمين بسبب كل شىء و يتلفظ بعبارات تنطوى على الكفر بالله ومن ثم اشتهر بين الناس بكفره وعرفت القنطرة باسم «قنطرة اللى كفر» إلى أن آختفت هى وآسمها من الوجود .

وأما نسبة هذه القنطرة الى الضابط الفرنسى « كفر اللى » وما ذكره بعض الباحثين فى نسبتها اليه من الروايات الملفقة فقد بحثناها بحثا دقيقا فلم نجد أى دليل على صحتها إلا مخيلة ملفقيها المضللين . والرواية الصحيحة هى التى أثبتناها هنا إذ لا مصلحة لنا إلا تقرير الحقيقة .

(١) فى م : « يحسبه ... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

آتفاقيّة على ذلك، وهذا من غريب الآتفاق، كونُ الواقعة تكون فى العقبة و ينكسر السلطان .

ثم بعد ثلاثة أيام أو أقلّ تكون بمصر أيضا ويُخْلَع الملك الأشرف و يتسلطن ولدُه وكلاهما من غير مواعدة الأخرى، فنعوذ بالله من زوال النعم .

ثم إنّ الأمراء والمماليك أقاموا بالعقبة بعد هروب السلطان يومين وقد جهزوا للخليفة قماش السلطنة وآلة المَوْكِب وألَحُّوا عليه بالسلطنة وهو يمتنع وتوجّهت القضاةُ الى القدس للزيارة ورُدّ الحاجّ بأسْره إلى أبيار العلائى[1] وقد قصدوا العود إلى القاهرة و إبطال الحاج فى تلك السنة، فنَهَضَ الأمير بهادُر الجمالى أمير الحاجّ وردّهم وحجّ بهم . ولما تحقّقت الأمراء والمماليك أنّ الخليفة آمتنعَ من السلطنة رَجَعوا نحو الديار المصرية حتى وصلوا إلى عجرود ، أتاهم الخبر بما جرى من مَسْك السلطان الملك الأشرف وقتله فاطمأنوا فإنهم كانوا على وَجَل ومنهم من نَدِم على ما فَعَل فإنه كان سببا لزوال دولة الملك الأشرف ولم يَنلْهُ ما آمل وخرج الأمر لغيره . ثم ساروا الجميع من عجرود إلى أنْ وصلوا إلى بركة الحاجّ، فسار إليهم جماعة من القائمين بمصر بآلة الحَرْب فتعبُّوا لقتالهم، فأرسل طشتمر العلائى الدوادار طليعة عليها قطلقتمر الطويل، فقاتلوه المصريون فكسرهم قطلقتمر وسار خَلْفَهم إلى قلعة الجبل، فلما قَرُب إلى القلعة تكاثروا عليه ومسكوه، وفى ذلك الوقت حضر

(١) عنى ملوك مصر وأمراؤها فى الزمن القديم باصلاح طريق الحج البرى من جهة سيناء وشرق البحر الأحمر، تلو عقباتها وأنشئوا فيها الخانات والقلاع وحصنوها بالعساكر تأمينا للطريق وحفروا الآبار و بنوا البرك لسق الحجاج وركائبهم . وأهم آثارهم على هذا الطريق فى بركة الحاج وعجرود وفى سيناء نخل والعقبة وفى الحجاز المويلح ورابغ ... الخ وآبار العلائى محطة من محطات الحجاج بعد نخل والقريص وقبل نقب العقبة فى وادى التيه على بعد ٤٠ ميلا شرق نخل . انظر درر الفرائد المنظمة جـ ٢ ص ٨٩ وعلى باشا مبارك الخطط جـ ٩ ص ٢٥ و جـ ١٤ ص ٩ وتاريخ سيناء لشقير ص ٦٧ / ١٦٠ / ٢٦٢

إلى الديار المصرية الأمير آقتمر الصاحبي نائب السلطنة بالديار المصرية وكان قـد توجّه إلى بلاد الصعيد قبل توجّه السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز، فتلقاه أمراءُ مصر وعظّموه وقالوا له : أنت نائبُ السلطنـة على عادتك وأنت المتحدث وكلّنـا مماليكك ، فلم يسعْه إلا مطاوعتهم على ما أرادوا وكان كلامُ الأمراء لآقتمر الصاحبي بهذا القول ، خوفا ممَّنْ أتى من الأمراء والخاصكيّة من العقبة .

ثم آتفق المصريون على قتال طشتمر الدوادار ومَنْ أتى معه من العقبة من المماليك الأشرفية وغيرها ، فنزلوا اليهم من القلعة بعد المغرب فى جمع كبير والتقوا معهم على الصوّة (١) من تحت القلعـة ، تجاه الطبلخاناة السلطانية وتقاتلوا ، فانكسر طشتمر ومَنْ معه من الأمراء والممـاليك الأشرفية وانهزموا بعد المغرب إلى ناحية الكيمان ، فلما كان الليلُ أرسـلَ طشتمر طَلَبَ الأمان لنفسه ، فأرسلوا له الأمان ، فلما حضر مسكوه وقيّدوه هو وجماعته وحبسوهم بالقلعـة ، وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار . [الكامل]

إن كان طَشْتَمُرُ طَغَى * وأَتَى بحـربٍ مُسْرِعْ
وبغَى سـيُؤخَذ عاجلا * ولِـكلِّ باغٍ مصـرَعْ

قلتُ : ما أشـقى هؤلاء القومَ العصاة بالعقبــة فإنهم كانوا سببا لزوال مُـلْكِ أستاذِهم الملك الأشرف وذهاب مُهْجَته من غير أن يحصلَ أحدُهم على طائل ، بل ذهبت عنهم الدنيا والآخرة ، فإنهم عصوْا على أستاذهم وخَلَعوا طاعَتَه من غير موجب وشمل ضَرَرُهُم على الحجاج وغيرهم وارتكبوا أمورا قبيحة ، فهذا ما حصلوه من الإثم .

وأما أمرُ الدنيا فإنهـا زالتْ عنهم بالكلية وخرج عنهم إقطاعاتهمُ ووظائفُهم وأرزاقُهم ومنهم من قُتِل أشرّ قِتْـلة ولم يُقرِّبهم ملكٌ من الملوك بعـد ذلك ، بل

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من هذا الجزء .

صـارُوا مَبعودين فى الدُّول وماتوا قهرًا ممـا قاسوه من الذل والهـوان، حتى إننى رأيت منهم من كان عُمِّر واحتاج إلى السؤال ، وما ربك بظلّام للعبيد .

وكان السلطان الملكُ الأشرف — رحمه الله تعالى — من أجلّ الملوك سماحة وشهامة وتجملًا وسؤددًا .

قال قاضى القُضاة بدر الدين محمود العيْنى — رحمـه الله — فى تاريخه : كان ملكًا جليلًا لم يُر مثـلُه فى الحلم ، كان هيّنًا ليّنًا محبًا لأهـل الخير والعلماء والفقراء مُقتديًا بالأمور الشّرعية واقفا عنـدها مُحسنا لإخوته وأقاربه وبنى أعمامـه، أنعَمَ عليهم وأعطاهم الإمريات والإقطاعات وهذا لم يعهد من مَلك قبله فى ملوك الترك ولا غيرهم ولم يكن فيــه ما يُعاب، سـوى كونه كان محبًّا لجمع المـال . وكان كريما يُفرّق فى كل سـنة على الأمراء أقبيةً بِطَرْز زركش والخيول المسوّمـة بالكنابيش الزركش والسلاسـل الذّهب والسروج الذّهب وكذلك على جَميع أرباب الوظائف وهذا لم يَفعله ملكٌ قبله . انتهى كلام العينى باختصار — رحمه الله تعالى — .

وقال غيره — رحمه الله — وكان ملكا جليلا شجاعا مهابا كريما هيِّنا ليِّنا مُحبًّا للرعيـة ، قيل إنه لم يل المُلك فى الدولة التركية أحلم منـه ولا أحسن خَلْقا وخُلُقا وأبطل عدّه مكوس فى سلطنته . والله أعلم .

قلت : حدّثنى العلامـة علاء الدِّين على القلقشندى[1] — تغمده الله تعـالى — الشافعى ، قال حدّثنى العلّامـة قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى[2] المـالكىّ

(١) هو على بن أحمـد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن على علاء الدين القلقشندى الشافعى . توفى سنة ٨٥٦ هـ (عن المنهل الصافى جـ ٢ ص ٣٨٦ (ب) .

(٢) عقد له المؤلف فى المنهل الصافى (ح ٣ ص ١١٥ ب) ترجمة ممتعة فقال : هو محمد بن أحمد ابن عثمان قاضى قضاة المـالكية بالديار المصرية شـيخ الإسلام شمس الدين أبو عبـد الله البساطى وله مصنفات عدة مولده فى محرم سنة ٧٦٠ هـ وتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

أنّ الملك الأشرف شعبان هذا كان من فطنته وذكائه يَعرِفُ غالب أحوال القلاع الشامية وغيرها و يعرف كيف تُؤخَذ ومن أين تحاصرُ معرفةً جيّدة .

قلت : هذا دليلٌ على الذّكاء المفرط والتيقّظ فى أحوال مملكته . انتهى .

ورأيتُ أنا كثيراً من المماليك الأشرفيّة وبهــم رَمَقٌ وقــوّةٌ فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى منهم الأمير آق ســنقر الأشرفىّ الحاجب وغيره وكانت أيام الملك الأشرف شــعبان المذكور بهجةً وأحوال الناس فى أيامه هادئة مطمئنة والخيرات كثيرة، على غَلاء وَقع فى أيامه بالديار المصرية والبلاد الشامية ومع هذا لم يختلّ من أحوال مصر شىءٌ لحسن تدبيره ومشى ســوقُ أرباب الكمالات فى زمانه من كل علم وفن؛ ونَفقتْ فى أيامه البضائعُ الكاسدةُ من الفنون والمُلَح وقَصَــدْتهُ أربابُها من الأقطار وهــو لا يكلّ من الاحسان إليهم فى شىء يريده وشىء لا يريده، حتى كلّمه بعضُ خواصّه فى ذلك ، فقال — رحمــه الله — . أفعلُ هــذا لئلا تموتَ الفنونُ فى دولتى وأيامى .

قلت . لعمرى إنه كان يَخْشى موتَ الفنون والفضائل؛ ولقــد جاء من بعده مَنْ قَتلها صَبْراً، قبل أوان موتها ودَفَنَها فى القبور وعفّى أثرها، وما أحسن قول أبى الطيب أحمد بن الحسين حيث يقول :

على قدر أهلِ العزمِ تأتى العزائمُ * [وتأتى[1] على قَدْر الكِرام المَكارِمُ]

[الطويل]

وخَلّفَ الملك الأشرف [رحمه الله] من الأولاد ستّة بنين، وهم الملك المنصور علىّ الذى تَسَلْطَن من بعــده على ما يأتى ذِكرُهُ وذِكْرُ من قام بسلطنته مُفَصّلاً — والملك الصالح أمير حاج وقاسم ومحمد و إسماعيل وأبو بكر وولدت بعده خوَنْد سمراء جاريته ولدا سَمّوه أحمد فصاروا سبعة .

(١) التكملة عن شرح التّبيان للعكبرى على ديوان المتنبى (ج ٢ ص ٢٩٢) .

وخَلَّف سَبْع بناتٍ رأيتُ إحداهنّ بعد سنة عشرين وثمانمائة .

وكانت مدّةُ سلطنة الملك الأشرف أربع عشرةَ سنةً وشهرين وعشرين يوماً، ومات وعمرُه أربعٌ وعشرون سنةً . وقد تقدّم مولدُه فى أوّل ترجمته، ورثاه الشعراءُ بعد موته بعدّة قصائد وَحزِنَ الناسُ عليه حُزْناً عظيماً وكَثُر تأسُّفُهم عليه . وعُمِل عزاؤه بالقاهرة عِدّة أيام . وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار: [البسيط]

للمـلكِ الأشرفِ المنصورِ سـيِّدنا * مناقبٌ بعضها يبـدو به العَجَبُ
له خـلائق بيـضٌ لا يغـيّرها * صرفُ الزمان كما لا يصدأ الذهبُ

وقال غيره : [الزجل]

كوكب السـعد غَابْ منِ القلعهْ * وهـلالُو قـد انطفَـا بأمانْ
وزُحـلْ قـد قارنـ المِرّيخْ * لكسوفْ شمسِ الضُّحى شعبانْ

*
* *

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر. وهى سنة خمس وستين وسبعمائة على أنه حَكَم فى السنة المـاضية من شعبان إلى آخرها .

وفيها (أعنى سنة خمس وستين) تُوفِّى الشيخ الإمام العالم ناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز القُونَوى الحنفى الشهير بابن الرَّبْوَة — رحمه الله — كان إماماً عالمـًا بارعا خطيبا فصيحا فقيهـا مُناظِرا أفتى ودَرَّس وأعاد وشَرَح "الفـرائض السراجيّـة"[1] و "كتاب المَنَار" وله عِدّة مصنّفات أُخَر ومات بدَمَشق فى هـذه السنة وقيل فى الخالية[2] .

(١) هى المعروفة بفرائض السنجاوندى وقد شرحها غير واحد من الفضلاء . وقد ذكر صاحب كشف الظنون ملا كاتب جلبى شروحا كثيرة لهـا لطائفة من العلماء (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٨١) .

(٢) فى السلوك (ج٣و٤ قسم ١ ص ٤١ب وكشف الظنون المصدر المتقدم ج٢ص١٨١) أن وفاته سنة ٧٦٤

وتُوفّى قاضى القضاه نجم الدين عبد الرحيم ابن القاضى شمس الدين إبراهيم بن شرف الدين هبــة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم بن عبــد الله بن حسّان المعروف بالبَارزىّ الجُهَنىّ الحمــوىّ الشافعىّ قاضى قضاة حَمَاة بها ، بعــد أن وَلِىَ قضاءَها ستًّا وعشرين سنة وكان مشكور السِّيرة فى أحكامه — رحمه الله — .

وتُوُفّى الأديب عِزّ الدين أبو محمــد الحسن بن علىّ بن الحسن بن علىّ العبّاسىّ الشهير بٱبن البَنّاء الحلبىّ الشاعر المشهور ؛ قَدِم إلى حلب و بها مات، وسِنُّه زيادة على سبعين سنة . ومن شعره قصيدة أوّلها : [الرجز]

أنفقتُ عُمْــرى فى رجاءِ وَصْلِكم * والعَصْــرِ إنّى بِكم فى خُسْــرِ

وتُوفّى القاضى شهاب الدين أحمد ٱبن الصاحب جمال الدين محمد ٱبن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد الحنفىّ الحلبىّ الشهير بٱبن العَدِيم بحلب، عن بِضْع وسبعين سنة . وكان فقيها عارفا بالتاريخ والأدب .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغَا الأحمدىّ نائب حلب بها عن نيِّف وثلاثين ســنة — رحمه الله — وكان أميرا جليلا شجاعًا كَرِيما ، نشأ فى السعادة وولى نيابةَ حلب مرّتين .

وتُوُفّيت خَوَنْد[1] طُولُو بيه الناصريّة التَّتَرِيّة، زوجة السلطان الملك الناصر حسن . ثم من بعــده زوجة مملوكه يَلْبُغَا العُمَرىّ فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودُفنت بتربتها التى أنشأتها بجوار تُربَة[2] خَوَنْد طُغاى الناصريّة أمّ آنُوك خارج باب البرقيّة بالصحراء، وكانت من أجمل نساء عصرها .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦ من هذا الجزء . (٢) هــذه التربة لا تزال باقية إلى اليوم بقرافة المجاورين بالقاهرة باسم تربة خوند طلباى تجـاه تربة خوند طغاى أم آنوك و يفصل بينهما شارع خوند طغاى .

وتُوُفّي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السُّلَمِيّ المُناوِيّ الشافعيّ خليفة الحُكْم بالديار المصرية وقاضي العسكر، ووكيل بيت المال والخاصّ بها في يوم الجمعة سادس شهر ربيع الآخر.

وتُوُفّي القاضي صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البُرُلُّسِيّ المالكيّ محتَسِب القاهرة بها في يوم الخميس خامس عشرين صفر وهذا المحتَسِب هو الذي أمر المؤذّنين أن يقولوا في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة، وقبل الفجر: «الصلاةُ والسلامُ عليك يا رسول الله» فاستمرّ ذلك إلى سلطنة الملك الظاهر بَرْقُوق، أَمَر مُحتَسِبُ القاهرة نَجْمُ الدِّين الطَّنْبَذِيّ أن يقولوا ذلك عَقيب كلّ أذان إلّا المغرب، وآستمرّ ذلك أيضا إلى يومنا هذا، على ما سنبيّنه في وقته — إن شاء الله تعالى — ونذكر سَبَبه، ولم يكن قبل ذلك إلّا الأذان فقط.

وتُوُفّي قاضي مكّة تقيّ الدين محمد بن أحمد بن قاسم العُمَرِيّ الحَرَازِيّ[1] الشافعيّ معزولًا.

وتُوُفّي بالمدينة النبوية — على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام — الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف في سادس عشرين شهر ربيع الأوّل — رحمه الله — وكان إماماً حافظاً مُتْقِناً سَمِع الكثير ورَحَل البلاد وكَتَب وحصّل.

وتُوُفّي السلطان الملك الصالح شمس الدين صالح آبن الملك المنصور نجم الدين غازي آبن الملك المظفر قرا أرسلان ابن الملك السعيد غازي بن أُرْتُق بن أَرْسلان ابن[2] إيل بن غازي بن أَلْبي بن تمرداش بن إيل بن غازي بن أُرْتُق الأُرْتُقيّ صاحب

(١) حراز (بالفتح وتخفيف الراء وآخره زاء): مخلاف باليمن قرب زبيد، سمى باسم بطن من حمير ويقال لقريتهم حرازة وبها تعمل الأطباق الحرازية (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٢٩).

(٢) في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٦ ب): «ابن إيل غازي».

ماردين بها ، وقـد ناهز السبعين سنة من العُمُر ، بعد أن دام فى سلطنة ماردين أربعًا وخمسين سـنة . وتولّى ماردين بعده آبنُه الملك المنصور أحمدُ . وكان الملك الصالح من أَجَلّ ملوك بنى أُرْتُق حَزْمًا وعَزْمًا ورأيًا وسُؤْددًا وكَرَمًا ودَهاءً وشجـاعةً وإقدامًا ، وكان يُحِبُّ الفقهاء والفضلاء وأهلَ الخـير وكان له فضلٌ وفَهْمٌ وَذَوْقٌ للشعر والأدب ، وكان يُحِبّ المَديح ويُجيز عليـه بالجوائز السنيَّة . ولصَفِىّ الدين عبد العزيز الحِلى فيه مدائحُ وغُـرَر فى مخلص بعض قصائده — رحمه الله — .

[الكامل]

لم أَشْكُ جَوْرَ الحادِثاتِ ولم أَقُل * حالتْ بِىَ(١) الأيامُ عن حَالاتِهَـا
مالى اعد لهـا مسـاوئَ جمـة * وآلصالحُ السلطانُ من حَسَناتهَـا
مَـلِكٌ تُقِـرُّ له المـلوك بأنه(٢) * إنسـانُ عَيْنَيْهَـا وعينُ حَياتِهـا

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا . وكان الوفاء ثانى عشرين توت . والله أعلم .

* * *

السنة الثانية من ولاية الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر . وهى سنة ست وستين وسبعمائة .

فيها تُوُفّى العلّامة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن أحمـد بن الحسين بن سليمان بن فَزَارة الكَفْرِى (بفتح الكاف) الدِّمَشْقِىّ الحنفىّ قاضى قضاة دِمَشق بها . وكان — رحمه الله — إمامًا بارعًا فى مذهبه ماهرًا فى علم العربيّة بصيرًا بالأحكام ، باشر مدّة طويلة نيابة عن والده . ثم آستقلّ بهـا إلى أن مات ، وكان مشكورَ السِّيرة وأفتى ودرَّس سنين .

(١) كذا فى ديوانه المطبوع فى دمشق سنة ١٢٩٧ . والذى فى الأصل : « حالت بهـا » .
(٢) كذا فى الديوان . والذى فى الأصل : « فإنه » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وتُوُفّى قاضى القضاة زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود الحنفى المعروف بابن السِّراج بالقاهرة فى ذى القعدة عن تسع وستين سنة ودُفِن بتربته[1] خارج باب النصر بالقرب من تربة[2] الصوفية — رحمه الله . وكان فقيها بارعا عالما مُفْتيا يحفظ الهداية فى الفقه ودرّس بالجامع الحاكمى[3] وأعاد بجامع أحمد بن طولون[4] والأشرفية وغيرهما وناب فى القضاء عن قاضى القضاة جمال الدين التُّرْكمانى[5] الحنفى وكان معدودا من الفقهاء العلماء .

وتُوُفّى الخطيب أبو المعالى تقىّ الدين محمد بن الخطيب محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن ناصح الحموى ثم الحلبى الشافعى الشهير بابن القوّاس بحلب عن نيِّف وخمسين سنة — رحمه الله — .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قطب الدين محمد بن محمد[6] الرازى الشافعى الشهير بالقطب التحتانى[7] — رحمه الله . بدمشق عن نيف وستين سنة . كان بحرا فى جميع العلوم لا سيما فى العلوم العقلية وله تصانيف مفيدة ، منها : شرح الشمسية[8] وشرح

(١) بعد بحث طويل لم نوفق إلى مكان هذه التربة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) سيذكر المؤلف وفاته سنة تسع وستين وسبعمائة . (٦) ذكر صاحب الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٤٩ و٣٣٩) روايتين إحداهما توافق رواية الأصلين على أن اسمه «محمد» وبهذه الرواية جزم ابن كثير وابن رافع وابن حبيب . والرواية الأخرى أن اسمه «محمود» وبهذه الرواية جزم الإسنوى . (٧) فى الدرر الكامنة المصدر المتقدّم «وإنما قيل له التحتانى تمييزا له عن قطب آخر كان ساكنا معه بأعلى المدرسة» . (٨) هو متن مختصر فى المنطق لنجم الدين عمر بن على القزوينى المعروف بالكاتبى . وقد شرحه غير واحد ، منهم قطب الدين محمود بن محمد الرازى المذكور وسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ٦٩) .

المطالع[١] والحواشى على كشاف الزمخشرى[٢]، وكانت تصانيفـه أحسن من تصانيف شيخه العلّامة شمس الدين الأصفهانى[٣] — رحمه الله .

وتُوُفِّى ألأمير سيف الدين أُرُنْبُغَا بن عبد الله الكاملى نائب غزّة وكان، أصله من مماليك الملك الكامل شعبان آبن الملك الناصر محمـد بن قلاوون وكان خصيصا عنده إلى الغاية .

وتُوُفِّى الأمير الشريف أبو على الحسن بن محمـد بن الحسن بن علىّ بن الحسن ابن زهرة الحسنىّ الحلبىّ، ولى نقابة الأشراف بحلب بعـد والده — رحمهما الله تعالى — وآستقرّ أمير طبلخاناه بحلب مدّة ثم صُرف عن الوظيفتين ومات بظاهر حلب عن ثلاث وخمسين سنة .

وتُوُفِّى الشيخ شمس الدين محمـد بن عبد الهادى الفُوِّىّ الفقيه الشافعىّ فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى وقد تصدّر للتدريس والإقراء — رحمه الله .

وتُوُفِّى الشيخ شرف الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر المِزِّىّ الدمشقىّ الحريرىّ المحدّث بمصر فى شعبان . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير آسن بغا بن عبد الله من على بك الناصرىّ أحد أمراء الطبلخانات، بعد ما تنقّل فى عدّة أعمال مثل البيرة وطَرَسُوس وغيرهما — رحمه الله .

---

(١) يسمى مطالع الأنوار فى الحكمة والمنطق للقـاضى سراج الدين محمـود بن أبى بكر الأرمـوى المتوفى سـنة ٦٨٩ هـ وهو كتاب اعتنى بشأنه الفضلاء وشرحه قطب الدين محمـد بن محمد الرازى المذكور (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ٤٥٣) . (٢) تقدّمت وفاة الزمخشرى سـنة ٥٣٨ هـ .

(٣) هو محمـود بن أبى القاسم بن محمد الأصبهانى الامام شهاب الدين أبو الثناء، ولد بأصبهان سنة ٦٧٤ هـ وبرع فى فنون العقليات وقدم دمشق فدرس بالرواحية ثم قدم مصر فدرّس بالمعزية وأقام بها الى حين وفاته سنة ٧٤٩ هـ (عن طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٤٧) .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين قارى بن عبد الله الحموى الناصرى الحاجب وهو على نيابة طَرَسُوس وكان من أعيان الأمراء ومن أكابر المماليك الناصرية .

وتُوُفِّىَ الشيخ المعمَّر الرُّحْلة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن ابراهيم بن يعقوب [بن الياس] (١) الأنصارى الخزرجى المَقْدسى البيانى الشاهد، كان أبوه يعرف بابن إمام الصَّخرة وآشتهر هو بالبيانى، ولُد سنة ستّ وثمانين وستمائة فأحضر على زينب بنت مكى فى الثانيــة من عمره وعلى الفخر ابن البخارى فى الثالثه وأسمع على أبى الفضــل بن عساكر وغيره وأجاز له جماعة وحدّث بالكثير، وعُمِّر وصار مُسنِد عصره ورُحلة زمانه وخرّج له الحافظ تقىّ الدين بن رافع (٢) مشيخةً وذيَّل عليها الحافظ زين الدين العراقىّ . وكانت وفاته يوم الآثنين تاسع عشرين ذى القعدة، وآخِرُ من تأخّر ممن سَمِع عليه شيخنا الرُّحلة زين الدين عبد الرحمن الزَّرْكَشىّ الحنبلىّ . رحمه الله تعالى .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المــاء القديم خمسة أذرع وأربعــة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستةَ عشر إصبعا . والله أعلم .

⁂

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة سبع وستين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّىَ الشيخ الإمام العالم العلاّمــة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز آبن قاضى القضاة بدر الدين محمــد بن إبراهيم بن ســعد الله بن جماعة الكِنانىّ الحموى

(١) زيادة عن الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢٩٥) .

(٢) هو تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع بن هجرس (بكسر الهاء وسكون الجيم وكسر الراء) بن محمد ابن شافع بن محمد، ولد فى القعدة سنة أربع وسبعمائة . سيذكره المؤلف فى جمادى الأولى سنة ٧٧٤ هـ .

المصرى الشافعىّ بمكة المشرفة فى يوم الاثنين ثامن عشر [1] جمادى الآخرة، ودُفِن بباب المعـلاة بين الفُضَيل بن عِياض وأبى القاسم القُشَيرىّ [2] ونجم الدين الأصبهـانىّ . ومولده بالعادلية بدمشق فى سنة أربع وتسعين وستمائة — رحمه الله — وكان إماما عالما فاضلا ديِّنا صالحا، سَمِـع بمصر والشام والحجاز وأخذ عن الأبَرْقوهىّ [3] والدِّمياطىّ [4] وغيرهما من الحُفَّاظ وجَمَـع وكتب وحدّث وخَطَب وأفتى ودرّس وتولى القضاء تسعا وعشرين سنة . ثم استعفى وتوجّه إلى مكة مجاورا بها إلى أن مات .

وتُوُفِّى القاضى شهـاب الدين أبو العباس أحمـد بن ابراهيم أيوب العَيْنْتَابىّ الحنفىّ قاضى العسكر بدمَشق — رحمه الله تعالى — وبها كانت وفاته وقد جاوز ستين سـنة ، وكان إماما بارعا فى المـذهب وأفتى ودرّس وشرح مجمـع البحرين فى الفقه فى المذاهب الثلاثة فى عشرة مجلدات وسماه : « المنبع [5] » .

وتُوُفِّى الشيخ الرضىّ شيخ خانقاة بيبرس الجاشَنْكِير [6] فى ليلة الجمعـة حادى عشر شهر رجب ودفن بمقابر الصوفية وتَولّى مكانه الشيخ ضياء الدين [7] العفيفى المعروف بقاضى قِرْم . رحمه الله .

---

(١) فى طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٢٤) أنه توفى عاشر جمادى الآخرة . (٢) هو عبد الكريم ابن هوازن بن عبـد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيرى النيسابورى . تقدّمت وفاته سنة ٤٦٥ (ج ٥ ص ٩١ من هـذه الطبعة) . (٣) هو شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد ابن المؤيد الأبرقوهى تقدّمت وفاته سنة ٧٠١ هـ . (٤) هو شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن ابن أبى خلف بن أبى الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطى الشافعى الحافظ . تقـدّمت وفاته سنة ٧٠٥ هـ . (٥) فى الأصلين . « المقنع » وما أثبتناه عن كشف الظنون والمنهل الصافى (ج ١ ص ٤٩) وهو شرح لمجمع البحرين فى الفقه فى عشرة مجلدات . (٦) تقدّم الكلام عليها فى الحاشية رقم ٦) (ج ٤ ص ٥٠) من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٧) هو ضياء الدين أبو محمـد عبد الله ابن الشيخ سعد الدين سعد العفيفى القزوينى الشافعى الشهير بابن قاضى قرم . سـيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٠ هـ .

وتُوُفِّى السلطان الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى على آبن السلطان الملك المؤيد هِزَبْر الدين داود آبن السلطان الملك المظفر يوسف آبن السلطان الملك المنصور عمر بن نور الدين على رسُول التُّرْكمانىّ الأصل اليمنىّ المولد والمنشأ والوفاة، صاحب اليمن بعَدن — رحمه الله — فى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى من هذه السنة وقيل سنة أربع وستين وولى بعده آبنه الملك الأفضل عباس . ومولد المجاهد هذا فى سنة إحدى وسبعمائة بتَعز ونشأ بها وحَفظ التنبيه فى الفقه وبحثه وتخرّج على المشايخ منهم : الشيخ الإمام العلامة الصاغانىّ، وتأدّب على الشيخ تاج الدين عبد الباقى وغيرهما ، وشارَك فى علوم وكان جيِّد الفهم — رحمه الله — وله ذَوق فى الأدب وله نظم ونثر ، وهذا المجاهد الذى ذكرنا فى ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون (1) أنه أرسل إليه نَجْدةً إلى بلاد اليمن ، لما خَرَج عليه ونازعه الملك الناصر بن الأشرف صاحب زَبيد ، وسُقْنا حكايته هناك مفصلا، وطالت مدّة المجاهد فى مملكة اليمن وفعَل الخيرات وله مآثر : عمر مدرسة عظيمة بتَعز وزيادة أخرى وغير ذلك وعمّر مدرسة بمكة المشرفة بالمسجد الحرام بالجانب اليمانىّ مُشْرِفة على الحَرَم الشريف . وقد آستوعبنا ترجمته فى المنهل الصافى بأطول من هذا إذ هو كتاب تراجم . والله أعلم .

وتُوُفِّى الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف (2) الحنفىّ الفقيه خطيب جامع شَيْخُون (3) وكان من أعيان الفقهاء وله مُشاركةٌ وفضل . رحمه الله تعالى .

---

(1) راجع ص ٧٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد تفصيلا شاملا لهذه النجدة .
(2) فى الأصلين : « ابن المشرف » وتصحيحه عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٧٢) والسلوك للقريزى (ج ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٥٣ ب) .
(3) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وتُوُفِّيَ الأمير سـيف الدين بُطَا بن عبد الله أحدُ أمراء الطبلخانات وقُرِئَ على قبره بعد موته ألُف خَتْمة شريفة بوصيَّته هكذا نَقَل الشيخ تقيّ الدين المَقْرِيزِى . رحمه الله .

وتُوفِّي الشيخ المحدِّث العالِم العلّامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد آبن خلف المنبِجِىّ ثم الدِّمَشْقىّ التاجر . ومولده فى سنة سبع وثمانين وستّمائة ومات فى ذى الحجة . رحمه الله .

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام أحـد فُقَهاء المـالكيّة خليـل بن إسحاق المعروف بابن الجُنْدِى الفقيه المـالكىّ ـــ رحمه الله ـــ فى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأوّل . وكان فقيها مُصنِّفا صَنَّف المُخْتَصر فى فقه المـالكية وغيره .

§ أمر النيل فى هـذه السنة ـــ المـاء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا . والله سبحانه أعلم .

*
* *

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر . وهى سنة ثمـان وستين وسبعمائة .

وفيها كانت وقعـة يلبغا العمرىّ الخاصكى صاحب الكبش(١) ومقتلته وسلطنة آنوك بجزيرة الوسطى ولم يتم أمره ولا عدّ من السّلاطين وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا فى ترجمة الملك الأشرف هذا فلينظر هناك .

وفيها تُوُفِّيَ قاضى القضاة أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن وَهْبان الدمشقىّ الحنفىّ قاضى قضاة حَمَاة وبها تُوفِّى وهو من أبناء الأربعين ـــ رحمه الله ـــ وكان فقيهًا عالمـًا مشكورَ السيرة .

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢٠ ، ١٢١ من الجزء العاشر من هـذه الطبعة ، والحاشية رقم ٣ ص ٣٠٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ١ ص ١٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوفّى الشيخ الإمام العالِم المسلّك العارف بالله تعالى عفيف الدين أبو محمد وقيل أبو السيادة عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فَلَاح اليمانىّ اليافعىّ، نزيل مكة وشيخ الحرم وإمام المسلّكين وشيخ الصوفية فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة المشرفة ودُفِن بالمعلاة بجوار الفُضَيل بن عِياض . ومولده سنة ثمان وستين وستمائة(١) تقريبا وسمع الكثير وبرع فى الفقه والعربية والأصلين واللغة والفرائض والحساب والتصوّف والتسليك، وغير ذلك . وكان له نظم جيّد كثير، دوّن منه ديوان وله تصانيف كثيرة منها: «روض(٢) الرياحين» [فى حكايات(٣) الصالحين] وتاريخ بدأ فيه من أول الهجرة وأشياء غير ذلك، ذكرناها مستوفاة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» وما وقع له مع علماء عصره بسبب قصيدته التى أولها حيث قال فى ذلك : [الطويل]

ويا ليلةً فيها السعادةُ والمُنى * لقد صَغُرتْ فى جنبها ليلةُ القدرِ(٤)

قال : ومن شعره أيضا قصيدته التى أوّلها : [الطويل]

قفا حدِّثانِى فالفؤادُ عليلُ * عسَى منه يُشْفَى بِالحديث غليلُ
أحاديثُ نَجْدٍ علِّلانِى بِذكرِها * فَقَلْبِى إلى نَجْدٍ أراه يَمِيلُ
بِتَذْكَارِ سُعْدى أسْعدانِى فَلَيْس لِى * إلى الصَّبْرِ عنها والسُّلوِّ سبيلُ
ولا تَذْكُرالِى العامِريّةَ إنها * يُولِّهُ عقلِى ذِكْرُها ويُزِيلُ

---

(١) فى الدرر الكامنة (ح ٢ ص ٢٤٨ (أ)) أنه : «ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث» والمنهل الصافى (ح ٢ ص ٢٥٨ (أ)) أنه : «ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة تقريبا» . وانظر ترجمته فى "السلوك (ح ٣ و ٤ ص ٥٨ ب) .

(٢) توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية طبع مصر سنة ١٣٠٧ﻫ تحت رقم [٧٥٢ تصوّف] .

(٣) تكملة عن المصدر المتقدم .

(٤) كفره الصياء الحموى بمطلع هذه القصيدة ونالته ألسنة الناس ونسبوه إلى حب الظهور : وبعض علماء عصره تأول قوله وذكروا لذلك مخرجا .

ومنها المخلص :

أَلَا يا رَسُـولَ ٱللهِ يا أَكْرَمَ الورَى * وَمَنْ جُـودُهُ خير النَّوالِ يُنِيـلُ
ومَنْ كَفُّهُ سَيْحُونُ مِنها وجَيْحُنٌ[1] * ودِجلةُ تَجْـرِى وٱلفراتُ ونيـلُ
مَدَحْتُكَ أَرْجُو منكَ ما أنتَ أهلُه * وأنتَ الذى فى المكْرُماتِ أصـيلُ
فَيـاخَيرَ مَمدوحٍ أَثِبْ شرَّ مادِحٍ * عَطَـا مانحٍ مِنـهُ ٱلجـزاءُ جَزِيلُ

وتُوفِّى الشيخ الإمام العالم المُسلِّك الصوفىّ العارف بالله تعالى المعتقد جَمال الدين أبو المحاسن يوسـف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر [الكردىّ[2]] الكُورانىّ الأصل المصرىّ الدار والوفاة المعروف بالشيخ يوسف العجمىّ بزاويته بقرافة مصر الصُّغرى فى يوم الآثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل وقيل : جمادى الأولى وقيل : يوم الأحد النصف من جُمادى الأولى ودفن بزاويته المذكورة وقبره يُقْصَدُ للزيارة وكان — رحمه الله — شَيْخًا حقيقة ومقتدى طريقة ، كان إمام المُسلِّكين فى عصره وكان على قَـدَم هائل ، كان غالب علماء عصره يقتدون به وكان له أوراد وأذكار هائلة ، انتفع بصحبته جماعة من العلماء والصلحاء والفقهاء وكان لا يأخذه فى الله لومةُ لائم ، مع فضيلة غزيرة ومعرفة تامّـة بالتصوّف وله رسالة سمّـاها « رَيْحان القلوب والتوصّل إلى المحبوب[3] » . وقـد شاع ذكرُ الشيخ يوسف فى الدنيا وأثنى عليه العلماء والصلحاء .

حُكِى أنّ الشيخ يوسف هذا دَخَل مرةً الى الشيخ يحيى بن علىّ بن يحيى الصنافيرى[4] ، فقام إليه الشيخ يحيى وكان لا يلتفت إلى أحد وتَلَقّاهُ وهو يُنْشِد بقوله : [الوافر]

(١) فى الأصل فيه : «جيحون» فترك المدّ هنا ضرورة.

(٢) الزيادة عن المنهل الصافى (ج٣ص٤٥٧ب) .

(٣) هذه الرسالة أولها : الحمد لله مانح عطائه ... الخ . ذكر فيها المؤلف شرائط التوبة ولبس الخرقة وتلقين الذكر. توجد من هذه الرسالة نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية تحت رقمى (١٧٥م) و (١٧٨م) من فهرس التصوّف والأخلاق الدينية .

(٤) سيذكر المؤلف وفاته فى سنة ٧٧٢ هـ .

أَلَم تَعـلمْ بأنّى صَيْرَفِىٌّ * بلوتُ[1] ٱلعالمينَ على مِحَكّى
فمنهم زائفٌ لا خيرَ فِيهِ * ومنهم جائزٌ تجويز شَكِّ
وأنت الخالِصُ الإبريزُ منهم * بتزكيتى وحَسْبُك من أزكّى!

فحصل للشيخ يوسف بهذا الكلام غاية السرور والفرح وكان مع الشيخ يوسف ولده محمد فأقبل عليه الشيخ يحيى وأنشده فقال : [الكامل]

إنّ السَّرِىّ إذا سَرَى فبِنَفسِهِ * وٱبن السَّرِىّ إذا سَرَى أسْرَاهُما

قال : فازداد الشيخ يوسف سرورا على سروره بهذا القول . رحمهما الله تعالى ونفعنا ببركاتهما .

وتُوُفّى الشيخ الإمام الأديب البارع المُفْتَنّ جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبى يحيى عبد الرحيم بن نُباته (بضم النون) الفارقىّ : الأصل الجُذَامى المصرىّ المعروف بابن نُباتة بالقاهرة — رحمه الله تعالى — بالبيمارستان[2] المنصورىّ فى ثامن شهر صفر من السنة المذكورة . ومولده فى مصر فى شهر ربيع الأوّل سنة ست وثمانين وستمائة «بزقاق القناديل»[3] ونشأ بمصر وبرع فى عدّة علوم وفاق أهلَ زمانه فى نظم القَريض وله الشِّعر الرائق والنَّثر الفائق وهو أحدُ من حَذَا حَذْوَ القاضى الفاضل وسلك طريقه وأجاد فيما سلك وكان خطّه فى غاية الحسن وديوان شعره مشهور وقد مدح الملوك والأعيان ورَحَل إلى البلاد وٱنقطع إلى السلطان الملك المؤيّد إسماعيل

---

(١) وردت هذه الأبيات فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤٥٧ ب) رواية توافق هذه الرواية وفى الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٦٣) برواية تختلف عما هنا فى كثير من ألفاظها . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة والحاشية رقم ٣ ص ٢٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

صاحب حَماة وله فيه غُرَرٌ مدائح وكان مع ما آشتمل عليــه من المحاسن قليل الحظ ومن شعره فى المعنى : [الكامل]

أَسَــفِى لِشِعر بارِعٍ نَظَّمْتُهُ[1] * تحتاجُ بهجته لِرِفْــدٍ بارِعِ
دُرٌّ يتيمٌ قــد تَضَوّعَ نَشرُهُ * يامَنْ يرِقُّ على اليتيم الضّائـعِ

ومن شعره أيضا قوله : [السريع]

مُقَبَّــلُ الخــدِّ أدارَ الطِّــلا[2] * فقــالَ لِى فِى حُبِّهــا عائِــبِى
عن أحمرِ المشروبِ ما تنتهى * قلتُ : ولَا عَنْ أخضَرِ الشارِبِ

وله أيضا : [السريع]

وتاجِـــرٍ قلتُ له إذْ رَنَا * رِفقًا بِقلبٍ صَــبْرُهُ خاسرُ
ومُقْلةٍ تَنْهَبُ طِيبَ الكَرَى * مِنهــا عــلى عينِك يا تاجِرُ[3]

وله أيضا : [الكامل]

قَبّلتُــه عِنــد النّــوى فتمرّرَتْ * تلك الحلاوةُ [بالتفرّقِ والجوَى][4]
ولَثَمتُــه عِنـــدَ القُــدُومِ فحبَّــذَا * رُطَبُ الشِّفــاهِ السُّكَّرِىُّ بلا نَوَى

وله : أيضا — عفا الله عنه — [البسيط]

أَهْلًا بِطَيفٍ على الجرعاءِ مختلِسِ * والفجرُ فِى سَحَــرٍ كالثّغرِ فى لَعَسِ
والنّجمُ فى الأُفُقِ الغَرْبِىِّ منحدِرٌ * كَشُعْلةٍ سقطت من كَفِّ مُقْتَبِسِ
ياحَبَّــذَا زَمَنُ الجَــرْعاءِ مِن زَمَنٍ * كُلُّ الليالى فِيــهِ ليــلةُ العُــرُسِ

(١) رواية ديوانه المطبوع فى مصر ســنة ١٣٢٣ هـ — ١٩١٠ م تحت رقم ١٩١ أدب : « لهفى ... ... الخ » . (٢) ورد هذان البيتان فى ديوانه المقدم ذكره برواية تختلف عما هنا فى بعض ألفاظها . (٣) رواية الديوان : « ... ... حائر » . (٤) التكلة عن ديوانه .

وحبَّذا ٱلعيشُ معْ هَيْفاءَ لو ظَهرتْ[1] * للبــدْرِ لم يَزُهُ أو للغُصْنِ لم يَمِسِ
خَوْدٌ لها مِثْل مافِى ٱلظَّبْى مِنْ مَلَحٍ[2] * ولَيْسَ للظَّبْى ما فِيها مِن ٱلأَنَسِ
محـروسةٌ بِشــعاعِ ٱلبِيضِ ملتمعًا * ونورُ ذاكَ ٱلْمُحَيَّـا آيةُ ٱلحـرَسِ
يَسْعَى ورَا لَحْظِها قلبِى ومِنْ عَجَبٍ * سَــعْىُ ٱلطَّرِيدةِ فى آثارِ مُفْتَرِسِ
لَيْتَ ٱلعذولَ على مرْأى محَاسِنِها[3] * أوْ كان ثَنَّى عَمَى عَيْنَيْه بِٱلخَــرَسِ

وقد ٱستوعبنا من شعره وأحواله نبذة كبيرة فى المنهل الصافى . انتهى والله أعلم .

وتُوفِّى الوزير الصَّاحب فخـر الدين ماجد بن قَرَوِينَة القبطىّ المصرى تحت العقوبة ، بعد أن أُحرقت أصابعه بالنار ، وكان ـــ رحمه الله ـــ وزيرا عارفا مكينا عفيفا رزينـا ذا حُرْمَة ونهضــة ، لم يَلِ الوزارة فى الدولة التركية من يشابهه ؛ عَمَّر فى أيام وزارته بيوت الأموال بالذهب والفضة ، وترك بالأهراء مُغَلَّ ثلاث سنين و بعض الرابعة ، وذلك فوق ثلاثمائة ألف إردبّ . و بالبلاد مُغَلّ سنتين ، بعـد ما كان يقوم بالكُلَف السلطانية وكُلفة الأتابَك يلبغا العمرىّ الخاصّكى و بعد هــذا كله كان يحمل إلى الخزانة الشريفة فى كل شهر ستين ألف دينار، وكان فيه محاسنُ كثيرة ، غيرَ أنه كانت نفسُه نفسًا شامخةً ، وفيه تَهَكُّم على الناس مع تكبُّر ، هذا مع الكرم الزائد والإحسان للناس وقلّة الظلم بالنسبة إلى غيره ، رحمه الله تعالى ؛ والله أعلم .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين دَرُوط ابن أخى الحـاج آل مَلَك ، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وحاجبًا ثانيا بها .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين آقْبُغا بن عبـد الله الصَّفَوِى أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية وأمير آخور وكان ـــ رحمه الله ـــ من أعيان الأمراء .

---

(١) رواية ديوانه المطبوع فى مصر سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ص ٢٦٣ : « لو برزت » .
(٢) الملح بالتحريك : بياض يخالطه سواد ، وهو مما توصف به الظباء . (٣) هذه الأبيات من قصيدة له واردة فى ديوانه المطبوع فى مصر المحفوظ بدار الكتب المصرية وعدد أبياتها تفوق ثلاثين بيتا . تحت رقم [١٩١٠ أدب] .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين آقبُغا بن عبد الله الأحمدى اليَلْبُغاوى المعروف بالجَلَب فى أواخر السنة المذكورة وهو مسجون بثغر الإسكندرية، من جُرْح أصابه فى شهر ذى القَعْدة، وقد تقدّم ذكْره فى عِدّة مواطن . والله أعلم .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبــد الله العِزّى أحد أمراء الطبلخانات فى يوم الآثنين رابع شهر ربيع الآخر، وكان مُثيرًا للفتن .

وتُوُفّى القاضى بهــاء الدين حسن بن سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن رَيّان ناظر الجيش بحلب فى دِمَشق عن ثمان وستين سنة، وكان رئيساً نبيلاً كاتبا بارعا ، وَلِىَ عِدّة وظائف، وله نظمٌ ونثرٌ، ومن شِعره — رحمه الله تعالى — [الرجز]

نحنُ الموقّعــون فِى وظــائِف * قلوبُنا مِن أجْلِها فِى حَرَق
قِسْمَتُنَا فِى الكُتْبِ لا فِى غيرِها * وقطْعُنــا ووصــلُنا فى الوَرَق

وتُوُفّى القــاضى تقىّ الدين محمــد بن محمد بن عيسى بن محمود[1] بن عبد اللطيف[2] البَعْلَبكى الشافعى الشهير بابن المجد — رحمه الله — كان فقيها فاضلا وَلِىَ قضاء طرابلس وغيرها .

وقد تقدم أنّ يَلْبُغا العُمَرى قُتِل فى هذه السنة، انتهى، والله أعلم .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المــاء القديم ســتة أذرع وثلاثة أصــابع . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وستة أصابع .

* * *

السنة الخامسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب الترجمة على مصر، وهى سنة تسع وستين وسبعمائة .

---
(١) فى الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٠٦) : « ابن محمد » .
(٢) فى السلوك (ج ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٥٨ ب) : (ابن عبد المنصف) .

فيها كانت الوقعة بين الملك الأشرف صاحب الترجمة وبين الأتابك أسندمر الزينى الناصرى وانتصر الأشرف حسب ما تقدّم ذكره .

وفيها توفّى العلّامة قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين على ابن العلامة فخر الدين عثمان بن إبراهيم[1] بن مصطفى بن سليمان الحنفىّ المارديني، الشهير بابن التّركمانىّ بالقاهرة، فى ليلة الجمعة حادى عشر شهر شعبان ودفن بتربة والده خارج باب النصر من القاهرة وتولّى بعده القضاء العلّامة سراج الدين عمر الهندى . ومولده فى سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وقيل سنة خمس عشرة وسبعمائة . وتفقّه على والده وغيره، حتى برع فى الفقه والأصول والعربية وشارك فى فنون كثيرة، وكان من جملة محفوظاته «الهداية فى الفقه» حتى إنه كان يمليها فى دروسه من صدره، وكمّل شرح أبيه لها، وتولّى القضاء بعد وفاة أبيه وباشر القضاء بعفّة وحشمة ورئاسة وتصدّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين فى حياة والده الى أن مات . وكان له عبادة وأوراد هائلة ومحاسن كثيرة . رحمه الله تعالى .

وتوفّى قاضى القضاة موفّق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الباقى الحجّاوى[2] المقدسىّ الحنبلىّ قاضى قضاة الديار المصرية بعد أن حكم بها ثلاثين سنة — رحمه الله تعالى — وتولّى بعده القاضى ناصر الدين نصر الله العسقلانى الحنبلىّ . وكان موفّق الدين مشكور السيرة جميل الطريقة .

---

(١) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٦٨ (« أ ») : «عثمان بن مصطفى بن ابراهيم ... الخ» . وفى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٧٦) أنه مات مطعونا فى شهر رمضان .

(٢) ورد فى شذرات الذهب وطبقات الحنابلة (ص ٦٣) ما نصه : « الحجاوى » وهى الرواية الصحيحة . وفى السلوك : « الحجازى » .

وتُوُفّى قاضى القضاة جمال الدين يوسف[(١)] بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى المقدسى الحنبلىّ قاضى قضاة دِمَشق بها عن نيِّف وسبعين سنة ، مصروفا عن القضاء — رحمه الله تعالى —

وتُوُفِّى قاضى قضاة طرابلس[(٢)] شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ تقى الدين عبد الله الشِّبْلىّ الدمَشقىّ الحنفىّ وهـو من أبناء السبعين — رحمـه الله — وكان عالمـا دِيّنا مجاهدا مُرابطًا يَلبَسُ السّلاح فى سبيل الله ويَغْزُو وسَمِـع الكثير وجمع وألّف وأفتى ودرّس وآنتفع الناس به وباشر الحكم خمس عشرة سنة . رحمه الله .

وتُوُفّى قاضى قُضاة حلب[(٣)] صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدّميرى المـالكى — رحمـه الله — عن نيِّف وسبعين سـنة . وكان فقيها فاضلا مشكورَ السِّـيرة .

وتُوُفِّى الشيخ العـلّامة[(٤)] قاضى القضاة بَهاء الدين أبومحمد عبدالله بن عبد الرحمن ابن عَقِيل المصرى الشافعىّ قاضى قضاة الديار المصريّة وفقيه الشافعية — تغمّده الله برحمته — بالقاهرة فى ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأوّل ودُفِن بالقرافة بالقرب من قُبّـة الإمام الشافعىّ[(٥)] — رضى الله عنـه — ومولده فى المحرّم سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة . ونَسَبُه يتّصل إلى عَقِيل بن أبى طالب رضى الله عنه .

---

(١) فى الأصلين والسلوك (ج٣و٤ قسم أوّل (ص ٦٤ ب) : «جمال الدين أبو محمد عبد الله ... الخ» وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج٣ ص ٤٦٤) وطبقات الحنابلة (طبع دمشق سنة ١٣٣٩ ص ٦٣) وشـذرات الذهب (ج ٦ ص ٢١٧) .

(٢) انظر ترجمتـه فى المنهل الصافى (ج٣ص ١٩١ب) وفى الدرر الكامنة (ج٣ص ٤٨٧) وفى السلوك (ج ٣و ٤ ص ٦٤ ب قسم أوّل) .

(٣) راجـع ترجمة له فى السـلوك (ج ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٦٣ ب) والدرر الكامنـة (ج ١ ص ١٧٢) .

(٤) عقد له المؤلف فى المنهل الصافى ترجمة صافية كلها محاسن وطرف وذكر شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ، منها شرح الألفية لابن مالك ، توجد منه عدّة نسخ مخطوطة ومطبوعة بأرقام مختلفة محفوظة بدار الكتب المصرية .

(٥) يريد بها قرافة الإمام الشافعى المسماة بالقرافة الصغرى .

ونشأ بالقاهرة . وقرأ على علماء عصره وبَرَع فى علوم كثيرة وصَنَّف التصانيف المفيدةَ فى الفقه والعربيّة والتفسير ، منها « شرح الألْفيّة » لابن مالك و«شرح التسهيل»[(١)] أيضا وباشر قضاء الديار المصريّة مدّة يسيرة وباشر التداريس الجليلة والمناصب الشريفة ، وكَتَب إليه قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السّبكى[(٢)] من دِمَشق يقول:

[الطويل]

تَقَضَّت شهورٌ بالبِعادِ وأحوالُ * جَرَت بعدكُم فيها أمورٌ وأحوالُ

فإنْ يَسر آلله التّلاقِى ذكرتُها * وإلا فَلِى فى هذهِ الأرضِ أمثالُ

وتُوُفِّى الشيخ عِزّ الدين أبو يَعْلَى حمزة بن قُطْب الدين موسى بن ضياء الدين أحمد بن الحسين[(٣)] الدِّمَشْقى الحنبلى الشهير بآبن شيخ السلامية بدمشق وقد جاوز ستين سنة وكان — رحمه الله — إماما عالما فاضلا كتب على « المنتقى[(٤)] » .

وتُوُفِّى الإمام العالم شهاب الدين أحمد[(٥)] بن لُؤْلُؤ الشهير بابن النَّقِيب المصرى الشافعى فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان وكان — رحمه الله — مُفْتَنًّا فى علوم وله مصنَّفات ونَظْمٌ حسن .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام المحدّث صلاح الدين عبد الله آبن المحدّث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم[(٦)] بن أحمد بن سعيد الصالحى الحنفى الشهير بابن المهندس

---

(١) هذا الشرح يسمى « المساعد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٦٥ نحو] . (٢) هو بهاء الدين أبو البقاء محمد آبن قاضى القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين يحيى السبكى الأنصارى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٧ هـ .

(٣) فى الأصلين : « الحسن » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٥٠ (أ)) والسلوك ج ٣ و ٤ قسم أول ص ٦٤ (أ) والدرر الكامنة ج ٢ ص ٧٧) . (٤) هو شرح أحكام المنتقى للمجد بن تيمية ولم يكمل . انظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٧٧) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٥٠ (أ)) .

(٥) انظره فى الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٣٩) . (٦) فى الأصلين : « ابن غنام » وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص (أ)) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٧٠ (ب)) والدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٨٢) .

ـــ رحمه الله تعالى ـــ بحَلَب عن نيفٍّ وسبعين سنة . وكان مُحَدِّثا مُسْنِدًا سَمِع الكثير بمصر والشام والحجاز والعراق وكَتَب وحدّث وحجّ غيرَ مرّة وطاف البلادَ ثم ٱستوطن حلب إلى أن مات . رحمه الله .

وتُوُفِّيَ القاضي علاء الدين علىّ(١) ٱبن القاضى مُحْيِي الدين يَحْيى بن فضل الله القُرَشى العُمَرِى كاتب السِّر الشريف بالديار المصريّة بالقاهرة فى ليلة الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان عن سبع وخمسين ســنة . وكان قبل موته نزل عن وظيفــة كتابة السِّر لولده بدر الدين محمــد فتمَّ أمرُه من بعده . وكان القاضى علاء الدين ـــ رحمه الله تعالى ـــ إماماً فى فَنِّه كاتبا عاقلًا طالت أيّامُــه فى السعادة حتَّى إنه باشر وظيفــة كتابة السِّر نيِّفا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطاناً من بنى قلاوون . استوعبنا ذلك كلَّه فى « المنهل الصافى » .

قلتُ : ولا أعلم أحدًا وَلِى كتابةَ السِّر هذه المدّة الطويلة من قبله ولا من بعده سِوى العلّامة القاضى كمال الدين محمد بن البَارِزِى ـــ رحمه الله ـــ فإنّه وَلِيها أيضا نحواً من ثلاث وثلاثين ســنة على أنه عُزِلَ منها غير مَرّة وتعطَّل سنين، كما سيأتى ذكرُه فى ترجمته إذا وصَلْنا إليه ـــ إن شاء الله تعالى ـــ وكان للقاضى علاء الدين ـــ رحمه الله ـــ نظمٌ ونثرٌ وترسُّلٌ و إنشاءٌ ومن شعره : [البسيط]

بَانَ ٱلحِمَى لم يَمَس مِن بَعْـدِ بُعْدِكُمُ * ولا تغنَّتْ بِهِ وَرْقــاؤُه طَــرَبَا
ياجِـــيرةً خَلَّفــونِى فِى دِيارهــمُ * أُجرِى ٱلدمــوعَ على آثارِهِم سُحُبَا
قــد كانَ يَحْــزُنُنِى واشٍ يُراقِبُــنِى * وٱليومَ يَحْــزُنُنِى أن ليس لِى رُقَبَا

وتُوُفى الأمير علاء الدين طَيْبُغا بن عبــد الله الناصرى المعروف بالطويل نائب حلب بها فى يوم السبت وقت الظهر سَلْخ شوّال ودُفِن خارج باب المقام وقيل :

(١) انظره فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٣٨) والمنهل (ج ٢ ص ٤٥٦ (ب)) .

إنه سُمّ ، لأنّه كان أراد الخروج عن الطاعة، فعاجلته المنيّةُ ، وقد تقدّم ذكره مع خُشْدَاشه يَلْبغَا العُمَرى الخاصّكى وماوَقع له معه فى ترجمة الملك الناصر حسن وكيفيّة خروجه مِن الديار المصرية والقبضُ عليه فلا حاجةَ للإعادة هاهنا .

وتُوُفّى الأتابك سيفُ الدين أَسَنْدَمُر بن عبد الله الناصرىّ صاحب الوقعة مع الملك الأشرف شعبان محبوسًا بثغر الإسكندريّة فى شهر رمضان وقد تقدّم أيضا ذكرُ واقعته مفصّلا فى ترجمة الملك الأشرف .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قنق بن عبد الله العِزّى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة ؛ نسأل الله تعالى حسن الخاتمة بمحمد وآله . وخبرُه أنه كان قد عَصَى مع أَسَنْدَمُر الناصرى المقدّم ذكره، ركب معه من جملة اليلبغاويّة، فلما آنكسرت اليلبغاويّة ساق قنق هذا فرسه إلى بِرْكة(١) الحبش ونزل بشاطئ البركة وبَقِى يشرب الماء ويَسْتَفّ الرمل إلى أن مات ، فآنظر إلى هذا الجاهل وما فعل فى نفسه .

وتُوُفّى السلطان الملك المنصور أحمد آبن الملك الصالح صالح آبن الملك المنصور غازى بن قَرَا أَرْسلان بن أُرْتُق الأُرْتُقِى صاحب مَارِدِين(٢) بها وقد جاوز الستين سنة من العمر وكانت مدّةُ مُلْكه ثلاثَ سنين ، وكان صاحب همّة عليّة وحرمة سنية . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السُّكّرى — رحمه الله — وكان فاضلًا عالمًا ودرّس وبَرَع — رحمه الله — وفيه يقول آبن نُبَاتة : [السريع]

سألتُه فى خَدِّهِ قُبْلَةً * فقال قولًا لَيس بالمُنْكَرِ
عليك بالصبر ومَنْ ذا آلذى * ينفعُه الصبرُ عن آلسُّكَّرِى

(١) راجع الأستدراك الوارد فى ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذ الطبعة .

وتُوُفِّى الأمــير علاء الدين أَلْطُنْبُغا بن عبــد الله البَشْتكى نائب غَزّة وأســتادار السلطان كان فى رابع[1] عشر شعبان .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين باكيش بن عبد الله اليَلْبُغَاوىّ الحاجب فى صــفر، وكان من رءوس الفِتَن وممّن قام على أستاذه يَلْبُغَا .

وتُوُفِّى الأمير ســيف الدين بيليك بن عبــد الله الفقيه الزرّاق ، أحد مقــدّمى الألوف بالديار المصرية — رحمه الله تعالى — كان فاضلا فقيهًا ويكْتُب المنسوب وعنده مشاركة فى فنون .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين تُلكْتَمُر بن عبد الله المحمدى الخازندار أحد أمراء الألوف بالديار المصرية مسجونا بثغر الإسكندرية . وكان ممن قام مع أَسَنْدَمُر الناصرى .

وتُوُفِّى الأمير ســيف الدين جُرْجى بن عبد الله الإدريسىّ الأمير آخور ثم نائب حلب وهو بدِمَشق . وكان من أجلّ الأمراء وتنقّــل فى عِدّة وظائف وولايات — رحمه الله تعالى — .

وتُوُفِّى الأمير ســيف الدين جَرْقُطْلُو[2] بن عبد الله أمير جانْدَار فى صفر وكان من الأشرار .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا سواء . والله أعلم .

*
* *

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حُسين على مصر وهى سنة سبعين وسبعمائة .

(١) كذا فى الأصلين . وفى السلوك (ح ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٦٤ (أ)) : « كان فى رابع عشرين ... الخ » .
(٢) فى السلوك «ج ٣ و ٤ قسم ١ ص ٦٤ (أ) » : « بجوقطلو ... الخ» .

وفيها تُوُفِّى الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد الشَّرِيشِىّ البكرىّ الوائلىّ الدِّمشقى الشافعى بدِمَشْق عن ستّ وأربعين سنة — رحمه الله — وكان عالما فاضلا فقيها درّس بالإقبالية (١) بدمشق إلى أن مات .

وفيها تُوُفِّى قاضى القُضاة (٢) جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القُونَوِىّ الحنفى قاضى قضاة دِمَشق بها عن ستّ وسبعين سنة وكان — رحمه الله — من العلماء الأماثل، كان رَأْسًا فى الفقهاء الحنفية، بارعا فى الأصول والفروع ودَرّس بدمشق بعدّة مدارس وأفتى وجَمَع وأَلَّف — رحمه الله تعالى — .

وتُوُفِّى القاضى شمس (٣) الدين محمد بن خَلَف بن كامل الغَزِّى الشافعىّ بدِمَشْق عن بضع وخمسين سنة . وكان عالمًا، درّس بدمشق وأفتى و باشر بها نيابة الحكم إلى أن مات — رحمه الله تعالى — .

وتُوُفِّى الطواشى ناصر الدين شفيع بن عبد الله الفُوِّىّ نائب مقدّم المماليك السلطانيّة فى يوم الأحد ثامن شعبان وكان من أعيان الخُدَّام وطالت أيامُه فى السعادة .

---

(١) هى داخل باب الفرج والفراديس ، شمالى الجامع والظاهرية الجوانية وشرقى الجاروخية وغربى التقوية، أنشأها جمال الدولة إقبال خادم الملك ، درّس بها جلة من العلماء منهم : بدر الدين بن خلكان ثم شمس الدين بن خلكان ثم تاج الدين المراغى ثم علاء الدين القونوى ثم الكمال الشريشى ثم ولده بدر الدين هذا وغير هؤلاء من أفاضل المدرّسين . راجع الكلام عليها فى مختصر تنبيه الطالب و إرشاد الدارس فى أخبار المدارس — احتصار عبد الباسط العلوى الدمشق ص ٨ .

(٢) انظره فى الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٢٢) والمنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٣٨ (ب)) .

(٣) ترجم له صاحب الدرر الكامنة ترجمة لا بأس بها (ج ٣ ص ٤٣٢) .

وتوفّى الأمير سـيف الدين أَرْغُون (١) بن عبـد الله بن غلبك الأزقى رأس نَوْبة النُّوَب بالديار المصريّة فى العشر الأوّل (٢) من جمادى الآخرة . وكان من أعيان الأمراء وهو أحد من ثار على يَلْبُغا .

وتوفّى الأمير صلاح الدين خَليل (٣) بن أمير على آبن الأمير الكبير سَلّار المنصورى وكان أَحَدَ أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة وهو أحد من رَكِبَ مع الأَتَابَك أَسَنْدَمُر .

وتوفّى الأمير ناصرالدين محمد بن طُقْبُغَا الناصرى أحد أمراء الطبلخانات أيضا .

وتوفّى الأمير صارم الدين إبراهيم آبن الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى وكان أيضا من أمراء الطبلخانات وله وجَاهةٌ فى الدولة، وفيه شجاعةٌ و إقدام ودُفِن بمدرسة (٤) أبيه . رحمه الله تعالى .

وتوفّى الأديب المَوّال شهاب الدين أحمـد بن محمد (٥) بن أحمـد المعروف بالفار الشِّطْرَنْجى العالية، وكان بارعًا فى المَوَالِيَا وله شِعرٌ جيِّد وكان ماهرا فى الشِّطْرَنْج .

وتوفّى الأمير سيف الدين قَشْتَمُر بن عبد الله المنصورى نائب حلب بها مقتولا بيد العرب فى وقعة كانت بينه و بينهم على تَلّ (٦) السلطان وقُتِل معه ولدُه، وقد تقدّم

(١) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ قسم أ ص ٦٧ (ب)) : « الأمير أرغون على بك ... الخ » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « فى أوّل جمادى الآخرة ... الخ » .

(٣) انظره فى السلوك المصدر المتقدّم . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة . (٥) فى الأصل « م » كلمة محمد مكررة مرتين ، وما أثبتناه عن الأصل « ف » والدرر الكامنة والمنهل الصافى (ج ١ ص ١١٥ (ب)) .

(٦) هـو موضع بينه و بين حلب مرحلة نحو دمشق وفيـه خان ومنزل للقوافل وهو المعـروف بالفنيدق ، كانت به وقعـة بين صلاح الدين يوسف بن أيوب وسـيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل سنة ٥٧١ هـ فى عاشر شوّال (عن معجم البلدان لياقوت) .

أنّ قشتمر هـذا وَلِىَ نيابة طرابُلُس ونيابة دِمَشْق ونيابة السلطنة بالديار المصريّة . ثم أُخْرِج من مصر إلى نيابة حلب فلم تَطُل مدّته على نيابة حلب وقُتِل — رحمه الله — وكان شجاعا مقـداما عارفا عاقلا مدبِّرا سَـيُوسًا دَبَّر أمْرَ السلطنة سنين وحمـدت سِـيرتُه .

وتُوُفِّى القاضى عِمـاد الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سـليمان الشهـير بالشـيرجى بدمشق . كان ولى حسـبة دمشق ونظر خزائنهـا وكان له ثروة ولديه فضيلة وعنده سياسة .

وتُوُفِّى الأمير سـيف الدين آقتمر بن عبد الله مِنْ عبـد الغنى الصغير فى شهر رمضان، وآقتمر هذا غيرُ الأمير الكبير آقتمر عبد الغنى وكان آقتمر هـذا من جملة أمراء الطبلخانات . والله أعلم .

وتُوُفِّى السلطان صاحب تُونُس وما والاها من بلاد الغرب أبو إسحاق إبراهيم ابن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى فى العشرين من شهر رجب بعـد ما مَلَك تسـع عشرة سنة — رحمـه الله — وكان من أجلِّ ملوك الغرب، كان شجاعا وله مواقف وفتوحات هائلة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة أصابع . والله أعلم .

***

السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شـعبان بن حسين على مصر وهى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّى(١) قاضى القضاة شرف الدين أبو العبّاس أحمد ٱبن الشيخ شرف الدين حسن بن الخطيب شرف الدين أبى بكر عبد الله ٱبن الشيخ أبى عُمر محمد بن أحمد ابن محمد بن قُدامة الشهير بٱبن قاضى الجبل الحنبلىّ المقدسىّ الصالحىّ قاضى قضاة دِمَشْق بها فى ثالث عشر شهر رجب عن ثمانٍ وسبعين سنة — رحمه الله — وكان إمامًا عظيمَ القَدْر ٱنتهت إليه رياسة مذهبه، وكان صحب ٱبن تَيْمِيّة وسَمِع منه وتفقّه به وبغيره، وفى هذا المعنى يقول : [الوافر]

نَبِيِّى أحمـــدٌ وكـذا إمامِى * وشَيْخِى أحمـدٌ(٢) كالبحرِ طامِى

واسمى أحمـــدٌ أرجو بِهــذا(٣) * شـفاعةَ سـيّد الرسْـلِ الكِرامِ

وتُوُفِّى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ٱبن قاضى القضاة تَقِىّ الدين علىّ ابن عبد الكافى بن علىّ بن تَمّام بن يوسف بن موسى بن تَمّـام الأنصارىّ السلمِىّ السُّبْكِىّ الشافعىّ قاضى قضاة دِمَشق بها، فى عصر يوم الثلاثاء(٤) سابع شهر ذى الحِجّـة ودُفِن بسَفْح قَاسيون(٥). تغمّده الله برحمته عن أربع وأربعين سنة. وكان إمامًا بارعًا مُفَنَّنًا فى سائر العـلوم وله تصانيفُ شَتّى : منها « شرح المِنْهاج(٦) » فى الفقه للنَوَوىّ

---

(١) عقد له صاحب مختصر طبقات الحنابلة جميل الشطى ترجمة ذكر فيها شيوخه والمناصب التى ولاها وبعض أبيات من شعره . (٢) يريد به شيخ الإسلام أحمد بن تيمية انظره فى النجوم الزاهرة الجزء التاسع ص ٢٧١ من هذه الطبعة . (٣) رواية هذا المصراع فى المصدر المتقدم : «وبذاك أرجو» ارجع إلى طبقات الحنابلة ص ٦٣ (٤) فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٤٢٨) أنه مات ليلة الثلاثاء . (٥) قاسيون جبل شمالى دمشق يطل عليها . وفى عصر نور الدين الأتابكى هاجرت طائفـة من المقادسة هربا من إرهاق الصليبيين لهم فسكنوا هذا الجبل وبنوا فيه دورا ومساكن فأصبح إحدى ضواحى دمشق التى لها مقبرة لا أنه مقبرة . (٦) يسمى مختصر المحرر فى فروع الشافعية وقد شرحه جلة من العلماء الشافعيـة فى عصور مختلفة منهم قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكى وغيره .

«وشَرْح مختصر آبن الحاجب»[٢] ومِنْهاج البَيْضَاوِى»[١]، وغير ذلك ودَرّس «بالعادليّة»[٢] و «والغزاليّــة»[٣] و «الأمينيّة»[٤] و «النــاصريّة»[٥] و «دار الحديث الأشرفيّة»[٦] «والشاميــة البرانيّة»[٧] وباشرقضاءَ دِمَشق أربعَ مرّات وخَطَب بالجامع الأُمَوِى، وقَدِم القاهرة وتَوَلّى مكانَه أخوه أبو حامد بهاء الدين وآستقرّ تاجُ الدين هذا مكانَ أخيه أبى حامد المذكور فى تدريس «الشّيْخونية»[٨] بمصر، وقيل: إنه كان أفقه من أخيه أبى حامد المذكور.

وتُوُفِّى قاضى القضاة جمــال الدين أبو عبــد الله محمــد آبن الشيخ زين الدين عبــد الرحيم بن على بن عبــد الملك المسلّاتى السُّلَمِى قاضى قضاة دِمَشق بالقاهرة

---

(١) هو منهاج الوصول إلى علم الأصول لناصر الدين البيضاوى. (٢) هى المدرسة العادلية أنشأها أوّلا نور الدين الشهيد ثم العادل سيف الدين ثم ولده المعظم ووقف عليها الأوقاف، درس بها جلة من العلماء (انظر تنبيه مختصر الطالب رقم ١٦). (٣) هى بالجامع الأموى شمالى مشهد عثمان، وكانت أوّلا تعرف بالشيخ نصر المقــدسى ثم الإمام أبى حامد الغزالى وقف الامام الناصر، قرية على من يشتغل بها فى العلوم الشرعية وعلى من يدرس بها من الشافعية درس بها جلة من العلماء منهم الشيخ نصر المقدسى وجمال الدين الدولعى ثم عز الدين بن عبد السلام وغيرهم. (٤) موقعها قبلى باب الزيادة من أبواب الجامع الأموى المسمى قديما بباب الساعات وهى أوّل مدرسة بنيت بدمشق للشافعية، بناها أتابك العساكر بدمشق أمين الدولة ربيع الاسلام أمين الدين كستكين بن عبد الله السفتيكى. (٥) أنشأها الملك الناصر يوسف آبن الملك العزيز بن صلاح الدين بن أيوب، درس بها جلة من العلماء منهم تاج الدين هذا.

(٦) هى بسفح جبل قاسيون، بناها الملك المظفر موسى العادل. (٧) هذه المدرسة بمحلة العينية إنشاء ست الشام آبنة نجم الدين أيوب بن شادى وهذه المدرسة تعرف بالحسامية لأنه دفن حسام الدين ابنها بها عند والدته فى القبر الثالث الذى يلى مكان الدرس وفى الذى يليه زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أســد الدين شيركوه. انظر مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس ص ١٢

(٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

وهو من أبناء السبعين سنة وكان — رحمه الله — عالمـا فاضلا سَمِـع بالإسكندرية[1] ومصر والشام وأخَذ عن القُونَوِىّ وأبى[2] حيَّان وغيرهما وولى نيابة الحكم بدِمَشْق . ثم آستقلّ بالقضاء أكثَرَ من عشرين سنة .

وتُوُفِّىَ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المَـارِدِينى الشهير بابن خطيب المَوْصِل — رحمه الله — مات بحَمَاة وهو من أبناء الستين سنة . وكان أديبا فاضــلا ، كان يَتَنقَّل فى البـلاد وكان يكتب المنسوب وله مشاركة .

ومن شعره : [المتقارب]

لِيَهْنِـكَ ما نِلتَ مِن مَنْصِبٍ * شرِيفٍ له كنتَ مُسْـتوجِبَا
وما حسنٌ أن تُهـنَّى بِهِ * ولكن نُهَنِّى بك ٱلمَنْصِبَا

وتُوُفِّىَ الأمـير ناصر الدين محمـد آبن الأمير تَنْكِز الحسامى الناصرى نائب الشام ، كان أحَد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وله وجاهةٌ فى الدولة . رحمه الله .

وتُوُفِّىَ الـوزير الصاحب شمس الدين موسى بن أبى إسحاق عبـد الوهاب بن عبـد الكريم القِبْطى المصرى ، أسـلم أبوه وتولّى نَظَـر الجيش والخـاصّ بعـد كريم الدين الكبير وآستناب آبنَه هذا وكان يوم ذاك ناظر الخزانة الشريفة . فلمّـا مات أبوه فى سـنة إحدى وثلاثين وسبعمائة آستقرّ مكانه فى نظر الخـاصّ ، فباشر فيه مـدّة وصُرِف بالنشو وآستقرّ فى نظر الجيش عِوضًا عن الفخر ، فلم تَطُل مدّتُه وأُمْسِك بسعى النَّشْو وسُـلِّم هو وأخوه علَمَ الدين ناظر الدولة إلى النَّشْـو ،

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من هذا الجزء .

(٢) هو أثير الدين أبو حيان محمـد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى ، تقدمت وفاته سنة ٧٤٥

فأوقع الحَوْطَة على موجودهما ، فوجد لها مالا يُوصف : من ذلك أربعمائة سراويل لزوجته وآستقرّ عِوَضه فى نظر الجيش مَكين الدين إبراهيم بن قَرَوينة وآستمرّ موسى فى المصادرة وأُجْرِى عليه العذابُ ألواناً ، وأمْرُه أعجب من العجب وهو أنه كان قبل مُصادرته نحيفَ البَدَن قليلَ الأكل ، لا يزال سَقِيما بالرَّبْو وضِيق النَّفَس ، لزمه الحمّى الصّالبة(١) ، فلا يَبرح مُحْتَميا ويَلْبَس الفِراء(٢) شتاء وصيفا ، فَبَنَى له أبوه بيتا فى الروضة ووكَّل به الأطباء ، يدبِّرون له الأغذية الصالحة ويعالجونه وهو على ما هو عليه إلى أن قُبِض عليه وصُودِر وسُلِّم لوالى القاهرة ناصر الدين محمد بن الحسنى . ثم نُقِـل إلى لؤلؤ شادّ الدواوين وكان النَّشْوُ يُغريهما على قتله ، فضَمِن لؤلؤ للنشو قتلَه ، فضرَبه أوّل يوم مائتى شِيب(٣) وسعَطه(٤) بالمـاء والمِلْح وبالخَل والجير حتى قَوِى عنده أنه مات فأصبح سَوِيّا ، فضرَبه بعد ذلك حتى أعياه أمرُه ، وعقَّد(٥) له المِقْرَعة التى يضرب به بهـا ، فكانت إذا نزلت على جَنْبه تُنْقِبـه ، فكان يضربه بتلك المقرعة حتى يقولوا : مات فيُصْبح فيعيدون عليه العذَاب والتَّسْعيط ، فصار يُقيم اليوم واليومين والثلاثة لا يُمَكَّن فيهـا من أكل ولا شرب . وكانوا إذا عاقبوه وفَرَغُوا رَمَوْه عُرْيانا فى قوّة الشتاء على البلاط فيتمرّغُ عليه بجسده وهو لا يَعِى من شدّة الضرب والعقوبة ، كل ذلك والنَّشو يَسْتَحِثُّ على قتـله . ثم عَصَرُوه فى كَعْبَيْه وصُدْغَيْه ، حتى لَهَجُوا بموته وبَشَّرُوا النشر بموته غيرَ مرة . ثم يتحرّك فيجدوه حيّاً ، وآستمرّ على ذلك أشهرا ثم تُرِك نحو الشهر لمـّا أعياهم أمرُه وأعادوا عليه العقوبة وعلى زوجته بنت الشمس غِبريال وكانت كَحَـاله فى ضعف البَدَن والنّحافة وكانت حاملًا ، فولَدت وهى تُعصر ،

(١) فى « ف » : « وملازمه » . (٢) هى الحمى الحارة خلاف الناقصة وهى التى فيها رعدة وقشعريرة (عن شرح القاموس « مادة صلب ») . (٣) الشيب : بالكسر : سير السوط . (٤) سعطه بالماء ... الخ : أدخله فى أنفه . (٥) عقد الحبل ونحوه : جعل فيه عقدة .

فعـاش ولدُها حتى كَبِر، وما زالا فى العقوبة حتى هَلَك النَّشْوُ وهو يقول : أموتُ وفى قلبى حَسْرة من موسى بن التاج، فمـات النشوُ ولم يَنَلْ فيه غَرَضَه . قيل : إنّ مجموع ما ضُرب موسى هذا ستة عشر ألف شِيب ، حتى إنه ضُرب مرة فوَقَع من ظهره قِطْعَةُ لحم بقَدْر الرّغيف، وأعجبُ من هذا كلّه أنه لمّـا أُطْلِق تعافَى ممـا كان به من الأمراض المُزْمِنة القديمة . وصار صحيحَ البَدَن . ثم أفرجَ عنه الملك الناصر محمد وأكرمه وأنعم عليه ببغلة النشو وردّ عليه أشياءَ كثيرة وولّاه نَظَر جيش دِمَشْق، ثم وَلِى نظر الخاصّ ثانيا وأُضيف إليه نظرُ الخزانة الشريفة وساءت سِيرتُه وآستعفى وأُعيد إلى دِمشْق وزيرًا، ولم يزل يتنقّل فى الوظائف إلى أن مات فى هذا التاريخ. وقد أطلنا فى ذكره لمـا أوردناه من الغرائب . انتهى .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين طَيْبُغا المحمـدىّ فى شهر صفر وكان أحدَ مُقَـدّمى الألوف بالديار المصرية .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بَكْتَمُر بن عبد الله المؤمنى الأمير آخُور الكبير بالديار المصرية — رحمه الله — وكان من أجل الأمراء فضـلا ومعرفة ودِينًا وعِفَّة عن الأموال، وتولّى عِدّة وظائف وتنقّل فى الولايات، مثل نيابة حلب والإسكندرية، ثم آستقرّ أمير آخور إلى أن مات، وهو صاحب المُصَلّاة[1] بالرُّمَيْلة، والسبيل المعروف بسبيل المُؤْمِنىّ . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين، أَسَنْدَمُر بن عبد الله الكاملىّ زوج خَوَنْد القُرْدمِية[2] بنت الملك النـاصر محمد بن قلاوون وكان أحدَ مقـدّمى الألوف بالديار المصرية ومات بالقـاهرة .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من هذا الجزء . (٢) هو أثير الدين أبو حيان محمـد ابن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى، تقدّمت وفاته سنة ٧٤٥ .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين آروس بُغَا بن عبدالله الخَليلىّ أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة فى شهر رجب وهو أحدُ مَنْ قام على يَلْبُغَا .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أسن بن عبد الله الصرغتمشىّ أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة بدِمَشق بعدما نُفِىَ إليها وكان من الأشرار .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله العلائىّ المعروف « فُرْفُور » كان أحدَ أمراء الطبلخانات بمصر وكان خَصِيصًا عند الملك الأشرف . رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين آقْبُغَا بن عبد الله اليُوسفىّ الناصرىّ الحاجب فى شعبان بمدينة مَنْفَلُوط[1] ، وقد توجَّه إلى لقاء هدية صاحب اليمن إلى السلطان الملك الأشرف .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَيْنَبَك بن عبد الله الأزَقىّ أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة ثانى بها وكان من الشجعان .

وتُوُفِّى الأمير أَلأْكُز بن عبد الله الكَشْلاوِىّ وهو منفىّ بحلب فى شهر ربيع الأوّل وكان من أعظم الأمراء وأوجههم ، وَلِى الوَزَر والأستدارية بمصر ونالته السعادة وعَظُم فى الدُّوَل إلى أن تغيَّر عليه الملك الأشرف شعبان وعزله ثم نفاه إلى حلب لأمر آقتضى ذلك .

وفيها كان بدِمَشق طاعون عظيم وآنتشر إلى عِدّة بلاد ومات فيه خلائق لا تُحصى كثرةً . والله أعلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا — مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

* * *

السنة الثامنة من سـلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر ، وهى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّى الشيخ العالم المفتّن جمال[(١)] الدين أبو محمد عبدالرحيم بن الحسن بن علىّ ابن عمر القرشىّ الأُمَوىّ الإسنائىّ[(٢)] الشافعىّ شيخ الشافعية بالديار المصرية . مات فجأةً فى ليلة الأحد ثامن عشرين[(٣)] جُمادى الأولى عن سبع وستين سنة ،رحمه الله تعالى . وكان إماما عالمـا مصنِّفا بارعا ، دَرّس بالأقبغاوية[(٤)] والفاضلية[(٥)] والفارسـية[(٦)] ،

---

(١) عقد له المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣١٠ (أ)) ذكر فيها نسـبه وشيوخه ومؤلفاته التى لا تدخل تحت حصر . وفى كشف الظنون : (جلال الدين ... الخ) .

(٢) نسبة إلى « إسـنا » بالكسر وتفتح . راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٦٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد بيانا مفصلا لها .

(٣) فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣١١ (أ)) : « ثامن عشر جمادى الأولى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة وهذه المدرسة هى الآن ضمن الجامع الأزهر الشريف .

(٥) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٦٦ ج ٢) فقال : إنها بدرب ملوخيا من القاهرة ، بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره فى سنة ٥٨٠ هـ ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمـالكية وجعل فيهـا قاعة للإقراء ، ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم ، يقال : إنها كانت مائة ألف مجلد ، ذهبت كلها ، وإلى جانب المدرسة كتّاب برسم الأيتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها . وممـا ذكر يعلم أن هذه المدرسة خربت وتلاشت هى ومكتبتها فى القرن السابع الهجرى السـابق لعهد المقريزى . وبالبحث عن مكانها تبين لى أنهـا كانت واقعة فى حارة قصر الشوك المتفرّعة من شارع قصر الشوك بقسم الجمالية بالقـاهرة .

(٦) هـذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٩٣ ج ٢) فقال : إنها بخط الفهادين من أوّل العطوفية بالقاهرة وكان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين ، فلما كانت واقعة النصارى فى سنة ٧٥٦ هـ هدمها الأمير فارس الدين ألبكى قريب الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفا يقوم بما تحتاج إليه .

ويستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) وعلى خط الفهادين (ص ٣٧٦ ج ١) أن هذا الخط كان واقعا فى المنطقة التى يتوصل إليهـا اليوم من حارة المبيضة وامتدادها بدرب الزاوية ومن العطفة الجوانية المتفرّعتين من شارع الجمالية .

وبالبحث عن مكان المدرسة الفارسية بتلك الجهة تبين لى أن مكانها الزاوية التى تعرف بزاوية الأربعين داخل عطفة الزاوية المتفرّعة من درب الزاوية وهى الآن خربة عبارة عن أرض فضاء محاطة بسور . =

ودرّس التفسير بجامع أحمد بن طولون وتصدّر بالملكية[1] وأعاد « بالناصرية »[2] والمنصورية وغيرهما . وله مصنّفات كثيرة مفيدة : منها « كتاب المُهِمّات على الرافعىّ » و «شرح المنْهاج فى الفقه» و «شرح منْهاج البيضاوىّ فى الأصول » وله « كتاب طبقات الفقهاء الشافعية » و « كتاب تخريج الفروع على الأصول » وسمّاه « التمهيد » و « كتاب تخريج الفروع على العربية » وسماه « الكَوْكَب » و « شرح عَرُوض ابن الحاجب » و « مختصر الإمام الرافعىّ » و « كتاب الجمع والفرق » . وكان له نظم ليس بذاك ، من ذلك ما قاله يَمْدَح كتاب الرافعىّ فى الفقه : [الكامل]

يامَن سَمَا نفسًا إلى نَيْلِ ٱلعلا * ونحا الى العِلْمِ ٱلعزيزِ ٱلرافِع
قَلِّدْ سَمِيَّ ٱلمصطفى ونسيبَه * وٱلزَمْ مطالعةَ العزيزِ الرافِعِى

وتُوُفِّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ٱبن الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم [بن عمر بن أحمد][3] العُمَرِىّ الصالحىّ الحنفى، قاضى قُضاة الإسكندرية

= ولما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على هذه الزاوية (ص ٦٩ ج ٢) قال : وكانت أوّل أمرها مدرسة تعرف بالنابلسية ، ذكرها المقريزى مرارا فى التحديد ولم يفردها بذكر . ثم لما تكلم عن المدرسة الفارسية (ص ١٢ ج ٦) قال : إن هذه المدرسة تهدّمت ولم يبق منها إلا قطعة صغيرة، مشهورة بالزاوية الحربانة وأنها تقع أمام دير كبير عظيم (دير الأروام الأرثوذوكس) الكائن بعطفة الدير المتفرّعة من العطفة الجوانية ، وبما أن المنطقة التى فيها هذا الدير تقع خارج حدود خط الفهادين، كما تبين لى من البحث، فيكون وضع كل من المدرستين : النابلسية والفارسية فى الأمكنة التى ذكرت عنهما فى الخطط التوفيقية هو وضع فى غير محله ، والصواب ما أثبتناه .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) المدرسة الناصرية هى التى تعرف اليوم بجامع الملك الناصر بشارع المعز لدين الله بالقاهرة . وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٨ بالجزء الثامن من هذه الطبعة . وأما المدرسة المنصورية فتجاور الناصرية السابقة ، وتعرف اليوم بجامع السلطان قلاوون وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ بالجزء السابع من هذه الطبعة . ويضاف إلى ما سبق ذكره أن على باشا مبارك لما تكلم فى الخطط التوفيقية على جامع السلطان قلاوون سماه جامع المارستان (ص ٩٩ ج ٥) لأنه يجاور المارستان المنصورى .

(٣) تكملة عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٩٤) والمنهل الصافى (ج ١ ص ٤٨ (أ)) .

وبها تُوفى — رحمه الله — وقد قارب سبعين سنة وكان فاضلا عالمـا أفتى ودرّس وخطب وأفاد وأعاد وأقام بحلب مدّة، يُقرِئ و يُفْتى. ثم قَدِم إلى مصر وأقام بهـا أيضًا إلى أن وَلِى قضاء الإسكندرية مسئولا فى ذلك .

وتُوُفّى الأمير الكبير علاء الدين علىّ المَـارِدينىّ (١)، ثمّ الناصرى نائب السـلطنة بدِمَشق، ثم بالديار المصرية فى العشر الأوّل من المحرّم عن بضع وستين سـنة وكان أميرًا جليلا دينا خيرا عفيفا عاقلا، تنقل فى الأعمال الجليـلة سنين عديدة وطالت أيامه فى السعادة، وكان — رحمه الله — مُنقادًا إلى الشريعة فى أحكامه وأفعاله، مشتغلا بالفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة — رضى الله عنه — مُستحضرًا له وكان قريبـا من الناس مُحَبّبًا للرعية . وأجلُّ أعمال وليها نيابة حلب ثمّ دمشق ثلاث مرّات فيما أظنّ . والله أعلم . ثم نيابة السـلطنة بالديار المصرية . وأمّا الولايات التى دون هؤلاء فكثير .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين جُرجى بن عبـد الله الإدريسىّ الناصرىّ بدِمَشق عن بضع وخمسين سنة . وكان أصلُه من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، وترقّى إلى أن ولى نيابة حلب . ثمّ عُزِل بعد مدّة وأُنْعم عليه بإمرة بدِمَشق ، فتوجّه إليهـا وأقام بها إلى أن مات — رحمه الله — وكان عالِى الهمّة ، غَزِير النعمة ، وله سعادة وافرة ، وقد تقدّم وفاتُه ، والأصحّ أنه تُوُفّى فى هذه السنة .

وتُوُفّى قاضى قضاة المدينة النبوية — على الحالّ بها أفضلُ الصلاة والسلام — (٢) نور الدين أبو الحسن علىّ بن عز الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن [بن محمـد

(١) راجع المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٤٦ (ب)) حيث تجد له ترجمة ضافية ممتعة .

(٢) انظـره فى المنهـل الصافى (ج ١ ص ٤٧٠ (أ)) والسـلوك للمقريزى (ج ٣ و ٤ قسم ١ ص ٧١ (ب)) .

ابن محمود [1]] الزَّرَنْدِىّ [2] الحنفىّ المدنىّ — رحمه الله — كان عالما فاضلا ولى قضاء المدينة سنين .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أرْغُون بن عبد الله من قيران السَّلَّارىّ أحد أمراء الطبلخانات ونقيب الجيوش المنصورة فى شهر جُمادى الأولى ، وكان قديمَ هِجْرة وله كلمة فى الدولة وحُرْمَةٌ وقُرْبٌ من الملوك .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر بن عبد الله العلائىّ الحاجب المعروف «حَرْفُوش» بعدما أُنعِم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدَمَشق على هيئة النَّفْى ، فإنه كان من أكابر أمراء الألوف بالديار المصرية وكان ممن يُخَاف شرّه .

وتُوُفِّى القاضى بدر الدين أبو علىّ الحسن بن محمد بن صالح [3] [بن محمد بن محمد] النابلسىّ [4] الفقيه الحنبلىّ — رحمه الله — مفتى دار العدل [5] فى شهر جمادى الآخرة .

وتُوُفِّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن عماد الدين إسماعيل بن برهان الدين إبراهيم [بن موسى [6]] الفقيه المالكىّ ، المعروف بابن الظريف فى أربع عشر شهر جمادى الأولى . رحمه الله .

وتُوُفِّى الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزَّرْكَشِى الحنبلىّ فى رابع عشرين جمادى الأولى أيضا — رحمه الله تعالى — وكان من أعيان الفقهاء الحنابلة .

---

(١) تكملة عن السلوك المصدر السابق والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٤٢) . (٢) فى المنهل الصافى (ح ٢ ص ٤٥٧ (ب)) : «الزيدى» وهو تحريف . والزرندى نسبة إلى زرند (بفتح أوّله وثانيه ونون ساكنة ودال مهملة) : بين أصبهان وساوة ، ينسب إليها جلة من العلماء الأفاضل . راجع معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٩٣١) . (٣) التكملة عن شذرات الذهب والسلوك (ج ٣ و ٤ قسم ١ ص ٧١ «ب») . (٤) فى الأصلين «البالسىّ» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والسلوك المصدر المتقدّم . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) التكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين مَنْكُوتَمُر(١) بن عبد الله من عبد الغنى الأشرفى الدّوادَار فى شهر جُمادى الأولى وكان من خواصّ السلطان الأشرف شعبان ومن مماليكه .

وتُوُفِّى القاضى تاج الدين أبو عبـد الله محمـد بن البَها المـالكى المعروف بآبن شاهد الجمـالى — تغمده الله تعالى — كان فقيها وتولّى إفتاء دار العدل وشاهـد الجيش وناظر البيمارستان المنصورى(٢) ووكيل الخاصّ وتوجّه إلى الحجاز فمات فى عوده بمنزلة العقبة(٣) .

وتُوُفِّى الشيخ المعتقد الصالح صاحب الكرامات الخارقة أبو زكرياء يحيى بن على ابن يحيى المغربى الأصل الصّنافيرى الضرير المجذوب ، قَدِم جَدُّه يحيى من الغرب ونزل عنـد الشيخ أبى العبـاس البصـير بزاويتـه(٤) بجوار باب الخرق وولد له على أبو يحيى هـذا وكانت له أيضا كرامات ، وقـدم فى التجريد وكان الغالب عليـه الوله ، وذكر له الموفّق(٥) كرامات جَمّة . ثم وُلد له يحيى هذا صاحب الترجمة مكفوفا مجذوبا ، إلا أنه له كلام خارق وأحوال عجيبة ، وكان الغالب عليـه الوَلَه ، كما كان أبوه ، وكان لا يفيق من سَـكْرته ، لا يزال مغمورا فى نشأته ، لا يُفَرِّق بين مَن هو

(١) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « ومات الأمير منكوتمر عبد الغنى الأشرفى ... الخ » .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٣ من هذا الجزء . (٤) لما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على شارع قنطرة الأمير حسين (ص ٧ ج ٣) قال : إن زاوية أبى العباس البصير التى كانت بباب الخرق ، أصلها مسجد «أبو الفتح يانس الأرمنى» وزير الخليفة الحافظ بالله الفاطمى ، أنشأه فى سنة ٥١٦ هـ بظاهر باب سعادة ، ثم عرف هذا المسجد فيما بعد بزاوية الشيخ أبى العباس البصير ، لأنه أقام به وآتخذه زاوية لفقرائه .
وبالبحث عن مكان هذه الزاوية تبين لى أنها كانت على الخليج المصرى بجوار قنطرة الأمير حسين تجاه مبنى محكمة الاستئناف بميدان باب الخلق بالقاهرة ، (الآن ميدان أحمد ماهر) وأن الزاوية المذكورة خربت ثم هدّمت وزالت آثارها بسبب توسيع ذلك الميدان . (٥) هو الموفق بن عثمان أحد مؤرخى قرافة مصر ، اعتمد عليه ابن الزيات صاحب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة الذى ألفه سنة ٨٠٤ هـ المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٩٠٧ م .

فى حضرته من سلطان ولا أمير ولا غنىّ ولا فقير، والناس كلُّهم عنده سواء، وكان يُقيم أوّلا بالقرافة عند ضريح أبى العباس البَصير [(١)]، وبنى له هناك قُبّة وجعل لها بابين: بابا ظاهرا وبابا فى الأرض نازلا، وكان إذَا أحسّ بالناس هَرَب من ذلك الباب الذى فى الأرض، فلمّا كَثُر ترداد الناس إليه للزيارة من كلّ فَجّ، صار يَرْجُمُهم بالحجارة، فلم يردّهم ذلك عنه رغبةً فى التماس بركته، فَفرّ منهم وساح فى الجبال مُدّة طويلة. ثم نزل صَنافير [(٢)] بالقليوبية من قرى القاهرة، فكان كل يوم فى أيام الشتاء يغطس فى الماء البارد صبيحة نهاره وفى شدّة الحرّ يجلس عريانا مكشوف الرأس فى الشمس، وليس عليه سوى ما يستر عَوْرته، فكان يُقيم على سَقيفَة طابونة سوداء، أقام على ذلك ثلاث سنين، لا ينزل عنها وبنَى له بعضُ الأمراء زاوية، فلم يسكنها ولا التفت اليها وكان الناس يتردّدون اليه فَوْجا فوجًا ما بين قاض وعالم وأمير ورئيس وهو لا يلتفت إلى أحد منهم.

ومن كراماته — نفعنا الله به — أنه أُتِى مرة بمِنْسَف [(٣)] خشب فيه طعام أُرْز، فقال لهم: سخّنوه، فلم يَسعْهم إلا موافقته، ووضعوا المِنْسف الخشب على النار، حتى آشتدّت سخونة الطعام ولم تُؤثّر النار فى الخشب، ثم عاد إلى القرافة فمات بها فى يوم الأحد سابع عشرين شهر شعبان وصُلِّى عليه بمصلّاة خَوْلان [(٤)] فَحُزِرَ عِدّةُ مَنْ صلّى عليه من الناس، فكانوا زيادةً على خمسين ألفا. والله أعلم.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع.

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٨ من هذا الجزء من هذه الطبعة. (٢) هى من القرى القديمة فى مصر وهى اليوم من قرى مركز قليوب بمديرية القليوبية. تبلغ مساحة أطيانها ٢٢٦٥ فدانا وسكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم مكان العزب التابعة لها. (٣) المنسف: الغربال الكبير، وهو هنا القصعة. (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٥ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

*
* *

السنة التاسعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة .

فيها رسم السلطان الملك الأشرف للأشراف بسائر الأقطار أن يَسِمُوا عمائمَهم بعلائم خُضْر ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه فى ترجمة الأشرف . والله أعلم .

وفيها تُوُفِّى القاضى كمال الدين أبو الغيث محمد ابن القاضى تقىّ الدين عبد الله ابن قاضى القضاة نور الدين أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن [عبد الخالق[1] بن] عبد القادر الأنصارىّ الدمشقىّ الشافعىّ الشهير بابن الصائغ بدِمَشق عن بِضْع وأربعين سنة . رحمه الله . وكان ولى قضاء حلب مرتين ثم ولى قضاء حِمْص، ثم عاد إلى دِمشق، وبها كانت وفاته .

وتُوُفِّى الشيخ العالم العلّامة قاضى القضاة[2] سراج الدين أبو حَفْص عمر ابن الشيخ نجم الدين إسحاق بن شهاب الدين أحمد الغَزْنوىّ الهندىّ الحنفىّ قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الخميس سابع شهر رجب، بعد أن ولى القضاء نحو خمس عشرة سنة — رحمه الله — وتولّى بعده القضاء صَدْر الدين[3] محمد بن جمال الدين التُّرْكمانىّ؛ ومولد السراج هذا فى سنة أربع أو خمس وسبعمائة تخمينا، وقدِم القاهرة قبل سنة أربعين [وسبعمائة] — رحمه الله — وكان إماما عالما بارعا مفتنًا فى الفقه والأصلين والنحو وعلمىِ المعانى والبيان وغيرهم، وناب فى الحكم بالقاهرة وتصدّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين، ثمّ تولّى عدّة وظائف دينيّة، وهو أحد مَنْ قام

---

(١) التكلة عن الدرر الكامنة (ج٣ص٤٨٤) . (٢) عقد له المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل تقع فى أربع صفحات كلها محاسن ودرر . راجع المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٦٩ وما بعدها) .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٦ هـ .

مع ٱبن النقّاش فى قضية الهرماس حتى وغّرا خاطر السلطان عليه ووقع له معه ما وقع .

وكان السراج — رحمه الله تعالى — إماما مصنِّفا : منها « شرح المغنى » فى مجلدين و « شرح البديع » لٱبن السّاعاتى وغير ذلك ، وقد ذكرنا من علو همّته وغزير فضله فى « المنهل الصافى » نبذةً كبيرة جيّدة تُنظر هناك .

وتُوُفِّى الشيخ الأديب أبو زكرياء يحيى بن محمد بن زكرياء بن محمد بن يحيى العامرىّ الحموىّ الشهير بالخبّاز بدمشق وهو من أبناء الثمانين وكان بارعا فى النّظم ، نظم سائر فنون الأدب وكان فيه تَشَيُّع كبير ومن شعره : [الوافر]

بِعيشِك هاتِها صفراء صِرْفا * صَباحًا وٱطْرحْ قولَ ٱلنَّصوح
فإنّ ٱلشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ[1] بِعينٍ * تُغامِزنا على شربِ الصَّبُوح

وله أيضا : [السريع]

يا كُرْعَروسَ ٱلرَّوضِ وٱسْتَجلْها * وطَـلِّق الحُـزْنَ[2] ثلاثًا بتـاتْ
بِقهـوةٍ حلَّت لنـا كُلَّمـا * حلَّت لآلِى ٱلقطرِ جيدَ ٱلنبات

وتُوُفِّى العلّامة قاضى القُضَاة بهاء الدين أبو حامد أحمد[3] ٱبن قاضى القضاة تقىّ الدين أبى الحسن علىّ ٱبن الشيخ زين الدين عبد الكافى بن علىّ بن تمّام بن يوسف ابن موسى بن تمام الأنصارىّ السُّبْكى الشافعىّ . بمكة المشرفة عن ست وخمسين سنة — رحمه الله — وكان إمامًا عالما بارعا فى عدّة من الفنون وسمع من الحُفّاظ ، وأخذ من والده وعن أبى حَيّان[4] — وهو أسنّ من أخيه تاج الدين المقدّم ذكره —

(١) رواية المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤١٣ (ب) : « قد عرست » . (٢) رواية المنهل المصدر المتقدم : « الحسن » . (٣) ترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢١٠) ترجمة ضافية تقع فى ست صفحات ، وكذا المؤلف فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٩٧ (ب) .
(٤) تقدمت وفاته سنة ٧٤٥ هـ (ص ١١١ ج ١٠) .

ودَرّس بقُبّة الشافعىّ والجامع الطولونىّ(١) والمنصورية(٢) والشَّيْخُونية(٣)، وباشر قضاء العسكر وإفتاء دار العدل بمصر وخَطَب وألَّف وصنّف وتولّى قضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين وتولّى أخوه تاج الدين وظائفَه بمصر، وقد تقدّم ذلك. ثم ترَكَ قضاء دِمَشق عفّةً ورَجَع إلى مصر يُدرّس ويُفتِى ثم جاور بمكّة وبها مات — رحمه الله — .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَيْدَمُر بن عبد الله الشَّيْخى أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية. ثم نائب حَماة وكان من أعيان الأمراء، وقد تقدّم ذكُره فى عدّة أماكن.

وتُوُفِّى الشيخ الفقير المُعْتَقَد عبد الله دَرْويش(٤) — رحمه الله — فى سابع عشر شهر رجب. وكان فقيرًا مبارَكا وللناس فيه محبةٌ واعتقادٌ حسن.

وتُوُفِّى الأديب الشاعر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن شيخان(٥) المعروف بابن المجد البَكْرِى التَّيْمِى القرشىّ البغدادىّ فى عاشر شهر رمضان بمُنية(٦) ابن خَصِيب من صعيد مصر ومن شعره: [الوافر]

أَتَى المحبوبُ فى السِّنجابِ يَسْعى * وطلعتُه لِناظِره تَرُوقُ
فَتُبصر طوقَه السِّنجاب سُحْبًا * وفيها من تَبَسُّمِه بُرُوقُ

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأربعة أصابع.

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٣) يريد خانقاه شيخون وهى جامعه القبلى بشارع شيخون. (٤) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٧٧ ب): فى سابع عشرين شهر رجب ... الخ. (٥) ف: «م» (سيحان) وفى «ف»: (خالية النقط) وما أثبتناه عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٧٨). (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

* * *

السنة العاشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

وفيها آستقرّ الأمير أَلْجاى اليوسفىّ أتَابَك العساكر بديار مصر بعد موت مَنْكَلى بُغَا الشّمسى .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرِّخ عماد الدين أبو الفِداء إسماعيل آبن الخطيب شهاب الدين أبى حفص عُمَر بن كَثِير القُرَشىّ الشافعىّ صاحب «التاريخ» و«التفسير» فى يوم الخميس سادس عشرين شعبان بدِمَشْق . ومولده بقرية شرقىّ بُصْرى[(1)] من أعمال دِمَشق فى سنة إحدى وسبعمائة — رحمه الله تعالى — قال العينىّ رحمه الله : كان قُدوةَ العلماء والحُفَّاظ، وعُمْدة أهل المعانى والألفاظ. وسَمِع وجَمَع وصنَّف ودرَّس وحَدَّث وألَّف. وكان له اطّلاع عظيم فى الحديث والتفسير والتاريخ وآشتهر بالضبط والتحرير، وآنتهى إليه علمُ التاريخ والحديث والتفسير، وله مُصَنّفات عديدة مفيدة . انتهى كلام العينى — رحمه الله .

قلت : ومن مُصَنَّفاته «تفسيرُ القرآن الكريم»[(2)] فى عشر مجلدات، وكتاب «طبقات الفقهاء» و«مناقب الإمام الشافعى» رضى الله عنه والتاريخ المسمَّى «بالبِداية والنِّهاية» حذا فيه حَذْوَ آبن الأثير — رحمه الله — فى «الكامل» والتاريخُ أيضا فى عشرة مجلدات، وخَرَّج أحاديث «مختصر آبن الحاجب» وكتب

---

(1) هى قصبة كورة حوران، وقد ذكرها كثير من الشعراء فى أشعارهم قديما وحديثا وقد ساق ياقوت فى معجم البلدان (ج ١ ص ٦٥٤) جملة مستكثرة منها .

(2) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية فى سبعة مجلدات تحت رقم [١ تفسير] .

على « البخارى » ولم يُكمِّله — رحمه الله تعالى — ولمـا مات رثاه بعضُ طَلَبته رحمه الله بقوله : [الطويل]

لِفَقْدِك طُلَّابُ العـلوم تأسَّفوا * وجَادُوا بِدمْعٍ لَا يَبِيــدُ غَزِيرِ
ولو مَزَجُوا ماءَ المَدَامِـعِ بِالدِّما * لكان قليلًا فيــك يا ٱبنَ كَثِيرِ

وتُوُفِّى الشيخ الحافظ تَقِىّ الدين محمد بن جَمال الدين رافع بن هِجْرِس بن محمد ابن شافع بن السَّلَّامىّ(١) المصرىّ الشافعىّ بدِمَشْق عن ستين سنة ، وكان — رحمه الله — إماما فى الحديث ، رَحَل البلاد وسَمِع بمصر والشام وحلب والحجاز وكتب لنفسه مشيخة و « ذَيْل على تاريخ البخارى » رحمه الله .

وتُوُفِّى الأديب زين الدين أبو محمد عبـد الرحمن بن الخضْر بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف بن عثمان السِّنْجارىّ ، قَدِم حلب و باشَرَ بها توقيع الدَّرج إلى أن مات بها عن نيِّف وخمسين سنة . ومن شعره فى مُغَنٍّ ورأيتُه لغيره : [الكامل]

أضحى يَجُــرُّ لوجْهه قمـرُ السَّما * وغدا يَلِــينُ لصَـوْته الجُلْمُودُ
فإذا بدا فكأنَّمـا هـو يوسـفٌ * وإذا شَــدَا فـكأنَّه دَاودُ

وتُوُفِّى الأمير مظفَّرالدين موسى ٱبن الحاج أُرُقطَاى الناصرىّ نائب صَفَد بها ، وتَوَلّى عِوضَه نيابة صَفَد الأمير علم دار المحمدىّ ، وكان مظفّر الدين من الأماثل ، وله وجاهة فى الدُّول وثروة .

وتُوُفِّى الأمير الكبير سيف مَنْكَلى بُغَا بن عبد الله الشمسىّ أَتَابَك العساكر بالديار المصرية بها فى شهر جُمادَى الأولى عن بِضْع وخمسين سنة ، كان من أجلّ الأمراء وأعظمهم حُرْمةً وهَيْبَةً ووقارًا ، وكان فيه ديانة ، وله معرفة بالأمور ، وله ٱشتغال جَيِّد

---

٢ (١) ضبطها صاحب شذرات الذهب بالعبارة فقال : « بتشديد اللام » (ج ٦ ص ٢٣٤) .

فى علوم متعدِّدة ، وولى نيـابة صَفَد وطَرَابُلُس وحلب ودِمشق ثم أُعِيد إلى حلب لإصلاح البلاد الحلبيّة ، فعاد إليها ومَهّد أمورَها، ثم طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية وسأله أن يَلِي النيابة بهـا فآمتنع من ذلك، فأَخْلَع عليه بآستقراره أَتَابَك العساكر الديار المصرية وزوّجه الأشرف بأخته : « خَوَنْد سَارة » فآستمرّ على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور — رحمه الله — .

وتُوُفِّيَت خَوَنْد بَرَكة خاتُون والدة السلطان الملك الأشرف هذا وزوجة الأمير أُلْجاى اليُوسفى فى شهر ذى القعدة ، ودُفنت بمدرستها[1] التى أنشأتها بخُط التَّبانة[2] ، وبسبب ميراثها كانت الوقعـة بين آبنها الملك الأشرف وزَوْجِها أُلْجاى اليوسفى ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه مفصَّلا فى أوائل هـذه الترجمة ، وكانت خَيِّرةً دِيِّنة عفيفةً جميلةَ الصورة . ماتت فى أوائل الكُهُولية . رحمها الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام العالم العلّامة وَلِيّ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الملَوِيّ الدِّيبَاجِيّ[3] الشافعيّ — رحمه الله — ذو الفنون بالقاهرة فى ليلة الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأوّل عن بضع وستين سنة . وكان من أعيان فقهاء الديار المصرية .

وتُوُفِّيَ الشيخ العارف بالله تعالى المعتَقَد المُسَلِّك بهاء الدين محمد بن الكَازَرُونِيّ فى ليلة الأحد خامس شهر ذى الحجّة بزاويته[4] بالمشتهى بالرَّوْضة وكان — رحمه الله تعالى رجلا صالحا مُعْتَقَدا وللناس فيه مَحَبّةٌ زائدة وآعتقادٌ حسن .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٩ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هى قاعدة المركز المسمى باسمها بمديرية أسيوط وآنظر خطط على باشا مبارك (ج ١٥ ص ٧٠) . (٤) هذه الزاوية ذكرها المقريزى فى خططه باسم رباط المشتهى (ص ٤٢٨ ج ٢) فقال : هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين الكازرونى .

وأقول : إن هذه أصلها رباط أى دار يسكنها أهل الطريق من الصوفية لعبادة الله تعالى ، أنشأه بهاء الدين الكازرونى فى سنة ٧٦٥ هـ بجزيرة الروضة ولا تزال آثار هـذا الرباط باقية إلى اليوم باسم زاوية الكازرونى ، جددتها والدة الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٦ هـ . وهى قائمة الشعائر بشارع الكازرونى بجزيرة الروضة بالقاهرة .

وتُوُفِّى القاضى بدر الدين محمد بن محمد ابن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فَهْد الحَلَبى ثم الدِّمَشْقى الحنبلى ناظر جَيْش حلب بها — رحمه الله — وكان رئيسا كاتبًا فاضلًا من بيت كتابة وفَضْل — رحمه الله تعالى — والله أعلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم لم يُحَرَّر لأجل التحويل، حُوِّلت هذه السنة إلى سنة خمس وسبعين .

* * *

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

فيها كانت وقعة الملك الأشرف المذكور مع زوج أمه الأتابك أُلْجاى اليوسفى وغَرق أُلْجاى فى بحر النيل حسب ما تقدّم ذِكْره .

وفيها تُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المخزومى المصرى الشافعى الشهير بابن الخَشّاب وهو فى البحر المالح بالقرب من الأَزْلَم(١) عائدًا إلى الديار المصرية وهو من أبناء الثمانين سنة — رحمه الله — وكان عالمًا مُفْتيًا مدرّسا، شاع ذِكْره فى الأقطار وانتفع الناس بعلمه وولى نيابةَ الحكم بالقاهرة . وباشر قضاء حلب استقلالا . ثم ولى القضاء بالمدينة النبوية وأراد التوجُّهَ إلى نحو مصر فأدركتْه المَنيّةُ فى طريقه — رحمه الله — .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة أَرْشَد الدين أبو الثناء محمود بن قُطْلُوشَاه السَّرَائى الحَنَفى بالقاهرة فى جُمادَى الآخرة عن نَيِّف وثمانين سنة — رحمه الله

(١) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

تعالى — وكان بحرًا فى العلوم لا سيّما العلوم العقلية والأدبية ، وأقام بالقاهرة سنين كثيرة يَشْتَغِل و يُقْرِئ ، وآنتفع به عامّة الطلبة من كلّ مذهب ، وتولّى مَشْيَخة الصّرغتمشيّة[1] بعد وفاة الشيخ العلّامة قوام الدّين أَمير كاتب الإتقانىّ فباشر تَدْرِيسَها إلى أن مات فى التاريخ المذكور .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين طَيْبُغا بن عبد الله الفقيه الحنفىّ أحدُ أمراء العشرات بالديار المصرية بالقاهرة وقد ناهز الستين سنة ، وكان فقيهًا مُسْتَحْضِرًا لفروع مذهبه و يُشارِك فى فنون كثيرة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين تَمرقَيَا بن عبد الله العُمَرِىّ الجُوكَنْدار ، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وسِنّه نحو الخمسين سنة وهو خشداش يلبغا العمرىّ الخاصكى . وتمرقيا باللغة التركية : جبل حديد ، فتمر هو الحديد وقيا بفتح القاف هو الصخر العظيم .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين تُلَكْتَمُر بن عبد الله الجمالىّ ، أحدُ أمراء الطبلخانات بالقاهرة ، مات بمنزلة[2] قاقون من طريق الشام فى شهر ذى الحجة ، كان الملك الأشرف أرسله فى مهمّ .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين آل ملك بن عبد الله الصرغتمشى أحدُ أمراء الطبلخانات بالقاهرة وكاشفُ الوجه البحرى ونقيبُ الجيوش المنصورة فى شهر شوّال . وكان أصله من مماليك الأمير صرغتمش الناصرىّ صاحب المدرسة بالصليبية المقدّم ذكرُه . وكلّ مَنْ نذكره فى هذه السنين بالصرغتمشى فهو منسوب إليه ، ولا حاجة للتعريف به بعد ذلك .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين آقبغا بن عبد الله من مصطفى اليَلْبغاوِىّ، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وهو مجرّد بالإسكندرية وهو ممن قام على أستاذه يلبغا.

وتُوُفّى الأمير سيف الدين أرْغُون بن عبد الله الأحمدىّ أحدُ مقدّمى الألوف بالديار المصرية ولالا الملك الأشرف شعبان صاحب الترجمة وكان معظما فى الدول وله همة ومعرفة وشجاعةٌ وحرمةٌ وافرة فى الدولة الأشرفيــة . وقد مرّ ذكره فى عدّة حكايات، ولـمّـا ثَقُل على الملك الأشرف أخرجه إلى نيـابة الإسكندرية فمات بها فى خامس عشر ذى القعدة .

وتُوُفّى الشيخ نور الدين علىّ بن الحسن بن علىّ الإسنائىّ الشافعىّ أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم المتقدّم ذكْرُه، مات فى شهر رجب ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

وتُوُفّى القاضى شمس الدين شاكر القِبطىّ المصرىّ المعروف بابن البَقَرىّ ناظر الذخيرة وصاحب المدرسة البقريّة(1) بالقاهرة فى ثالث عشر شوّال وكان معدودا من رؤساء الأقباط .

---

(1) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٩١ ج ٢) فقال: إنها فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق إلى ناحية العطوف، بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل (تصغير غزال) المعـروف بابن البقرى أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأصـله من قرية تعرف بدار البقر إحدى قرى الغربية . وقد أنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية . ولـمّا مات دفن بمدرسته هذه، وقبره بها تحت قبة فى غاية الحسن، ولم يذكر المقريزى إنشاء هـذه المدرسة وإنما قال: إنه استجد بها منبر وأقيمت فيها صلاة الجمعـة فى تسع جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ . باشارة علم الدين داود الكويز كاتب السر لقربها من داره التى كان يسكنها بالجوانية وبذلك أصبحت مسجدا جامعا .

وبمعاينة هـذه المدرسة تبين لى أنها أنشئت فى سنة ٧٤٦ هـ كما هو ثابت بالنقش على بابها وتعرف اليوم باسم جامع البقرى ووردت فى الخطط التوفيقية باسم زاوية البقرى . وهـذا الجامع بحارة العطوف المتفرعة من شارع باب النصر بالقاهرة وهو عامر بالشعائر الدينية .

ولزيادة العلم أذكر أن بلدة دار البقر التى ينسب إليها صاحب هـذه المدرسة هى القريتان التى تسمى إحداهما (بالجابرية) والأخرى (بالعامرية) من قرى مركز المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين يَبْبُغا بن عبد الله المعروف بحارس طير، أحدُ أمراء الطبلخانات ، وهو غير يَبْبُغا طَطَر حارس طير الذى ولى نيـابة السلطنة فى سلطنة الملك حسن .

وتُوفِّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله المـارديني فى ثانى جُمادى الآخرة ، وهو أيضا غير أَلْطُنْبُغا الماردينى الناصرى صاحب الجامع ، وقد تقدّم ذكر هذاك فى محـــلّه .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين آروس بن عبد الله المحمودى أحدُ أمراء الألوف بالقاهرة ، وزوج بنت الأمير مَنْجك اليوسفى فى ذى القعدة ، وكان أصله من مماليك الناصر محمد ، وترقّى فى الدول إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف ، ثم ولى الحجوبية ، ثم أمير جاندار ، ثم ولى الأستدارية العالية مدّة طويلة . ووقع له أمور وحوادث ، وأُخْرج إلى الشام . ثم قَدِم إلى مصر صحبةَ حميه مَنْجَك اليوسفى ، فأقام بها إلى أن مات .

وتُوفِّى الأمير الكبير سيف الدين أُلْجاى اليوسفى أحدُ ممـاليك الملك الناصر حسن غَرِيقا بالنيل بساحل الخرقانية (١) بعد وقعة كانت بينه و بين الملك الأشرف شعبان حسب ما ذكرناه أنه انكسر فى الآخر وتوجّه إلى الجهة المـذكورة واقتحم البحر بفَرَسه ، فغَرِق فى يوم الجمعة تاسع المحرّم ، ودُفِن بمدرسته بسُوَيقة العِزّى (٢) خارج القـاهرة . وكان من أجلّ الأمراء شجاعة وكَرَما وهمّة وسؤددًا ، وقد تقدّم ذكره فى عِدّة تراجم من هذا الكتاب .

§ أمر النيـل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا وهى سنة الشراق العظيم .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦١ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

*
* *

السنة الثـانية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة ست وسبعين وسبعمائة .

وفيها كان ابتداء الغلاء العظيم بسائر البلاد .

وفيها فُتحت سيس[1] على يد نائب حلب الأمير إِشْقَتَمُر المـارِدِينى، وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أصل الترجمة .

وفيها تُوُفِّى[2] العلّامة قاضى القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد ابن العلّامة قاضى القضاة جمال الدين عبد الله ابن قاضى القضاة علاء الدين علىّ بن عثمان بن المـاردينى الحنفىّ الشهير بآبن التُّرْكُمانىّ، قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليـلة الجمعة ثالث ذى القعدة عن نحو أربعين سـنة، بعد أن باشر ثلاث سنين وأشهرا، وكان سلَكَ فى العدل طريقة أبيــه وجَدِّه ، وكان عالمـا بارعا ذكيّا فَهِمًا عفيفا . وله نظمٌ ونثر، ومن شعره وقد حصل له رَمَد : [الوافر]

أفــرُّ إلى الظلام بِكلِّ جهْـدِى * كأنّ النــورَ يَطلُبُـنِى بِدَيْنِ
وما لِلنــور منـ ظِلٌّ وإنِّى * أراه حقيقـــةً مطلوبَ عَيْـــنِى

وقد تقدّم ذكر أبيه وجدّه كلّ واحد منهما فى محلّه .

وتُوُفِّى[3] قاضى القُضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحســين بن سليمان بن فزارة الكَفِرى (بفتح الكاف) الحنفىّ بدِمَشق ، بعــد أن كُفَّ بصرُه عن خمس وثمانين سنة . وكان من العلماء الأعلام، ماهرًا فى مذهبه، أفتى ودرّس وأفاد وأتقن

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٢) عقد له المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٩٢ (ب)) .
(٣) راجع المنهل الصافى (ج ١ ص ٦٩ (ا)) .

روايات القُرّاء السبعة وناب في الحكم بدِمَشق مدّة من الزمان. ثم استقلّ بالوظيفة مدّة طويلة ثم تركها لولده متنزّها عن ذلك ولَزِم العبادةَ إلى أن مات.

وتُوُفِّي الشيخ الإمام العالم العلّامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عَمّار الحارثي[1] الدِّمَشقيّ الشافعيّ الشهير بابن قاضي الزَّبَدانيّ بدِمَشق عن سبع وثمانين سنة، وقد انتهت إليه رياسة الفتوى بالشام في زمانه، ودرّس بظاهرية[2] دِمشق وعادليتها الصغرى[3] وكَتَب وصَنَّف.

وتُوُفِّي الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي برهان الدين إبراهيم بن عليّ بن أحمد بن عليّ بن يوسف بن إبراهيم الدمشقيّ الحنفيّ الشهير بابن عبد الحق دَرّس بدِمَشق بعدّة مدارس وباشر بها الوظائف الجليلة وكان معدودا من أعيان أهل دِمَشق إلى أن مات بها عن بضع وستين سنة.

وتُوُفِّي الشيخ الإمام العلّامة الأديب المُفَنّن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التِّلِمْسانيّ المغربيّ الحنفيّ الشهير بابن أبي حجلة نزيل الديار المصرية بها في يوم الخَميس مستهلّ ذي الحجّة عن إحدى وخمسين سنة. ومولده بالمغرب بزاوية جَدّه أبي حجلة عبد الواحد، ثم رَحَلَ إلى الشام ثم استوطن مصر وولي مشيخة خانقاه مَنْجك اليوسفيّ إلى أن مات. وكان إماما بارعا فاضلا ناظما ناثرا، وله مصنّفاتٌ كثيرة تبلغ ستين مصنّفا — رحمه الله — ومن شعره في مليح له خال على خَدّه: [البسيط]

(١) في الأصلين: «الحرّاني» وتصحيحه عن الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٢٣) والسلوك في وفيات هذه السنة.

(٢) هي مدرسة للحنفية والشافعية داخل باب الفرج والفراديس جوار الجامع شمالي باب البريد وقبلي الاقباليتين والجاروخية وشرقي العادلية الكبرى، أنشأها مدرسة ودار حديث الملك الظاهر بيبرس وهي التي دفن بها سنة ٦٧٦ هـ وهي اليوم بيد المجمع العلمي العربي، جعلت مخطوطاتها في القبة الظاهرية وقد أنشئت خزانة كتب منذ أواخر القرن الماضي (خطط الشام ج ٦ ص ٨٣).

(٣) هي داخل باب الفرج شرقي باب القلعة الشرقي قبلي الدماغية والعمادية أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقد حرقت مؤخرا وبقيت جدرانها قائمة — عن خطط الشام (ج٦ ص ٨٥).

تفرّد الخــالُ عن شَــعْرٍ بوجنته * فليس فى الخدّ غيرُ الخالِ والخَفَرِ
يا حُسنَ ذاك مُحيّا ليس فيه سِوَى * خالٍ من المِسْك فى خالٍ من الشَّعَرِ

ولـــه : [السريع]

وعاذلٍ بالَـغَ فى عَـــذْلِه * وقال لمّـا هــاجَ بِلْبـالِى
بعارِض المحبوبِ ما تنتهى * قلتُ ولا بِالسَّيف(١) والوالِى

وله مُضمِّنًا وهو أحسنُ قوله فى المعنى : [الكامل]

يا صاحِ قد حضر الشَّرابُ و بُغْيتى * وحَظِيتُ بعد الهَجْر بالإينـاسِ
وكسَا العذارُ الخدّ حُسنًا فاسْقِنى * واجعـلْ حديثَك كُلَّه فى الكَاسِ

وتُوُفِّى الصاحب الوزير فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر بالقاهرة ودُفِن بالقرافة بتربته بجوار تربة قاضى القضاة شمس الدين الحَريرى . وكان فى مبادئ أمره صاحب ديوان يَلْبُغا العُمَرى ثم تولّى الوَزَر بعـد موته ثلاث مرات وجَمع فى بعض الأحيان بين الوزارة ونظر الخاصّ معا كما كان ابن قَزْوِينة من قبله . وكان حَسَنَ السِّيرة مليح الشكل بَشوشًا متواضـعًا ، ليِّن الجانب ، قليلَ الأذى مُحبَّبًا للناس .

وتُوُفِّى التـاجر ناصر الدين محمـد بن مسـلّم الكارِمىّ(٢) المصرى فى يوم الجمعـة ثانى عشر شوّال . وقد خَلّفَ اموالًا كثيرة من المَتْجَر وعَمَل الكيميا بحيثُ إنه لم يكن أحدٌ من أهل عصره أكثرَ مالًا منه .

(١) رواية ديوان الصبابة ص ١١٤ : « قلت ولا بالشيب والوالى » . والشيب : السوط .
(٢) الكارمى : لفظ اصطلاحى بمعنى التاجر الكبير الذى يتاجر فى البضائع الهنـدية وغيرها من البهار والكارم . وفى الأصل كانت تطلق على تجار الحضارم واليمن ، لأنهم كانوا الواسطة فى نقل البضائع الهندية المذكورة ثم عمتهم الى غيرهم من التجار ، حتى لو كانوا مصريين الأصل كالمترجم له . والبهار الحرير الخام وغيره ، والكارم هو الكهرمان ، عرفته العامة ولا يزال معروفا بهذا الاسم الى اليوم . انظر السلوك طبعة الأستاذ زيادة (ج ١ ص ٨٩٩ حاشية ٨) . (والمنهل الصافى ج ٣ ص ٣٧٦) . والعقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (ج ١ ص ٣٥٠) .

وتُوُفِّى القان أُوَيْس[1] ابن الشيخ حسن بن حسين بن آقْبُغَا[2] بن أَيْلْكان صاحب تِبْرِيز[3] و بغداد وما والاهما . وفى مَوْتِه غريبةٌ وهى أنه رأى فى منامه قبل موته أنه يموتُ فى يوم كذا وكذا، نخلَع نفسَــه من الملك وولّى عوضَــه ولدَه الكبير الشيخ حسين بن أُوَيْس وٱعتزلَ هــو عن المُلْك وصار يتَعَبَّد و يُكْثِر من الصلاة والصدقة والبِرّ إلى الوقت الذى عَيّنَه لهم أنه يموتُ فيه فمات فيه . وكان مَلِكًا حازمًا عادلًا ذا شَهامةٍ وصَرَامَة، قليل الشرّ كثير الخير مُحَبًّا للفقراء والعلماء، وكان مع هذا فيه شجاعةٌ وكرمٌ ومات فى عُنْفُوان شبيبته وكان تَسلطن بعد أبيه فمكثَ فى المُلْك تسعةَ عشرَ سنة ومات بِتبْرِيز عن نَيِّف وثلاثين سنة .

وتُوُفِّى الأميرُ الكبير سيف الدين مَنْجَك بن عبــد الله اليُوسُفى الناصرى أتَابَك العساكر ونائب السلطنة الشريفــة بالديار المصرية بداره[4] من القاهرة بالقرب من سُوَيْقــة العِزِّى المُلاصقة لمدرسة السلطان حسن، بعــد عصر يوم الخميس تاســع عشرين شهر ذى الحجــة ودُفِن[5] صبيحة يوم الجمعــة بتربتــه التى أنشأها عنــد

---

(١) رواية الدرر الكامنــة : « أويس بن حسين بن آقبغا ... الخ » (ح ١ ص ٤١٩) وكذا رواية المنهل أيضا (ج ١ ص ٢٧٢ (أ)) والرواية الصحيحة ما أثبتناه عن الأصل الفتوغرافى .

(٢) فى م : « ابن أبغا » وما أثبتناه عن « ف » والدرر الكامنة المصــدر المتقدم وهى الرواية الصحيحة .

(٣) راجع الحاشية رقم (١ ص ١١٩) من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) يستفاد من عبارة المؤلف أن هذه الدار بالقرب من سويقة العزى المجاورة لمدرسة السلطان حسن ، و بما أن مدرسة السلطان حسن لا تزال قائمة باسم جامع السلطان حسن وسويقة العزى تعرف الآن بشارع ســوق السلاح بالقاهرة . ومن البحث تبين لى أن دار منجك تقــع بأول شارع ســوق السلاح على يسار الداخل فيه من جهة شارع محمد على ، وقد خربت هذه الدار ولم يبق منها إلى اليوم إلا بوابتها التى من الحجر و بداخلها رنك (شعار) منشئها ثم بقايا من عقود الدار من الجانب البحرى للبوابة .

(٥) هــذه التربة لا تزال باقية إلى اليوم وفيها قبر صاحبها بجوار جامعه الذى تكلمنا عليه فى الحاشــية رقم ٢ ص ٢٦٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة ، وأرض التربة فى مستوى أوطى من أرض الجامع و بينهما شباك كبير يشرف على التربة . أما الخانقاه التى أشار إليها المؤلف فقد دل البحث على أنها كانت واقعــة تجاه الجامع و يعلوها المئذنة و يتبعها دورة المياه وأن الخانقاه قد خربت ولم يبق من مبانيها إلا المئذنة التى لا تزال قائمة وحدها إلى اليوم أمام باب الجامع وكذلك دورة المياه باقية كما نشاهدهما الآن .

جامعه[1] وخانقاته، خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل. وكانت جنازته مشهودة وكان عمرُه يوم مات بضعا وستين سنة، وقد مَرّ من ذكره ما يُستغنَى به عن التكرار هنا. وكان ابتـداءُ أمره وظهور اسمـه من سلطنة الملك الناصر أحمـد آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهَـلُمّ جَرًّا إلى يومنا هـذا، حتى إنه لم يُذْكَر سلطانٌ بعد موت محمد بن قلاوون، إلا ومَنْجك هذا له فيه أمرٌ وذكرٌ وواقعة. وقد طالت أيامه فى السعادة على أنه قاسى فيهـا خُطوبا وأهـوالا وأُمسِك وحُبِس ثم أُطْـلِق وآختفى مدّة ثم ظهر وقد تكرر ذلك كلّه مفصلا فى عدّة تراجم من سلاطين مصر. وأمّا ما عمّره من المساجد والجوامع والمآثر فقد ذكرنا ذلك كلَّه فى ترجمته «فى المنهل الصافى[2] والمستوفى بعد الوافى» فلينظر هناك.

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين يَلْبُغا بن عبـد الله الناصرىّ حاجب الحجّاب بالديار المصرية وأحد أمراء الألوف بها، وكان مـن أماثل الأمراء وأعيان المـاليك الناصرية، تَرَقّى بعد موت أسـتاذه الملك الناصر محمـد وولى عدّة وظائف أعظمها حُجوبيّة الحُجّاب.

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَيْدَمُر بن عبد الله الناصرىّ الدّوادار بالقاهرة عن نيِّف وسـتين سنة، وكان أميرًا عالى القَـدْر ظاهرَ الحِشْمة وافـرَ المَهَابة حسَنَ السياسة والتدبير، يبـدأ الناس بالسلام ويُكْثِر من ذلك، حتى إنه لمـّا وَلِى نيابة حلب لقّبه أهلُها «بسلامُ عليكم» وكان أوّلا أميرَ مائة ومقدّمَ ألف بديار مصر. ثم ولى نيـابة طرابُلُس ثم نيابة حلب ثم عُزِل وطُلب إلى ديار مصر وآستقر بهـا أمير مائة ومقدّم ألف أيضا إلى أن مات وهو أجل أمراء عصره.

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة. (٢) انظر المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٦٤ (ا)) حيث تجد ترجمة ممتعة لمنجك هذا كلها محاسن وطرف.

وتُوفّى الأمير الطواشى سابق الدين مِثْقال بن عبد الله الحبشى الآنوكىّ مقدّم المماليك السلطانية وأحدُ أمراء الطبلخانات، وكان أصلُه من خدّام سيدى آنوك ابن الملك الناصر محمد وترقّى إلى أن ولى تقدمةَ المماليك السلطانية وهو الذى ضربه يَلْبُغا العمرى داخل القصر ستمائة عصاة ونفاه إلى أسوان(١) وولّى مكانه مختار الدمنهورىّ شاذروان، فلما قُتل يلبغا أعاده الملك الأشرف هذا إلى رتبته ووظيفته تقدمة المماليك السلطانية إلى أن مات ووَلِى التّقدمة بعده مختار الدمنهورىّ شاذروان المقدّم ذكرُه ثانيا، وأظن مثقالا هذا هو صاحب المدرسة السابقيّة(٢) داخل بين القصرين من القاهرة. والله أعلم.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وآثنا عشر إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع.

---

(١) أسوان: مدينة مصرية وهى قاعدة مديرية أسوان بصعيد مصر. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٢) نعم هو صاحب المدرسة السابقية التى بداخل بين القصرين، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٩٣ ج ٢) فقال: هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة ويتوصل إلى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام البيسرى بخط بين القصرين بالقاهرة وكان يتوصل إليها أيضا من باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الأمير جمال الدين يوسف الأستادار. ثم قال: وبنى هذه المدرسة الطواشى الحبشى الأمير سابق الدين مثقال الآنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية وجعل فيها تصدير قراءات وخزانة كتب وكتّابا يقرأ فيه أيتام المسلمين ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء هذه المدرسة.

وبمعاينتها تبين لى أنها أنشئت سنة ٧٦٣ هـ كما هو ثابت بالنقش فى لوح بأعلى باب المدرسة التى تسمى اليوم جامع مثقال ويقال له جامع درب قرمز لوقوعه فى الدرب المذكور وهو جامع معلق يصعد إليه بعشر درجات ويمر تحته طريق توصل بين درب قرمز وميدان بيت القاضى وعلى جانبى تلك الطريق قاعات بأسفل المسجد ومع أن إدارة حفظ الآثار العربية عملت فيه إصلاحات فى سنة ١٣٣٠ هـ فإنه لا يزال خربا ومعطلا وعتبة بابه السفلية قطعة من الجرانيت الأسود عليها كتابة هيروجليفية ظاهرة.

*
* *

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شـعبان بن حسين على مصر وهى سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

فيها كان الغـلاء المفرط بالبلاد الشاميــة حتى أكل الناس الميتات والكلاب والقطط .

وفيها تُوُفِّى الشـيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحـاق إبراهيم ابن القاضى علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن[1] بدران الهيدبانى السعدى الإخنائى المـالكى قاضى قضاة الديار المصرية بها فى يوم الأربعاء ثالث شهر رجب بعـد أن مكث فى القضاء خمس عشرة سـنة وكان — رحمـه الله — من أعيان الفقهاء المـالكية .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة بهـاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضى القضاة سـديد الدين عبد البر بن صـدر الدين يحيى السُّـبكىّ الأنصارىّ الشافعىّ — رحمه الله تعالى — قاضى القضاة بالديار المصرية ثم بدمشق المحروسة فى شهر ربيع الأوّل . ومولده فى سنة سبع وسبعمائة . وكان إمام وقته وعالم زمانه، رَوَى البخارى عن الوزيرة والحجّار وتولّى القضاء بدمشق ثم بمصر ثم عزل وعاد إلى قضاء دمشق إلى أن مات — رحمـه الله — بعد أن أفتى ودرّس وكتب وألّف ونظم ونثر . ومن شعره — رحمه الله تعالى — . [الكامل]

---

(١) فى الأصلين : « ابن بدر » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٣ (أ)) والسلوك للقريزى (ج ٣ ص ٢٦٢) .

ملاحظة : هذه النسخة من السلوك تم نسخها يوم الجمعة ٥ رمضان سنة ١٣٤٧ هـ و ١٥ فبراير سنة ١٩٢٩ عن النسخة المـأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٥٥ تاريخ وأجزاء النسخة المنسوخة أربعة تحت رقم ٣٣٣٧ تاريخ .

وَدّعتُــهُ ولثمتُ باسِمَ ثغْــرِهِ * مع خَدِّهِ وضَمَمْتُ مائسَ قَدِّهِ
ثُمّ انْتَبهتُ ومُقلَتِى تَبْـكى دمًا * يا رَبِّ لا تَجْعَـلْهُ آخرَ عَهْـدِهِ

قلت : ويعجبنى فى هذا المعنى قول الأديب المُفْتَنّ علاء الدين على كاتب[1] ٱبن وداعة . [مخلّع البسيط]

إذا رأيتَ ٱلوَدَاعَ فَٱصْبِرْ * ولَا يَهُمّنّـكَ البِعـادُ
وانتظِرِ العَوْدَ عن قريبٍ * فإنّ قلب ٱلوداع عادوا

وتُوُفِّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى علاء الدين على ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان، ينتهى نسـبه الى الإمام عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — مات بدِمَشق ودُفِن بسفح قاسيون عن نيف وثلاثين سنة بعد أن باشر نيابة كتابة سر مصر عن والده . وكان إماما بليغا كاتبا ناظما ناثرا أخذ العربيـة عن الشيخ كمال[2] الدين بن قاضى شهبة ثم عن قاضى القضاة شمس الدين[3] محمـد بن مُسَلّم — رحمهم الله تعالى — وتوجّه القاضى شهاب الدين المذكور إلى دمشق وٱستوطنها إلى أن مات . وشهاب الدين هـذا سمى على اسم عمّه شهاب الدين أحمد صاحب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » وقد مرّ ذكره وذكر جماعة من آبائه وأقاربه .

---

(١) توفى كاتب ابن وداعة سنة ٧١٦ انظر (المنهل الصافى ج ٢ ص ٤٤٩) والجزء التاسع من النجوم ص ٢٣٥ من هـذه الطبعة .

(٢) هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الشيخ كمال الدين الأسدى الشافعى الدمشقى الشهير بابن قاضى شهبة . مولده فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، كان فقيها عالما فاضلا بارعا ، تصدر للافتاء والتدريس مدّة طويلة وٱنتفع به كثير من الطلبة إلى أن توفى بدمشق فى سـنة ست وعشرين وسبعمائة ودفن بمقابر باب الصغير . (عن المنهل الصافى ج ٢ ص ٣٦٤ (أ) .

(٣) هـو شمس الدين أبو عبد الله محمـد بن مسلم (بتشديد اللام) ابن مالك بن مزروع بن جعفر . ولد فى صفر سنة ٦٦٢ هـ وتوفى سنة ٧٢٦ هـ وقد ذكر له صاحب شذرات الذهب (ج ٦ ص ٧٢) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٥٨) ترجمة ممتعة فراجعهما .

وتُوُفِّى الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المجذوب ودُفِن بالقرافة بالقرب من قبّة الإمام الشافعىّ — رضى الله عنـه — وكان يجلس فى المريس(١) دائمـا وللناس فيه آعتقاد .

وتُوُفِّى الإمام العالم العلّامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على الشهير بآبن الصائغ الحنفىّ — رحمه الله — فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر شعبان ، وكان إماما فى القراءات وسَمِـع الحديث وأخذ النحو عن أبى حَيّان و بَرَع فى الفقه وأعاد ودرّس وأفاد وأفتى و بَرَع فى النحو والأدب ودرّس بجامع آبن طُولُون(٢) بالقاهرة وتَوَلّى قضاء العسكر بمصر وكان أديبًا لطيفا ظريفًا بارعا فى النظم ومن شـــعره : [الطويل]

بُروحىَ أفْدِى خالَه فـــوق خَدِّهِ * ومَنْ أنا فى الدنيا فأفديه بالمــالِ
تبارك مَنْ أخلى من الشَّـعْرِ خَدّه * وأسكن كُلَّ الحُسنِ فى ذلك الخالِ

وله عفا الله عنه : [الرجز]

قاسَ الوَرَى وجــهَ حبيبى بِالقمرْ * لِجامِـع بينهمـا وهــو الخَفَــر
قلت القيـاسُ باطِلٌ بِفَـــرْقِهِ * و بعدذَا عِنـدِىَ فِى الوجـهِ نَظَرْ

(١) المريس : اسم خط ذكره المقريزى فى خططه فى عدّة مواضع منها حكر الست حدق (ص ١١٦ ح ٢) قال إن هــذا الحكر يعرف بالمريس كان أصله بساتين من بعضها بسـتان الحشاب ثم عرف بحكر الست حدق من أجل أنها أنشأت هناك جامعا كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حـوله . وأكثر من كان يسكن هناك من الســودان و به يتخذ المزر (البوظة التى يسميها أهل السودان المريس) وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائبا عنه للكشف عما يباع فيه من المعايش .

و بالبحث عن مكان ذلك الحكر تبين لى أنه كان واقعا فى المنطقة التى يحـدّها الآن من الشرق شارع الخليج المصرى ومن الغرب شارع المنيرة بالقاهرة .

وممـا ذكر يتبين أن الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المذكور كان مقيما بتلك الجهة ، وراجع الحاشـية رقم ١ ص ١٩٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هده الطبعة .

ولـــه : [السريع]

وشـادِنٍ ظَلَّتْ عيونُ الرُّبَا * لـمَّا رأتْهُ مُقْبِــلًا ساجِدَهْ
سألتُـــه مِن رِيقِــهِ شَرْبةً * فقـال ذِى مســألةٌ بارِدَهْ

وتُوُفِّىَ السيِّد الشريف عزّ الدِّين عَجْلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد(١) حسن بن على بن قتادة بن إدريس المكىّ الحسنىّ أمير مكة . وكان قبل موته نزل لولده السـيِّد الشريف أحمد بن عَجْلَان عن نصف إمْرة مكة التى كانت بيده ، فإنه كان قبل ذلك نَزَل له عن النِّصف الأوّل قديمـا وكان وَلِى إمْرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة مستقلا بها مدّة وشريكا لأخيه ثَقَبَة(٢) مدّة وشريكا لآبنه أحمد هذا مدّة . وكانت وفاته فى ليلة الاثنين الحادى عشر من شهر جُمادى الأولى ودُفن بالمعلاة — رحمه الله — وقد قارب السبعين سنة من العُمر، وكان ذا عقل ودَهاء ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة . وكان بخلاف آبائه وأقاربه يُحِبُّ أهلَ السُّنّة ويَنْصُرهم على الشِّيعة ورُبما كان يَذْكُر أنه شافعىّ المذهب ،وهذا نادرة فى السادة الأشراف، فإنّ غالبهم زَيْديّة يتجاهرون بذلك . قيـل : إنه ذُكِر عنـده مرة معاوية بن أبى سُفْيان لينظروا رَأْيَه فيه ، فقال عجلان : معاوية شيخٌ من كِبار قريش لاح له المُلْك فتَلَقَّفَــهُ .

قلت : لو لم يكن من محاسنه إلا آتباعُهُ للسنّة النبوية لكفاه ذلك شرفا . وكان ممدوحا ، مدحه النَّشْو أحدُ شعراء مكة بقصيدة طَنّانة أوّلها : [الكامل]

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٢٦٤) : « ابن أبى سعد على بن الحسن بن قتادة ... الخ » .

(٢) ثقبــة (بفتح المثلثــة وبعدها قاف مفتوحة كذلك وباء موحدة من تحت وهاء) هكذا ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى فى ترجمة ابنه أحمد (ج ١ ص ٦٢ ب) وكنا جرينا فى ضبطها فيما تقدم بضم الثاء وسكون القاف فليحرر وهو خطأ .

لولا الغَـــرَامُ ووَجْدُهُ ونُحُـــولُه * ما كنتَ تَرْحَمُـــه وأنت عَذُولُهُ
إن كنتَ تُنْكِرُه فَسَـــلْ عن حالِهِ * فالحبُّ داءٌ لا يُفِيق عليـــلُهُ
يا مَنْ يَلُومُ على الهَوى أهلَ الهَوى * دَعْ لَوْمَهم فالصـبرُ مات جَميـلُهُ

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَسَنْبُغَا بن بَكْتَمُر الأبو بكرى فى يوم الأربعاء خامس المحرّم وكان من عظماء أمراء الديار المصرية ، كان خَصِيصًا عند الملك الناصر محمد ابن قلاوون وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه . ثم تَرَقّى بعد موته حتى ولى الأمير آخورية الكبرى للسلطان حسن . ثم للأشرف . ثم ولى نيابة الإسكندرية . ثم نيابة حلب . ثم حُجُوبِيّة الحجّاب بديار مصر وطالت أيامه فى السعادة وأظنّه صاحب الأَبُو بَكْرِية[(١)] داخل القاهرة . والله أعلم .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام المعتَقَد العالم العلّامة جمال الدين عبـد الله بن محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبى عبـد الله بن يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحـاق بن عبـد الله بن محمد بن أَبَان بن عثمان بن عَفَّـان — رضى الله عنه — فى يوم الأحد ثالث شهر جُمَادَى الأولى بخَلْوته بسطح جامع

(١) نعم هو صاحب المدرسة المذكورة ذكرها المقريزى فى خططه باسم المدرسة البو بكرية (ص ٣٩٠ ح ٢) فقال : هذه المدرسة بجوار درب العدّاس قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة . بناها الأمير سيف الدين أسنبغا ابن الأمير سيف الدين بكتمر البو بكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الحنفية و بنى بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للأيتام وذلك فى سنة ٧٧٢ هـ و بنى قبالتها جامعا فمات قبل إتمامه . ثم لما كانت سنة ٨١٥ هـ جدد بهذه المدرسة منبرا للخطبة وصار تقام فيها صلاة الجمعة و بذلك أصبحت مسجدا جامعا .

وأقول : إن هذه المدرسة الصغيرة الجميلة لا تزال باقية إلى اليوم وتعرف بجامع سدو أغا تحريف أسنبغا ومشهورة عند العامة باسم جامع الشرقاوى نسبة إلى خطيبه الشيخ محمد الشرقاوى الذى مكث يخطب فيه مدة طويلة فعرف به وهو عامر بإقامة الشعائر بشارع درب سعادة بالقاهرة . و بوجهة هذا الجامع مكان حوض السبيل وهو الآن دكان و بجواره السقاية ولا تزال محتفظة بشكلها الجميل . وكان فيها حوض معدّ لسقى الدواب ؛ و يعلو السبيل مكتب مركب على وجهة مشربية من أجمل المشربيات رسما وتركيبا .

الحاكم[1]. وكانت جنازته مشهودة جدّا ، اجتمع فيها خلائقُ لا تُحْصى — رحمه الله — ومولده فى سنة أربع وتسعين وستمائة . وكان فقيها شافعياً صاحب فنون وعلوم .

وتُوُفِّىَ الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير قيران الحُسامىّ ، كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة — رحمه الله تعالى — وكان كريماً شجاعا مِقْداماً وله وجاهةٌ فى الدُّوَل وحُرْمَةٌ وافرة .

وتُوُفِّىَ تاج الدين أبو غالب الكلبشاوى[2] الأسلَمِىّ القِبْطِىّ ناظر الذَّخيرة فى نصف شهر شوّال و إليه تُنْسَب المدرسة المعروفة بمدرسة أبى غالب[3] تجاه باب

(١) راجع الحاشية رقم (٣ ص ١٧٧ ج ٤) من هذه الطبعة .

(٢) الكلبشاوى : نسبة الى بلدة "كلبشو" إحدى قرى مركز السنطة بمديرية الغربية بمصر ، وهى قرية قديمة وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى باسم مكلبشو من أعمال جزيرة قويسنا . وفى التحفة السنية لابن الجيعان مكلبشو من أعمال الغربية . وفى الانتصار لابن دقماق كلبشو . وفى كتاب وقف السلطان قنصوه الغورى المحرّر فى سنة ٩٢٢ هـ "كلبشا" وهو اسمها على لسان العامّة . وفى تاريع سنة ١٢٢٨ هـ كلبشو وهو اسمها الحالى . وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أطيانها ١٥٥٤ فدانا ، وعدد سكانها حوالى ٤٥٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

(٣) هذه المدرسة لم يفردها المقريزى فى خططه بذكر ، وإنما لما تكلم على مسجد باب الخوخة (ص ٤١٢ ح ٢) قال : إن هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبى غالب . ولما تكلم المقريزى فى كتاب السلوك على ترجمة أبى غالب فى وفيات سنة ٧٧٧ هـ قال : إن تاج الدين أبو غالب يعقوب الكلبشاوى القبطى الأسلمى تنسب اليه المدرسة المعروفة بمدرسة أبى غالب تجاه باب الخوخة من ظاهر القاهرة ، وزاد على ذلك السخاوى فى كتاب التبر المسبوك (ص ١٥٣) قوله : إن هذه المدرسة بجوار الزينية بالقرب من قنطرة الموسكى .

وبالبحث عن مكان مدرسة أبى غالب المجاورة لمسجد باب الخوخة الذى فى مكانه اليوم المدرسة الزينية التى تعرف بجامع القاضى يحيى زين الدين تجاه باب الخوخة وبالقرب من قنطرة الموسكى تبين لى أن مدرسة أبى غالب هى التى تعرف اليوم بجامع الحفنى بشارع جامع البنات بالقاهرة لتحديد موقعها فى هذا المكان .

وقد تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على جامع الحفنى (ص ٩٩ ج ٤) فقال : إن الذى أنشأه هو الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة ١١٧٢ هـ . وأقول : إن عبد الرحمن كتخدا لم ينشئ هذا المسجد وإنما جدّده . وأما الذى أنشأه فهو أبو غالب السالف الذكر ، وكان فى أول أمره مدرسة هى مدرسة أبى غالب بدليل قربها من باب الخوخة وجامع القاضى يحيى زين الدين وقنطرة الموسكى . ثم هناك دليل آخر وهو ما ورد فى بيت من الشعر منقوش على لوح من الرخام بأعلى باب الجامع نصه :

أحيا لنا الله بعد ما دثرا * تاريخه : مسجد الرحمن لا دثرا =

الخوخة[(١)] ظاهر القاهرة . وتُوفّى شيخ الكُتّاب غازى بن قُطْلُوبغَا التركى فى شهر رجب، وقد آنتهت إليــه الرياسة فى الخط المنسوب وتصدّر للإفادة ســنين عديدة وآنتشر خطه فى الآفاق .

وتُوُفّى الشيخ نور الدين علىّ بن محمد بن محمد بن علىّ بن أحمد الكنانىّ العسقلانىّ الشافعىّ الشهير بآبن حجر والد الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر فى يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، وكان تاجرا بمدينة مصر القديمة، وتفقّه على مذهب الإمام الشافعىّ

= وعرف بجامع الحفنى أو الحفناوى نسبة الى الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى لأنّ داره كانت تجاور هذا الجامع، وكان ملازما للصلاة فيه فعرف به، مات سنة ١١٧٢ هـ ودفن بالقرافة . وهذا الجامع يرتفع عن سطح الأرض بعدة درجات وقد جدده ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٢٩٠ هـ وهو عامر بالشعائر بشارع جامع البنات كما ذكرنا .

وإنى أحمــد الله الذى وفقنى إلى كشف مكان مدرسة أبى غالب هــذه إذ لم يسبقنى أحد من الباحثين فى وقتنا الحاضر الى معرفة مكانها والكتابة عنها .

(١) هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها الغربى الذى أنشأه جوهر القائد ذكره المقريزى فى خططه (ص ٤٥ ج ٢) فقال : إنه أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حدّها البحرى (وهو الغربى بحسب الوضع الطبيعى) . ثم قال : وكان يعرف أوّلا بخوخة أبى سعيد ميمون دبه أحد خدّام الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى ويسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى . ولما تكلم المقريزى على بناء القاهرة وما كانت عليه فى عهد الدولة الفاطمية (ص ٣٦٠ ج ١) . قال : وكان فى الجهة الغربية من القاهرة باب سعادة وباب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد القائد جوهر . ومما ذكر يتضح أن الذى أنشأ باب الخوخة هو أبو سعيد ميمون دبه السالف ذكره حول سنة ٣٨٠ هـ أى فى عهد الخليفة العزيز بالله نزار .

وبما أنه قد ثبت لنا مما سبق ذكره أن مسجد باب الخوخة مكانه اليوم المدرسة الزينية التى تعرف بجامع القاضى يحيى زين الدين وهذا الجامع لا يزال قائما بشارع بين النهدين بالقاهرة فقد بحثنا تجاه هذا الجامع عن موقع باب الخوخة فتبين لنا أنه اندثر وكان واقعا على رأس شارع قبو الزينة من جهة شارع بين النهدين تجاه جامع القاضى يحيى زين الدين الذى يسميه العامة جامع الشيخ فرج لأن بأسفله قبر بهذا الاسم .

وكان هذا الباب يعرف بخوخة ميمون دبه ثم باب الخوخة أو بوابة بين النهدين أو قبــو الزينية لوقوعه تجاه المدرسة الزينية وهو الذى حرفته العامة إلى قبو الزينة ونقلته عنهم مصلحة التنظيم .

وأما قول المؤلف : «ظاهر القاهرة» فهو وصف صحيح لأن باب الخوخة كان بسور القاهرة وكل بناء يقع خارج الباب فى الفضاء الذى كان بين السور والخليج يعتبر «ظاهر القاهرة» أى خارجا عن حدودها الأصلية القديمة .

— رضى الله عنه — وحَفِظَ الحاوِى[1] وأخذ الفقه عن بهاء الدين محمد بن عَقِيل — رحمه الله — وقال الشعر، ومن شعره يُشير إلى المَتْجر : [المجتث]

إسكندرِيّة كم ذا * يسمو قُماشُك عِزَّا
فَطمتُ نَفْسِىَ عنها * فلستُ أطلُبُ بَزَّا

وله أيضا : [الكامل]

يا ربِّ أعضاء السُّجودِ عَتَقْتَها * من فضلِك ٱلوافِى وأنت ٱلواقِى
وٱلعِتْقُ يُسْرَى بِٱلغِنَى ياذا الغِنى * فٱمْنُنْ على ٱلفانِى بِعِتْقِ ٱلباقِى

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا . والله أعلم .

*
* *

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وهى التى قُتل فيها فى ذى القعدة .

فيها تُوُفِّى القاضى مُحِبُّ الدين أبو عبد الله محمد ٱبن القاضى نجم الدين أبى المحاسن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التَّيمِىّ المصرىّ ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية بها فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ذى الحجة عن إحدى وثمانين سنة . وكان فى ٱبتداء أمره تولّى ديوان جَنْكَلى بن البابا ثم خدم عند الأمير مَنْكَلى الفخرىّ فكتب إليه الشيخ صلاح الدين الصَّفَدىّ يقول : [السريع]

مِن جَنْكَلى صِرْتَ الى مَنْكَلى * فكلُّ خيرٍ أرتَجِى منك لِى
وأنت لِى كهفٌ وما مَقْصِدى * مِن هذهِ ٱلدنيا سوى أنتَ لِى

(١) يريد الحاوى الكبير تأليف الإمام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى فى أربعة وعشرين مجلدا مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٨٣ فقه شافعى .

وكان القاضى مُحبُّ الدين المذكور رجلا صالحا فاضلا وله سماعٌ عالٍ وله مصنّفات — رحمه الله — منها « شرح التسهيل » [فى النحو][١] فى أربعة مجلدات و « شرح التلخيص فى المعانى والبيان » وغير ذلك .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة تقىّ الدين أبو الفداء إسماعيل بن نور الدين علىّ بن الحسن[٢] القَلْقَشَنْدِىّ الشافعىّ المصرىّ مفتى المسلمين بالقُدس الشريف عن نحو سبعين سنة وكان فقيهًا بَرَع فى عِدّة علوم وأفتى ودرّس واستقل . رحمه الله .

وتُوُفِّى الشيخ المُسْنِد المُعَمَّر الرُّحلة أبو حفص عمر بن الحسن بن مَزْيَد[٣] الشهير بابن أُمَيلة المَرَاغىّ الحلبى ثم الدمَشْقىّ بها عن ثمان وتسعين سنة ، بعد أن صار رُحْلَةَ زمانه وقُصِد من الأقطار للسماع عليه فسَمِـع منه خلائقُ كثيرة .

وتُوُفِّى الشيخ الأديب جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب المصرىّ ثم الحلبىّ بحلب ، وقد قارب الخمسين سـنة وكان معدودا مر الكُتَّاب الأدباء الفضلاء ، ومن شعره : [الطويل]

رِياضٌ جَرتْ بِٱلظُّلم عادات رِيحها * وسار بغيرِ ٱلعدلِ فِى ٱلحُكْم سيرُها
فَفَرّقتِ ٱلاغصانَ[٤] عِنـد ٱعتِناقِها * وسَلْسلَتِ ٱلانهـارَ إذ جنّ طيرُها

---

(١) تكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٣٢ أ) .

(٢) رواية المنهل الصافى (ج ص ٢١٢ ب) : « ابن الحسين » .

(٣) فى الأصلين : « ابن مرثد » والتصويب من المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٧٢ ب) ومختصره : « الدليل الشافى على المنهـل الصافى ص ٨١ » للمؤلف وهى نسخة فتوغرافية عن نسخة محفوظة بمكتبة قرة جلبى سليمانية باستامبول مخطوطة فى حياة المؤلف فى حدود سنة ستين وثمانمائة — وعليها تعليقات ترتفع إلى سنة تسع وستين وثمـانمائة يظن أنها بخط المؤلف — وهى بخط يونس بن سودون الأنوبكرى الملكى الظاهرى ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٨٩ ح .

(٤) رواية الدرر الكامنة (ج ٢ ص ١٥٢) : « ففارقت ... الخ » .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين يعقوب شاه بن عبد الله الحاجب الثانى وأحدُ مُقَدّمى الألوف بالديار المصرية، وكان ممن قام مع الملك الأشرف فى واقعة أَسَنْدَمُر وأظهر شجاعة عظيمة، فقرّبه السلطان الملك الأشرف مِن ثَمّ ورقّاه وأنعم عليه، حتى جعله من جملة الأمراء الألوف بالديار المصرية إلى أن مات — رحمه الله تعالى —.

وتُوُفِّى السلطان الملك الأفضلُ عباس ابن الملك المُجاهد علىّ ابن الملك المؤيّد داود ابن الملك المظفّر يوسف بن عمر [بن على][1] بن رَسُول التُّرْكمانىّ الأصل اليمنىّ صاحب اليمن وابن صاحبها — رحمه الله تعالى — فى شعبان، وتسلطن بعده ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل، وكان الملك الأفضل وَلِى السلطنة بعد موت أبيه المجاهد فى شهر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة. ولمّا ولِى اليمن خرج فى أيامه ابنُ ميكائيل فوقع له معه وقائع، حتى أباده الأفضل وزالت دولة ابن ميكائيل فى أيامه. وكان الأفضل — رحمه الله — شجاعا مهابا كريما وله إلمامٌ بالعلوم والفضائل ومشاركة جيّدة فى عدّة علوم وتصانيف منها: «كتاب العطايا السنية فى ذكر أعيان اليمنية»[2] و«كتاب نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون»[3] و«مختصر تاريخ ابن خَلِّكان» و«كتاب بُغْية ذوى الهمم فى أنساب العرب والعجم» وكتاب آخر «فى الألغاز الفقهية» وغير ذلك. وكان فيه بِرٌّ وصدقة وله مآثرُ حسنة — رحمه الله تعالى —

(١) تكملة من المنهل الصافى (ج٢ص٢٥٣ب). (٢) توجد منه فى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة ضمن مجموعة فى مجلد مخطوط بقلم معتاد تحت رقم [٣٥١ تاريخ].

(٣) هذا الكتاب ذيل على كتاب العطايا السنية، ذكر فيه تراجم من أهمل ذكرهم فيه مرتب على الحروف، اختصره من نيف وثلاثين كتابا فى التاريخ وذكر فى صدره أسماء الكتب التى استند عليها فى تأليفه. نسخة ضمن مجموعة فى مجلد مخطوط تحت رقمى (٣٥١ و ٤٦٦ تاريخ).

بَنَى مدرسة عظيمة بتعِزّ وله أيضا بمكّة مدرسة (١) معروفة به بالصفا . وقيل : إن هذه التصانيف المذكورة إنما هى لقاضى تَعِز رضىّ الدين أبى بكر بن محمد بن يوسف الجرائى الصبرى [الناشرى] (٢) — رحمه الله — عَمِل ذلك على لسان الأفضل — والله أعلم — .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين جَرَكْتَمُر بن عبد الله الخاصّكى الأشرفى أحد مقدّمى الألوف بالقاهرة مقتولا فى هذه السنة وكان من خواصّ الملك الأشرف هذا ومن أجلّ مماليكه .

وتُوُفِّى السلطان الملك المظفّر فخر الدين داود ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازى بن ألْبِى بن تَمُرتاش بن إيل غازى بن أُرْتق الأُرْتقىّ صاحب مارِدِين وآبن صاحبها بماردين فى هذه السنة ، بعد أن حكمها نحو عشرين سنة وتَولَّى سلطنة ماردين من بعده آبنه الملك الظاهر مجد الدين عيسى الآتى ذكره فى محلّه — إن شاء الله تعالى — وكان الملك المظفر هذا ولى ملك ماردين بعد آبن أخيه الملك الصالح محمود الذى أقام فى سلطنة ماردين أربعة أشهر عوضا عن والده الملك المنصور أحمد آبن الملك الصالح صالح وخُلِع وتسلطن الملك المظفر هذا فأظهر العدل وآقتفى أَثَرَ والده الملك الصالح فى الإحسان إلى الرعية و إصلاح الأمور إلى أن مات — رحمه الله — .

---

(١) انظر أخبار المدرستين بتعز ومكة فى « العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية » تأليف أبى الحسن على بن الحسن الخزرجى المعروف بابن وهّاس المتوفى سنة ٧١٢ هـ (ج ٢ ص ١٥٩) .

(٢) ساق نسبه صاحب الضوء اللامع فى ترجمة ابنه على [جـ ٥ ص ٢٠٥] أبو بكر بن على بن محمد ابن جابر بن سعد بن جرى بن ناشر الى أن قال و يعرف بالناشرى وكذلك المؤلف فى المنهل الصافى فى ترجمة على المذكور [ج ٢ ص ٣٨٢ ب] وفى شذرات الذهب [جـ ٧ ص ٢٥١] وكذلك السلوك فى وفيات سنة ٨٤٤ هـ .

وتُوُفِّىَ فى هذه السنة جماعةٌ كبيرة من الأمراء الأشرفية ممن مرّ ذكرُهم فى أواخر ترجمة الملك الأشرف، قُتلوا بالسيف عند كَسرة الأشرف من العَقَبة[1]، وهم[2]: الأمير سيف الدين أَرْغون شاه بن عبد الله الجَمالىّ الأشرفى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية وأجلّ أمراء الأشرف، بعد أن قَدِم معه من العَقَبة والأمير سيف الدين صَرْغتمش بن عبد الله الأشرفىّ رأس نوبة فى النُّوَب وأحد مقدّمى الألوف أيضا بالديار المصرية والأمير سيف الدين يَلْبُغا بن عبد الله السابقىّ الأشرفى أحد مقدّمى الألوف أيضا والأمير سيف الدين بَشْتَك بن عبد الله الأشرفىّ أحد مقدّمى الألوف أيضا وهو غير بَشْتَك الناصرى صاحب القَصْر[3] والحمّام[4] والأمير سيف الدين أُرْغُون ابن عبد الله العِزّى الأشرفىّ الأفْرَم أحد مقدّمى الألوف أيضا وغيرهم من أمراء الطبلخانات والعشرات .

وهؤلاء الذين ذُكِروا هم أعيان الأشرفية القادمون صحبةَ أستاذهم الملك الأشرف من العَقَبة إلى مصر، قُتِلوا الجميع فى ساعة واحدة وأُتَوْا برءوسهم من قبة النصر إلى الأمراء الذين ثاروا بالقاهرة وهم يقولون: «صَلُّوا على محمّد» ووضعوها بين يديهم .

وقد تقدّم ذِكرُ ذلك كلّه فى أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان، وتأتى بقيّة ماوقع فى ترجمة الملك المنصور على ابن الملك الأشرف شعبان هذا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان . والله أعلم .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة (ص ٢٠٦) .

(٢) رواية «ف» : «وتوفى الأمير سيف الدين أرغون ... الخ» وما أثبتناه عن «م» : وهى الرواية الصحيحة .   (٣ و ٤) القصر والحمام المذكوران سبق التعليق عليهما : الأول فى الجزء التاسع ص ١٤٩ والثانى فى الجزء العاشر ص ٧٥ من هذه الطبعة .

ذكر سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

السلطان الملك المنصور علاء الدين علىّ ابن السلطان الملك الأشرف زين الدّين شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الألفىّ الصالحىّ وهو السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، تسلطن فى حياة والده حسب ما تقدّم ذكره أنّ الأمير قَرَطاى وطشتمر اللّفاف وأينبك البدرىّ لمّا ثاروا بمن معهم بالدّيار المصرية ، وطلعوا إلى القلعة وأخذوا أمير علىّ هذا من الدور السلطانية وسلطنوه فى حياة والده أرادوا بذلك انضمام الناس عليهم فإنهم كانوا أشاعوا موت الملك الأشرف شعبان فى العقبة حتى تمّ لهم ما أرادوه وسلطنوا أمير علىّ هذا من غير حضور الخليفة والقُضاة فإنهم كانوا صُحبة السلطان الملك الأشرف بالعقبة فلمّا زالت دولة الملك الأشرف وقُبِض عليه وقُتِل ثم حضر الخليفة المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد من العقبة وكان القضاة بالقُدس الشريف توجّهوا إليه من العقبة بعد واقعة الملك الأشرف وهربوا به الى مصر .

فلما كان يوم الخميس ثامن[1] شهر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وذلك بعد قتل الملك الأشرف شعبان بثلاثة أيام، اجتمع الأمراء القائمون بهذا الأمر بالقلعة واستدعوا الخليفة ومَنْ كان بمصر من القضاة ونوّاب من هو غائب من القضاة بالقدس وحضر الأمير آقتمر الصاحبىّ نائب السلطنة بالديار المصريّة وقعدوا الجميع بباب الآدر الشريفة من قلعة الجبل[2] وجدّدوا البَيْعَة بالسلطنة للملك المنصور علىّ هذا بعد وفاة أبيه الملك الأشرف وقَبِل له البيعة آقتمر الصاحبىّ المذكور

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٢٨٧) : « أنه أقيم فى الملك يوم السبت ثالث ذى القعدة » .

(٢) هذه القلعة سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وَلبّسوه السواد خلعة السلطنة وكانت فرجيّة حرير بَنَفْسجىّ بطرز ذهب وبدائرها تركيبة زَرْكش بحاشية حرير أزرق خطائى وشاش أسود خليفتى وقبعا أسود بعذبة خليفتيًّا زَرْكش. وركب بأبّهة السلطنة وشعار المُلك من باب الستارة(1) والأمراء مشاة بين يديه إلى أن وصل إلى الإيوان(2) وجلس على تخت المُلك فى يوم الخميس المذكور وقبّلت الأمراء الأرض بين يديه وحلفوا له على العـادة وأُخْلع على الخليفة وعلى الأمراء وعلى مَنْ له عادة بلُبْس الخِلَع ومُدّ السِّماط وكان عُمْرُ السلطان الملك المنصور يوم تسلطن نحو سبع سنين تخمينا .

ثم قام الملك المنصور من الإيوان ودخل إلى القصر وأخلع على الأمير طَشْتَمُر اللفّاف [المحمدى](3) باستقراره أتابَك العساكر بالديار المصرية وأنعم عليه بكل مال أَرْغُون شاه الأشرفىّ بعد قتله ، وخَلَع على الأمير قَرَطاى الطازىّ واستقرّ رأسَ نَوْبة كبيرا وأَطابَكًا(4) وأنْعَم عليه بكل مال صَرغَتمش الأشرفىّ بعد قتله أيضا ، وَرَسم لهما أيضا أن يجلسا بالإيوان فى الميمنة ، وخَلَع على أَسنْدَمُر الصَّرغتمشىّ وٱستقرّ أمير سلاح ورَسَم له أن يجلس فى الميسرة ، وخلع على قُطْلُو بغا البَدْرىّ وٱستقرّ أمير مجلس وخلع على طَشْتَمُر(5) العلائى الدوادار وٱستقرّ فى نيابة دَمشق ورَسَم له أن يخرج من يومه وخلع على إياس الصرغتمشىّ وٱستقرّ دو يدارا كبيرا عوضا عن طشتمر العلائىّ بإمرة طبلخاناه . ثم أنعم على أينبك البدرىّ وٱستقر أمير آخور كبيرا وبلاط السيفىّ أجاى الصغير ودِمراش اليُوسفىّ وٱستقرّ رأس نوبة ثانيـا — وهـذه الوظيفة هى الآن

---

(١) باب الستارة سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٢٩٠) . (٤) المراد بالأطابك هنا أبو الأمراء، وهو لقب شرف . انظر صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٨) . (٥) انظر ترجمته بالمنهل الصافى (ج ١ ص ٢٢٨ (أ)) وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٦ هـ .

وظيفة رأس نوبة النُّوب فى زماننا هذا — ويلبغا النظامىّ وألْطُنْبُغا السلطانىّ ، وكان الجميع أجنادا ماعدا أيْنَبَك البدرىّ فإنه كان أمير طبلخاناه وطَشْتَمُر اللّفَّاف فإنه كان أمير عشرة فانتقل للأتابَكيّة دفعة واحدة وأنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه ، وهم : الأمير طُغَيْتمر الناصرىّ وقُطْلُوبغا البَيْسَرىّ و بيجَجا الكاملىّ وصَرْبُغا الناصرىّ وطُولُو الصَّرغتمشىّ وأطْلَمَش الأرْغُونىّ ومُقبل الرومىّ وأَلْجِيبُغا السيفىّ أُلجاى وقُطْلُوبُغا النظامىّ وأحمـد بن يحمـر[1] التّرْكُمانىّ وقُطْلُوخَجا أخو أَيْنَبَك البدرىّ وتَمربُغا البدرىّ وألْطُنْبُغا المعلِّم[2] وتَلَكْتَمُر[3] بن عبدالله المنصورىّ وأسنَبُغا الصارمىّ وأطْلَمَش الطازىّ و إبراهيم بن قَطْلُقتَمُر العـلائى وأرُنبغا السيفىّ أُلْجيبُغا وعلىّ بن آقتَمُر عبد الغنىّ وأسَنْبُغا النظامىّ ومأمور القَلَمْطاوىّ .

وأنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم : تُكَا الشمسىّ ومحمد بن قَرَطاى الطازىّ وخضر بن ألْطُنْبُغا السلطانى ومحمد بن شـعبان بن يَلْبُغا العمرىّ وأسَنْبُغا المحمودىّ وطُبَج المحمدىّ وألْطُنْبُغا شادى وسُـودون العثمانىّ شادّ السـلاح خاناه وتَلَكْتَمُر المنجكىّ وآقبغا السيفىّ ألجاى وجَرْكَس السَّـيفىّ ألجاى وطُقْتَمِش السيفىّ يلبغـا وطُوغان العُمَرىّ الظهيرىّ و بَكْلَمُش الإبراهيمىّ و يَلْبُغَا العلائى دوادار أمير علىّ النـائب و يوسف بن شادى أخو حاج ملك وخِضْر الرسولىّ وأسَـنْدَمُر الشرفىّ ومُغلطاى الشرفىّ وخليـل بن أَسَنْدَمُر العـلائىّ ورمضان بن صَرَغتمش وحسن أخو قُطْلُوبُغا حاجّى أمير علم ومَنْكَلى الشمسىّ وأُلجيبغا السيفىّ جَنْقَرا .

ثم رُسِم بالإفراج عن جماعة من السجن بقلعة الجبل فى يوم السبت عاشر شهر ذى القعدة وهم : الأمير آقْتَمُر عبد الغنى نائب السلطنة بديار مصر ونائب الشام كان

---

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٢٩١) : « وأحمد بن همر » .

(٢) فى السلوك المصدر المتقدّم : « العلم » . (٣) فى السلوك المصدر المتقدّم : «بكتمر» .

والأمير عَلَم المحمدى- وأَيْدَمُر الشمسى- وسودُون جَرْكس المَنْجكى- وطيبغا الصَّفَوى- أُلْجاى[1] ومُغلطاى البدرى- الجمالى- وصَرْبُغَا السيفى- وطَشْتَمُر الصالحى- و بلاط الكبير السيفى- ألجاى وحَطَط اليَلْبغاوى- و إياس المـارِدينى- وبَلُوط الصَّرغتمشى- و يلبغـا المَنْجكى- وقرابغا أبو جَرْكَتَمُر[2] وحاجى- خَطاى والد غريب. ثم من الغد أُمر بمسكهم ثانيا وتقييدهم و إرسالهم إلى سجن الإسكندرية فقُبِض عليهم وأُرسلوا فى تلك الليلة ما خلا آقْتَمُر عبد الغنى- وسودُون المَنْجكى[3]- .

ثم فى يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة قَبَضُوا على جماعة من مُباشرى الدولة وطلعوا بهم إلى القلعة وهم: الصاحب الوزير شمس الدين المقسى وتاج الدين موسى ناظر الخواصّ الشريفة وأمين الدّين وعلاء الدّين بن السائس وشهاب الدين آبن الطُّولونى وأُدخِلُوا قاعة الصاحب[4] وصُودِرُوا حتى قُرِّر عليهم ما يقومون به من الأموال ثم أفرِج عنهم .

ثم أُحْضر الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام من الإسكندرية وصُودِر وقُرِّر عليه ألفُ ألف درهم ثم خُلِـع عليه باستقراره فى نيـابة الإسكندرية على عادته . ثُمّ مَسكوا من الطواشـية والخدّام جماعةً كبيرة ، وهم : مختصّ الأشرفى- وجَوْهر الإسكندرى- وسُنْبُل رأس نوبة الجَمدارية وأُدْخلوا قاعة الصاحب .

ثم أصبحوا من الغد قَبَضوا على جماعة أخر وهم : دينار اللّالا وشاهين دست وسُنْبُل اللّفاف أحد الجَمدارية وأُدخلوا أيضا إلى قاعة الصاحب . ثم أصبحوا من الغد ورسموا لمثقال الجمالى- الزِّمام بحمل ثلاثمائة ألف درهم ، ثم آستقرّت مائة ألف درهم .

(١) فى (م) : « الجالى » . (٢) فى (ف) : « أبو جركتمر » وفى السلوك للمقريزى (ج ٣ ص ٢٩٣) والد جركتمر . (٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٢٩٣) : « وسودون جركس » . (٤) سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم فى يوم الاثنين تاسـع عشر ذى القعدة خُلِـع على الأمير آقتمر الصاحبيّ (١) وآستقر على نيابة السلطنة بالدّيار المصرية، كما كان فى أيام الملك الأشرف شعبان، وفُوِّض إليه أن يُخْرِج الإقطاعات للأمراء والأجناد والنوّاب وألّا يكون لأحد معه تَحكُّم وذلك بعد أن رَضِيَت الأمراء والخاصّكية والبرّانيُّون بذلك .

ثم أخلع على الأمير أَرْغُون الإسْعِردىّ بنيابة طرابُلُس عوضا عن الأمير مَنْكَلِى (٢) بغـا الأحمدىّ البلدىّ . ثم أُخْلع على القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السِّر باستمراره على وظيفته .

ثم أخلع على الصاحب تاج الدين المَكِّىّ بإعادته إلى الوزارة ثانية وهى وزارته الرابعة وأُخْلِـع على القاضى كريم الدين بن الرُّوَيْهِب باستقراره ناظر الدولة وآستقر القاضى تقىّ الدين عبـد الرحمن آبن القاضى محب الدين محمـد فى نظر الجيوش المنصورة عوضا عن والده محبّ الدين المذكور بحكم وفاته .

ثم شَرَع الأمراء فى النفقة على الممـاليك السلطانية فأعطُوا كلّ نَفَر عشرةَ آلاف درهم . وفى ثانى عشر شهر ذى الحجة قُرِئ تقليدُ السلطان الملك المنصور علىّ بالإيوان من قلعة الجبل وعَلَّم عليه الخليفة المُتوكّل على الله وشَهِدت عليـه القضاة بتفويض السلطنة للملك المنصور وخُلِـع على الخليفة وأُنعِم عليه بألف دينار وهى رَسْمُ المبايعة .

ثم بعـد أيام دَخَل أَسَنْدَمر الصرغتمشىّ ودِمرْداش اليُوسفىّ إلى الدُّور السلطانيّة وفرّقوا جَوارِىَ الملك الأشرف شعبان على الأمراء .

ثم آستقرّ فى خامس المحرّم من سـنة تسع وسبعين وسـبعمائة الأمير قَرطَاى الطازِىّ أتابكًا بعـد موت طَشْتَمُر اللَّفّاف (٣) وأُخلع عليه بعـد أيام بنظر البيمارستان

(١) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٣٨ ب) وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٩ هـ .
(٢) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٦٧ أ) وسيذكر المؤلف وفاته سـنة ٧٨٢ هـ .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

المنصوريّ وأخلع على الأمير مُبارك الطازيّ وآستقرّ رأس نَوْبة كبيرا عوضا عن قَرَطَاي المذكور . ثم بعد ذلك بمدّة يسيرة آستقرّ الأمير أَيْنَبَك البدريّ الأمير آخور الكبير في نظر البيمارستان ، عوضا عن قَرَطَاي برغبة قرطاي عنـه وآستقرّ سُودُون جَرْكس أُستادارا .

ثم في العشرين من المحرّم خُلع على الأمير سودون الفخريّ الشّيخونيّ وبَلُّوط الصرغتمشيّ وآستقرّا حاجبَيْن بالديار المصريّة .

ثم في صـفر حضر الأمير يلبغا الناصريّ إلى القاهرة وكان قد نفي إلى بلاد الشام ، بعد قتـل السلطان الأشرف فأُنْعِم عليه بإمرة طبلخاناه وكانوا أيضا قبـل تاريخه قـد عَزَلُوا الأمير مَنْكَلي بغا الأحمديّ عن نيـابة طَرابُلس وتَمُرباي نائب صَفَد عن نيابة صفد لجاء الخبر بأنّ مَنْكَلي بغا حَلّ سيفَه وأطاع وأنّ تَمُرباي عَصَى وآمتنع بصَـفَد فخلع على الأمير أرغون الإسعرديّ ثانيـا بنيابة طرابلس عوضا عن منكلي بغا المذكور وتولى نيابة حماة تمراز الطازيّ .

ثم في هذه الأيام بدت الوحشة بين قَرَطاي الطازيّ الأتابك وبين صهره أَيْنَبَك البَدْريّ الأمير آخور الكبير في الباطن ، كلُّ ذلك في هـذه المدّة اليسيرة وصار كلّ واحد يُدبِّر على الآخر مع أصحابه وحواشيه ، فلمّا كان يوم الأحد العشرون من صفر عَمِل الأمير الأتابك قَرَطاي وليمةً فأهدَى له أَيْنَبَك مشروبا يقال له الشُّشُش[1] وعَمِل فيه بَنْجًا ، فلمّا شَرِب به قرطاي تَبَنَّج ، وكان لأينبك عند قرطاي عُيونٌ فأخبروه أنَّه تبنّج فركب أينبك من وقته بالسلاح ومعه جماعة كبيرةٌ ملبسين وأنزل السلطان الملك المنصور عليّا إلى الإسطبل السلطانيّ ودُقَّت الكوسات لجاءت الأمراء إلى السلطان وأقامَ أَيْنبك راكبا من عصر يوم الأحد إلى صبيحة يوم الاثنين ، وسـببه أنه كان

(١) الشُّشُش : ضرب من المسكر مثـل البشتكي والتمر بغاوي وانظر ص ٧٩٨ ، ٧٩٩ من الجزء السادس من هذا الكتاب طبعة كاليفورنيا .

عنـد قَرطَاى فى بيته جماعةٌ من الأمراء من أصحابه : منهـم سُودون جَرْكَس وأَسَنْدَمر الصرغتمشىّ وقُطْلُوبُغَا البدرىّ وقطلوبغا جَرْكَس وأمير سـلاح ومبارك الطازىّ رأس نَوْبة كبير وجماعةٌ أُخَر من أمراء الطبلخانات والعشرات فركبوا الجميع ومنعوا أينبـك من الوصول إلى قرطاى وحَمَوْه إلى أن آستفاق قرطاى من نَجْه وقـد ضَعُف أمر أصحابه وقَوِى أمرُ أينبك، فبعث قرطاى يسأل أينبـك أن يُنْعِم عليه بنيابة حلب ويُرْسِل إليه منْدِيل الأمان، فأجابه أينبـك إلى ذلك فخرج قرطاى من وقته إلى سِرْياقوس[1] وقَبَض أينبك على من كان عند قَرطَاى من الأمراء فإنّهـم كانوا قاتلوه وأبادوه من أخذ قرطاى وقَيّدهم وأرسلهـم إلى الإسكندرية[2] فسُجِنوا بها . ورُسِم للأمير آقتمر الصاحبىّ نائب السلطنة بمصر بنيابة دِمَشق عوضا عن طَشْتَمُر العَلائىّ الدوادار فَلبِس آقتمر الخلعة وخرج من وقته ونُودى بالقاهرة ومصر فى الوقت بالأمان ومن كان له ظُلامة ، فعليـه بباب المقرّ الأشرف العزىّ الأتابك أَيْنبَك البدرىّ وسافر قرطاى، فلمّا وصل إلى غَزّة نُفِىَ إلى طَرَابُلُس . ثم حُمِل منها إلى المَرْقَب[3] فحُبِس به ثم خُنِق بعد مدّة يسيرة وصَفا الوقت لأينبك فأخلع السلطان عليـه خِلْعة سنيّة فى خامس عشرين شهر صفر بآستقراره أتابك العساكر ومُدَبِّر الممـالك وخَلَع على الأمير آقْتمُر عبـد الغنى وآسـتقرّ نائب السلطنة بالديار المصريّة عِوَضًا عن الأمير آقتمر الصاحبىّ المُنْتَقِل إلى نيـابة دِمَشق وكلاهما قديمُ هِجْرة من أكابر الأمراء المشايخ .

وآستقرّ الأمير بهادر الجمالىّ أستادارا عوضا عن سودون جَرْكَس وآستقرّ بلاط السيفى أُلْجاى أمـير سلاح، عوضا عن قطلوبغا جركس وآستقرّ أَلْطُنْبغا السلطانىّ أمير مجلس وآستقرّ دِمرداش اليوسفىّ رأس نوبة كبيرا .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وأُنعم على يَلبُغا الناصرىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف وآستقرّ رأس نوبة ثانيا ويلبغا الناصرىّ هذا هو صاحب الوقعة المشهورة مع السلطان الملك الظاهر برقوق وإلى الآن برقوق لم يتأمّر عشرة .

ثم أُنعِم على أطلمش الأَرْغونى بإمرة طبلخاناه وآستقرّ دوادار كبيرا عوضا عن إياس الصرغتمشىّ وأُخلع على قُطْلوبُغا وآستقرّ أمير آخور كبيرا عوضا عن أخيه أينبك البدرىّ وصار الأمر فى المملكة لأينبك البدرىّ وحدَه من غير منازع وأخذ أينبك فى المملكة وأعطى وحكم بمـا آختاره وأراده، فمن ذلك أنه فى رابع شهر ربيع الأوّل رَسَم بنفى الخليفة المتوكّل على الله تعالى إلى مدينة قُوص فخرج المتوكل على الله ثم شُفِـع فيه فعاد إلى بيته ومن الغـد طَلَب أينبك نجمَ الدين زكريا بن إبراهيم آبن الخليفة الحاكم بأمر الله وخلع عليـه وآستقرّ به فى الخلافة عوضًا عن المتوكّل على الله من غير مبايعة ولا خلع المتوكل من الخلافة نفسَه، ولُقِّب زكرياء المذكور بالمعتصم بالله . ثم فى العشرين من شهر ربيع الأوّل المذكور تكلّم الأمراء مع أينبك فيما فعله مع الخليفة ورغّبوه فى إعادته فطلبه وأخلع عليه على عادته بالخلافة وعَزَل زكرياء . ومن النـاس من لم يُثْبِت خلافة زكريا المذكور ، فإنّه لم يَخْلع المتوكل نفسه من الخلافة حتى يبايع زكريا المذكور .

ثم بدا لأَيْنَبَك أن يُسْكِن جماعةً من مماليكه بمدرسة(1) السلطان حسن وبمدرسة(2) الملك الأشرف شعبان ويجعل فى كل مدرسة مائة مملوك . ثم أَعْطَى أينبك لولديه تقدمتى ألف وهما الأمير أحمد وأبو بكر . ثم نَفَى أرغُون العثمانىّ إلى الشام بطالا وخلَعَ على مُقْبِل الدوادار الطواشىّ الرومىّ وآستقرّ زماما بالآدر الشريفة عوضا عن

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(2) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٧ من هذا الجزء .

مثقال الجمـالى (١) . ثم خلع على بهـادر الجمالى الأستادار وآستقرّ فى نظر البيمارَسْتان المنصورى .

و بينما أَينَبَك فى أمره ونهيه ورد عليه الخبرُ بعصيان نوّاب الشـام ففى الحال عَلّق أينبك جاليش (٢) السفر فى تاسع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور ورَسَم للعساكر بالتجهيز إلى سـفر الشام وأسرع بالنفقة على العساكر وتجهّز فى أسرع وقت وخرج الجاليشُ من القاهرة إلى الريدانية (٣) فى سادس عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور وهم خمسة من أمراء الألوف أوّلهم : قُطْلوتَمجا الأمير آخور الكبير أخو أينبك الأتابك وأحمد ولده و يلبغا الناصرى والأمير بَلاط السيفى أُلجاى وتَمُر بَاى الحسنى . ومن الطبلخانات بُورِى الأحمـدى وآقبغا آص الشيخونى فى آخرين ومـائة مملوك من المماليك السلطانية ومائة مملوك من مماليك الأتابك أينبك .

وفى تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور من سـنة تسع وسبعين وسبعمائة خرج طُلْب السلطان الملك المنصور وطُلْب الأتابك أينبك البدرى وأطلاب بقيّة العساكر من الأمراء وغيرهم إلى الرَّيْدانية فأقاموا بالريدانية إلى يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر استقلّوا بالمسير قاصدين البلاد الشامية، وساروا حتى وصلوا بلبيس (٤) رجعوا على أعقابهم بالعساكر إلى جهة الديار المصرية .

وخبرُ ذلك أن قطلوتمجا أخا أينبك مقـدّم الجاليش بلغـه أن الجماعة الذين معه مخامرون وأنهم أرادوا أن يكبسوا عليه فآستقصّ الخبر حتّى تحقّقه فرِكب من وقته وساعته وهرب فى الحال وهو فى ثلاثة أنفس عائدا إلى أخيه أينبك فآجتمع به وعرّفه

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) يطلق الجاليش على الراية وعلى مقدمة الجيش . انظر السلوك طبعة زيادة (ص ١٢٤ ، ٦٩٢ ، ٨٨٤، ٨٨٥) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث يوجد لها شرح واف .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الخبر ففى الحال أخذ أَيْنَبك السلطان ورجع به إلى نحو القاهرة حتّى وصلها فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر وطَلَع به إلى قلعة الجبل وأنزل الأتابك أينبك السلطانَ الملك المنصور إلى الإسطبل السلطانى وجاءه بعض أمراء من أصحابه ثم أخذ أينبك فى إصلاح أمره وبينما هو فى ذلك بَلَغه أن الأمير قُطْلُقْتَمُر العلائى الطويل والأمير أَلْطُنْبُغَا السلطانى وكانا رجعا معه من بلبيس، ركبا بجماعتهما فى نصف الليل ومعهما عدّة من الأمراء وسائر المماليك السلطانية وخرج الجميع إلى قبّــة النصر(1) موافقة لمن كان من الأمراء بالجاليش المقدّم ذكره، فجهز أينبك الأمير قطلوبجا فى مائتى مملوك لقتال هؤلاء، فخرج بهـم قطلوبجا إلى قُبّــة النصر، فتلقّـاه القوم وحملوا عليــه فانكسر ومُسِك.

فلمـا بَلغ أينبك ذلك جهّــز الأمراء الذين كانوا بقلعــة الجبل وأرسلهم إلى قبة النصر وهم: آقتمُر من عبد الغنى نائب السلطنة وأَيْدَمُر الشمسى وبهادُر الجمالى الأستادار ومُبارك الطازى. هذا وقد ضَعُفَ أمرُ أينبك المذكور وخارت قواه، فإنّه بلغه أن جميع العساكر اتّفقت على مخالفته حتى إنه لم يعلم مَنْ هو القائم بهذا الأمر لكثرة مَنْ خرج عليه، فلمّا رأى أمره فى إدبار ركب فرسَه ونزل من الإسطبل السلطانى من غير قتــال وهَرَب إلى ناحيــة كيمان مصر فتبِعــه أيدمر الخطائى وجماعةٌ من العسكر فلم يقف له أحدٌ على أثر، كلُّ هذا وإلى الآن لم يجتمع مَنْ بالجاليش مع مَنْ هــو بقُبّة النصر من الأمراء، غير أنّ الفتْنة قائمــة على ساق والغَوْغاءَ ثائرةٌ والسعد قد زال عنه من غير تدبير ولا عَمَل واختفى أَيْنَبك بتلك الجهة ثم وجدوا فرسَــه وقَبَاءَه ولُبْسه، ولـمّـا استولت الأمراء على القلعة على ما سَنَحْكيه — إن شاء الله تعالى — بعد أن نذكرَ قِتْــلَةَ أينبك المذكور ألزموا والىَ القاهرة

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا.

ومصر بإحضاره فنُودِى عليـه بالقاهرة ومصر وهُدِّد مَنْ أخفـاه بأنواع النَّكَال، فخاف كلُّ أحد على نفسه من تقريبه، فلم يَجِد بُدًّا من طلب الأمان من الأمير يَلْبُغا الناصرىّ الآتى ذكره، فأمّنه بعد مدّة فطلَع أَيْنَبَك اليه فحـال وقع بَصَرُ القوم عليه قَبَضُوه وأرسلوه مقيَّدا إلى سجن الإسكندرية وكان ذلك آخِرَ العَهْد به ، كما سيأتى ذكره بعد ٱستيلاء الأمراء على القلعة . قلتُ " وكما تَدين تُدَان " . وما من ظالم إلّا سيبلى بظالم .

وفى أَيْنَبَك هذا يقول الأديب شهاب الدين بن العَطّار : [المنسرح]

من بعـد عِزٍّ قد ذلَّ أَيْنَبَكا * وٱنحطّ بعد السُّمُوِّ مَنْ فتكا
وراح يبْـكِي الدماءَ منفرِدًا * والناس لَا يعرفون أَيْنَ بَكَى

وأمّا الأمراء فإنهم لمّـا بلَغهم هروبُ أَيْنَبَك من قلعة الجبل ركبوا الجميع من قُبّة النصر وطلعوا إلى الإسطبل(١) السلطانىّ من القلعة وصار المتحدّث فيهم قُطْلُقْتَمُر العـلائى الطويل وضربَ رَنْكَه(٢) على إسطبل شيخون(٣) بالرميـلة تجاه باب السلسلة وأقام ذلك اليوم متحدثا ، فأشار عليه مَنْ عنده من أصحابه أن يُسلطن سلطانا كبيرا يرجع الناس إلى أمره ونهيه، فلم يفعله وقال: حتّى يأتى إخواننا، يعنى الأمراء الذين كانوا بالجاليش مع قطلوبغا وهم الذين ذكرناهم فيما تقدّم عند خروج الجاليش ومعهم من الأمراء الطبلخانات والعشرات جماعة : منهـم بَرْقوق العثمانىّ اليلبغاوىّ وبركة الجُوبانىّ اليَلْبُغَاوىّ وكان أَيْنَبَك قد أنعم على كل واحد منهما بإمرة طبلخاناه، بعد واقعة قَرَطاى دفعة واحدة من الجندية ، قبل خروج السفر بأيام قليلة وهذا أوّل

(١) راجع الحاشية رقم ٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد له شرحا وافيا .
(٢) الرنك : الشعار . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٣) إسطبل شيخون هو بذاته دار شيخون التى تكلمنا عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ٣٠٤ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

ظهور برقوق وبركة فى الدُّوَل ثم حضرت الأمراء الذين كانوا بالجاليش إلى الإسطبل السلطانىّ وهم جمعٌ كبير ممّن أنشأه أينبك وغيرهم وتكلّموا فيمن يكون إليه تدبير الملك وآشتوروا فى ذلك فاختلفوا . فى الكلام وظهر للقادمين الغدر ممّن كان بالإسطبل السلطانىّ ممّن ذكرناه ، فقَبَضُوا على جماعة منهم وهم : قُطْلُقْتَمر العلائىّ الطويل المذكور الذى كان دبّر الأمر لنفسه وأَلْطُنْبُغا السلطانىّ ومبارك الطازىّ فى آخرين وقُيِّدوا الجميع وأرسلوا إلى الإسكندرية صحبة جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب وآتّفقوا على أن يكون المتكلم فى المملكة الأمير يَلْبُغا الناصرىّ ، فصار هو المتحدّث فى أحوال الملك وسَكَن الإسطبل السلطانىّ وأرسل بإحضار الأمير طَشْتَمر العلائىّ الدوادار نائب الشام .

ثم فى يوم الأحد تاسع شهر ربيع الآخر لمّا تزايد الفحص على أَيْنَبَك حضر أينبك بنفسه إلى عند الأمير بلاط فطلع به بلاط إلى يلبغا الناصرىّ بعد أن أخذ له منه الأمان حسب ما تقدّم ذكره ، فلم تطل أيام يلبغا الناصرىّ فى التحدث وظهر منه لِينُ جَنْب ، فآتّفق برقوق وبركة وهما حينذاك من أُمراء الطبلخانات ، لهم فيها دون الشهرين مع جماعة أُخر وركبوا فى سادس عشر شهر ربيع الآخر المذكور وركبت معهم خُشْداشِيّتهم من المماليك اليلبغاوية ومسكوا دِمِرداش اليوسفىّ وتَمُرباى الحَسَنِىّ وآقبغا آص الشيخونىّ وقُطْلُوبغا الشعبانىّ ودِمِرْداش التمان تمرىّ المعلّم وأَسَندمر العثمانىّ وأَسَنْبُغا تُلَكى وقُيِّدوا وأُرْسِلوا إلى سجن الإسكندرية فسُجنوا بها . وقد أضربنا عن أشياء كثيرة من وقائع هذه الأيام لآختلاف نُقُول الناس فيها ، لأنّ غالب مَنْ وثب وأثار الفتنة من واقعة الملك الأشرف شعبان إلى هذه الأيام كان فيما قيل فى العام الماضى إمّا جنديا و إمّا أمير

عشرة لا يُعْرَف من أحواله إلا القليل وأيضا لم يكن فى هـذه الواقعة رجلٌ عظيم له شأن قام بأمر وتبعته الناس ، بل كل واقعة من هؤلاء تكون فيها جماعة كبيرة، كلٌّ منهم يقول : أنا ذاك ! ولهذا آختلفت النقول. وقد ذكرنا المقصود من ذلك كلّه وما فيه كفاية . إن شاء الله تعالى .

ولنشرع الآن فى سياق ما وقع فى أيام الملك المنصور — إلى أن يتوفّى إلى رحمة الله تعالى — فنقول :

ثم فى النهار المذكور (أعنى اليوم الذى مُسِك فيـه الأمراء) قُبِض أيضا على الطواشى مختار الحسامىّ مقدّم الممـاليك السلطانية وحُبِس بالبُرج(١) من القلعة ثم أُفرِج عنه بعد أيام قلائل وأُعيد إلى تقدمة المماليك على عادته. ثم بعد مدّة يسيرة آستقرّ برقوق العثمانىّ اليلبغاوىّ أمير آخور كبيراً دَفْعة واحدة وسكَن بالإسطبل السلطانىّ وأنزل معه الأمير يلبغا الناصرىّ وآستقرّ الأمير زين الدين بركة الجوبانى اليلبغاوىّ أمير مجلس . ثم حضر الأمير طَشْتَمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية بطلب من يلبغا الناصرىّ لمـا كان متحدّثا فى أمور المملكة ، فخرج السلطان الملك المنصور وسائر الأمراء لتلقيه إلى الرَّيْدَانيـة(٢) خارج القاهرة ، فلمّا رأى السلطانَ نزل عن فرسه وقبّل الأرض بين يديه و بكى وطلع فى خدمة السلطان إلى القلعة وخُلِـع عليه بآستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية وحَضَر مع طَشْتَمر من الشام الأمير تمرباى التمرتاشىّ والأمير تَغْرى بَرْمش وسُـودون الشيخونىّ وكان أينبك قد نقله إلى الشأم والأمير طَقْطَمش ونزل طَشْتَمر إلى بيت شيخون بالرُّمَيْـلة وسكن به ليحْكُم بين الناس .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا للريدانية .

فلمّا كان فى ثالث جُمادَى الأولى أَمَر طشتمر أن يُنادَى بالقاهرة ومصر «مَن كان له ظُلامة فعليه بباب المقرّ الأشرف طشتمر العلائىّ» .

ثم فى خامس جمادى الأولى المذكور أخلع السلطان على تمرباى التمرداشىّ باستقراره رأس نَوْبة كبيرا عوضا عن دمرداش اليوسفىّ وخلع على برقوق العثمانىّ بآستمراره على وظيفة الأمير آخورية وعلى بَركة الجُوبانىّ بآستمراره فى إمرة مجلس وأُنعِم على الأمير أَطْلَمش الأرغونىّ بتقدمة ألف وآستقرّ دوادارا كبيرا وآستقرّ يلبغا المَنْجَكىّ شادا لشراب خاناه ورسم للأمير بلاط أمير سلاح أن يجلس بالإيوان ثم آستقرّ دينار الطواشى الناصرىّ لالا السلطان الملك المنصور عوضا عن مُقبل الكَلْبَكىّ بحكم نفيه .

وفى سلخ جمادى الآخرة عُزِل الأمير آقتمر عبد الغنىّ من نيابة السلطنة بديار مصر .

ثم آستقرّ الأمير تَغْرِى بَرْمش حاجب الحجّاب بالقاهرة وآستقرّ أمير علىّ آبن قَشْتَمر حاجبا ثانيا بإمرة مائة وتقدمة ألف ويقال له : حاجب مَيْسرة .

ثم فى يوم الأحد ثانى شهر رجب توجّه الأمير أيْتَمُش البَجَاسىّ إلى الإسكندرية بالإفراج عن جميع مَن بها من الأمراء المسجونين خلا أربعة أنفس : أَيْنَبَك وأخوه قُطلوبَجا وأسندمر الصَّرْغتمشى وقيل جَرْكَس الجاولى الرابع وأنّ أَينبك كان قُتِل . فلما أحضروا الأمراء من الإسكندرية أُخرِجوا إلى بلاد الشام . ثم ولى الأمير بَيْدمَر الخُوارَزمىّ نيابة الشام بعد موت الأمير آقتمُر الصاحبىّ الحنبلىّ وكان آقتمر أحد من نُفِى من أكابر الأمراء المشايخ .

وأَخلِع على مبارك شاه المشطوب بنيابة غزة .

وفى مستهلّ شعبان آستقرّ قُطْلُقْتَمر العلائىّ نائب ثغر الإسكندرية عوضا عن خليل بن عزّام ثم نُفِى بيبغا الطويل العـلائىّ أحد أمراء الطبلخانات إلى الشام بطّالا . ثم نُقِل الأمير مَنْكَلى بغا الأحمدىّ البلدىّ من نيابة حَماة إلى نيابة طَرابُلُس عوضا عن أَرْغُون الإسعردىّ ونُقِل أرغون الإسعردىّ إلى نيابة حماة عوضَه لأمر آقتضى ذلك ونُقِل الأمير آقبغا الجوهرىّ حاجب حجّاب طَرَابُلُس إلى نيابة غزّة عوضا عن مبارك العلائىّ ونُقِل مبارك العلائىّ عوضه فى حجوبيّة طرابلس . ثم أخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عَزّام المعزول عن نيابة إسكندرية بآستقراره وزيرا بالديار المصرية عوضا عن القاضى كريم الدين بن الرُّوَيْهِب . وقُبِض على آبن الرُّويهب وصُودِر .

وفى شوّال توجّه بلاط أمير سلاح إلى خيـله بالجيزة فأُرْسِل إليه خِلْعةٌ بنيابة طرابُلُس ، فأجاب وخرج من القاهرة فرُسِم له بأن يتوجه إلى القدس بَطّالا وآستقرّ عوضه يلبغا الناصرىّ أمير سلاح وأُخلِـع على إينـال اليوسفىّ اليَلْبُغاوىّ وآستقرّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف ، عوضا عن يلبغا الناصرىّ المذكور . وأخلِـع على القاضى بدر الدين محمد آبن القاضى بهـاء الدين أبى البقاء السبكىّ الشافعىّ قاضى قضاة الديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين آبن جماعة بحكم توجّهه إلى القدس بحسب سؤاله على ذلك .

ولمـّا صار الأمر للأتابك طَشْتَمر العـلائىّ الدوادار أخذ فى تنفيذ الأمور على القواعد فعظُم ذلك على بَرْقُوق وآتّفق مع بَركة الجوبانىّ خجداشه ومع جماعة أُخر على الركوب على طَشتَمر ، فلما كان ليـلة تاسع ذى الحجة من سـنة تسع وسبعين المذكورة رَكب برقوق العثمانىّ وخجداشـه بركة الجوبانىّ بمن وافقهما من الأمراء وغيرهم وأَنْزلُوا السلطان الملك المنصور بُكْرة النهار وهو يوم عرفة ودُقت الكوسات ،

وقَصَد برقـوق مَسْك طشتمر الأتابك ، فركبت ممـاليك طشتمر وخرجوا إليهـم وتقاتلوا معهم قتـالا عظيما ، حتى تكاثر جمعُ بَرْقُوق وبَرَكة وقوِى أمرُهم فحينئذ آنكسرت ممـاليك طشتمر وأرْسَل طَشْتَمر يَطلب الأمان فأرسل السلطانُ إليـه منديل الأمان ، فطَلع إلى القلعة فمُسِك فى الحال هـو والأمير أطلمش الأرْغونى الدوادار وأمير حاج بن مغلطاى ودَوادار الأمير طشتمر المذكور وأُرسِل الجميع إلى سجن الإسكندرية فآعتُقِلوا بها .

ثم فى يوم الآثنين ثالث عشر ذى الحِجّـة ٱستقرّ بَرْقوق العثمانى أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن طَشتَمُر العلائى المقدّم ذكره وآستقرّ بَرَكة الجُوبانى رأس نَوْبة كبيرا أطابَكاً[1] — وهذه الوظيفة الآن مفقودة فى زماننا — وسكَن بَرَكةُ[2] فى بيت قَوْصون تُجاه باب السلسلة[3] وآستقرّ الأمير أَيْتَمُش البَجاسى أمير آخور كبيرا بتقدمة ألف عوضا عن برقوق وآسـتقرّ برقوق بسكنه بالإسطبل السلطانى وصار هؤلاء الثلاثة هم : نظام المُلْك وإليهم العَقْدُ والحلُّ وبَرْقُوق كبيرُهم الذى يُرجع إليه والمعوّل على الآثنين : برقوق وبركة ، حتى لَهِجت الناس بقولهم : (برقوق وبركة ، نصبا على الدنيا شبكة) .

ثم بعـد يومين مُسِـك الأمير يلبغا الناصرى أمير سلاح وأُرسِـل إلى سجن الإسكندريّة ومعه الأمير كُشْلى[2] أحدُ أمراء الطبلخانات . ثم أُخرِج يلبغا الناصرى بعد مدّة إلى نيابة طرابُلُس، ويَلْبُغا الناصرى هذا هو صاحب الوقعة مع بَرْقوق الآتى ذكرها فى سلطنته — إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر هامشة ٤ ص ١٤٩ من هـذا الجزء . (٢) ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٥٦) بضم الكاف وسكون الشين المعجمة ، قال : ومعناه باللغة التركية : متعافى .

ثم فى العشرين من ذى الحجّة خُلِـع على الأمير إينال اليوسفىّ وآستقرّ أمير سلاح عوضا عن يلبغا الناصرىّ .

ثم فى مستهل شهر المحرّم سنة ثمـانين وسبعمائة أُنْعِم على آقتمر العثمانىّ بتقـدمة ألف وآستقرّ دوادارا كبيرا عوضا عن أطلمش الأرْغونىّ . ثم بعد أيام قُبِض على صراى تمُرْ نائب صَفَد وسُجِن بالكَرَك وآستقرّ عوضه فى نيابة صَفَد آقبغا الجوهرى نائب غَزّة وآستقرّ عوضه فى نيابة غَزّة مبارك شاه .

ثم فى سادس صفر تولّى كَرِيم الدين عبـد الكريم بن مكانِس الوزرَ والخاصّ معا ووكالة بيت المـال ونظر الدواوين . ثم آسـتقرّ بَرقوق بالأمير مَنْكلى بغـا الأحمدىّ البلدىّ نائب طرابُلُس فى نيـابة حلب عوضـا عن إِشْقَتُمر المـارِدِينىّ بحكم عزله بالقبض عليه بمدينة بلبيس وسجنه بالإسكندرية . وقد قدّمنا أنّ إِشْقَتُمر هذا كان ممن ولى الأعمال الجليلة من سلطنة السلطان حسن وبرقوق يوم ذاك من صغار مماليك يلبغا العمرىّ . انتهى .

ثمّ أَخْرجَ برقوق يلبغا الناصرىّ وولّاه نيـابة طرابُلُس عوضا عن مَنْكلى بُغـا الأحمدىّ البلدىّ المنتقل إلى نيابة حلب . ثمّ بعد مدّة يسيرة قُبِض على منكَلى بغا المذكور وآعتُقِل بقلعة حلب وتَوَلّى حلب عوضَه الأميرُ تَمُرباى الأفضلىّ التمرداشى . ثمّ رُسِم بالإفراج عن إِشْقَتُمر المـاردينىّ من سجن الإسكندرية وأن يتـوجّه إلى القُدس بطّالا .

ثم فى هـذه الأيام رُسِم بعزل الأمير بَيْدَمُر الخُوَارَزْمىّ(1) عن نيابة الشام بالأمير كَمَشْبُغَا الحموىّ اليَلْبُغاوىّ .

---

(1) ستأتى وفاته سنة ٧٩٩ هـ .

قلت : وبَيْدَمر هذا أيضا ممّن ولى نيابة طرابُلُس فى أيام يلبغا العُمَرِىّ وغيرها من الأعمال وحضر بيدمر إلى القاهرة وقُبِض عليه وآعتُقِل بسجن الإسكندرية .

ثمّ استقرّ الأمير قرادمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ أمير مجلس وآستقر أَلْطُنُبغَا الجُوبانىّ اليلبغاوىّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف وهـذه الوظيفة هى الآن وظيفة رأس نوبة النوب وآستقر الأمير بُزلار العمرىّ الناصرىّ نائب إسكندرية عوضا عن الأمير قطلقتمر بتقدمة ألف وآستقر منكلى بغا الطرخانىّ نائب الكرك، عوضا عن تمراز الطازىّ وآستقرّ خليل بن عَرّام المعزول عن نيابة إسكندرية وعن الوزر وهو يومئذ من جملة أمراء الألوف أستادار بركة الجُوبانىّ وهـذا شىء لم يُسمع بمثله كون أمير مائة ومقدّم ألف يكون أستادارا عنـد بعض أعيان الأمراء، فهذا شىء عجيب .

ثم آستقرّ الأمير بركة الجوبانىّ ناظر الأوقاف الحُكْمية[1] جميعها وجعل نائبـه فى النظر جمال الدين محمود العجمىّ الحنفى .

ثمّ آستعفى الأمير تَغْـرِى بَرْمَش من الإمرة والجوبيـة الكبرى بديار مصر فأُعْفِى، فآستقر عوضـه الأمير مأمور القلمطاى اليلبغاوىّ أمير مائة ومقـدّم ألف وحاجب الحجاب .

وفى هـذه الأيام آتّفق جمـاعة على قتـل الأتابك برقوق العثمانىّ، ففَطِن بهم فمَسَك منهم جماعة منهم طشبغا الخاصّكى وآقْبُغا بَشْمقدار أُلْجاى وآقبغا أمير آخور أُلجاى فى آخرين تقدير أربعين نفسا، فنَفَى برقوق بعضَهم وحبَس البعض، ثمّ مسك

(١) عبارة السلوك ج ٣ ص ٢٣٦ : « وفيه استقرّ الأمير بركة ناظر الأوقاف جميعها واستناب فى التحدّث عنه جمال الدين محمود العجمى المحتسب ، فلم يبق وقف حكمى ولا أهلى إلا وطلب مباشريه وتحدّث فيه ... الخ » ومنها يفهم أن الأوقاف الحكمية هى التى تديرها الحكومة .

برقوق ألطنبغا شادى وجماعة من مماليك ألجاى اليوسفىّ ثمّ أَمْسكَ بعد ذلك بمدّة سبعة عشر أميرا وقيّدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية .

ثمّ فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل سَمَّر برقوق آقبغـا البَشْمقدار ومعـه أحد عشر مملوكا من المـاليك السلطانية ، وعشرين من مـماليك طشتمر الدوادار لكلام صدر منهم فى حق برقوق .

وفى أوّل هـذه السنة (أعنى سـنة ثمانين) كان الحـرِيق العظيم بديار مصر بظاهر باب زَوِيلة ، آحترق فيـه الفاكهيون(١) والنقليون(٢) والبراذعيون وعَمِل الحريق إلى سور القاهرة ، فركب الأمير بركة والأمير أَيْتَمَش والأمير قراد مرداش الأحمدىّ وجماعة كبيرة من الأمراء والحكّام ، حتى قدروا على طفيه بعد أيام وآستمر مواضع الحريق خرابا من أوّل هذه السنة إلى آخرها .

ثمّ فى سادس عشرين ذى القعدة آجتمع الأمراء والقضاة عند الأتابك برقوق وقالوا : إنّ العساكر قلّت فى الإسلام ونريد أن نَحُلَّ الأوقاف المحدَثة ، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فمنعهم الشيخ سراج الدين البُلْقِينىّ من ذلك ، فلم يسمعوا له وحَلُّوا أوقاف الناس وجعلوها إقطاعات وفرّقوها .

---

(١) هو أحد أبواب القاهرة القديمـة فى سورها القبلى ، ويسميه العـامة : « بوّابة المتولى » ، وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٦ ص ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والجزء العاشر (ص ١٣٧ ج ١٠) من هذه الطبعة . (٢) يستفاد ممـا ورد فى الخطط المقريزية أن هذه الأسواق الثلاثة كانت واقعة خارج باب زويلة وبالقرب منه ، وبالبحث عن أماكنها تبين لى أن الفاكهيين الذين يبيعون الفاكهة والنقليين الذين يبيعون الفستق واللوز والزبيب ونحوه كانت بشارع تحت الربع تجاه جامع المؤيد والبراذعيون الذين يصنعون البرادع وهى سروج الحمير ، كانوا بشارع الدرب الأحمـر فى أوّله من جهـة باب زويلة بالقاهرة .

وفى مستهل شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وثمانين وسبعمائة طُلب إِشْقتمُر المَارِدِينىّ من القُدس[1] الى القاهرة ، فحضر فى أوّل جُمادَى الأولى وتَوَلّى نيابة حلب بعد عزل تَمُربای الأفضلیّ التَّمُرداشیّ ، ولمّا حضر إِشْقَتَمُر إلى القاهرة تلقّاه الأتابك برقوق والأمير بركة الى الحوض[2] التحتانىّ من الريدانية وترجّلا له عن خيولهما ، وأنزله برقوق عنده وخدَمه أتمّ خدمة ، ثمّ عُزِل الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ عن نيابة دِمَشق ، وتولّى عوضه بيدمر الخُوَارَزْمِىّ على عادته ، وكان بيدمر معتقلا بالإسكندرية .

ثمّ فى أثناء هذه السنة كانت واقعة الأمير إينال اليوسفىّ اليلبُغاوىّ مع الأتابك برقوق .

وخبر هذه الواقعة : أنه لمّا كان فى يوم رابع عشرين شعبان ركب الأتابك برقوق من الإسطبل السلطانىّ فى حواشيه ومماليكه للتسيير على عادته ، وكان الأمير بركة الجوبانىّ مسافرا بالبُحيرة[3] للصيد ، فلما بلغ إينال اليوسفىّ أمير سلاح ركوب برقوق من الإسطبل السلطانىّ انتهز الفرصة لركوب برقوق وغَيْبة بركة ، وركب بمماليكه وهجم الإسطبل السلطانىّ وملَكه ومسك الأمير جركس الخليلىّ ، وكان مع إينال المذكور جماعة من الأمراء : منهم سودون جركس المنجكىّ أمير آخور ، والأمير صصلان الجمالىّ ، وسودون النَّوْرُوزىّ ، وجُمَق الناصرىّ ، وقُمَارِى ،

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٦٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٢) الحوض المذكور هو أحد الحوضين اللذين كانا خارج قبة النصر السابق التعليق عليهما فى الحاشية رقم ١ ص ٤١ من هذا الجزء ، وأما الريدانية فهو اسم المنطقة الصحراوية الواقعة فى شمال القاهرة وسبق التعليق عليها فى أوّل هذا الجزء . راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هكذا فى «م وف» ، وقد سبق التعليق على البحيرة فى الحاشية رقم ٥ ص ٢٠٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وجماعة أخر، ولمـا طلع إينال الى باب[1] السلسلة وملكها أرسل الأميرَ قُمارى لينزل بالسلطان الملك المنصور إلى الإسطبل، فأبى السلطان من نزوله ومنعه، ثمّ كبس إينال زَرَدْخاناه برقوق وأخرج منهـا اللُّبوس وآلة الحرب، وأخذ ممـاليك برقوق الذين كانوا وافقوه وألبسهم السلاح وأوقفهم معه وأوعدهم بمال كبير وإمريات، وبلغ برقوقا الخبرُ فعـاد مسرعا، وجاء الى بيت[2] الأمير أيتمش البَجَاسىّ بالقرب من باب الوزير[3] وألبس مماليكه هناك، وجاءه جماعة من أصحابه، فطلع بالجميع الى تحت القلعة وواقعوا إينـال اليوسفىّ، وأرسـل برقوق الأمير قُرط فى جمـاعة الى باب السلسلة الذى من جهة باب المدرَّج، فأحرقه، ثمّ تسلّق قرط المذكور من عند باب سرّ قلعة الجبل، ونزل ففتح لأصحابه الباب المتصل الى الإسطبل السلطانىّ، فدخلت أصحاب برقوق منه وقاتلت إينال، وصار برقوق بمن معه يقاتل من الرُّمَيلة[4] فانكسر إينال ونزل الى بيتـه جريحا من سهم أصابه فى رقبتـه من بعض ممـاليك برقوق، وطلع برقوق الى الإسطبل وملكه وأرسل الى إينال من أحضره، فلمّا حضر قبَض عليه وحبسه بالزَّرَدْخاناه وقرّره بالليل فأقرّ: أنه ما كان قَصْدُه إلّا مسك بركة لا غير.

ثم إنّ برقوق مسك جماعة من الأمراء وغيرهم من أصحاب إينـال اليوسفىّ ما خلا سـودون النوروزىّ وجُمَق النـاصرىّ وشخصا جنـديًّا يسمى أَزْبَك وكان يدَّعِى أنه من أقارب برقوق. ثمّ حُمِلَ إينال فى تلك الليلة إلى سجن الإسكندرية

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة.
(٢) بالبحث تبين لى أن هذا البيت كان واقعا بجوار المدرسة الأيتمشية التى تعرف اليوم بجامع أيتمش الواقع بشارع المحجر عند تلاقيه بشارع باب الوزير وأن البيت المذكور قد اندثر ولم يبق له أثر.
(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.
(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

ومعه سُودُون جركس . ثم أخذ برقوق فى القبض على مماليك إينال اليوسفىّ ، ونُودِى عليهم بالقاهرة ومصر؛ وفى هذه الواقعة يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار : [الرجز]

ما بالُ إينالٍ أتى * فى مِثل هذِى الحركَهْ
مع عِلْمِهِ بأنها * خاليةٌ مِن بَرَكَهْ

وله أيضا — عفا الله عنه : [السريع]

قد ألبس الله برقوق المهابة فى * نهارِ الأثنينِ مِن نصرٍ وتمكينِ
وراح إينال مع سُودون وآنكسرا * وكان يوما عسيرا يومُ الأثنينِ

وله عفا الله عنه : [الوافر]

بَغَى إينالُ وآعتقدَ الأمانِى * تُساعِدُه فما نال المُؤَمَّلْ
ومدّ لأخذِ برقوقٍ يديه * ولم يعلم بأَن الخَوْخ أَسْفَلْ

ثمّ فى الثامن والعشرين من شعبان حضر الأمير بَرَكَة من السَّرْحة، فركب الأتابك برقوق وتلقّاه من السَّحَر وأعلمه بما وقع من إينال اليوسفىّ فى حقّه . ثم آتّفقا على طلب الأمير يلبغا الناصرىّ من نيابة طَرابُلُس لحضر وأنعم عليه باقطاع إينال اليوسفىّ ووظيفته إمرة سلاح وكانت وظيفةَ يلبغا قبل إينال . وتَوَلّى مَكانه فى نيابة طرابُلُس مَنْكَلى بغا الأحمدىّ البلدىّ ثم آستقر بَلُّوط الصَّرْغتمش فى نيابة الإسكندريّة ، بعد عزل بُزْلار عنها ونفيه إلى الشام بطّالا .

ثمّ نُقِل حَطَط من نيابة أَبْلُسْتَيْن إلى نيابة حماة عوضا عن أرغون الإسعردىّ ثمّ آستقر قُرط فى نيابة الوجه القبلىّ مضافا إلى أُسوان .

ثمّ أَمْسكَ برقوق مثقالَ الجمالىّ الزِّمام وسأله عن ذخائر الملك الأشرف شعبان فأنكر ففرض عليه العقوبة فأقرّ بصُندوق داخل الدار السلطانية فأرسله، ومعه خادمان فأتى بالصندوق وفيه ثلاثون ألف دينار. ثمّ قرّره فأخرج من قاعة المجْدِىّ ذخيرةً فيها خمسةَ عَشر ألف دينار وبَرْنيّة فيها فصوصٌ، منها فصٌّ عَيْنُ هِرّ، زِنَتُـه ستة عشر درهما.

ثمّ بعثه إلى الأمير بَرَكَة فعَصَره فلم يعترف بشىء ثمّ وجدوا عنـد دَادَة الملك الأشرف أوراقا فيها دفتر بخـط الملك الأشرف: فيـه كلُّ شىء ادّخره مفَصَّلا، فوجدوا الذخائرَ كلَّها قد أُخذت ولم يتأخر إلا عند طشتمر الدوادار ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار وعُلْبة فصوص وعُلْبة لؤلؤ، وما وجدوا فى ذلك آسم مثقال المذكور فأُفْرِج عنه.

وفى هذه السنة وجّه الأميرُ بَركة دواداره سودون باشا إلى الحجاز الشريف لإجراء الماء الى عَرَفة، وكان فى أوائل هذه السنة بَرَزَ المرسومُ الشريف بأن يُعْمَلَ على قنطرة فم الخَوْر(١) التى عند موردة الجبس سلسلةٌ تمنع المراكبَ من الدخول إلى الخليج

(١) سبق أن تكلمنا فى الحاشية رقم ٣ ص ١٢٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة على خليج فم الخور ومجراه وأنه كان يأخذ مياهه من النيل عند موردة الجبس التى مكانها اليوم شارع ماسبرو عند تلاقيه بأوّل شارع الملكة نازلى وديوان مصلحة المجارى الرئيسية قبـل أن يتحوّل النيل إلى مجراه الحالى. ثم يسير خليج فم الخور إلى الشمال محاذيا شارع الملكة نازلى.

وبعد إنشاء الخليج الناصرى الذى تكلمنا عليه فى الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من الجزء التاسع من هـذه الطبعة كانوا يسـتعملون خليج فم الخور وقت الفيضان ليغذى بمائه خليج الذكر الذى كان يغـذى الخليج المصرى ويغـذى كذلك الخليج الناصرى الذى عليه بركة الرطلى وكان خليج فم الخور يتقابل مع خليج الذكر والخليج الناصرى فى النقطة التى يتلاقى فيها اليوم شارع الملكة نازلى بشارع توفيق وشارع قنطرة الدكة.

وكان على فم الخليج فم الخور عنـد موردة الجبس السابق ذكرها قنطرة تفتح وتقفل عند الحاجة. ويظهر من عبارة المؤلف أن المراكب كانت تدخل من النيل إلى الخليج المصرى وإلى الخليج الناصرى الذى عليه بركة الرطلى من تلك القنطرة. فأصدر السلطان مرسوما بوضع سلسلة عليها لمنع مرور المراكب منها.

وإلى بركة الرطلى[1] ، فعمل شعراءُ العصر في ذلك أبياتا ، منها قول بدر الدين آبن الشاميّة أحد صوفية الخانقاة الرُّكْنية بيبرس : [البسيط]

يا سادةً فعلهمْ جميلٌ * وما لهم في الورَى وَحَاشَهْ
سلسلتمُ البحرَ لا لِذنبٍ * وأرسلتمو لِلحِجازِ باشَهْ

---

(١) الخليج المذكور يقصد به الخليج المصرى الذى مكانه اليوم بشارع الخليج المصرى بالقاهرة وقد سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٤ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والاستدراك المدرج بصفحة ٣٨٠ من الجزء السادس منها .

وأما بركة الرطلى فقد ذكرها المقريزى في خططه (ص ١٦٢ ج ٢) فقال : إن هذه البركة من جملة أرض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب ، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة ٧٢٥ ه التمس الأمير بكتمر الحاجب أن يمرّ الخليج بجانب بركة الطوابين هذه ويصب ماؤه من بحريها في الخليج الكبير (الخليج المصرى) فمرّ الخليج الناصرى من ظاهر هذه البركة فلما جرى ماء النيل فيه روى أرض البركة فعرفت ببركة الحاجب لأن أرضها كانت بيد الأمير المذكور . ثم قال : وكان في شرقىّ هذه البركة زاوية يقيم فيها الشيخ خليل بن عبد ربه يصنع الأرطال الحديد التي تزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الأرطال ، فلما جرى الماء في الخليج الناصرى ودخل منه إلى هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنوا فوقه الدور ثم تتابعوا في البناء حول البركة حتى لم يبق بدائرها خلو وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصرى فتدور فيها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس فتمرّ هنالك وللناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس في المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجال من غير إنكار .

فاذا نضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط (وهو البرسيم) وغيره فيجتمع فيها الناس في يوم الأحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد .

وهذه الأحوال هى التي حملت السلطان إلى إقفال قنطرة فم الخور حتى لا تتكرر هذه الحوادث المنكرة .

وبركة الرطلى هذه كانت موجودة إلى حوالى سنة ١٨٥٠ م تروى بماء النيل أثناء الفيضان ثم تزرع أصنافا شتوية بعد ذلك .

ومن تلك السنة بطلت الزراعة منها وتحولت تدريجا إلى أراضى للبناء . وأقدم خريطة للقاهرة ورد بها رسم تلك البركة هى الخريطة التي رسمتها الحملة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ م .

وبتطبيق حدود رسم البركة على الأرض الحالية يتبين لى أنها كانت تشغل المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع الظاهر ومن الغرب بشارع يوسف باشا سليمان (شارع أبو الريش سابقا) ومن الجنوب بشارع يوسف باشا وهبة (شارع الحكيم سابقا) وما في امتداده إلى الشرق حتى يتقابل مع شارع البكرية ، ومن الشرق بشارع البكرية بالقاهرة .

قلت : لم تصح التورية معه فى قوله : باشه، لعدم معرفته باللغة التركية، لأن آسم باشا بالتفخيم والألف و باشــه مرقّقة وفى آخرها هاء و بينهما بون فى اللفظ، وكثير مثل هذا يقع للشعراء من أولاد العرب، فيأخذون المعانى الصالحة فيجعلونها هجوا مثل لفظة نكريش وغيرها، لأن نكريش باللغة العجمية معناه : «جيد اللحية»، فاستعملوها الشعراء فى باب الهجو وكثير مثل هذا . وقد أوضحنا ذلك فى مصنف(١) بيّنا فيه تحاريف أولاد العرب فى الأسماء التركية وغيرها . وقال الأديب عبد العال البغدادىّ فى المعنى : [مخلّع البسيط]

أطلقتُ دمعى على خليج * مــذ سلسلوه فصار يُقفلْ
من رام مِن دهرِنا عجيباً * فلينظرِ المطلقَ المُسَلْسَــلْ

وقال غيره : [مخلّع البسيط]

قــد أَطلقوا البحرَ من فُسوقٍ * مــذ سَلْسَلُوا منه خيْرَ جَدْوَلْ
ورقّ قلبُ الهوى عليــهِ * فجــذا نهــرُه المساســلْ

وفى هذه السنة كانت بالديار المصرية واقعةٌ غريبة من كلام الحائط، وخبرُه : أن فى أوائل شهر رجب من هذه السنة ظهر كلامُ شخص من حائط فى بيت العَدْل شهاب الدين [أحمد] الفِيشِىّ(٢) الحنفىّ بالقرب من الجامع الأزهر، فصار كلُّ مَنْ

---

(١) أطلنا البحث عن هذا المصنف فلم نجد له أثرا .

(٢) الفيشى : نسبة إلى فيشا وهو اسم لعدّة قرى بمصر وهى : فيشا الكبرى وفيشا الصغرى بمركز منوف بمديرية المنوفية، وفيشابنا بمركز أجا بمديرية الدقهلية، وفيشا سليم وهى التى يقال لها : فيشا المنارة بمركز طنطا بمديرية الغربية، وفيشا بلحة وأصلها من زمام ناحية الخزان ثم فصلت عنها سنة ١٩٤٠ واسمها فى الدليل الجغرافى نظارة فيشا بلخة بمركز المحمودية بمديرية البحيرة، وإلى إحداها ينسب شهاب الدين المذكور .

يأتى الى الحائط المذكور ويسأله عن شيء يردّ عليه الجواب ويُكلّمه بكلام فصيح، فجاءته الناس أفواجًا وتردّدت الى الحائط المذكور أكابرُ الدولة وتكلّموا معه وٱفتتن النّاسُ بذلك المكان وتركوا معايشَهم وٱزدحموا على الدار المذكورة وأكثرَ أربابُ العقول الفَحْصَ عن ذلك ، فلم يقفوا له على خبر ، وتحيَّر النــاس فى هــذا الأمر العجيب ، إلى أن حضر الى البيت المذكور القاضى جَمَــال الدين[1] محمود القَيْصَرىّ العَجَمِىّ مُحتَسِب القاهرة وفَحَص عن أمره بكلّ ما يُمكن القُدْرة اليــه ، حتّى إنه أخربَ بعض الحائط فلم يُؤثّر ذلك شيئا وٱستمرّ الكلام فى كلّ يوم الى ثالث شعبان ، وقد كادت العامّة أن تتعبد بالمكان المذكور . وأكثروا من قولهم : « ياسلام سلّم ، الحيطة بتتكلّم » وخاف أهل الدولة من إفساد الحال وقــد أعياهم أمرُ ذلك ، حتّى ظهر أنّ الذى كان يتكلّم هى زوجة صاحب المنزل ، فأُعْلِم بذلك الأتابك برقوق ، فاستدعى بها مع زوجها لحضرا فأنكرتْ المرأة فضربهــا فأقرّت ، فأمر بتسميرها وتسمير شخص آخر معها يسمى « عمر » وهو الذى كان يجمع الناس إليها ، بعد أن ضَرَب برقوق الزوجَ وعمرَ المذكورَ بالمقارع وطِيفَ بهما فى مصر والقاهرة ثم أفرج عنهم ، بعــد أن حُبِسوا مدّة ، وفى ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار :

[البسيط]

يا ناطِقًا مِن جِدارٍ وهو ليس يُرَى * اِظهَرْ وإلّا فهــذا الفعــلُ فتّانُ
فما سمِعنا وللحيطانِ أَلْسِــنةٌ[2] * وإنّمــا قيــل للحيطانِ آذانُ

(١) هو محمود بن محمد بن على بن عبدالله قاضى القضاة جمال الدين أبو الثناء القيصرى الرومى الأصل العجمى الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية وناظر جيوشها . ترجم له المؤلف ترجمة طويلة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٤٦ ب) .

(٢) رواية « ف » : « وما سمعنا للحيطان ألسنة » ورواية « م » : « وما سمعنا لأ لحيطان » وما أثبتناه عن المنهل (ح ٣ ص ٣٤٧ ب) .

وقال غيره : [البسيط]

قد حار فى منزل الفيشى الورى عجبا * بناطق من جدار ظل مُبْـــديه
وكلُّهـــم فى حـــديد بارد ضَرَبُوا * وصاحبُ البيت أدرى بالذى فيـــه

وفى هذه السنة أمر الأميرُ بركة بنقـــل الكلاب وقرّر على كلّ أمير شيئا مُعَيَّنا وعلى أصحاب الدكاكين على كلّ صاحب دُكّان كلبًا ، فتتبّع الناس الكلابَ حتى أُبِيـع كلُّ كلب بدرهم فأخذ بركة جميعَ الكلاب ونفاها إلى برّ الجيزة .

وفى يوم الأربعاء سابع صفر من سنة ٱثنتين وثمانين وسبعمائة كان ٱبتداء الفتنة بين الأَتَابك برقوق وبين خجداشــه بركة الجُوبانىّ وهو أن بركة أرســل يقول إلى برقوق فى اليوم المذكور : إنّ أَيْتَمُش البَجَاسىّ لابس آلة الحرب هو ومـماليكه بإسطبله فأرسل برقوق إلى أَيْتَمش فى الحال فلم يجد الأمرَ صحيحا . ثم طلع أيتمش إلى بَرْقُوق وأقام عنده وتردّدت الرسل بين برقوق و بركة ، والذى كان الرسول بينهما العَــلّامة أكمل الدِّين شـيخ الشيوخ بالشيخونية ، أراد بذلك إخماد الفتنة والشيخ أمين الدين الحــلوانىّ ولا زالا بهما حتى أوقع الصلح بينهما ورضى بركة على أيتمش البجاسىّ وخلع عليه قَبَاء «نُخّ» عند نزوله إليه بأمر برقوق صحبة الشيخين المذكورين .

ثم فَسَد ما بينهما أيضا بعــد ٱثنى عشر يوما فى ليـــلة الجمعة تاسع عشر صفر وبات تلك الليلة كلُّ أمير من أمراء مصر مُلبسا بماليكه فى إسطبله ، وسببه : أن بركة أراد أن يُمْسك جماعة من الأمراء، ممّن هو من ألزام برقوق فأصبح نهار الجمعة والأمراء لَابسون السلاح ولـمّا وقع ذلك ، طلَب برقوق القضاة إلى القلعة ليُرَشّد السلطان الملك المنصور وقال لهم : نُرَشِّد السلطانَ فيتكلم فى أمور مملكته وأنْكَفّ أنا وغيرى من التّكلّم وأنا مملوك من جملة مماليك السلطان، فتكلّم القضاة بينه و بين

الأمير بركة وتردّدوا فى الرِّسلية غير مرّة إلى أن أذعن كلٌّ منهما إلى الصلح وتحالفا على ذلك وآصطلحا وأصبحت الأمراء من الغد ركبوا إلى المَيْدان ولَعِبوا بالكُرة وخلَع بركةُ على أيْتَمُش ثانيا . وآستقرّ الصلح وخلَع برقوق على القضاة الأربعة وآلتزم بركة أنه لا يتحدّث فى شيء من أمور المملكة ألْبتّةَ .

وآستمرّ الأمراءُ على ذلك إلى يومِ الآثنين سابع شهر ربيع الأوّل ركبت الأمراءُ وسيّروا بناحية قُبّة النصر ورجعوا وطلع برقوق إلى الإسطبل السلطانىّ، حيث سكنه، وذهب بركةُ إلى بيته وكان برقوق قد وُلِدَ له ولَدٌ ذكر وعَمِل سِماطاً للناس وطلَع إليه الأمير صَرَاى الرَّجَبيّ الطويل وكان من إخوة بركة وقال لبرقوق : إن بركة وحاشيته قد آتّفقوا على قتْلك إذا دخلتَ يوم الجمعة إلى الصــلاة هجموا عليك وقتلوك فبَــقِى برقوق مُتفكّرًا فى ذلك مُتحيّرًا لايشكّ فيما أخبره صَرَاى لصحبته مع بركة وبينما برقوق فى ذلك إذْ طَلَع إليــه الأمير قَرَادِمُرداش الأحمدىّ اليلبُغاوىّ أمير مجلس وطُبُج المحمدىّ وآقتمر العثمانىّ الدّوادار الكبير . وهم من أعيان أصحاب برَكة وهنّئوه بالولد وأكلوا السِّماط ، فلمّــا فَرَغُوا طلَب برقوق الأمير جَرْكَس الخليلىّ ويُونُس الدّوادار وأمرَهُما بمسك هؤلاء الثلاثة ومن معهم، فمُسِكوا فى الحال . ثم أمرَ برقوق حواشيَه بلُبْس السلاح فلبِسُوا ونزل بُزْلار الناصرىّ من وقته غَارةً إلى مدرسة السلطان حسن مع مماليكه وطَلعَ إليها وأغلق بابها وصَعِد إلى سطحها ومآذنها ورَمَى بالنُّشّاب على بركة فى إسطبله الملاصق للمدرســة المذكورة وهو بيت قوصون تُجاه باب السلسلة ، فلمّا رأى بركةُ ذلك أمرَ مماليكه وأصحابَه بلُبْس السلاح ، فلبسوا ونادى برقوق فى الحال للعامّة تنهب بيتَ بركة ، فتجمّعوا فى الحال وأحرقوا بابه ولم يتمكّن بركة من قتالهم من عِظَم الرمى عليــه من أعلى سطوح المدرسة ، فخرج من بابه الذى

بالشارع الأعظم المتّصل إلى صليبة ٱبن طُولُون[1] وخرج معه سائر أصحابه ومماليكه وترك ماله بالبيت ودخل من باب زو يلة[2] وأخذ والى القاهرة معه إلى باب الفتوح[3]، ففتحه له فإنه كان أُغْلِق عنـد قيام الفتنة مع جملة أبواب القاهرة وسار بركة بمن معه من الأمراء والمماليك إلى قُبَّة النصر، خارج القاهرة فأقام بها ذلك اليوم فى مخيَّمه ثم أَخرج طائفة من عساكره إلى جهة القلعة فتوجّهوا يريدون القلعة فَندَب برقوق لقتالهم جماعةً من أصحابه، فنزلوا إليهم وقاتلوهم قتالا شديدا، قُتِل فيه من كلّ طائفة جماعةٌ . ثم رجعت كلُّ طائفة إلى أميرها وباتوا تلك الليلة .

فلمّا أصبح نهارُ الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأوّل من سنة ٱثنتين وثمانين وسبعمائة، ندب برقــوق لقتال بركة الأميرَ علّان الشعبانىّ وأَيْتَمُش البَجاسِىّ وقُرْط الكاشف فى جماعة كبيرة من الأمراء والمماليك وتوجّهوا إلى قُبَّــة النصر فبرَزَ لهم من أصحاب بركة الأمير يلبغا الناصرىّ أمير ســلاح بجماعة كبيرة وٱلتقَوْا وتصادموا صَدْمة هائلة ٱنكسر فيها يلبغا الناصرىّ بمن معه وٱنهزم إلى جهة قبة النصر، فلمّا رأى الأميرُ بركة ٱنهزام عسكره ركب بنفسه وصدَمهم صدْمةً صادقة وكان من الشُّجعان كسرهم فيها أقبح كَسْرة وتتبّعهم إلى داخل التُّرَب، ثم عاد إلى مخيّمه وطلع أصحاب برقوق إلى باب السلسلة فى حالة غير مَرْضِية وباتوا تلك الليلة، فلمّا أصبح نهارُ الأربعاء تاسع شهر ربيع الأوّل المذكور، أنزل برقوق السلطان الملك المنصور إلى عنده بالإسطبل السلطانىّ، ونادى للمماليك السلطانية بالحضور، فحضروا فأَخرج جماعةً كبيرة من الأمراء ومعهم المماليك السلطانية وندبهم لقتال بركة ودُقّت الكوسات بقلعة الجبل

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

حربية ، هذا وقد جهّز بركة أيضا جماعةً كبيرة أيضا من أصحابه ، ليلتقى مَن نَدَبه بَرقوق لقتاله ،وسار كُلٌّ من الفريقين إلى الآخر حتّى تواجَها على بُعد، فلم يتقدّم أحدٌ من العسكرين إلى غريمه، فلما كان بعد الظهر بعث الأمير بركة أمير آخر سيف الدين طُغَاى يقول لبرقوق: ما هذا العمل ! هكذا كان الاتفاق بيننا ؟ فقال برقوق: هكذا وقع ، قل لأستاذك يتوجه نائبا في أىّ بلد شاء ، فرجع أمير آخوره بركة له بهذا القول ، فلم يوافق بركة على خروجه من مصر أصلا ، فلما أيس منه أمير آخوره قال له : إن كان ولا بدّ فهذا الوقت وقت القَيْلُولة والناس مُقَيِّلة ،فهذا وقتك ، فركب بركة بأصحابه ومماليكه من وقته وساقوا فرقتين : فرقة من الطريق المعتادة ، وفرقة من طريق الجبل . وكان بركة في الفرقة التي بطريق الجبل، وبَلَغ برقوقًا ذلك فأرسل الأمراء والمماليك في الوقت لملتقاه ، فلمّا أقبل بركة هرب أكثرُ عساكر برقوق ولم يثبت إلّا الأمير عَلَّان الشعبانىّ في نحو مائة مملوك ، والتقى مع بركة . وكان يلبغا الناصرىّ بمَن معه من أصحاب بركة توجّه من الطريق المعتادة ، فالتقاه أَيْتَمَش البَجاسىّ بجماعة وكسره وضربه بالطَّبَر وأخذ جاليشه وطبلخاناته ورجع مكسورا بعد أن وقع بينهم وقعة هائلة جُرِح فيها من الطائفتين خلائق .

وأمّا بركة فإنه لما آلتقى مع عَلَّان صدم علان صدمة تَقَنْطر فيها عن فرسه وركب غيره ، فلمّا تقنطر آنهزم عنه أصحابه ، فصار في قلّة فثبت ساعة جيّدة ثم انكسر وآنهزم إلى جهة قبّة النصر ، وأقام به إلى نصف الليل فلم يجسُر أحد من البرقوقية على التوجّه إليه وأخذه .

فلمّا كانت نصف ليلة الخميس المذكورة رَأى بركة أصحابَه في قلّة وقد خلّ عنه أكثر مماليكه وحواشيه وهَرَب من قُبّة النصر هو والأمير آقبغا صيوان إلى جامع

المقسىّ[١] خارج القاهرة فغمز عليه فى مكانه فمُسك هو وآقبغا المذكور من هناك وطُلِع بهما إلى برقوق وتَتَبّع برقوق أصحابَ بركة ومماليكه فمُسك منه جماعة كبيرة حسب ما يأتى ذكرُه مع مَنْ مُسِك مع بركة من الأمراء وبَقِيت القاهرة ثلاثة أيام مُغلقة والناس فى وجَل بسبب الفتنة فنادَى برقوق عند ذلك بالأمان والاطمئنان .

---

(١) هذا الجامع من أقدم المساجد فى مصر، ذكره القلقشندى فى « صبح الأعشى » (ص ٣٦٥ جـ ٣) فقال : الجامع بالمقس بباب البحر وهـو المعروف بالجامع الأنور، بناه الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز نزار الفاطمى فى سنة ٣٩٣ هـ . ثم ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع المقس (ص ٢٨٣ جـ ٢) فقال : إن هـذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس لأن المقس كان خطة كبيرة وهى بلد قديم من قبـل الفتح . ثم قال : ولما أمر السلطان صلاح الدين بإدارة السـور على مصر والقاهرة وجعل نهايته التى تلى القاهرة عنـد المقس، بنى فيه برجا يشرف على النيل و بنى مسجده جامعا واتصلت العمارة منه إلى البلد وصار تقام فيـه الجمعة والجماعات ، ثم قال : وفى سنة ٧٧٠ هـ جدّد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسىّ فصار العامة يقولون : جامع المقسى ، ظنا منهم أنه هو الذى أنشأه ، فى حين أنه جدّده . ثم قال : ولما انحسر النيل عن تجاه الجامع ، فأصبح الجامع على حافة الخليج الناصرى .

وأقول : إن هـذا الجامع يعرف اليوم بجامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا من جهة ميدان باب الحديد بالقاهرة ، وكان قد لحقه الإهمال والخراب ، حتى تسلمه ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٢٩٨ هـ وقيض الله له حسن باشا حلمى الأندوسى وكيل مجلس شورى القوانين فبناه من أساسه بماله الخاص تحت إشراف نظارة الأوقاف وتم بناؤه فى سنة ١٣١٣ هـ كما هو ثابت بالنقش فى لوح من الرخام فوق الباب الداخلى بدهليز الجامع ، ومكتوب فوق الباب الخارجى الذى تحت المئذنة ما نصه : « أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمى الثانى الأفخم أدام الله أيامه سنة ١٣١٤ هـ » .

وهو جامع لطيف عامر بالشعائر يعلو بابه الذى على الشارع مئذنة جميلة ويحجب الجامع عن الشارع دكان على يمين الباب الخارجى يعلوه كتاب . وعلى يسار الباب منزل صغير من دورين للاستغلال . وقد عرف هـذا الجامع بالجامع الأنور وجامع المقسم وجامع المقس وجامع المقسى ، كما سماه المؤلف جامع باب البحر وجامع ميـدان باب الحديد وهو اليوم معروف بجامع أولاد عنان ، نسـبة الى الشيخ الصالح الزاهد محمد بن حسن بن أحمد الطهوائى البرهمتوشى المصرى الشهير بابن عنان الشافعى ، مات فى شهر ربيع الأول سنة ٩٢٢ هـ ودفن فى قبره بجوار الجامع ثم قام أولاده من بعده بخدمة المسجد فاشتهر بهم .

وفى واقعة بركة يقول طاهر بن حبيب : [الرجز]

يا لُؤْمَها مِن حالةٍ * وشُؤْمَها مِن حَرَكَهْ
وقُبْحَها مِن فِتنــةٍ * فيها زوالُ بركهْ

وَعَظُم كسرةُ بركة ومسكُه على الناس، لأنه كان محبَّبا للرعيَّة وفيه كرمٌ وحشمةٌ وكان أكثر مَيْل الناس إليه .

ولمّا كان عشيّة ليلة الخميس المذكورة أخذ برقوق نُجْداشَه بركة وقيّده وأرسله إلى سجن الإسكندرية فحُبِس به صحبة الأمير قَرْدَم الحسنيّ ومعه جماعةٌ فى القيود من أصحابه الأمراء وهم : الأمير قَرادمرداش الأحمدىّ أمير مجلس المقبوض عليه قبل واقعة بركة وآقْتَمُر العثمانىّ الدوادار وأمير آخر .

ثم أخَذ برقوق فى القبض على الأمراء من أصحاب برَكَة ، فمَسَك جماعة كبيرة وهم : أَيْدَمُر الخطائىّ وخُضَر (بضم الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة وراء ساكنة) وقَراكَسك وأمير حاج بن مُغْلَطاى وسودُون باشا ويلبغا المنجكىّ وقَرَابلاط وقرابُغَا الأبو بكرىّ وتمربغا السيفىّ تمرباى وإلياس الماجرىّ وتمربغا الشمسىّ ويوسف ابن شادى وقطلبك النظامىّ وآقبغا صيوان الصالحىّ وكزل القرمىّ وطولو تَمُر الأحمدىّ وطوجى الحسينىّ وتَنْكِز العثمانى وقُطْلُو بغا السيفىّ وغريب الأشرفىّ وكَجِى(١) وأَلْطُنبغا الأَرْغونىّ ويلبغا الناصرىّ رفيق منطاش الآتى ذكرهما وأطلمش الطازىّ وتمرقيا .

فأرسل منهم برقوق فى ليلة الأحد ثانى عشر ربيع الأوّل جماعةً إلى الإسكندرية صحبةَ الأمير سُودون الشيخونىّ وهم : يلبغا الناصرىّ وهو أكبر الجماعة

(١) فى هامش م : « كجى » .

وطُبج المحمدىّ و يَلبغا المَنْجَكِىّ وأطلمش الطازىّ وقرابَلاط وتَمُرْقَيا السيفىّ تَمُرْبغا وإِلْياس وقَرَابُغا .

ثم عَرَض برقوق مماليك بَركة فأخذ أكابَرهم فى خدمته ، وكذلك فَعَل بمماليك يَلْبغا الناصرىّ ، ثم أمسك أرسلان الأشرفىّ دوادار بَرَكة . ثم أفرج برقوق عن ســتة أمراء ممن أمسكهم .

ثم أنعم برقوق على جماعة من أصحابه بتقادِم ألوف فأنْعم على ولده محمد بن برقوق بإقطاع بَركة بتمامــه وكماله ، ثم أنعم على أربعة أخر بتقادِم ألوف وهــم : جَرْكَس الخليلىّ و بُزْلَار العُمَرِىّ الناصرىّ وألْطُنبغا المعلّم وآلابغا العثمانىّ وأنعم على أطلمش الطازىّ أحد أصحاب بَركة بإمرة طبلخاناة بالشام .

ثم فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل المذكور أنعم على جماعة بإمرة طبلخانات ، وهــم : آقبُغا الناصرىّ وتَنْكِز بُغــا السيفىّ وطُوجى وفارس الصرغتمشىّ وكمشبغا الأشرفىّ الخاصّكى وقطلوبغا السيفىّ كوكاى وتمربغا المَنْجَكِىّ وسودون باق السَّيْفىّ تمرباى و إياس الصرغتمشىّ وعلى جماعة بإمرة عشرات وهــم : قوصون الأشرفىّ و بيبرس التمان تَمُرِىّ وطغا الكريمىّ و بيرم العلائىّ وآقبغا اللّاجينىّ .

ثم فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور أخلع برقوق على جماعة من الأمراء بوظائف ، فآســتقرّ أَيْتَمش البَجاسىّ رأس نوبة كبيرا أطابكا عوضا عن بَركة — وهذه الوظيفة بطلت من أيام الملك الناصر فرج — وآستقرّ عَلّان الشعبانىّ أمير سلاح عوضا عن يلبغا الناصرىّ وآستقرّ أَلْطُنبغا الجُوبانى أمــيرَ مجلس عوضا عن قرادمرداش الأحمدىّ وآستقرّ آلابغا العثمانىّ دوادارا عوضا عن آقتمر العثمانىّ وآستقرّ أَلْطُنبغا المعــلّم رأس نوبة ثانى بتقدمــة ألف (أعنى رأس نوبة النُّوب) وآستقرّ جَرْكس الخليلىّ أمــيرَ آخور كبيرا وآستقرّ قرابغا الأبو بكرىّ حاجبا وآســتقرّ

بجمان[1] المحمدىّ من جملة رءوس النوب وآستقرّ كمشبغا الأشرفىّ الخاصّكى شادّ الشراب خاناه .

وفى ثانى عشرينه آستقرّ الأمير صلاح الدين خليل بن عَرَّام نائب إسكندرية عوضا عن بَلُّوط الصرغتمشىّ فتوجّه آبن عَرَّام إلى الإسكندرية ثم عاد إلى القاهرة ، بعد مدّة يسيرة وشكا من الأمير بركة ، فأوصاه برقوق به فى الظاهر وسيّره إلى الإسكندرية ثانيا .

ثم أمْسك برقوق الأمير بَيْدَمُر الخُوَارَزْمىّ نائب الشام وأمسك معه جماعة من أصحابه من الأمراء وكان بيدمر من حزب بركة وخرج عن طاعة برقوق فَوَلَّى برقوق عوضه الأميرَ اشِقْتَمُر المارِدينىّ نائب حلب .

وتولّى نيابة حلب بعد اِشِقْتمر منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ نائب طرابلُس .

ثم فى آخر جُمادَى الأولى أَفْرج برقوق عن جماعة الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية ما خلا أربعة أنفس ، وهم : بَرَكة ويلبغا الناصرىّ وقَرَا دمرداش الأحمدىّ وبَيْدَمُر الخُوارزمىّ نائب الشام وحضرت البقيّة إلى القاهرة فأُخْرِج بعضهم إلى الشام ونُفِى بعضُهم إلى قُوص .

ثم فى شعبان باست الأمراء الأرضَ للسلطان الملك المنصور علىّ وسألوه الإفراج عن المسجونين بالإسكندرية وذلك بتدبير برقوق فرسَمَ السلطان بالإفراج عنهم وهم : بَيْدَمُر الخُوارزمىّ ويَلْبُغا الناصرىّ وقرا دمرداش الأحمدىّ ولم يبقَ بسجن الإسكندرية ممّن مُسِك من الأعيان فى واقعة بركة غير بركة المذكور ومات فى شهر رجب على ما يأتى ذكره، بعد أن نحْكى قدومَ آنص والد الأتابك برقوق من

(١) فى بعض المصادر التى تحت يدنا « نمحان » بالنون » بدل الباء وبعد بحث طويل لم تتبين وجه الصواب فيه .

بلاد الجَرْكَس ولمّا حضر الأمراء إلى مصر أُخرِج يلبغا الناصرىّ إلى دِمشق على إمرة مائة وتقدمة ألف بها وقَرّا دمرداش إلى حلب على تقدمة ألف أيضا بها وتوجّه بَيْدَمر الُخوارزمىّ إلى ثغر دِمْياط بطّالا .

ثم رَسَمَ برقوق بالإفراج عن الأمير إينال اليُوسفىّ صاحب الواقعة مع برقوق المقدَّم ذكرها من سجن الإسكندرية وآستقرّ فى نيابة طرابُلُس . ثم آستقرّ كَمَشْبُغَا الحموىّ اليلبُغَاوى فى نيابة صفد عوضا عن تَمُرْبَاى الأفضلىّ التِّمُرداشىّ مدّةً يسيرةً ونُقل إلى نيابة طرابُلُس بحكم آنتقال إينال اليوسفىّ إلى نيابة حلب بعد وفاة مَنْكَلى بُغا الأحمدىّ البلدىّ .

ثم فى ذى الحِجّة من السنة وصَل الخبرُ بوصول الأمير آنص الجَرْكَسِىّ والد الأمير الكبير برقوق العثمانىّ صحبةَ تاجر برقوق الخواجا عثمان بن مُسافر، فخرج برقوق بجميع الأمراء إلى لقائه فى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة المذكورة، فسافر برقوق إلى العِكْرِشة (١) . قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ الحنفىّ : وهو المكان الذى آلتقَى به يوسف الصِّدِّيق أباه يعقوبَ عليهما السلام على ما قيل .

---

(١) يستفاد مما ورد فى كتاب الانتصار لآبن دقاق عند ذكر ضواحى القاهرة (ص ٤٣ ج ٥) أنه كان يوجد ناحية ذات وحدة مالية تسمى البركة قال : وهى شرقى العش وتعرف بالعكرشة بالقرب من سرياقوس وهى بخلاف ناحية بركة الجب المعروفة ببركة الحاج .

وبالبحث : تبين لى أن العكرشة اسم يطلق على بركة واقعة فى الطريق الصحراوى بين القاهرة وبلبيس ، وأن هذه البركة لا تزال باقية الى اليوم بأراضى بلدة (أبو زعبل) وشرقى سكنها و يدل عليها حوض العكرشة رقم ٤٧ بأراضى الناحية المذكورة .

وأما قوله : والنزول بالمخيم بالخانقاه ، فيقصد من ذلك أن الخيمة التى نزل بها السلطان كانت بالخانقاه القريبة من العكرشة ، وتلك الخانقاة هى البلدة التى تعرف اليوم بالخانكة المجاورة لبلدة (أبو زعبل) وسبق التعليق عليها باسم خانقاه سرياقوس فى الحاشية رقم ١ ص ١٤٤ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

وكان قد هيّأ له ولدُه الأتابك برقوق الإقامات والخِيَم والأسمطة وٱلتقى برقوق مع والده فخالَ وقَع بصرُ آنص على ولده برقوق مدّ له يدَه فأخذها برقوق وقبّلها ووضعها على رأسه ثم سَلَّم عليه أكابرُ أمراء مصر على مراتبهم وأُقعِدَ آنص والدُ برقوق في صدر المُخيَّم وقعد الأمير أَقْتَمُر عبد الغنيّ النائب من جانب والأمير أَيْدَمُر الشمسيّ من جانب آخر وجلس برقوق تحت أيدمر وهو يوم ذاك مُرَشَّح للسلطنة، فٱنظر إلى تلك الآداب والقواعد السالفة . ولمّا ٱستقرّ بهم الجلوس أخذ آنص يُخاطب برقوقًا ولدَه بٱسمه من غير تحشم، كما يخاطب الوالد ولده على قاعة الجراكسة، والقاعدةُ عندهم : أنّ الولد والخديم عندهم سواء، وكان المُلْتَقَى بالعِكْرِشة والنزول بالمُخيَّم بالخانقاه، فإنهم لمّا تَلاَقَوْا ساروا على ظُهْر إلى خانقاه سِرْياقُوس وحضر مع الأمير آنص جماعةٌ كبيرة من أقاربه وأولاده إخوة الأتابك برقوق خَوَنْد الكُبْرى والصُّغْرى أمّ بِيبَرْس الأتابك وغيرهما .

ثم مُدّت الأَسْمِطة من المآكل والمشارب والحلاوات وغيرها ودام برقوق والأمراء بخانقاة سِرْياقُوس إلى ظهر اليوم المذكور ثم رَكِبُوا الجميع وعادوا إلى جهة الديار المصريّة والموكب لآنص والد برقوق وأكابر الأمراء عن يمينه وشماله وتحته فرسٌ بسَرْج ذهب وكُنْبُوش زركش بذهب هائل قد تناهَوْا في عملهما وسار الجميعُ حتّى دخلوا إلى القاهرة وٱجتازوا بها وقد أُوقِدَتْ لهم الشموعُ والقناديلُ فتحيّر والدُ برقوق ممّا رأى وكان جركسيًّا جنسه «كَسَا» لا يعْرِف باللغة التركيّة شيئًا، لأن الكَسَا بالبعد عن بلاد التّتار وطَلَع والدُ برقوق مع ٱبنه إلى القلعة وصار هو المشار إليه على ما سنذكره .

وأمّا أمرُ بَرَكَة فإنه لمّا كان شهر رجب من هذه السنة ورد الخبرُ من الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام نائب الإسكندرية بموت الأمير زَيْن الدين بَرَكَة

الجوبانى اليلبغاوى المقدّم ذكره بسجن الإسكندرية، فلمّا بلغ الأتابك برقوقا ذلك عَظُم عليه فى الظاهر — والله سبحانه وتعالى متولى السرائر — وبعث بالأمير يُونُس النُّوروزى الدَّوادار بالإسكندرية لكشف خبر الأمير بركة وكيف كانت وفاته فتوجّه يونس إلى الإسكندرية، ثم عاد إلى مصر ومعه ٱبن عَرّام المذكور نائب الإسكندرية وأخبر برقوقا بأنّ الأمر صحيح وأنه كَشَف عن موته وأخرجه من قبره فوجد به ضَرَبات: إحداها فى رأسه وأنه مدفون بثيابه من غير كَفَن وأنّ يُونُس أخرجه وغَسَّله وكَفَّنه ودَفَنَهُ وصلَّى عليه خارج باب رَشِيد (١) وبَنَى عليه تُرْبةً وأن الأمير صلاح الدين خليل بن عَرَّام هو الذى قتله، فحَبَس برقوق ٱبنَ عَرَّام بخزانة شمائل (٢). ثم عصره وسأله عن فصوص خلّاها بركة عنده فأنكرها وأنكر أنه ما رآها .

فلمّا كان يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب المذكور طلَع الأمراء الخدمة على العادة وطُلِب ٱبن عَرّام من خِزانة شمائل فطلعوا به إلى القلعة على حِمار فرَسَم برقوق بتسميره، فخرج الأمير مأمور القَلمطَاوى حاجبُ الحجّاب وجلس بباب القُلّة (٣) هو وأمير جاندار وطُلب ٱبن عَرّام بعد خدمة الإيوان فعُرِّى وضُرِب بالمقارع ستةً وثمانين شيئًا ثم سُمِّر على جَمَل بلُعْبَة تسمير عَطَب وأُنْزِل من القلعة إلى سُوق الخيل بالرُّمَيْلة بعد نزول الأمراء وأوقفوه تجاه الإسطبل السلطانى ساعة فنزل إليه جماعة

(١) باب رشيد كان من أبواب مدينة الإسكندرية فى سورها الشرقى، وسمى بذلك لأنه كان على رأس الطريق التى توصل من الإسكندرية الى مدينة رشيد، وقد اندثر هذا الباب، ومكانه اليوم فى الحدائق الواقعة شرقى مدخل شارع فؤاد الأوّل (شارع باب رشيد سابقا) عند اتصاله بشارع أبو قير بمدينة الإسكندرية . وكان خارج ذلك الباب جبانة قديمة لدفن موتى المسلمين ولما اندثرت قبورها أصبحت أرضها مخصصة اليوم لدفن طائفة من المسيحيين باسم جبانة الإفرنج الكاثوليك بأوّل شارع أبو قير .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

من مماليك بَرَكة وضربوه بالسيوف والدَّبابيس حتى هَبَّروه وقطَّعوه قطعا عديدةً ثم إنّ بعضَهم قطَع أُذُنَه وجعل يعضُّها صِفة الأكل وأخذ آخرُ رجلَه وآخرُ قطَع رأسَه وعلَّقها بباب زويلة وبَقِيتْ قطعٌ منه مَرْمِيّة بسوق الخيل، وذكر أن بعض مماليك بَرَكة أخذَ من لحمه قطعةً شواها . والله أعلم بصحة ذلك .

ثم جُمِع آبن عَرَّام بعد ذلك ودُفِن بمدرسته(1) خارج القاهرة عند جامع أمير حسين بن جندر بِحكْر(2) جوهر النوبىّ وقد صار أمر آبن عَرّام المذكور فى أفواه

(1) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه باسم مدرسة ابن عرام (ص ٣٩٤ ج ٢) فقال : إنها بجوار جامع الأمير حسين بحكر جوهر النوبى من بر الخليج الغربى، أنشأها الأمير صلاح الدين خليل آبن عرام . وبالبحث عن مكان هذه المدرسة وعن تاريخ إنشائها تبين لى أنها هى التى تعرف اليوم، بجامع المرصفى عند قنطرة الأمير حسين بالقاهرة، وأنها أنشئت حوالى سنة ٧٨٠ هـ . وفى أوائل القرن العاشر الهجرى نزل بها الشيخ العالم الزاهد نور الدين على بن خليل المرصفى، والظاهر أنها كانت معطلة فى زمنه، فاتخذها زاوية له .
ولما مات سنة ٩٣٥ هـ دفن بها وبعد وفاته صارت جامعا بمنبر وخطبة، إلى أن استولى عليه الإهمال ثم الخراب وهو اليوم خرب، وليس بظاهر من وجهته إلا الباب، وحده الغربى ينتهى بحائط جامع الأمير حسين وبه ضريح الشيخ على المرصفى ولذلك نسب اليه . ولما تكلم على باشا مبارك فى خططه على هذه المدرسة (ص ٥٦ ج ٣) و (ص ٢ ج ٦) قال : إن بابها يقع تجاه باب جامع الأمير حسين وأنها زالت ولم يبق من آثارها إلا الباب والساقية وقبر منشئها تسميه العامة بالشيخ الأربعين، ثم آل أمرها بعد ذلك أن أصبحت زريبة للمواشى .
ولما تكلم على جامع المرصفى فى شارع المناصرة (ص ٨٥ ج ٣) قال : إنه كان زاوية للشيخ على المرصفى، وبعد وفاته صارت جامعا بمنبر وخطبة . وأقول : إنه ثبت لى من جميع المباحث التى أجريتها ما يدل على أن مدرسة ابن عرام هى بذاتها جامع المرصفى كما ذكرت وليس مكانها الزريبة التى أشار إليها مبارك باشا بدليل : أولا . إن جامع المرصفى واقع بحكر النوبى وأما الزريبة فواقعة فى أرض بستان العدة .
ثانيا . إن جامع المرصفى يجاور جامع الأمير حسين من الجهة الشرقية، كما ذكر المقريزى . ثالثا . إن الشيخ على المرصفى نفسه الذى نزل بهذه المدرسة، قال فى حديثه للشيخ الشعرانى ونقله عنه فى الطبقات الكبرى ما نصه : «ومن وصيته لى : إياك أن تسكن فى جامع أو زاوية لها وقف ومستحقون، ولا تسكن إلا فى المواضع المهجورة منها التى لا وقف لها» . وهذا واضح على أن هذه الزاوية ليست له . بل إنها مدرسة مهجورة ونزل بها كوصيته للشعرانى . رابعا . دلتنى كثرة مباحثى على أن جميع الزوايا التى اتخذها مشايخ الصوفية للسكن والعبادة لم تكن من إنشائهم بل أصلها من الجوامع والمدارس التى أهملت وتعطلت كما يرى القارئ مما ذكرناه منها فى هذا الكتاب . ومما ذكر يتبين أن ما ورد فى الخطط التوفيقية عن مدرسة ابن عرام لا يتفق والواقع، والصواب ما ذكرنا .

(2) هذا الجامع سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم (٢ ص ٦٢) من الجزء التاسع من هذه الطبعة =

العامّة مثلا يقولون : تحول آبن عَرام وكان ابن عرام المذكور أميرا جليلا فاضلا تنقّل فى الولايات والوظائف وكان له يدٌ طولى فى التاريخ والأدب وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير فيه فوائد ومُلَح وفى هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار : [البسيط]

أيا آبن عَرّام قـد شُمِّرتَ مُشتهرًا * وصار ذلك مكتوبًا ومحسوبَا
ما زِلتَ تجهَـدُ فى التاريخ تكتبُهُ * حتّى رأينـاك فى التاريخ مكتوبا

وفيه يقول أيضا : [الوافر]

بدَتْ أجزا آبنِ عَرّامٍ خليـلِ * مقطَّعةً من(١) الضربِ الثقيـلِ
وأبدتْ أبحـرُ الشعر المـرائى * محـزرة(٢) بتقطـيع الخليـلِ

= وأما حكر جوهر النوبى فقد ذكره المقريزى فى خططه (ص ١١٩ جـ ٢) فقال : إن هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى فى شرقىّ بستان العدّة ، ويسلك منه إلى قنطرة الأمير حسين تجاه باب جامع أمير حسين الذى تعلوه المئذنة وما زال بستانا الى نحو سنة ٦٣٠ ، فحكر وبنى فيه الدور فى أيام الظاهر بيبرس ، وعرف بجوهر النوبى أحد الأمراء فى الأيام الكاملية ، وكان خصيا .

وبالبحث عن مكان هذا الحكر وتعيين موقعه وحدوده ، تبين لى أنه يقع فى المنطقة التى تحدّ اليوم ، من الشرق بشارع الخليج المصرى ، ومن الشمال بشارع الشيخ على يوسف (شارع السويقة سابقا) ومن الغرب بدرب أبو طبق وما فى امتداده جنوبا إلى أن يتقابل بحارة الأمير حسين ، ومن الجنوب حارة الأمير حسين وقنطرة الأمير حسين .

وأما التحديد الذى ذكره على باشا مبارك فى خططه عن حكر النوبى عنـد الكلام على شارع الخليج المرحم (٨٦ جـ ٣) فإنه لا ينطبق على حكر النوبى بل ينطبق على بستان العدّة المجاور له ، والمبينة حدوده فى الخطط المقريزية (ص ١١٩ جـ ٢) وعلى ذلك تكون الأرض الواقعة فى شمال حارة الأمير حسين وقنطرة الأمير حسين ، حيث يوجد جامع الأمير حسين ومدرسة ابن عرام ، هى مكان حكر النوبى ، والأرض الواقعة فى جنوبهما من القنطرة إلى شارع محمد على هى مكان بستان العدّة .

(١) فى الأصلين : « فى » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٧٤ (أ)) وهى الرواية الصحيحة التى بها يتزن البيت . (٢) رواية المنهل الصافى . (ج ٢ ص ٧٤ ب) : «مجزرة» .

حدّثنى الزينى فيروز الطواشى الرومى العزامى وكان ثقة صاحب فضل ومعرفة ودين أن أستاذه صلاح الدين خليل بن عَرّام المذكور كان مليحَ الشكل فصيحَ العبارة بلغات عديدة مع فضيلة تامّة ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة وتولّى نيابة ثغر الإسكندرية غير مرة سنين طويلة وتولّى الوزر بالديار المصرية وتنقّل فى عدّة وظائف أخر، قال: وكان من رجال الدهر وكان محبًّا فى الفقهاء والفقراء وأرباب الصلاح . انتهى .

وقال غيرُه : كان بَشَّره الشيخ يحيى الصنافيرى[(1)] والشيخ المعتَقَد نهار أنه يموت مقتولا بالسيف مُسَمَّرا ، وفى معنى ما قاله الشيخ نهار المذكور يقول الشيخ الشهاب ٱبن العطار المقدّم ذكره : [السريع]

وَعْدُ ٱبن عَرّامٍ قـديمٌ بِمـا * قد نال من شيخ رفيع المَنَارْ
يا ليـلةً بالسِّجن أبدتْ لهُ * ما قاله الشيـخُ نهارٌ جِهَـارْ

وقال العَيْنىّ — رحمه الله — : وذكر القاضى تاجُ الدين بن المِليجى شاهدُ الخاصّ الشريف أنّه طلع إلى القلعة وهم يُسَمِّرون ٱبنَ عرّام فقعد إلى أن تَخِفّ الناس ، فلمّا فرغوا من تسميره، جازوا به عليه فسمعه وهو يقول فى تلك الحالة ويُنشِد أبيات أبى بكر الشِّبلى[(2)] وهى قوله : [الخفيف]

لك قَـلْبى[(3)] تَعِـلُّهُ * فـدمِى لِمْ تُحِـلُّهُ
قال إن كنتُ قاهرًا * فـلِىَ الأمرُ كُلُّهُ

انتهى . وقد خرجنا عن المقصود وأطلنا الكلام فى قِصّة بَرَكة وٱبن عَرّام على سبيل الٱستطراد ولْنَرْجع لِمَا كُنّا فيه .

(1) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٠ هـ (2) هو شيخ الصوفية ، تقدّمت وفاته سنة ٣٣٤ هـ ص ٢٨٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (3) هذان البيتان نسبا فى نهاية الأرب (ج ٧ ص ١٣٦ طبع دار الكتب المصرية) الى أبى فراس الحمدانى الشاعر المعروف ونصهما فيه :

لك جسمى تعـله * فـدمى لم تطـله
قال إن كنت مالكا * فلى الأمـر كله

وأما برقوق فإنه آستمرّ على حاله كما كان قبل مَسْك بركة وقتله و إليه حلّ المملكة وعقدها ولم يجسُر على السلطنة ، و بينما هو فى ذلك مَرِض السلطان الملك المنصور علىّ ولَزِم الفراش، حتى مات بين الظهر والعصر من يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ودُفِن من ليلته بعد عِشاء الآخرة فى تربة جدّته لأبيه(١) خَوَنْد بركة بالقُبّة التى بمدرستها بالتبانة. وكان الذى تولّى تجهيزه وتغسيلَه ودفنَه الأميرُ قُطْلوبُغا الكُوكَائىّ . وكانت مدّة سلطنته على ديار مصر خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما . ومات وعمره آثنتا عشرة سنة ولم يكن له فى سلطنته سوى مجرّد الآسم فقط . و إنما كان أمر المملكة فى أيام سلطنته إلى قَرَطاى أوّلا ثم إلى برقوق آخرا ، وهو كالآلة معهم لصغر سنه ولغلبتهم على الملك . وتسلطن من بعده أخوه أمير حاج آبن الملك الأشرف شعبان بن حسين ولم يقدر برقوق — مع ما كان عليه من العظمة — أن يتسلطن . وكان الملك المنصور علىّ مليحَ الشكل حَسَن الوجه، حشِمًا كثير الأدب واسع النفس كريما . رحمه الله تعالى .

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور على آبن الملك الأشرف شعبان على مصر

وهى سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، على أنه تسلطن فى الثامن من ذى القعدة من السنة الخالية .

فيها . (أعنى سنة تسع وسبعين وسبعمائة) كانت واقعة قَرَطاى الطازىّ مع صهره أَيْنَبَك البدرىّ وقُتِل قَرَطاى . ثم بعد مدّة قُتِل أينبك أيضا .

(١) راجع الحاشية رقم (١ ص ٥٩) من هذا الجزء .

وفيها كان ظهور برقوق و بَرَكة ، وٱبتداء أمرهما حسب ما ذكرنا ذلك كلّه في أصل ترجمة الملك المنصور هذا .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أبو جعفر أحمد(١) بن يوسف بن مالك الرُّعَيْنِيّ الغِرْناطيّ المالكيّ بحلب عن سبعين سنة وكان إليه المنتهى في علم النحو والبديع والتصريف والعَرُوض وله مشاركة في فنون كثيرة ومصنفات جيدة وكان له نظم ونثر . ومن شعره ما كتبه على ألفية الشيخ يحيى(٢) : [البسيط]

يا طالِب النحو ذا اجتهادٍ * تسمو بهِ في الورى وتَحْيَا
إن شِئْتَ نيلَ المُرادِ فاقصِدْ * أُرْجُوزَةً للإمام يَحْيَى

وتُوُفِّى الشيخ الإمام بدر الدين حسن بن زين الدين عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبيّ الشافعي بحلب عن سبعين سنة وكان باشر كتابة الحكم وكتابة الإنشاء وغير ذلك من الوظائف الدِّينية وكان إمامَ عصره في صناعتى الإنشاء والشروط وله تصانيف مفيدة منها : « تاريخ دولة الترك » أنهاه إلى سنة سبع وسبعين وسبعمائة وذيَّل عَليه ولَدُه أبو العزّ طاهر وقال : [البسيط]

ما زِلت تُولَــع بِالتاريخ تَكتُبه * حتّى رأينــاك فِي التاريخ مكتوبَا

قلت : وأكثَر الناسُ من نظم هذا المعنى الركيك البارد في حقّ عدّة كثيرة من المؤرخين، وتزاحموا على هذا المعنى المطروق . انتهى .

قلت : وكان له نظم كثير ونثر وتاريخه مرجَّز وهو قليل الفائدة والضبط ولذلك لم أنْقُل عنه إلّا نادرا ، فإنه كان إذا لم تُعجِبْه القافية سكت عن المراد .

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة (ج ١ ص ٣٤٠) .

(٢) هو العلامة زين الدين يحيى بن عبد المعطى النحوى صاحب الألفية التي أشار اليها ابن مالك ، توفي بمصر سنة ٦٢٨ هـ . انظر ج ١ ص ٢٧٨ ج ٦ من هذه الطبعة .

وليس هــذا مَذْهبِى فى التاريخ . ومن شــعر الشيخ بدر الدين حسن هــذا — رحمه الله تعالى — : [السريع]

الورد والنَّرجسُ مُذ عاينَـا * نَيْــلَوفرًا يلزمُ أنهــارَه
شَمَّر ذا للخَوْض عن ساقِه * وفَــكَّ ذا للعَــوْمِ أزْرَارَه

وله فى مليح يُدْعَى موسى : [الرجز]

لمـا بدا كالبدرِ قال عــاذِلى * من ذا الذى قد فاق عن شمسِ الضُّحَا
فقلت مــوسى وٱسْــتَفِق فــإنه * أهونُ شىء عنــده حَلْقُ اللِّحَـى

وله عفا الله تعالى عنه : [الرجز]

يا أيهــا الساهون عن أُخْرَاكُمُ * إنّ الهــدايا فيــكم لا تُعْرَفُ
المــالُ بِالميزانِ يُصْرفُ عندكُم * والعمر بينــكُمُ جُزافًا يُصْرَفُ

وله قصيدة على رَوِىّ قصيدة كمال الدين علىّ بن النَّبِيه، قد أثبتناها فى ترجمته فى المنهل الصافى، أوّلها : [البسيط]

جوانِحِى لِلقا الأحبابِ قد جَنَحت(١) * وعادِياتُ غرامِى نحوَهم جَنحت

وتُوفِّى الأمير سيف الدين قُطْلُقتَمُر بن عبد الله العلائىّ صاحب الواقعة مع الأمير أينَبك البدرىّ وغيره وهو ممن قام على الملك الأشرف شعبان وأخذ تقدمة ألف بالديار المصرية دفعةً فلم يتهنأ بها وعاجلته المنية ومات ولحقه من بقِى من أصحابه بالسيف .

وتُوُفِّى الأمــير طَشْتَمر اللَّفاف المحمدىّ مقتولا فى ثالث المحرّم وهو أيضا ممّن قام على الملك الأشرف وصار أميرًا كبيرا أَتابَك العساكر دفعة واحدة من الجندية ، وقد تقدّم ذكرُ هؤلاء الجميع فى أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان وفى أوائل ترجمة ولده الملك المنصور علىّ هذا .

(١) جنحت الأولى : بمعنى مالت والثانية بمعنى أسرعت .

وتُوُفّى الأمير الكبير سيف الدين آقْتَمُر الصاحبى المعروف بالحنبلى نائب السلطنة بديار مصر، ثم بدِمَشق بها فى ليلة الحادى عشر من شهر رجب وكان من أجلّ الأمراء وأعظمهم، باشر نيابة دمشق مرتين وتولّى قبلها عِدّة ولايات . ثم بعد النيابة الأولى لدمشق ولىَ نيابةَ السلطنة بالقاهرة وساس الناس أحسن سياسة وشُكِرت سيرتُه وكان وَقُورا فى الدول مهابا وفيه عقلٌ وحشمة وديانة وكان سُمّى بالحنبلى لكثرة مبالغته فى الطهارة والوضوء .

وتُوفّى الأمير سيف الدين يَلْبغا بن عبد الله النظامى الناصرى، وكان أوّلا من خاصكية الملك الناصر حسن ثم تَرَقى إلى أن صار أميرَ مائة ومقدّم ألف بمصر، ثم ولى نيابة حلب وبها مات فيما أظنّ وكان شجاعا مقداما .

وتوفى الأمير سيف الدين قَرطاى أتابك العَساكر مخنوقًا بطرابُلُس وقد تقدّم واقعته مع صِهره أَيْنَبك البدرى وهو أحد رءوس الفتن وممن ولى أتابكيّة العساكر من إمرة عشرة، وكان قَتْلُه فى شهر رمضان . وجميع هؤلاء من أصاغر الأمراء لم تَسْبِق لهم رياسة ليُعْرَف حالُهم وإنما وثب كل واحد منهم على ما أراد فأخذَه، فلم تَطُلْ مدّتُهم وقَتَل بعضهم بعضا إلى أن تَفَانَوْا .

وتُوُفّى القاضى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عُمَر بن السَّفَّاح الحلبى الشافعى وهو عائدٌ من الحج بمدينة بُصْرى[1] وكنيته أبو النُّسُك؛ ومَولِدُه فى سنة آثنتى عشرة وسبعمائة بحلَب وبها نَشأَ ووَلِىَ بها وكالة بيت المال ونظرَ الأوقاف وعِدّةَ وظائف أُخَر . وهو والد شهاب الدين أحمد كاتب سر حلب ثم مصر وكان كاتبا حَسَن التصرّف، ذَكَره [زَيْن الدين] أبو العِزّ طاهر بن حبيب فى تاريخه وأورد له نظما من ذلك : [الدُّوبيت]

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٢١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

لا نِلْتُ مِن الوِصـالِ ما أمّلتُ * إن كان مَتَى ما حُلْتَ عَنّى حُلْتُ[(١)]
أحببتُكم طِفـلًا وها قـد شِبْتُ * أبغى بـدَلًا ضـاق علىّ الوقتُ

وتُوُفّى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين قوصون فى ثانى عشر ذى الحِجّة وكان من جملة أمراء الطبلخانات بمصر وله وجاهة فى الدول .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبغا بن عبد الله السلاح دار المعروف بأبى درقة[(٢)] وكان أيضا من جُمْلة أمراء مصر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وأربعـة وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا .

*
* *

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان على مصر وهى سنة ثمانين وسبعمائة

فيها كانت وقعة الأمير تمُـرباى الأفضلىّ التَّمِرْداشِىّ نائب حلب مع التُّرْكمان .

وتُوفّى العلّامة شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى الحسن بن علىّ بن جابر الأندلسىّ المـالكىّ الهوّارىّ بحلب عن سبعين سنة . وكان عالمـا بارعًا فى فنون كثيرة ، وله نظمٌ ونثرٌ وله مصنّفات كثيرة . ومن شعره :

[الخفيف]

وقفتْ للوَدَاعِ زينبُ لمّـا * رَحَل الرَّكْبُ والمدامعُ تُسْكَبْ
فالتقتْ بالبَنَـانِ دمْعى وحُلْوٌ * سَكْبُ دمعى على أصابع زَيْنَبْ

(١) زيادة عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢١٠ (أ) .
(٢) فى الأصلين : (أبو درقة) وفى السلوك (ج ٣ ص ٣٢٦ أبو قورة) .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو محمد عبد الله آبن الشيخ سعد الدين سعد العَفيفىّ القَزْوِينىّ الشافعىّ الشهير بآبن قاضى القِرَم بالقاهرة فى ثالث عشر ذى الحجة عن نَيِّف وستين سنة. وكان من العلماء عارفا بعدّة علوم، كان يدرّس فى المذهبين: الحنفية والشافعية. وكتب إليه زَيْنُ الدين طَاهِر بن حبيب يقول:

[الخفيف]

قل لربِّ النَّدَى ومن طلبَ العِلْـ * ـمَ مُجِـدًّا إلى سـبيل السـواءِ
إن أردتَ الخَلاصَ من ظُلْمة الجَهْـ * ـلِ فما تهتـدى بغـير الضـياءِ

فأجابه ضياء الدين:

قل لمن يطلب الهـداية مِنّى * خِلْتَ لَمْـعَ السَّراب بِرْكَةَ ماءِ
ليس عنـدى من الضياءِ شُعاعٌ * كيف تبغى الهُدى من آسمِ الضياءِ

وتُوُفّى الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع المعتَقَد شهاب الدين أبو العباس أحمد المعروف ببادَار بالقدس الشريف عن نيِّف وسبعين سنة، بعد أن كف بصره، وكان يعرف علم التصوُّف وعلم الحَرْف جيِّدا وللناس فيه آعتقادٌ كبير. رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته.

وتُوُفّى الشيخ صالح المعتَقَد أبو النُّسُك صالح بن نجم بن صالح المصرىّ المقيم بزاويته بمُنْيَة الشِّيرج[(1)] من ضواحى القاهرة وبها مات ودُفِن فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان عن نيف وستين سنة، وكان على قَدَم هائل من العبادة والزُّهْد والوَرَع. وفيه يقول أبو العِزّ طاهر بن حبيب: [الطويل]

إذا رُمتَ وجهَ الخير فالشيخُ صالحٌ * عليك به فالقصـدُ إذ ذاك ناجحُ
وحَىِّ هَلًا وآنشده فى الحى مُنْشِدًا * ألا كُلُّ ما قَرّتْ به العـينُ صالحُ

(1) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

وتُوُفِّى الشـيخ المعتَقَد الصالح المجذوب صاحب الكرامات الخارقة والأحوال العجيبة نَهـار المغربىّ الإسكَنْدرىّ بهـا فى يوم الاثنين سادس عشرين جمادى الأولى . وقيل يوم الثلاثاء ودفن بتربة الديماس داخل الإسكندرية — ومن كراماته : ما اتّفق له مع الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام نائب الإسكندرية . وكان ابن عرام يخدُمه كثيرا، فقال له الشيخ نَهار: يا بن عَرّام! ما تموت إلّا موسَّطا أو مُسَمَّرا، قبلَ قتل ابن عَرّام بسنين، مرارا عديدة وابن عرام يقول له : فى الغزاة : إن شاء الله تعالى، فكان كما قال . وقد تقدّم ذلك .

وتُوُفِّى الشـيخ الصالح المعتَقَد عبد الله الجَبَرْتىّ الزَّيْلَعىّ الحنفىّ فى ليلة الجمعة سادس عشر المحرّم ودُفِن بالقرافة وقبرُه معروف بها يُقْصَد للزيارة . وكان من عباد الله الصالحين : رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير شرف الدين موسى ابن الأَزْكُشىّ فى سادس عشر ذى القعدة بالمحلّة[1] من أعمال مصر وحُمل إلى داره بالحسينية[2] وهو إذ ذاك من أمراء الطبلخانات وكان دَيِّنا عفيفا، تولّى ولايات جليلة منها: الأستادارية العالية والجوبية واستقر فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حُسين مُشير الدولة وكان إذا رَكب يَحْمِـل مملوكه وراءه دواة ومرقلة .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَطْلَمُش بن عبـد الله الدوادار أحدُ أمراء الألوف بديار مصر فى شهر ربيع الآخر[3] بدمشق وقد أُخْرِج إليها منفيا على إمرة مائة وتقدمة

(١) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٨ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة حيث تجد هنا شرحا وافيا .

(٣) فى « م » : ربيع الأوّل وتصويبه عن « ف » .

ألف لمّا ملك بَرْقوق و بَرَكة ديار مصر وصار لهما أمرُها ونهيُها وكان من أعيان الأمراء وهو أيضا أحد من قام على الملك الأشرف شعبان .

وتُوُفِّى القاضى علاء الدين علىّ بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله ابن عَرَب مُحتسِب القاهرة فى ثالث عشر ذى الحجة بمكة بعد قضاء الحج .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين علىّ بن كَلْبك شادّ الدواوين فى جُمادى الآخرة وكان وَلِى فى بعض الأحيان وِلايةَ القاهرة .

وتوفى الشيخ المُعَمَّر سَنَدُ الوقت صلاحُ الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبى عمر المقدسىّ، آخر من بقى من أصحاب ابن البخارىّ فى شوّال بصالحية دِمَشق (١) .

وتُوُفِّى الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهرى الكُرْدىّ نائب سيس وكان فقيها شافعيا فاضلا كاتبا .

قلت : و بنو شهرى معروفون : منهم جماعة إلى الآن فى قَيْد الحياة ويَلِى بعضُهم أعمال البلاد الحلبية فى زماننا هذا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع واثنان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وخمسة أصابع وقيل أربعة عشر .

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر
وهى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

فيها كان ركوب إينال اليوسفىّ على الأتابك برقوق وقد تقدّم ذكرُ الواقعة فى أصل هذه الترجمة .

وفيها كان الكلام من الحائط كما تقدّم أيضا .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفيها تُوُفّى الشيخ تقىّ الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن علىّ الواسطىّ الأصل المصرىّ المولد والوفاة الشافعىّ المُقْرِئُ المحدّث الشهير بٱبن البغدادىّ ، بعد ما عَمِى فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة ومولده ببغداد ســنة سبع وتسعين وستمائة وكان ولى قضاء المـالكية بدمشق مدّة ثم صُرِف . كان فقيها تصدّر للإقراء بمدرســة[1] الحاج آل ملك والجامع الطولونى[2] وتولى مشيخة الحديث بالخانقاه[3] الشيخونية .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن مَرْزُوق العَجِيسِىّ[4] التِّلِمْسَانىّ المغـربىّ المـالكىّ . كان من ظُرفاء عصره ، ترقى عند الملك الناصر حسن حتى صار صاحب سرّه وإمامَ جُمُعَتــه ومنْبره . ثم توجّه فى ســنة اثنتين وخمسين وسبعمائة إلى الأندَلُس خوفا من النَّكْبة ، ثم عاد إلى مصر وتولّى عِدّة تداريس وكان له سماع كثيرٌ وفضلٌ غزير .

وتُوُفّى الشيخ الإمام الأديب البارع المُفْتَنّ الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ٱبن الشيخ الإمام المفتى شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ابن شادى بن هلال الطائىّ الطَّرِيفىّ القِيرَاطِىّ الشافعىّ بمكة المشرفة فى ليلة الجمعة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٤) (بفتح العين المهملة وكسر الجيم وتحتية مهملة) نسبة إلى عجيس قبيلة من البربر . راجع ترجمة له فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢٦٠) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٧١)، والشيخ مرزوق دفين الزاوية المـالكية بصحراء قرافة السيدة نفيســة على يمين السالك من شارع السيدة نفيسة إلى الإمام الشافعى وهى زاوية صغيرة تابعة لوزارة الأوقاف مسجلة بلجنة الآثار ، بها عدّة قبور للسادة المـالكية ، رحمهم الله .

العشرين من شهر ربيع الأول ودُفِنَ بالمَعْلاة بعد صلاة الجمعة والطَّريفىّ[1] نخَذٌ من طيئ والقيراطىّ نسبه إلى قِيراط[2] وهى بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية . ومولده ليلة الأحد حادى عشرين صفر من سنة ست وعشرين وسبعمائة . ونشأ بالقاهرة وطلب العلمَ ولازمَ علماءَ عصره إلى أن بَرَع فى الفقه والأصول والعربية ودرّس بعدّة مدارس وسَمِع الكثير وبَرَع فى النظم وقال الشعر الفائقَ الرائقَ . وعندى أنه أقربُ الناس فى شعره لشيخه الشيخ جمال الدين بن نُباتة من دون تلامذته ومعاصريه على ما سنذكره من شعره هنا وقد استوعبنا نُبْذَةً كبيرة فى المنهل الصافى

ومن شعره : [السريع]

(١) يريد المؤلف : وطريف نخذ من طيئ .

(٢) ورد ذكر قيراط فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٠ بالجزء السادس من هذه الطبعة ، ولما كان ذلك التعليق مختصرا رأيت أن أعيده وافيا بالآتى :

هذه القرية وردت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان باسم القيراط ، وكان يشترك معها فى الزمام قرية أخرى وهى الشوبك التى تعرف اليوم باسم شوبك بسطة إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية بمصر .

وفى العهد العثمانى فصلت القيراط عن الشوبك وأصبحت ناحية قائمة بذاتها ، ولأن أراضى القيراط أصبحت وقفا باسم وقف شمس الدين الخولى ، فلما مسحت أراضى تلك الناحية فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ قيد زمامها فى دفتر المساحة باسم وقف شمس الدين الخولى . وبذلك اختفى اسم القيراط من عداد النواحى المصرية وظهر بدلا عنه اسم الوقف المذكور .

وفى سنة ١٩٠٣ م طلب الشيخ عطية منصور سالم النحال عمدة هذه البلدة تغيير اسمها باسم كفر النحال نسبة إلى جده ، فوافقت نظارة الداخلية على ذلك بقرار فى ٢٨ مايو سنة ١٩٠٣ وبذلك اختفى أيضا اسم وقف شمس الدين وظهر بدلا عنه كفر النحال ضمن قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية .

وبسبب مجاورة هذا الكفر لمساكن مدينة الزقازيق وإقامة الكثير من المبانى على أراضيه الزراعية واختلاط مساكنه بمساكن تلك المدينة ، أصدر مجلس مديرية الشرقية قرارا فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ بإضافة هذا الكفر من الوجهة الإدارية على بندر الزقازيق مع بقائه ناحية مالية من جهة الأطيان والضراب .

تَنَفَّس الصـــبحُ لجاءت لنـا * مِن نحـــوِه الأنفاسُ مِسْـكيَّهْ
وأطربتْ لِى العُـــودَ قُمْرِيَّةٌ * وكيف لا تُطْـــرِبُ عُودِيَّهْ[1]

وله فى طَبَّاخ : [السريع]

هَوِيتُ طَبَّاخًا له نَصْبَةٌ * نيرانُها للقلب جَنَّـاتُ
يَكْسِر أجفانًا إذا ما رَنَا * لها على الأرواح نَصْبَاتُ

وله أيضا : [السريع]

جَفْنِى وجفنُ الحِبِّ قد أَحْرَزَا * وصفَيْنِ من نيـــلِكِ يا مصرُ
جَفْـــنِى له يومَ الوَدَاعِ الوَفَا * وجَفْنُـــه السَّاجِى له الكَسْرُ[2]

وله أيضا : [مخلَّع البسيط]

لو لم يكن كَفُّـهُ غمـاما * ما أنبَتَتْ فى الطروس زَهْـــرَا
نعـــم ولولاهُ بَحْـــرُ جُـــودٍ * ما أبرزَ اللَّفْـــظُ منـــه دُرًّا

ومن شعره — رحمه الله تعالى وعفا عنه — قصيدته[3] التى أوّلها :

[الكامل]

قَسمًا بروضـــة خدِّه ونَبَاتِهـا * وبآسِهَا المخضَـرِّ فى جَنَباتِهـا
وبسُـورة الحسن التى فى خدِّهِ * كتبَ العِـــذَارُ بخطِّه آياتِهـا
وبقامـةٍ كالغُصنِ إلا أننِى * لم أَجْنِ غيرَ الصَّدّ من ثمراتِهـا
لَأُعَزِّرَنَّ غصـونَ بانٍ زودتْ * أعطافه بالقَطْـعِ مِن عذَباتِهـا

(١) العودية : المطربة التى تجيد الضرب على العود .
(٢) كسر السدّ هو العيد المعروف اليوم بعيد وفاء النيل .
(٣) ذكرها المؤلف فى المنهل الصافى (ج ١ ص ١٩ (ب) .

وأباكرن رياض وجنته التى * ما زهرة الدنيا سوى زهرانها
ولأصبحن للدنى متيقظا * ما دامت الأيام فى غفلاتها
كم ليلة نادمت بدر سمائها * والشمس تشرق فى أكف سقاتها
وجرت بنا دهم الليالى للصبا * وكؤوسنا غرر على جبهاتها
فصرفت دينارى على دينارها * وقضيت أعوامى على ساعاتها
خالفت فى الصهباء كل مقلد(١) * وسعيت مجتهدا إلى حاناتها
فتحير الخمار أين دنانها * حتى اهتدى بالطيب من نفحاتها
فشممتها ورأيتها ولمستها * وشربتها وسمعت حسن صفاتها
فتبعت كل مطاوع لا يخشنى * عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها
يأتى إلى اللذات من أبوابها * ويحج للصهباء من ميقاتها
عرف المدام بحسنها وبنوعها * وبفضلها وصفاتها وذواتها
ياصاح قد نطق الهزار(٢) مؤذنا * أيليق بالأوتار طول سكاتها
خذ ارتفاع الشمس من أقداحنا * وأقم صلاة اللهو فى أوقاتها
إن كان عندك يا شراب بقية * مما تزيل بها العقول فهاتها
الخمر من أسمائها والدر من * تيجانها والمسك من نسماتها
وإذا العقود من الحباب تنظمت * إياك والتفريط فى حباتها
أمحرك الأوتار إن نفوسنا * سكناتها وقف على حركاتها
دار العذار بحسن وجهك منشدا * لا تخرج الأقمار عن هالاتها
كسرات جفنك كلمت قلبى فلم * يأت الصحاح لنا بمثل لغاتها

(١) فى «م» : «لأعززن» .
(٢) الهزار كالسحاب : طائر حسن الصوت .

والبــدْرُ يُستَرُ بالغيــومِ ويَنْجلِي * كتنفُّسِ الحسناءِ فى مرآتِهـا
وتلا نسـيمُ الروض فيهـا قارئا * فأمال مِن أغصانِهـا ألفاتِها
ومليحةٍ أرغَمتُ فيهـا عاذِلِى * قامت إلى وصـلِى بِرَغم وُشاتِها
لا مالَ وجْهى عن مَطالِع حُسْنِها * وحيـاة طَلعة وجهها وحياتِهـا
يا خجلةَ الأغصانِ مِن خَطَراتِها * وفضيحةَ الغِـزْلانِ مِن لَفَتاتِهـا
ما الغصنُ مَيَّاسًا سوى أعطافِها * ما الوردُ مُحْمَرا سِـــوى وجناتِها
وعَدَتْ بأوقاتِ الوِصَالِ كأَنَّهـا * ظنَّت(١) سَـــلامَتَنا إلى أوقاتِهـا

وتُوُفِّى الشيخ المُسْنِد المعمَّر ناصر الدين محمـــد الكُرْدى الحَرَازِى المعـروف بالطَّبردار فى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل وكان سَمِع الكثير وتفرّد بأشياء كثيرة، منها . « كتاب فضل الخيـل » سَمِعه من مصنفه الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدِّمْياطى وهو آخر من روى عنه . ووقع لنا سماعُ فضل الخيل المذكور من طريقه عاليًا .

وتُوُفِّى الشيخ المُعْتقَد حسن المغـربى الصبَّان الحاجاوى فى العشرين من شهر ربيع الأوّل بداره بالحُسَيْنية ودُفِن بباب النصر .

وتُوُفِّى الأمـير قَارَا بنُ مُهنّا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حَديثـة بن غَضْبَة آبن فضل بن ربيعة أمير آل فضل ومَلِك العـرب وكان كريما جليلا شجاعا مشكور السِّيرة . وتولّى عِوضَه إمرة آل فضل زامِل بن موسى .

وتُوُفِّى الشيخ الصالح المعتَقَد صالح الجَزِيرى ساكن جزيرة أَرْوَى(٢) أعنى الجزيرة الوُسْطى بها فى رابع شهر ربيع الأوّل ودُفِن بزاويته بالجزيرة الوسطى .

(١) فى الأصلين : « بياض » والتكملة عن المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٠ ١ أ) .
(٢) الجزيرة الوسطى هى التى تعـرف اليوم بجزيرة بلاق أو الجزيرة الكبرى ، وسبق التعليق عليها عند الكلام على جزيرة أروى فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ بالجزء التاسع من هـذه الطبعة ، وأما الزاوية وقد آندثرت وليس لها أثر اليوم بتلك الجزيرة .

وتوفّى الأمير سيف الدين حَطَط بن عبد الله اليلبغاوى نائب حَمَاة بها . وتولّى بعده الأمير طَشْتَمُر خازندار يَلْبغا أيضا . وكان حطط المذكور غيرَ مشكور السّيرة وعنده ظُلْمٌ وعَسْفٌ وهو من الذين قاموا على أستاذهم يَلْبُغا العُمَرى الخاصّكى حسب ما تقدّم ذكره .

وتوفّى الأمير سيف الدين مَامَاق بن عبد الله المَنْجَكى أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة فى يوم الخميس ثالث شعبان ودُفِن بتربته (١) عند دار الضّيافة (٢) تُجاه قلعة الجبل .

---

(١) دلنى البحث على أنه كان يوجد جبانة قديمة بالجهة القبلية من جامع قانباى الجركسى المجاور لدار الضيافة بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة بالقاهرة ، وأن تلك الجبانة كان بها عدّة ترب للأمراء وغيرهم ولابدّ أن يكون من بينها تربة ماماق المنجكى المذكور ، لأنها كانت أقرب جبانة لدار الضيافة : وقد اندثر ما كان بها من الترب وأقيم فى مكانها المساكن الحالية المجاورة للجامع السالف الذكر .

(٢) يستفاد مما ورد فى كتاب الضوء اللامع للسخاوى فى ترجمة الملك الظاهر أبى سعيد جقمق أنه لما مات سنة ٨٥٧ هـ ودفن بتربة قانباى الجركسى التى جدّدها عند دار الضيافة بالرميلة بالقرب من القلعة وكذلك ذكر فى ترجمة قانباى الجركسى الأمير آخور أنه لما مات بدمياط فى سنة ٧٦٦ هـ نقلت جثته إلى القاهرة ودفن بتربته التى جدّدها بالقرب من دار الضيافة ، ومدفون معه فيها أستاذه جاركس وآخرون .

ولما كان جامع قانباى الجركسى لايزال باقيا بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة بالقرب من القلعة بالقاهرة ، فقد بحثت عن مكان دار الضيافة عند ذلك الجامع فتبين لى أنها كانت واقعة تجاه الجامع من الجهة البحرية وقد اندثرت . ومكانها اليوم مجموعة المبانى التى تحدّ من الشرق بميدان السيدة عائشة ومن الشمال بعطفة الحيمى ومن الغرب المساكن المجاورة لها ومن قبلى عطفة رجب ثم مدخل شارع القلى الذى يفصل الآن بين مكان دار الصيافة و بين الجامع الجركسى .

ولزيادة العلم أقول : إنه كان يوجد قبل دار الضيافة هذه دار ضيافة أخرى كانت واقعة بجوار القلعة من جهتها البحرية الشرقية ، يدل على ذلك : أولا — لما تكلم المقريزى فى خططه على باب الدرفيل قال : ويتوصل إلى هذا الباب من تحت دار الضيافة — ثانيا : لما تكلم المقريزى فى كتاب السلوك على الخانقاه النظامية التى أنشأها الشيخ نظام الدين إسحاق الأصبهانى القرشى قال : إن هذه الخانقاه واقعة على طرف الجبل خارج باب الوزير تحت دار الضيافة بالقاهرة — ثالثا : ذكر المقريزى كذلك فى الكتاب المذكور أنه لما مات نظام الدين فى سنة ٧٨٣ د دفن بخانقاته فوق الشرف بجوار دار الضيافة .

ولما كانت الخانقاه النظامية لاتزال آثارها قائمة إلى اليوم بشارع الدحديرة بالجهة الشرقية من القلعة بحثت عن دار الضيافة التى كانت بتلك الجهة فتبين لى أنها اندثرت و يدل على مكانها اليوم بقايا جامع قديم خرب يعرف بجامع السبع سلاطين أو جامع الترابى لوجود قبر الشيخ على الترابى فيه ، و يقع هذا الجامع بلصق سور القلعة من الجهة البحرية الشرقية ، والظاهر أنه أقيم داخل دار الضيافة هذه ، ولما أهملت و بنى بدلا عنها دار الضيافة بالرميلة وهى السابق الكلام عليها أهمل معها هذا الجامع ، وانتهى الحال بخراب الدار والجامع .

وتُوُفِّىَ الأمير ناصر الدين محمد آبن الأمير أَلْجِيبُغَا العادلى نائب غَزَّة بها، بعدما آستعفى فى سلخ جمادى الآخرة وتولى بعده نيابة غزة آقْبُغَا بن عبد الله الدّوادار . وكان آبن أَلْجِيْبُغَا هذا شجاعًا مقْداما وله حُرمة ووقار فى الدولة .

وتُوُفِّىَ الأمير حاجِّى بك بن شادى أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها فى هذه السنة .

وتُوُفِّىَ الطواشى زَيْن الدين ياقوت بن عبـد الله الرّسولىّ شيخ الخدّام بالمدينة النبويّة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — فى ليـلة الجمعة سابع عشرين شهر رمضان — وكان من أعيان الخدّام، له وجاهةٌ فى الدول وثروةٌ كبيرة .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين سَطْلَمُش بن عبدالله الجَلالى بدمَشق فى ذى القعدة . وكان أوّلا من جملة أمراء مصر ثم نُفِى منها على إمرة فى دمشق .

وتُوُفِّىَ القاضى شمس الدين محمد بنُ أحمد بن مُزهِر أحدُ موقِّعى دمشق بهـا فى شوّال عن نحو الأربعين سنة وهو أخو القاضى بدر الدين محمد بن مُزْهِر كاتب سرّ مصر .

وفيها كان الطاعون بالديار المصرية وضـواحيها ومات فيها عالَم كثير جدّا .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم سـتة أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان . والله أعلم .

*
* *

السنة الرابعة من سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

وهى سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة .

فيها كانت الوقعة بين الأتَابَك بَرْقُوق العثمانىّ اليَلْبُغَاوىّ و بين خُشداشـه زَيْن الدين بَرَكة الجُوبانىّ اليلبُغاوىّ ومُسِك بركة وحُبِس ثم قُتـل حسب ما تقدّم ذكره وحسب ما يأتى أيضا فى الوفيات .

وفيها حضر من بلاد الجَرْكس الأميرُ آنص والد الأتابك برقوق وأخواتُه القسوة كما تقدّم ذِكرُه .

وفيها قُتِل ابن عَزّام وقد تقدّم ذكره وكيفيةُ تَسْميرِه في أواخر ترجمة الملك المنصور هذا، فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا .

وفيها تُوُفّيَ مَامَاي ملك التتار وحاكمُ بلاد الدَّشْت[1] وكان وليَ المُلك بعد كلدي بك خان في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وكان من أجلّ ملوك الترك وأعظمهم، ومات قتيلاً .

وتُوُفّيَ الشيخ الإمام العلّامة جلال الدين محمد[2] المعروف بجار الله ابن الشيخ قُطْب الدين محمد بن الشيخ شرف الدين أبي الثناء محمود النَّيْسابُوريّ الحنفيّ قاضي قضاة الديار المصرية عن نيِّف وثمانين سنة، بعد أن حكم خمس سنين وكانت ولايتُه بعد آبن منصور، وتولّى القضاء بعده صدر الدين بن منصور ثانيا . وكان عالما بارعا في فنون من العلوم وتولى مشيخةَ الصَّرْغتمشيّة بعد موت العلامة أرْشَد الدين السّرائيّ، وفيه يقول الأديب أبو العِزّ زَيْن الدين بن حبيب — رحمه الله تعالى — : [الكامل]

للهِ جارُ اللهِ حاكِمُنا آلذي * ما مِثلُه يُسْعى له ويُزارُ
حُبًّا له وكرامةَ مِن ماجِدٍ * حَسُنَتْ خلائِقُه ونِعْم الجارُ

ورثاه شهاب الدين بن العطار . [البسيط]

قاضِي القضاة جلالُ الدينِ مات وقدْ * أعطاه ما كان يرجو بارئُ النَّسَمِ
حاشاه أن يُحْرِمَ آلراجي مكارِمَهُ * أو يرجع الجارُ منه غيرَ مُحْتَرَمِ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٥ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لهذه البلاد .
(٢) ذكره المؤلف ترجمة ممتعة في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٦١ (أ) .

وتُوُفِّى الأمير الكبير زَيْن الدين بَرَكَة بن عبد الله الجُوبانِىّ اليَلْبُغاوِىّ رأس نَوْبة الأمراء وأطَابَك الديار المصريّة مقتولا بثغر الإسكندرية بيد صلاح الدين خليل آبن عَرّام نائب الثغر المذكور فى شهر رجب. وقد ذكرنا ماوقع لآبن عرّام بسببه من الضرب والتّسْمير والتّقْطيع بالسيوف فى ترجمة الملك المنصور هـذا . كان بركة من ممـاليك يَلْبُغَا وصار من بعده فى خدمة أولاد الملك الأشرف شعبان إلى أن كانت قِتْلَةُ الملك الأشرف شعبان، قام هو وخُشداشُـه بَرْقُوق مع أَيْنَبَك فأنعم أينبك على كلّ منهما بإمْرَة طبلخاناه دَفْعَــة واحدة من الجُندية ونَدَبهما بعـد شهر للسفر مع الجاليش إلى الشام فآتّفق بركةُ هـذا مع خُشْداشيته ووثبوا على أخى أَيْنَبَك حتى كان من أمر أينبك ماذكرناه ، صار بركة هذا أميرَ مائة ومقدَّم ألف هو و برقوق وأقام على ذلك مُدّة . ثم آتّفق مع برقوق وخشداشيته على مَسْك الأمير طَشْتَمُر العلائىّ الدّوادار فَمُسِك طشتمر بعد أن قاتلهم ، ومن يوم ذاك آستبدّ برقوق بالأمر و بركةُ هذا شريكه فيــه وصار برقوق أتابك العساكر و بركة أطابكَ رأس نَوْبة الأمراء ، وحَكَمَا مصر إلى أن وقع الخُلْف بينهما وتقاتلا، فآنتصر بَرْقوق على بَرَكة هذا وأمسكه وحبَسه بثغر الإسكندرية إلى أن قتـله آبن عَرّام ، حسب ما تقدّم ذِكْرُ ذلك كلّه فى ترجمة الملك المنصور . وإنما ذكرناه هنا ثانيا تنبيها لِمـا تقدّم ، فكان بركة مَلِكا جليلا شُجاعا مُهابا تركىّ الجنس وفيه كرَمٌ وحِشْمة وله المـآثر بمكّة المشرّفة و بطريق الحجاز الشريف وغيره . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى[1] قاضى القضاة جلال الدين أبو المعالى محمد آبن قاضى القضاة نجم الدين محمد آبن قاضى القضاة فخـر الدين عثمان بن جلال الدين أبى المعـالى علىّ بن

(١) ترجم له صاحب الدرر الكامنة ترجمة لا بأس بها (ص ١٩٧ ح ٤) .

شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الزُّرَعى الشافعى سِبْط الشيخ جمال الدين الشَّريشى فى هذه السنة وقد قارب الأربعين سنة ، وكان قد وَلِى قضاء حَلَب وحُمِدت سيرتُه .

وتُوُفِّى الوزيرُ الصاحبُ تاجُ الدِّين عبد الوهّاب المكِّى المعروف بالنَّشو فى المُصادرة تحت العقوبة عن نَيِّف وستين سنة ، بعد أن وَلِى الوزارةَ أربعَ مَرّات . وكان مشكورًا فى وزارته محسنًا لأصحابه . وهذا النَّشْوُ غيرُ النشو(١) الذى تقدّم ذكره فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين مَنْكَلِى بُغَا بن عبد الله الأحمدى البلدى نائب حلب بها ودُفِنَ خَلْفَ تُربة قُطْلُوبُغا الأحمدى بين الجَوْهرى والجمالية . وكان من أجلّ الأمراء وممّن طالت أيامُه فى السعادة ، وَلِى نيابة طَرَابُلُس وحَماة وحَلَب مرّتين ، مات فى الثانية وعِدَّةَ وظائف بالديار المصريّة ، وكان حازما هَيُوبا كريما ذا مُروءة كاملة وتَحَشُّم . وكان يقول : كلُّ أمير لا يكون مصروف سِماطِه نِصْفَ إقطاعه ما هو أمير .

وتُوُفِّىَ الأميرُ الطَّواشى زَيْن الدين مختار السَّحَرْتِى الحبشى مقدّم المماليك السلطانية وكان صاحبَ معروف وصدقة وفيه كرمٌ مع تَحَشُّم .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن نور الدين علىّ بن أبى البركات منصور الدِّمشْقى الحنفى قاضى قضاة الديار المصريّة ، وليَها ثم عَزَل نفسه وكان من أعيان العلماء . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الشيخ الإمام نورُ الدين أبو الحسن علىّ بن أُلْجاوى (بالجيم) أحدُ فقهاء المالكيّة فى رابع عشر ذى الحجة ، بعد ما أَفْتَى ودرَّس وأشغلَ .

(١) راجع ص ٣٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد له ترجمة وافية .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام المقرئ شمس الدين أبو عبدالله المعروف با لحَكْرِىّ الشافعى فى ذى الحجة بالقاهرة، وكان فقيها فاضلا بارعا فى القراءات .

وتُوُفِّى الشيخ الصالح المعتقــد زَيْن الدين محمد بن المَوَّاز فى شهر ربيع الأوّل، وكان صاحب عبادة وللناس فيه ٱعتقاد حسن .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام شمس الدين محمــد بن نجم بن عمر بن محمد بن عبد الوهّاب ٱبن محمد بن ذُؤَيْب الأسدىّ الدِّمَشْقى المعروف بٱبن قاضى شهبة أحد أعيان الفقهاء الشافعية فى ثامن المحرّم . ومولده ليلة الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الأوّل ســنة إحدى وتسعين وسبعمائة بدِمَشْق . وكان بارعًا فقيها مدرّسا مفتيًا .

وتُوُفِّى الشيخ زَيْنْ الدين أبو محمد حَجِّى بن موسى بن أحمد بن سعد السَّعْدِىّ الحُسْبَانِىّ الشافعىّ الدِّمشقىّ فى ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، وكان أحدَ فقهــاء الشافعيـــة بدمشق ، وحجّى هــذا هو والد بنى حجىّ رؤساء دِمَشْق فى عصرنا . انتهى .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المــاء القديم ســتة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع ـــ انتهى .

***

ذكر سلطنة الملك الصالح حاجىّ الأولى على مصر

السلطان الملك الصالح صــلاح الدين أمــير حاج ٱبن السلطان الملك الأشرف شعبان ٱبن الأمير الملك الأمجد حسين ٱبن السلطان الملك الناصر محمد ٱبن السلطان الملك المنصور قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية .

تسلطن بعــد وفاة أخيه الملك المنصور علاء الدين علىّ فى يوم الأثنــين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وخبرُ سلطنته أنه لمّا مات أخوه الملك المنصور علىّ تكلّم النّاس بسلطنة الأتابَك برقوق العثمانىّ وأُشيع ذلك فعظُمَت هذه المقالة على أكابر أمراء الدولة وقالوا : لا نرضى أن يتسلطن علينا مملوكُ يلبغا وأشياء من هذا النَّمَط، وبلَغَ برقوقا ذلك ، فخاف ألّا يَتِمّ له ذلك ، فجمع برقوق الأمراءَ والقضاةَ والخليفةَ فى اليوم المذكور بباب الستارة بقلعة الجبل وتكلم معهم فى سلطنة بعض أولاد الأشرف شعبان، فقالوا له : هذا هو المصلحة وطلبوهم من الدور السلطانية وحضر أمير حاج هذا من جملة الإخوة ، فوجدوا بعضَهم ضعيفا بالجُدَرِى والبعض صغيرا ، فوقع الاختيار على سلطنة أمير حاج هذا ، لأنه كان أكبرهم ، فبايعه الخليفة وحلَف له الأمراءُ وباسوا يَده ثم قَبَّلوا له الأرض ، ولُقِّب بالملك الصالح وهو الذى غَيَّر لقبَه فى سلطنته الثانية بالملك المنصور، ولا نعرف سلطانا تَغَيَّر لقبُه غيرَه، وذلك بعد أن خُلِع برقوق وحُبِس بالكَرَك على ما سنذكره إن شاء الله تعالى مفصّلا فى وقته — انتهى .

ولمّا تمّ أمرُ الملك الصالح هذا ألبسوه خِلْعة السلطنة ورَكِب من باب الستارة بأُبَّهة المُلك وبَرْقوق والأمراء مشاةٌ بين يديه إلى أن نزل إلى الإيوان بقلعة الجبل وجلس على كرسىّ الملك وقَبَّلت الأمراءُ الأرضَ بين يديه، ثم مُدَّ السِّماط وأكلت الأمراءُ . ثم قام السلطان الملك الصالح ودخل القصر وخلَع على الخليفة المتوكِّل على الله خِلْعةً جَميلةً ونُودِى بالقاهرة ومصر بالأمان والدعاء للملك الصالح حاجّى وخَلَع على الأتابك واستقرّ على عادته أتابك العساكر ومدبّر الممالك لصغر سنّ السلطان ، وكان سنُّ السلطان يوم تسلطن نحوَ تسع سنين تخميناً .

ثم فى سابع عشرين صفر المذكور جلس السلطان الملك الصالح بالإيوان للخدمة على العادة . ثم قام ودخل القصر، بعد أن حضر الخليفةُ والقضاةُ والأمراءُ والعساكرُ

وقُرِئَ تقليدُ السلطان الملك الصالح عليهم ، وعند فراغ القراءة أخذ بدرُ الدين محمد ابن فضل الله كاتب السر التقليد وقدّمه للخليفة فعَــلَّم عليه بخَطّه وخَلَع السلطان على القضاة وعلى كاتب السرّ المذكور . وآنفضّ الموكب وأخذ برقوق فى التكلُّم فى الدولة على عادته من غير معانِد وفى خدمته بقية الأمراء يركبون فى خدمته و ينزلون عنــده و يأكلون السِّماط .

وأما القضــاة والنوّابُ بالبـــلاد الشاميَّة وأرباب الوظائف بالديار المصريّة فى هذه الدولة ، فكان أتَابك العساكر برقوق العثمانىّ اليَلْبُغاوى ورأس نَوْبة الأمراء أَيْتَمُش البجاسىّ وأمير سلاح عَلَّان الشَّعبانىّ وأمير مجلس أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ اليلبُغاوىّ والدوادار الكبير آلابُغَــا العثمانىّ والأمير آخور جَرْكس الخليــلىّ وحاجب الحجّــاب مأمــور القَلَمْطاوى اليَلْبُغــاوى وأســتادار العاليــة بهادُر المَنْجكىّ ورأس نوبة ثانى — أعنى رأس نَوْبة النَّوَب فى زماننا — قَرْدَم الحَسَنى وهــؤلاء غير نائب السلطنة وهو الأمير آقتَمُر عبد الغنى وغير أيدمر الشمسى وهما من أجل الأمراء وأقدمهم هجرة ، يجلس الواحد عن يمين السلطان والآخرُ عن يساره .

والقضاة : الشافعىُّ برهان الدين بن جماعة والحنفىُّ صــدرُ الدين بن منصور والمــالكىُّ عَلَم الدين البساطِىّ والحنبلىُّ ناصرُ الدين العسقلانىّ وكاتب السر بدر الدين ابن فضل الله العُمَرى والــوزير شمس الدين المقسى وناظــر الجيش والمحتسب جمال الدين محمود القَيْصَرى العَجَمِىّ وناظر الخاصّ هو آبن المقسى أيضا ، ونائب دِمَشْق إِشْقَتَمُر المــارِدينى ونائب حلب إينال اليوسفىّ ونائب طَرَابُلُس كَمَشْبُغَا الحَمَوى ونائب حَمَاة طَشْتَمُر القاسمى ونائب صفد الأميرُ الكبير طَشْتَمُر العلائىّ ، نُقِــلَ إليها من القُدْس ونائبُ غزّة آقبُغا بن عبد الله ونائب إسكندريّة بَلُّوط الصَّرْغَتْمَشىّ .

والذين هم معاصرُوه من مـلوك الأقطار : صاحبُ بغـداد وتبْريز وما والاهما الشيخ حُسَيْنْ بن أوَيْس وصاحبُ ماردِين الملك الظاهر مجد الدين عيسى وصاحب اليَمَن المـلك الأشرف آبن الملك الأفضل وصاحب مكّة الشريف أحمد بن عَجْلَان وصاحب المدينة الشريفة عطية بن منصور وصاحب سِيواس القاضى برهان الدين أحمـد وصاحب بلاد قَرَمان الأمير علاء الدين وصاحب بلاد سَمَرْقَنْـد وما والاها تَيْمورلَنْك كوركان وصاحب بلاد الدَّشْت طُقْتَمُش خان من ذرية جنْجز خان انتهى.

ولمـّا كان يوم الخميس ثالث شهر ربيـع الآخر : أنعم على الأمير تَغْرِى بَرْمش بتقـدمة ألف بديار مصر بعـد وفاة أمير علىّ بن قَشْتَمُر المنصورى . ثم أنعم على سُودُون الشيخونى بتقدمة ألف أيضا وآستقرّ حاجبا ثانيا عوضا عن علىّ بن قَشْتَمُر المنصورى . ثم بعد مدّة آستقرّ تغرى برمش المقدّم ذكرُه أميرَ سلاح بعد وفاة علّان الشعبانىّ . ثم آستقرّ مأمـور القَلَمْطاوى حاجب الحُجّـاب فى نيابة حَمَاة بعـد وفاة طَشْتَمر خازندار يَلْبُغا العمرى .

ثم طُلِب يلبغا الناصرى من دِمَشق وكان منفيًّا بها على تقدمـة ألف ، فحضر فى آخر شعبان ، فتلقاه الأتابك برقوق والأمراء وترجّل له برقوق وأركبه مركوبا من مراكيبه وأنعم عليـه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة وأجلس راس مَيْسرة فوق أمير سلاح فلم تَطُل مدّته بديار مصر وأخلع عليه بنيابة حلب فى يوم الخميس ثانى شوّال بعد عزل إينال اليوسفى وطلَبه إلى مصر ، فلما وصل إينال إلى غَزّة قُبِض عليه وأُرْسِل الى سجن الكَرَك . ثم أَنْعمَ الأتابك برقوق على دواداره الأمير يُونُس النَّوْروزى بتقدمة أَلف بمصر عوضا عن يلبغا الناصرى وخَلَع على الأمير جَركس الخليلى الأمـير آخور الكبير وآستقرّ مُشيرَ الدولة ورَسَم للوزير ألا يتكلم فى شىء إلّا بعد مراجعته .

وفى العشر الأخير من شوّال أنعم على قُطْلوبُغا الكُوكَائِىّ بتقدمة ألف بعد وفاة الأمير آنص والد الأتَابَك برقوق العثمانىّ الذى قَدِم قبل تاريخه من بلاد الجَرْكَس، يأتى ذكْرُ وفاته فى الوفيات .

ثم فى يوم الآثنين تاسع ذى الحِجّة من سـنة ثلاث وثمانين وسبعمائة تَخلّى الأمير تَغْرِى بَرْمَش أمير سـلاح عن إمرته ووظيفته وتوجّه إلى جامـع قَوْصُون ليُقيم به بطّالا، فأَرْسَل الأتَابَك إليه الأميرَ سُودُون الشيخونى الحاجب الثانى وقَرْدَم الحَسَنِى رأس نوبة وتوجّها إليـه وسألاه أن يرجع إلى وظيفتـه و إمْرته فلم يَرْجِـع لها، فعادا بالجواب إلى برقوق بذلك .

ثم إنّ تَغْـرِى برمش المذكور نَدِم من ليلته وأرسـل يسأل الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية أن يسأل برقوقا أن يُعيده إلى إمرته ووظيفته فأرسل أكمل الدين إلى برقوق بذلك فلم يَقْبل برقوق ورَسَم بخروجه إلى القُدْس ماشيًا ، فأخرجه النُّقَبَاءُ إلى قُبة النصر ماشيا . ثم شُفِـع فيه فركب وسار إلى القدس .

ثم فى العشر الأخير من شعبان أجرى جركس الخليـلى الأمير آخور المـاء إلى الميدان من تحت القلعة إلى الحَوْض الذى على بابه .

قلت : و إلى الآن الحَوْض باقٍ على حاله بلا ماء .

ثم فى التـاريخ المذكور أَخْرَجَ الأميرُ جركس الخليلى فلوسًا جُدُدًا من الفـلوس العتق، منها فَلْس زِنَتُه أوقّية بربع دِرْهم وفَلْس زنته نصف أوقية وفَلْسٌ بفلسين. فلما فعل ذلك وقف حال الناس وحصل الغـلاء وقَلّ الجالبُ ؛ فلمّا بلغ الأتابك برقوقا أمَر بإبطالها، وفى المعنى يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار ــ رحمه الله تعالى : [البسيط]

تغييرُ عُتْقِ فُلُوسٍ قد أضرَّ فكمْ * حوادثٍ جُدَدٍ جلّت من العددِ
فكيف تمشي علاقاتُ الأنامِ إذًا * والحال واقفةٌ بالعُتْقِ والجُددِ

وقالت العامّة — لمّا فعل الخليلي ذلك ورَسَم بنقش ٱسمه على الفلوس — : الخليلي من عكسو، نقش ٱسمو على فلسو . انتهى .

ثم حضر إلى الديار المصرية في ذي الحجّة الأمير كَمَشْبُغا الحَمَوى نائب طرابُلُس وكان السلطان والأتابك برقوق في الصيد بناحية كُوم برا(١)؛ فأخلع السلطان عليه بٱستمراره على نيابة طرابُلُس .

ثم في يوم الخميس ثالث المحرّم سنة أربع وثمانين وسبعمائة ٱستقرّ سُودُون الفخرى الشيخونى حاجب الحجاب بالديار المصرية، وكانت شاغرة من العام الماضى منذ توجّه مأمور القَلَمْطاوى إلى نيابة حَماة .

ثم أرسل الأتابك برقوق بَكْلَمُش الطازى العلائى إلى دِمياط(٢) لإحضار بَيْدَمُر الخُوارَزْمى المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه فحضر في العشرين من المحرّم وتلقّاه الأتابك برقوق من البحر(٣) وخَلَع عليه باستقراره في نيابة دِمَشق على عادته عوضا عن إشْقتَمُر المارديني .

وفي سَلْخ صفر تولّى القاضى بدر الدين بن أبي البقاء قضاء الشافعية بديار مصر عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة ورَسَم بانتقال مأمور القلمطاوى من

(١) هى من القرى المصرية القديمة اسمها المصرى «أريت» وقد وردت في المشترك لياقوت الحموى باسم كوم بورى بكورة الجيزية . وفي قوانين الدواوين لابن مماتى : «كوم برا» وفي تحفة الإرشاد : «كوم برى» ثم حرف إلى «كوم بره» وهو اسمها الحالى وتكتب كذلك كومبره وهي إحدى قرى مركز إمبابة بمديرية الجيزة بمصر، وتبلغ مساحة أراضيها الزراعية حوالى ألف فدان، وعدد سكانها حوالى ألفى نفس .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) المقصود من البحر أنه تلقاه عند قدومه بنهر النيل عند بولاق .

نيابة حَماة إلى نيابة طَرابُلُس عوضا عن كَمَشْبُغا الحموى بحكم آنتقال كمشبغا إلى دمشق على خبز جَنْتَمُر أخى طاز بحكم توجُّه جنتمر إلى القُدْس بطّالا ونُقل إلى نيابة حماة الأمير الكبير طَشْتَمُر العـلائى الدَّوادَار الذى كان قبل تاريخه حكَمَ مصر ، وتولّى نيابة صَفَد بعد طشتمر الدوادار تِلُو حاجب حُجّاب دمَشق .

وفى العشر الأوسط من شعبان نام الأتابك بَرْقُوق بِمَبِيته بسكنه بالإسطبل السلطانى وقَعَد شيخ الصَّفَوى الخاصّكى يُكَبِّسه و بينما هو نائم مَسَكه شيخ المذكور فى جنبه قوِيًّا خارجًا عن الحدّ ، فقعد برقوق من آضطجاعه وقال له : ما الخبَر؟ فقال : إنّ مملوكك أَيْتَمُش آتفق مع مماليك الأسياد الذين فى خدمتك ومعهم بُطا الأشرفى على أنهـم الساعة يقتلونك ، فَسَكت برقوق وجَلس على حاله ، فإذا أيتمش المذكور دخَل عليـه فقام برقوق وأخذ بيـده قَوْسًا وضربه به ضَرْبةً واحدةً صَفْحا أرماه وأمر بمَسْكه وقال له : يا مُتَخَنِّث ! الذى يأخذ المُـلْك و يقتُل الملوك يقـع من ضربة واحدة . ثم مَسَك بُطا الخـاصّكى وخرج برقوق وجلس بالإسـطبل وطلب سائر الأمراء الكِبار والصغّار ، فطلع الجميع إليه فى الحال فكلّمهم بما سَمِـع وجَرى . ثم أمسك من مماليك الأسياد نحو سـبعة عشر نفرا ؛ منهم : كُزل الحَطَطِى ، ويَلْبُغا الخازندار الصغير و جماعة من رءوس نُوَب الجَمَدارِيّة عنده .

ثم فى صبيحة نهاره أَمسكَ جماعةً من رُءوس نُوَب الجمدارية وجماعةً أخر تتمة خمسة وستين نفرا من مماليك الأسياد وهَرَب مَنْ بَقِى منهم . فالذين كان قَبَض عليهم اوّل يوم حبَسهم بالبُرْج(١) من قلعـة الجبل والذين مَسَكهم من الغَـد حَبَسهم بخزانة شمائل(٢) . ثم أنزَل بُطا الخاصّكى الأشرفى وأَيْتَمُش إلى خزانة شمائل . ثم أمسك الأتابك

(١) راجع الحاشية رقم ٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة

برقوق الأميرَ ألَابُغا العثمانى الدوادار الكبير وأحدَ مقــدّمى الألوف بالديار المصرية وسجنه. ثم أخرجه على إمرة طبلخاناه بطرابُلُس. ثم نقله بعــد مدّة يسيرة إلى تقدمة ألف بدمشق .

ثم فى يوم السبت مستهلّ شهر رمضان أخْرَج برقوق من خِزانة شمـائل ثلاثةً وأربعين مملوكًا من المسوكين قبل تاريخه، وأمر بَتَخْشِيبهم وتقييدِهم وَمشَوْا وهم مُزَنْجَرين بالحديد. ومعهم سودُون الشَّيْخونى حاجب الحُجّاب ونقيب الجيش إلى أن أوْصلوهم إلى مصر القديمة وأنزلوهم إلى المراكب، وصحبتهم جماعةٌ من الجبلية فتوجّهوا بهم إلى قُوص .

وكان سبب اتفاق هؤلاء المماليك على برقوق وقتـله بسكنه ببـاب السلسلة لفُرصة كانت وقَعتْ لهم باشتغال الأمير جَرْكَس الخليـلى الأمير آخور بِجسْر كان عَمّره بين الروضة ومصر فى النيل .

وخبرُه أنه لمـّا كان فى أوائل شهر ربيع الأوّل من هــذه السنة اهتمّ الأمـير جركس الخليـلىّ المذكور فى عمـل جسر[1] بين الرّوضة و بين جزيرة أَرْوَى[2] المعـروفة بالجـزيرة الوُسْطَى، طوله نحـو ثلاثمائة قصبة وعَرْضُـه عشر قَصَبات وأقام هو بنفسه على عمله ومماليكه وجعل فى ظاهر الجسر المذكور خوازيق[3] من سنط وسَمّر عليها أفلاق نخل، جعلها على الجسر كالستارة تَقيه من المـاء عند زيادته، وانتهى العمل منه فى آخر شهر ربيع الآخر. ثم حَفرَ فى وسط البحر خليجا من الجسر المذكور إلى زربيــة قَوْصُون[4] ليمرّ المـاء فيه عند زيادته . و يصير البحر ممرّه دائما منه صيفا

(١) هذا الجسر سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصلين : « هرانيق من سنط » وما أثبتناه عن هامش « م » .

(٤) زربية قوصون سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

وشتاء. وغُرِّمَ على هذا العمل أموالا كثيرة فلم يحصل له ما أراد على ما يأتى ذكره ، وفى هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار . [الخفيف]

شَكتِ النِّيلَ أرْضُهُ * لِلخليـــلى فأحْـضَرَهْ
ورأى المـاء خائفًا * أن يطَـأْهَا بجسَّرهْ

وقال فى المعنى شرف الدين عيسى بن حَجّاج العَالِيَة — رحمه الله تعالى — [الكامل]

جِسْرُ الخَلِيلِى المقرِّ لقــد رَسَا * كالطَّوْدِ وَسْطَ النِّيل كيف يُرِيدُ
فإذا سالتُم عنهما قلنــا لــكم * : ذا ثابتٌ دهرًا وذاك يَزِيدُ

فهذا هو الذى كان أشغل الخليــلى عن الإقامة بالإسطبل السلطانى . وأيضا لـمَّا كان خَطَر فى نفوسهم من الوثوب على الملك فإنه من يوم قُتِل الملكُ الأشرف شعبان وصار طَشْتَمُر اللَّفّاف من الجُنـديّة أتابك العساكر . ثم من بعــده قَرَطَاى الطازى . ثم من بعده أَيْنَبَك البَــدْرى . ثم من بعده قُطْلُقْتَمر . ثم الأتابك بَرْقوق وبَرَكة، وكُلٌّ من هؤلاء كان إمّا جنديّا أو أمير عشرة وتَرَقّوا إلى هذه المنزلة بالوثوب وإقامة الفتنة، طَمِــع كلُّ أحد أن يكون مثلَهم و يفعلَ ما فعلوه فذهب لهذا المعنى خلائق ولم يصلوا إلى مقصودهم . انتهى .

وآستمرّ الأتابك برقوق بعد مَسْك هؤلاء فى تَخَوُّف عظيم وآحترز على نفسه من مماليكه وغيرهم غايةَ الآحتراز. فأشار عليه بعد ذلك أَعيانُ خُشْدَاشيّته وأصحابهُ مثلُ: ٨
أَيْتَمَشُ البَجاسِى وأَلْطُنْبُغا الجُوبانى أمير مجلس وقَرْدَم الحسنىّ وجَرْكس الخليلى ويُونُس النَّوْرُوزىّ الدوادار وغيرهم — أَنْ يتسلطن ويَحْتَجِبَ عن الناس و يستريح و يُرِيح مِنْ هذا الذى هو فيــه من الآحتراز من قيامه وقُعُوده. فَجَبُنَ عن الوثوب على السلطنة وخاف عاقبــة ذلك فاستحثّه مَنْ ذكرناه من الأمراء، فآعتــذر بأنّه يَهابُ قُدَماءَ

الأمراء بالديار المصريّة والبلاد الشامية . فركب سُودون الفخرى الشيخونى حاجبُ الحُجّاب ودار على الأمراء سِرًّا حتّى آسترضاهم ، ولا زال بهم حتّى كلّموا برقوقاً فى ذلك وهوّنوا عليه الأمر وضَمِنُوا له أصحابهم من أعيان النُّوّاب والأمراء بالبلاد الشامية ، وساعدَهم فى ذلك موتُ الأمير آقْتَمُر عبد الغنى ، فإنّه كان من أكابر الأمراء ، وكان برقوق يجلس فى المَوْكب تحته لِقِدَم هِجْرته وكذلك بموت الأمير أَيْدَمر الشَّمْسى ، فإنه كان أيضا من أقران آقتمر عبد الغنى فماتا فى سنة واحدة على ما يأتى ذكرهما فى الوفيات — إن شاء الله تعالى .

فعند ذلك طابَتْ نفسُه وأجابَ ، وصار يُقَدِّم رِجْلا ويؤخِّرُ أُخْرى ، حتّى كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة طلعَ الأميرُ قُطْلُوبُغَا الكُوكَائى أميرُ سلاح وأَلْطُنْبغا المعلّم رأس نَوْبة إلى السلطان الملك الصالح أمير حاجّ صاحب التَّرْجمة ، فأخذاه من قاعة الدّهيشة[1] وأدخلاه إلى أهله بالدور السلطانية ، وأخذا منه النَّمْجاة وأحضراها إلى الأتابك بَرْقوق العثمانى ، وقام بقيّة الأمراء من أصحابه على الفَوْر وأحضروا الخليفةَ والقُضاة وسلطنوه ؛ على ما سنذكره فى أوّل ترجمته ، بعد ذكر حوادث سنين الملك الصالح هذا على عادة هذا الكتاب . إن شاء الله تعالى .

وخُلِع الملك الصالح من السلطنة ، فكانت مدّة سلطنته على الديار المصريّة سنةً واحدةً وسبعةَ أشهر تنقص أربعةَ أيام ، على أنه لم يكن له فى السلطنة من الأمر والنهى لا كثيرٌ ولا قليلٌ . وآستمرّ الملك الصالح عند أهله بقلعة الجبل إلى أن أُعيد للسلطنة ثانيا ، بعد خَلْع الملك الظاهر برقوق من السلطنة وحَبْسه بالكَرَك فى واقعة يَلْبُغا الناصرى ومِنْطاش ؛ كما سيأتى ذكرُ ذلك مفصّلا .

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

*
* *

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح أمير حاج الأولى على مصر

وهى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة. على أنّ أخاه الملك المنصور عليًّا حكم فيها من أوّلها إلى ثالث عشرين صفر، حسب ما تقدّم ذكره فى وفاته .

فيها (أعنى سـنة ثلاث وثمانين وسـبعمائة) تُوُفِّى قاضى القضـاة[1] عماد الدين أبو الفداء إسماعيـل آبن الشيخ شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العِزّ بن صالح الدمشقىّ الحنفى قاضى قضاة دمشق بها عن نيِّف وتسعين سنة . وكان فقيها رئيسا من بيت علم ورياسة بدمشق . وهم يُعرفون ببنى أبى العز وبنى الكشك .

وتُوُفِّى قاضى القضاة كمال الدين أبو القاسم عُمَـر آبن قاضى القضاة فخر الدين أبى عمـر عثمان بن الخطيب هبـة الله المَعَرِّى[2] الشافعىّ بدمشق عن إحدى وسبعين سنة بعد أن حكم بها خمس سنين. وكان تنقّل فى البلاد وولّى قضاءَ طرابُلُس وحَلَب ودِمشق غيرَ مرة، وكان فقيها عارفا بالأحكام خبيرًا بالأمور .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم شهاب الدين[3] أبو العباس أحمـد بن حَمْدان بن أحمد ابن عبـد الواحد الأَذْرَعىّ الشافعىّ بحلب عن نيف وسبعين سـنة . وكان عديم النظير، فقيها عالمـا، شرح «منهاج النَّوَوى» . وآستوطن حلب وولى بها التدريس ونيابة الحكم إلى أن تُوُفِّى . رحمه الله .

---

(١) راجع ترجمته فى المنهل الصافى (جـ ١ ص ٢١٧ (ب) والدرر الكامنة (جـ١ ص ٣٧٩) .

(٢) فى م : « العزى » وما أثبتناه عن الدرر الكامنة (جـ٣ ص ١٧٧) .

(٣) ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة (جـ ١ ص ١٢٥) ترجمة مطولة، كلها محاسن ودرر، وقد ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (جـ ١ ص (٧٠ (أ)) ترجمة ضافية .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم الفاضل رُكْن الدين أحمد القِرَمى الحنفى الشهير بقاضى قِرَم[1] ومفتى دار العدل بالديار المصرية بها عن ثمانين سنة . وآستقر عوضه فى إفتاء دار العدل الشيخ شمس الدين محمد النيسابورى آبن أخى جار الله الحنفى . وكان ركن الدين فاضلا عارفا بمذهبه ، ناب فى الحكم عن قاضى القضاة جلال الدين جار الله ، وكان معدودا من أعيان فقهاء مصر .

وتُوُفِّى شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق آبن الشيخ مجد الدين عاصم آبن الشيخ سعد الدين محمد الأصبهانى الحنفى فى ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر ، قاله المَقْريزى . وخالفه العَيْنى ، بأن قال : فى المحرم سنة ثمانين ولم يُوافق لا فى الشهر ولا فى السنة . والصواب : المقالةُ الأولى . وكان قَدِم إلى القاهرة وتولّى مشيخة خانقاه[2] سِرْياقُوس ، ثم توجه فى الرّسلية إلى بلاد الهند وعاد وقد كثُرَ مالُه ، حتى إنه أهدى الذهب فى الأطباق . ومما يَدلّ على اتساع ماله عمارتُه الخانقاه بالقرب من قلعة الجبل تُجاه باب الوزير على بُعْد مترشرقىّ الجبل وهى فى غاية الحسن . وكان له هِمةٌ ومكارم ، حدّثنى حفيدُه بأشياءَ كثيرة من مكارمه وفضله وأفضاله .

تُوُفِّى الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن حَديدة الأنصارى أحد الصوفية بالخانقاه[3] الصلاحية سعيد السعداء فى سادس عشرين شعبان . وكان يَرْوِى الشِّفاء وثُلاثيّات «البخارى» وغير ذلك . وصنّف كتاب « المصباح المضىء » فى كُتّاب النبى عليه السلام ومكاتباته .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين مَازِى بن عبد الله اليَلْبُغاوى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) هذه الخانقاه سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ١ ص ١٤٨ بالجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وتُوُفّى السيد الشريف عطية بن منصور بن جَمّاز بن شيحة الحسنىّ أمير المدينة النبويّة بها وتولى بعده ابن أخيه جَمّاز بن هِبَة الله وكان كريمًا عادلا . رحمه الله .

وتُوُفّى الأمير آنص العثمانىّ الجركسىّ والد الأتابَك برقوق العثمانىّ أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية فى العشر الأوسط من شوّال وقد جاوز ثمانين سنة من العمر، أقام عمره فى بلاد الجركس ، حتى هداه الله تعالى للإسلام على يد ولده الأتابك برقوق .وقَدِم القاهرة كما تقدّم ذكْره فى ترجمة الملك المنصور علىّ وأسلم وحَسُن إسلامُه وأقام بعد ذلك دون السنتين ومات . ومع هذه المدة القصيرة من إسلامه أظهر فيها عن دين كبير وخَيْر وصدقات كثيرة ومحبّة لأهل العلم وشَفقَة على الفقراء وأهل الصَّلاح . وكان لا يدّخر شيئا من المال ، بل كان مَهْمَا حَصَل فى يده فرّقه فى الحال على الفقراء والمساكين . أخبرنى جماعةٌ من خَدَمه أنّه كان إذا رَكِبَ ولَقِىَ فى طريقه أحدًا من المحابيس المكدّين يأخذه من جَنْداره ويُطْلِقُه فى الحال من زَنْجيره ، ولم يَقْدِر أحدٌ أن يردّه عن ذلك ، فمَنَع برقوق من خروج المحابيس للتكدّى خَوفًا من أن يُطْلِقَهم ، فإنّه كان إذا رأى أحدًا منهم يسأل من مماليكه هذا مُسْلِمٌ أم كافرٌ ؟ فيقولون له : مسلم ، فيقول : كيف يُفْعَل بمسلم هكذا فى بلاد الإسلام ! أَطْلِقُوه فيُطْلَقُ فى الحال . ومات قبل سلطنة ولده برقوق ودُفِن بتربة[1] الأمير يونس الدوادار

(١) هذه التربة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه يونس (ص ٤٢٦ جـ ٢) فقال : إن هذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر ، أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق ، وهى أوّل مكان بنى هناك . أنشأها الأمير يونس النوروزى الدوادار .

وأقول : إن الأمير يونس قتل فى الشام ولم يدفن فى هـذه التربة التى بمعاينتها تبين لى أنها لا تزال قائمة فى الجهة الشمالية من تربة السلطان برقوق التى تعرف بالمدرسة الناصرية بصحراء جبانة المماليك والباقى منها قبة وهى التى كان دفن تحتها الأمير آنص العثمانى ، ولما أتم ولده السلطان برقوق بناء مدرسته التى بين القصرين نقل جثة والده إلى هذه المدرسة التى سيأتى التعليق عليها فى الكلام على ولاية السلطان برقوق سنة ٧٨٦ هـ .

برأس الروضة خارج باب البَرْقية من القاهرة، ثم نُقِل بعد فراغ مدرسة ولده البرقوقية ببين القصرين إلى الدفن بها فى القُبّة .

وتُوُفِّى الأمير الكبير سيف آقْتَمُر بن عبد الله من عبد الغنى نائب السلطنة بالديار المصرية بالقاهرة فى هذه السنة ، بعد أن باشر عِدّة أعمال ووظائف مثل : نيابة صَفَد، وطَرابُلُس، ودَمَشق، وحُجوبيّة الحُجّاب بديار مصر، و إمرة جاندار، ونيابة السلطنة بها مرتين . و بموته خلا الجَوّ للأتابَك برقوق وتسلطن، مع أنه كان عديمَ الشر ، غيرَ أنه كان مُطَاعًا فى الدولة يُرْجَع إلى كلامه ، فكان برقوق يراعيه و يجلس تحته إلى أن مات فى تاسع عشرين جُمادَى الآخرة .

وتُوُفِّى الأميرُ الكبير عِزّ الدين أَيْدَمُر بن عبد الله الشمسى أَحدُ أكابر أمراء الأُلوف بالديار المصريّة بها فى ثالث عشر صفر (١) وقد جاوز الثمانين سنة . وكان أصلُه من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، أقام أميرًا نحوًا من ستين سنة ، وهو أيضا ممّن كان بَرْقوقٌ يَخْشاه و يُعَظِّمه و يجلسُ تحته حتّى فى يوم حضور والد برقوق بخانقاة سِرْياقُوس ، جَلَس برقوق تحته فى الملاَ من الناس ، فبِمَوْت هؤلاء صَفَا الوقتُ لبرقوق و إن كان بَقِى من القُدماء إِشْقَتَمُر المَارديِنىّ وأيدمر الخُوَارَزْمِىّ ، فهما ليس كهؤلاء فإنهما لحُبِّهما لنيابة دِمَشق وغيرها يَتَواضعان لأصحاب الشوكة . انتهى وكان أَيْدَمر الشمسىّ هذا كونه مملوك ابن قلاوون يَجْلِس عن اليمين وآقْتَمُر عبدالغنى عن اليسار .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين طَشْتَمر بن عبد الله القاسمىّ المعروف بخازندار يَلْبُغا العُمَرىّ نائب حماة فى هذه السنة فى شهر رجب بِعين تَاب (٢) صحبةَ العساكر الشاميّة .

(١) فى الأصلين : «فى ثالث عشر بن صفر» والتصحيح عن المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٨٩ (أ))

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وكان من أجلّ مماليك يَلْبغا العمَرىّ وأكابرهم ، وتولّى بعده نيابةَ حماة مأمور القَلَمْطاوىّ اليَلْبُغاوىّ حاجب الحجّاب .

وتُوفّى الأمير عَلّان بن عبـد الله الشعبانىّ أمير سلاح فى ثمانى عشر شهر ربيع الآخر وهو أحد أعيان مماليك يَلْبغا، وكان من حزب برقوق وقام معه فى نَوْبة واقعة بَرَكة أتمّ قيام وكان برقوق لا يخرج عن رأيه .

وتُوُفّى خَـواجّا فخر الدين عثمان بن مُسافر جالبُ الأتابك برقـوق من بلاده ثم جالب أبيه و إخوته إلى الديار المصريّة بالقاهرة فى سادس عشر شهر رجب . وكان رجلا مقداما عاقلا وَقُورا، نالتْه السعادةُ لجَلْبه الأتابك برقوق ومات وهو من أعيان المملكة . وكان برقوق إذا رآه قام له من بُعْـد وأكرمه وقَبِل شفاعتَه وأعطاه ما طلب .

وتُوُفّى الشيخ الفقير المُعْتَقد على الشامىّ بالقاهرة فى خامس صفر وكان يُعرف بأبى لحاف .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين على بن قَشْتَمُر الحاجب الشهير بالوَزِيرِىّ فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر، كان أميرَ مائة ومقدَّم ألف بديار مصر وكان من خواصّ بَرْقوق وأحدُ مَنْ قام معه فى وقائعه وساعده .

وتُوُفّى الأُستاذ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بٱبن السُّورى العَمّارى المَوْصلى العَوّاد المُغَنّى — نسبتـه بالعَمّارى إلى عَمّـار بن ياسر الصحابِىّ رضى الله عنـه — فى يوم العشرين من صفر بالقاهرة، وقـد ٱنتهت إليه الرئاسة فى ضرْب العُود والمُوسِـيقِى ونالتْه السعادة من أجْلها ، حتّى إنّه كان إذا مَرِض عاده جَميـعُ أعيان الدولة .

قلتُ : وهو صاحبُ التصانيف الهائلة فى الموسيق .

وتُوُفّيت المسنِدة المُعَمَّرة جُوَيْرِةُ بنت الشِّهاب أبى الحسن [أحمد] بن أحمد الهَكّارِى فى يوم السبت ثانى عشرين صفر وقد آنفردت برواية النَّسَائى وغيرها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا .

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

السلطان الملك الظاهر أبوسعيد سيف الدين بَرْقُوق بن آنص العثمانى اليَلْبُغَاوِى الجَارْكَسِىّ القائم بدولة الجراكسة بالديار المصرية . وهو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية والثانى من الجراكسة ، إن كان الملك المظفر بِيبَرْس الجَشْنَكِير چاركسيا ، وإن كان بيبرس تركى الجنس فبرقوق هذا هو الأوّل من ملوك الجراكسة ، وهو الأصحّ وبه نقول .

جلَس على تخت الملك فى وقت الظُّهْر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة الموافق له آخر يوم هاتور وسادس تشرين الثانى ، بعد أن آجتمع الخليفــةُ المتوكّل على الله أبو عبــد الله محمــد والقُضاةُ وشيخُ الإســلام سراجُ الدّين عُمر البُلْقِينى وخَطَب الخليفةُ المتوكّل على الله خطبةً بليغةً . ثم بايَعه على السلطنة وقلّده أمورَ المملكة ثم بايعه من بعده القضاةُ والأمراء .

ثم أُفِيض على بَرْقوق خِلْعة السلطنة ، وهى خلعةٌ ســوداءُ خليفتيّةَ على العادة ، وأشار السِّراج البُلْقِينى أن يكون لقبُه «الملك الظاهر» فإنه وقت الظَّهيرة والظُّهورُ وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافيًا ، فتلقَّب بالملك الظاهر ورَكب فرَس النَّوْبَة من الحرّاقة من المَقْعَد الذى بالإسطبل السلطانىّ من باب السِّلْسلة . والقُبَّة والطَّيْرُ

على رأسه، وطَلَع من باب السرّ[1] إلى القصر الأبلق[2]، وأمطرت السماءُ عند رُكوبه بأُبَّهة السلطنة، فتفاءَل النـاسُ بيُمْن سلطنته ومَشت الأمراءُ والأعيانُ بين يديه إلى أن نَزَل ودخل القصْر المذكور وجَلَس على تخت الملك. وكان طالعُ جلوسه على تخت الملك بُرْجَ الحُوت والشمس فى القَوْس متصلةٌ بالقمر تثليثًا والقمَرُ بالأسد مُتَّصلٌ بالمُشْترى تثليثًا وزُحَل بالثَّوْر راجعا والمُشْترى بالحَمَـل متصلٌ بعُطَارِد من تَسْدِيس والمِرِّيخ بالجَـوْزاء فى شَرَفه والزُّهَراءُ بالعَقْـرب وعُطَارِد بالقَوْس. ودُقَّت البشائر بقلعة الجبل عند ركوبه ثم زُيِّنت القاهرة ومصرُ ونُودِى بالقاهرة بالدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق.

ولمّـا جلس على تخت المُلك قبَّلت الأمراءُ الأرضَ بين يديه وخَلَع على الخليفة على العادة.

ثم كَتَب بذلك إلى الأعمال وخَرَجت الأمراء لتحليف النُّوَّاب بالبلاد الشامية ثم أَمَرَ الملك الظاهر فى السلطنة وثبتت قواعد مُلْكه.

ومدَحهُ جماعةٌ من شعراء عصره منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار فقال: [السريع]

ظهورُ يومِ الأربعاءِ ٱبتدا * بالظاهِرِ ٱلمُعْـتَزِّ بِالقاهِرِ
والبِشْرُ قد تَمّ وكلُّ ٱمرِئٍ * منشرِحُ البـاطِنِ بِالظاهِرِ

وقال الشيخ شهاب الدين الأعرج السَّعْدِى من قصيدة : [الوافر]

تولّى ٱلمُلْكَ برقوقُ المفدَّى * بِسَعْدِ ٱلجَدِّ وٱلاقـدارُ حَتْمُ
نهارَ الأربعاءِ بُعَيْـدَ ظُهْرٍ * وللتربيع فِى ٱلاملاكِ حُكْمُ
بِتاسِعِ عَشْرِ رَمْضانٍ بِعامٍ * لأَربعٍ مـــع ثمانِين يَـــتِمُّ

(١) باب سر القلعة سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ بالجزء الثامن من هذه الطبعة.
(٢) القصر الأبلق سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ بالجزء السابع من هذه الطبعة.

قلت : ولْنذكر أمرَ الملك الظاهر هذا من أوّل آبتداء أمره فنقول :

أصله من بلاد الجاركس وجنسه « كسا » ثم أُخذَ من بلاده وأبيع بمدينة قِرَم فاشتراه خواجا عثمان بن مُسافر المقــدَّم ذكرُهُ وجلبه إلى مصر فاشتراه منه الأتابك يَلْبُغا العُمَرى الخاصّكى الناصرى فى حدود سنة أربع وستين وسبعمائة أو قبلها بيسير وأَعْتقه وجعلَه من جُمْـلة مماليكه ، وآستمرّ بخدمته إلى أن ثارت مماليك يلبغا عليـه وقُتِل فى سنة ثمان وستين وسبعمائة ، فـلم أَدْرِ هل كان برقوق ممّن هو مـع أستاذه يَلْبُغا أم كان عليه . ولـمـا قُتِل يلبغا وتمزّقت مماليكهُ وحُبِس أكثرُهم حُبِس برقوق هــذا مع مَنْ حُبِس مــدّة طويلة هو ورفيقُه بَرَكة الجُوبانى ومعهم أيضا جَاركس الخليلى وهو دونهم فى الرتبة . ثم أُفْرِج عنه وخَدَم عند الأمير مَنْجَك اليُوسُفى نائب الشام سنين إلى أن طَلَب المـلكُ الأَشرفُ ممـاليكَ يَلْبُغا إلى الديار المصرية حضر برقوق هــذا من جُملتهم وصار بخدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف جُنْديًّا ولم يزل على ذلك حتى ثار مع من ثار من مماليك يلبغا على المـلك الأشرف شعبان فى نَوْبَة قَرَطاى وأَيْنَبَك وغيرِهما فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وقُتِل الأشرف .

ثم لمّـا وقع بين أينبك وقَرَطاى وآنتصر أينبك على قرطاى أنعم أينبك عليـه بإمرة طبلخاناة دَفْعة واحدة من الجندية ، فدام على ذلك نحو الشهر، وخرج أيضا مع مَنْ خرج على أينبك من اليَلْبُغارية فأخذ إمرة مائة وتقدمة ألف وكذلك وقـع لرفيقه بَرَكة . ثم صار بعد أيام قليلة أميرآخور كبيرا ودام على ذلك دون السنة وآتفق مع الأمـير بركة على مَسْك طَشْتَمُر الدوادار ومسكاه بعد أمور حكيناها فى ترجمـة الملك المنصور علىّ وتقاسما المملكة وصار برقوق أتابَك العساكر . و بركة رَأْس نَوْبة الأمراء أَطَابَكًا ، فدامَ على ذلك من سنة تسع وسبعين إلى سنة آثنتين وثمانين ووَقَع

بينه وبين خشداشه بَرَكة وقبض عليه بعـد أمور وحروب وصفا له الوقتُ إلى أن تسلطن . وقد تقدَّم ذكرُ ذلك كلّه ، غير أننا ذكرناه هنا ثانيا على سبيل الآختصار لينتظم سياق الكلام مع سياقه . انتهى .

قال المقريزى — رحمه الله : وكان آسمُه أَلْطُنْبُغَا فغيّره أستاذُه يَلْبغا لمّـا آشتراه وسمّاه برقوقا . وقال القاضى علاء الدين علىّ آبن خطيب الناصرية (١) : كان آسمـه «سُودُون» نَقْلًا عن قاضى القضاة ولىّ الدين أبى زُرْعة العِراقىّ عن التاجر بُرْهان الدين المحلّى عن خواجا عثمان بن مُسافِر . والقولان ليسا بشىء وإن كان النقلة لهذا الخبر ثقات فى أنفسهم فإنهم ضعفاءُ فى الأتراك وأسمائهم وما يتعلّق بهم لا يرجع إلى قولهم فيها . والأصح : أنّه من يوم وُلِدَ آسمُه برقوق كما سنبيِّنه فى هذا المحلّ من وجوه عديدة منها : أن الخواجا عثمان كان لا يعرف بالعربية ، وكان البُرْهان المحلِّى لا يعرف باللغة التركية كلمةً واحدة ، فكيف دار بينهما الكلامُ ، حتى حَكَى له ما نُقِل وإن وقـع اجتماعهما فى بعض المجالس وتَكَالمـا ، فالبرهان يفهم عنه بالرمز لا بالتحقيق وليس بهـذا نستدِل ، بل أشياءُ أُخَر منها : أنّ والد المـلك الظاهر برقوق لمّـا قَدِم من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية ونزل الملك الظاهر برقوق فى وجوه الأمراء إلى ملاقاته بالعِكْرِشة وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلِّه ، وكان يوم ذلك برقوق مرشَّحا للسلطنة ،

(١) هو علاء الدين أبو الحسن على المعروف بآبن خطيب الناصرية ، الحلبي الشافعى ، مولده بحلب سنة ٧٧٤ هـ كان بارعا فى الفقه والأصول والعربية مشاركا فى الحديث والتاريخ وغير ذلك ، مع الرياسة وشهرة الذكر وكثرة المـال ، كتب تاريخا لحلب وهو ذيل على تاريخ آبن العديم وهو أحد مواد الضـوء اللامع فى أعيـان القرن التاسع للسخاوى ، كتبه سنة ٨٣٦ هـ فى مجلدين ، تعرّض له آبن حجر فى ديباجة كتابه : « أنباء العمر بأبناء العمر » وأثنى عليه . انظر أخبار ابن خطيب الناصرية فى وفيات سنة ٨٤٣ فى السلوك (ج ٤ ص ٩٨٣) وانظر ترجمته فى حـ ٥ من تاريخ حلب للطباخ ص ٢٢٤ وانظر أخبار كتابه تاريخ حلب فى حـ ١ ص ٢١ من تاريخ الطباخ المذكور .

فعندما وقع بصرُ والده عليه وأخذ برقوق فى تقبيل يده ناداه باسمه برقوق من غير تعظيم ولا تحشُّم. وكان والد برقوق لا يَعرِف الكلمة الواحدةَ من اللغة التركية، فلمّا جلس فى صدر المخيَّم وصار يتكلّم مع ولده برقوق بالجاركسية، تكرّر منه لفظ «برقوق» غير مرة.

ثم لـمّا قَدِم القاهرة وصار أميرَ مائة ومقدَّم ألف آستمرّ على ما ذكرناه من أنه ينادى برقوقا باسمه ولا يقومُ له إذا دخل عليه، فكلّمه بعض أمراء الجراكسة أن يُخاطبه بالأمير، فلم يفعل وغَضِب وطلب العَوْد إلى بلاد الجاركس، فلو كان لبرقوق اسم غير برقوق ما ناداه إلّا به ولو قيل له فى ذلك ما قَبِله. فهذا من أكبر الأدلة على أن آسمه القديم «برقوق». وكذلك وقع لبرقوق مع الخَوَنْدات، فإن أخته الكُبْرى كانت أرضعتْ برقوقا مع ولدٍ لها، وكانت أيضا لا تعرف باللّغة التركية، فكان أعظم يمين عندها: وحقّ رأس برقوق. وقدم مع الخوندات جماعةٌ كبيرةٌ من أقاربهم وحواشيهم وتداول مجيئُهم من بلاد الجاركس إلى القاهرة إلى الدولة الناصرية، ورأيت أنا الخَوَنْدات غيرَ مرّة.

وأما جواريهم وخدَمُهم فصار غالبُهم عندنا بعد موتهم. وآستولد الوالدُ بعضَ مَنْ حضر معهم من بلاد الجاركس من الجوارى وكان غالب من حضر معهم من عجائز الجراكسة يَعْرِف مولدَ برقوق فلم نسمع من أحد منهم ما نقله من تغيير آسمه ولا من أحد من مماليكه مع كثرة عَدَدِهم وآختلاف أجناسهم. ومنهم من يَدَّعِى له بقرابة مثل الأمير قَجْماس والد إينال الأمير الآخور الكبير وغيره، وقد أثبت ذرية قَجْماس المذكور أنه آبنُ عمِّ برقوق بسبب ميراث مماليكه بمحضر شَهِد فيه جماعةٌ من قُدماء الجراكسة وسُمِّى فيه برقوقٌ برقوقًا وسُمِّى قَجْماس بجماسًا.

ثم لمّـا وقفتُ على هــذه النُّقول الغريبــة سألتُ عن ذلك من أكابر ممــاليك برقوق، فكلٌّ مَن سألت منه يقول : لم يطرُق هذا الكلامُ سمعى إلّا فى هذا اليوم، هذا مع كثرتهم وتعظيمهم لأستاذهم المذكور وحفظهم لأخباره، وما وقع له قديما وحديثا حتى إنّ بعضَهم قال : هذا آسم جاركسى وَيَلْبُغا آسم تَتَرى لا يُعرف معناه، ثم ذَكَر معناه فقال : هذا الآسم أصلُه « مَلِى جُق »(1) ومعناه بالجاركسى غنّـام، فإنّ «ملى» بلغتهم آسم للغنم ثم خفّف على «جُق» ببرقوق ثم ذكر أسماء كثيرة، كان أصلها غير ما هى عليه الآن مثل «بايزير» فسمى «بايزيد» ومنهم مَن جعله كنيةَ أبى يزيد ومثل «آل باى» فسِّمى «على باى» وأشياء من ذلك يطول شرحُها. وقدخرجنا عن المقصود لتأييد قولنا، وقد أوضحنا هذا وغيره فى مُصنَّف على حدَته فى تحريف أولاد العــرب للأسماء التركيّة والعجميّة وفى شهرتهم إلى بلادهم فى مثل جَانِبَـك وتَنْبك وشَيْخون، ومثل من نُسب إلى فَيْرُوز باد واسترا باد من زيادة ألفاظ وترقيق ألفاظ يتغيّر منها معناها، حتّى إن بعض الأتراك أو الأعاجم إذا سَمعها لا يفهمها إلّا بعد جهد كبير . انتهى ٥٠١.

وأمّا الملك الظاهر بَرْقُوق(2) فإنه لمّـا تسلطن جلس بالقصر الأبلق ثلاثة أيام، فصارت هذه الإقامة سُــنّةً بعده لمن يتسلطن ولم تكن قبل ذلك . فلمّا كان يوم الأثنين رابع عشرين شهر رمضان قُرِئ عهدُ الملك الظاهر برقوق بالسلطنة بحضرة الخليفــة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة وخَلَع السلطانُ عليهــم الخِلعَ السنيّةَ . ثم أَخْلَع على الأمير أَيْتَمُش البَجاسِى باستمراره رأسَ نَوْبة الأمراء وأَطَابَكًا وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانى أمير مجلس على عادته، وعلى جاركس الخليلى الأمير آخور الكبير على

(1) فى « م » « ملى خق » .

(2) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

عادته، وعلى الأمير سُودون الفخرى الشيخونى حاجب الحُجّاب باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية، وكانت شاغرةً من يوم مات الأمير آقْتَمُر عبد الغنى. وخَلَع على الأمير أَلْطُنْبُغا الكُوكائى أمير سلاح، وآستقرّ حاجب الحُجّاب عوضا عن سُودون الشيخونى، وعلى الأمير أَلطنبغا المعلِّم بآستقراره أمير سلاح عوضا عن الكُوكائى المُنتقل إلى الجوبيّة .

قلت : وهذا مما يدل على أن وظيفة إمرة سلاح كانت إذ ذاك دون الجوبيّة انتهى .

ثم أخلع السلطان على الأمير يُونُس النَّوْرُوزى دواداره قديمًا باستقراره دوادارا كبيرا بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضًا عن أَلابُغا العُثْمانى المقبوض عليه قبل تاريخه، وعلى الأمير قُردَم الحَسنِى اليَلْبُغاوى باستقراره على عادته رأس نوبة ثانيا بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن أَلابغا .

وهذه الوظيفة هى الآن وظيفة رأس نَوْبة النُّوَب وقد بينا ذلك فى غير موضع .

ثم خَلَع السلطانُ على القُضاة الأربعة، وهم : قاضى القضاة بدرالدين بن أبى البقاء السُّبْكى الشافعى . وقاضى القضاة صدر الدين بن منصور الحنفى . وقاضى القُضَاة جمال الدين بن خير المالكى . وقاضى القضاة ناصرالدين العسقلانى الحنبلى . وخَلَع على قُضاة العسكر مُفْتى دار العدل(١)، ووكلاء بيت المال، وعلى مباشرى الدولة، وعلى القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السر، وعلى عَلَم الدِّين سِنّ إبرة الوزير، وعلى تقى الدين محمد بن مُحِبّ الدِّين ناظر الجيش، وعلى سعد الدين بن البقرى ناظر الخاصّ .

(١) هى الإيوان الذى أنشأه الملك المنصور قلاوون وأعاد بناءه آبنه الملك الناصر محمد وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم ولذلك سمى بدار العدل . راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم خَلَع الملك الظاهر على القاضى أوحد الدين عبد الواحد موقِّعه فى أيام إمرته، وعلى جمال الدين محمود القَيْصرى محتسب القاهرة، وعلى سائر أرباب الدولة وأعيان المملكة فكان يوما مشهودا .

ثمّ فى يوم الخميس سابع عشرينـه طلب السلطان سائر الأمراء والأعيـان، وحلّفهم على طاعته . وفيـه أيضا خَلَع على الأمير بهادُر المَنْجكىّ ، وآستقرّ أستدارًا بإمرة طبلخاناه ، وأضيف إليه أستادارية المَقام الناصرىّ محمد آبن السلطان الملك الظاهر برقوق .

ثم فى يوم الآثنين تاسع شوّال أخلع السلطان على العلّامة أَوْحد الدين عبد الواحد ابن إسماعيـل بن ياسين الحنـفىّ باستقراره كاتب السرّ بالديار المصرية عِوَضا عن القاضى بدر الدين بن فضل الله بحكم عزله .

ثمّ أخلع السلطان على الأمير جُلْبان العلائى وآستقرّ حاجبًا خامسًا ، ولم يُعهـد قَبْلَ ذلك بديار مصر خمسة حُجّاب ، وعُدّ ذلك من الأشـياء التى آستجدّها الملك الظاهر بَرْقُوق .

وأخلع على رجل من صُوفيّة خَانقاه شَيْخون يُقال له : خَيْرُ الدين [العَجَمىّ][(1)] بآستقراره قاضى قضاة الحنفيّة بالقُدس الشريف .

ثم أَخْلَع أيضا على رجل آخَر من صوفيّة خانقاه شَيْخُون يقال له : موفّق الدِّين العَجَمىّ بقضاء غزة، كلُّ ذلك بسفارة الشيخ أكمل الدِّين شيخ الخانقاه الشَّيْخُونية . وهذا أيضا ممّـا آستجدّه الملك الظاهر ، فإنه لم يكن قبـل ذلك بالقُدس ولا بغَزة قاضٍ حَنَفِىّ .

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١٠) .

ثم فى يوم الأربعاء[1] تاسع عشرين شوّال رَكب السلطان الملك الظاهر من قلْعة الجبل وعدَّى النيــل من برّ بُلاق إلى الجيزة وتصيّــد ثم عاد من آخر النهار ، وقــد ركب الأمير أَيْتَمِش عن يمينــه والعلَّامةُ أكملُ الدين شــيخ الشَّيْخُونيّة عن يســاره .

ثم رَسمَ السلطان بعــد عَوْده من الصَّــيْد بآستقرار بَدْر الدين محمــد بن أحمــد [ابن إبراهيم][2] ابن مُزْهِر فى كتَابة سرّ دِمَشق عِوضًا عن القاضى فتح الدين [محمد][3] ابن الشهيد .

ثم وَرَدَ الخبرُ على السلطان من الأمير يَلْبُغَا الناصرىّ نائب حلب بأنّ الأمير أَلْطُنْبُغا السلطانىّ نائب أُبُلُسْتَيْن[4] عَصِىَ وطَلَع الى قلعة دَارَنْدة[5] المضافة اليه وأنه أمسك بعضَ أمرائهــا وأطلع إلى دَارَنْدة ذَخائِرَه ، فَرَكِب العسكر الذين هم بالمدينة عليــه وأمسكوا مماليكه وحاصروه فطلب الأمانَ منهم ، ثم فَرّ من القلعة إلى أُبُلُسْتَيْن ثانيا فكتَب إليه الناصرىّ نائبُ حلب يُهدِّده فلم يرجع إليه ومرّ هارباً إلى بلاد التَّتَــار وقال : لا أكون فى دولة حاكمُها جَارَكْسِىّ !

وفى يوم السبت سابع عشر ذى القَعْــدة رَكب السلطان أيضا من القلعــة إلى

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١١) : « يوم الثلاثاء » .

(٢) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١١) .

(٣) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١١) .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) كانت قلعة دارندة من بلاد الثغور والعواصم الخارجة عن حدود البلاد الشامية ولها نائب أمير عشرة وربما طبلخاناه وولايتها فى الحالتين من نائب حلب (انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢٨) .

جهة المطرية[١] ومضى إلى قناطر أبى منجا[٢]، ثم عاد وشق القاهرة من باب الشعرية[٣]، وكان لمروره يوم مشهود وهو أوّل ركوبه ومروره من القاهرة فى سلطنته .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) صواب الاسم قناطر بحر أبى المنجا وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة الخارجية فى سورها البحرى الذى أنشأه صلاح الدين غربى الخليج المصرى فى المسافة التى بين الخليج و باب البحر و بالقرب من الخليج . فإنه لما تكلم المقريزى فى خططه على سور القاهرة (ص ٣٧٧ ج ١) قال : إن السور الثالث أنشأه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٩ هـ وزاد فيه القطعة التى من باب القنطرة إلى باب الشعرية ومن باب الشعرية إلى باب البحر وقلعة المقس على النيل . ولما تكلم على باب الشعرية (ص ٣٨٣ ج ١) قال : و يعرف بطائفة من البربر (المغاربة) يقال لهم بنو الشعرية هم ومزاتة وزنارة وهوّارة من أخلاف لواتة، الذين نزلوا بإقليم المنوفية .

وذكر ابن إياس فى كتاب تاريخ مصر (ص ١٧٣ ج ٣) أنه لما مات الشيخ محيى الدين عبد القادر الدشطوطى فى سنة ٩٢٤ هـ دفن بمدرسته التى أنشأها خارج باب الشعرية تجاه زاوية سيدى يحيى البلخى .

و بالبحث عن مكان هذا الباب تبين لى أنه كان قائما إلى عهد قريب بدليل أنه مبين على خريطة القاهرة التى رسمها جران بك مدير التنظيم فى سنة ١٨٧٤ على رأس سكة باب الشعرية التى تعرف اليوم بسوق الجراية وفى سنة ١٨٨٤ هدم هذا الباب بمعرفة الضبطية لخلل فى مبناه وكان يعرف أخيرا باسم باب العدوى لوقوعه تجاه جامع العدوى .

ومما ذكر يتبين أن باب الشعرية كان واقعا بميدان العدوى على رأس شارع سوق الجراية قبل توسيع الميدان المذكور وكان يفتح من الخارج على ميدان العدوى وشارع الزعفرانى وشارع العدوى وسكة العجالة .

وقد جهل الناس الموقع الأصلى لهذا الباب فأطلقوا اسمه خطأ على باب آخر هو باب القنطرة الذى سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٩ بالجزء الرابع من هذه الطبعة وسموه باب الشعرية فى حين أن البابين غير متجاورين فباب القنطرة يقع كما ذكرنا فى سور القاهرة الغربى على رأس شارع أمير الجيوش الجوانى شرقى شارع الخليج المصرى وأما باب الشعرية فيقع كما ذكرنا فى سور القاهرة البحرى تجاه جامع العدوى الواقع غربى الخليج المصرى والمسافة بين البابين لا تقل عن ٢٣٠ مترا .

ومما يلفت النظر أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم باب العدوى الذى هو بذاته باب الشعرية على زقاق بشارع البغالة البحرى شرقى شارع الخليج المصرى فى حين أن هذا الباب يقع غربى شارع الخليج كما ذكرنا .

ثم قَدِم الخبرُ على السلطان بِفرار الأمير آقْبُغا من عبد الله نائب غزّة منهـا إلى الأمير نُعير[(١)] .

وفى هـذه الأيام أخلع السـلطان على الأمير قَرْقَماس الطّشْتَمُرىّ باسـتقراره خازندارا كبيرا .

وفى سابع عشر ذى الحجّة[(٢)] من سنة أربع وثمانين وسبعمائة ركب السلطان من القلعة وعَدّى النيل إلى برّ الجيزة ثم عاد من بُلاق فى سابع عشر ذى الحجّة المذكور .

وفى سابع عشرين ذى الحِجّة قَدِم الأمير أُلْطُنْبُغا الجُوبانىّ أمير مجلس من الحجاز وكان حجّ مع الركب الشامىّ وعاد من طريق الحجّ المصرىّ .

وفى يوم السبت أوّل مُحرّم سنة خمس وثمانين وسبعمائة قَدِم الأمير يلبُغا الناصرىّ نائب حلب إلى الديارِ المصرية فخـرج الأمير سُودون الشَّيْخُونىّ النـائب إلى لقائه وجماعة من الأمراء، وطَلَع الجميع فى خدمته إلى القلعة، وقَبّل الناصرىّ الأرضَ بين يدَى السلطان الملك الظاهر .

وخَلَع السلطان عليه بالاستمرار على نيابة حلب، فكان مجىء الناصرى إلى مصر أوّلَ عظمة نالت الملك الظاهرَ برقوقا ؛ لأن يَلْبُغا الناصرى المذكور كان من كبار ممـاليك الأتابك يلبُغـا العُمَرى وممن تأمّر فى أيام يلبُغَا ، و برقوق كان من صغار مماليكه، وأيضا فإن الناصرى كان فى دولةِ الملك الأشرف شعبان بن حُسين أميرَ مائة ومقدّم ألف و برقوق من جملة الأجناد ممن يتردّد إليه و يقوم فى مجلسه على قدميه، فلم يمضِ غيرُ سنيات حتى صار كلٌّ منهما فى رتبة معروفة . فسبحان مغيّر حال بعد

(١) ضبطه المؤلف فى المنهل الصافى بضم النون جـ ٣ ص ٣٨٦ (أ) .

(٢) رواية السلوك (جـ ٣ ص ٤١٢) : « وفى رابع عشريه ركب السلطان ... الخ » .

حال . ويَلْبُغا النــاصرى هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق الآتى ذكرها — إن شاء الله تعالى — فى هذا المحل .

ثم نزل الأمير يَلْبُغا الناصرى وعليه خِلْعةُ الآستمرار بنيابة حلب وعن يمينه الأمير أَيْتَمُش وعن يساره الأمير أَلْطُنْبُغا الجُـوبانى ومن ورائه سبعة جنائب من خيل السلطان بسروج ذهب وكنابيش زَرْكش أنعم بهـا عليه . ثم حمـل إليه السلطانُ والأمراءُ من التّقادُم مما يَجِلُّ وصفه .

ثم رَكب السلطان فى يوم السبت ثامن المحرّم ومعه الأميرُ يلبُغا الناصرى وعدّى النيلَ من بُلاق إلى برّ الجيزة وتصيّد وعاد فى آخر النهار .

وفى عاشره خَلَـع السلطان على الأمير يلبغا الناصرى نائب حَلَب خلْعَةَ السفر، وخرج من يومه إلى محل كفالته بحلب .

ثم فى يوم الآثنــين سابع عشره أخلع السلطان على شمس الدين إبراهيم كاتب أَرْنان وآستقرّ به وزيرًا على شروط عديدة ، منها : أنه لم يَلْبَس خِلْعةَ الوَزَر، فأُجيب ولَبِس خِلْعةً [من صوف](١) كخلعة القُضاة وغير ذلك .

وفيه وصل الأميرُ أســدُ الدين الكُرْدى أحدُ أمراء حلب فى الحـديد لشَكْوَى بعض التّجار(٢) عليه أنه غَصَبه مملوكًا لحُبِس أياماً ثم أفرِج عنه وأُخرِج على تقدمة ألف بطرابُلُس .

ثم عَزَل السلطان الأميرَ إينــال اليُوسُفِى عن نيابة صَفَد بالأمير تَمُرْبَاى التِّمْرداشى، وأنْعَم على إينال بتقدمة ألف بدمشق .

(١) الزيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١٥) .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٨) : « على إمرة بطرابلس » .

وفيه استعفى الأمير يَلُّو من نيابة حَماة فأعفى .

وفى تاسع عشرة قَدِم سالم الدوكارى (١) من حلب فأكرمه السلطان وأخلع عليه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بحلب .

وفى ثامن عشرين جمادى الأولى وهو سادس (٢) مسرى أوفى النيل فنزل الملك الظاهر من القلعة فى موكب عظيم حتى عَدّى النيل وخَلَّق المقياس (٣) وفَتَح خليج السّد . وهذا أيضا مما آستجدّه الملك الظاهر برقوق، فإنه لم يُعْهَد بعد الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارى سلطانٌ نزل من القلعة لتخليق المقياس وفَتح الخليج غير الملك الظاهر هذا، فهو أيضا ممن آستجدّه لطُول ترك الملوك له .

وفى هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير صنْجَقْ الحَسَنى اليلبُغاوى بنيابة حَماة عوضا عن يَلُّو بحكم استعفائه عن نيابة حماة .

وفيه ورد الخبرُ بموت الأمير تَمُرباى التَّمُرْدَاشِيّ نائب صَفَد بعد أن أقام على نيابة صفد خمسة أيام ، فأخلع السلطانُ بعد مدّة على الأمير كَمَشْبُغا الحمويّ بنيابة صفد عوضَه ، وكُمُشْبغا هذا هو أكبرُ مماليك يَلْبُغا العُمَرِيّ وممّن صار فى أيام أستاذه أميرَ طبلخاناه ولم يخرج عن طاعة أستاذه يلبغا ، ولهذا مَقَتَه خشدا شِيتُه الذين خرجوا على أستاذهم يلبغا ، لكونه لم يُوافقهم ، وقد تقدّم أنّه ولى نيابة دِمَشْق وصفد وطَرَابُلُس قبل ذلك .

(١) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « الدكورى » .

(٢) فى السلوك (ج ٣ ص ٤١٩) : « وهو خامس مسرى » .

(٣) أى طيب عامود المقياس بالزعفران . ثم أمر برفع السدّ الذى كان يقام سنويا عند فم الخليج ، فتدخل مياه النيل فى الخليج وتسير فيه الى نهايته .

وفى أوّل شهر رجب من سنة خمس وثمانين وسبعمائة طَلَع الأمير [صلاح الدين](١) محمد بن محمد بن تَنْكِز إلى السلطان ونَقَل له عن الخليفة المتوكّل على الله أبى عبد الله محمد أنه آتفق مع الأمير قُرْط بن عمر التُّرْكمانىّ المعزول عن الكشُوفية ومع إبراهيم آبن قُطْلُوقَتَمُر العلائىّ أمير جاندار ومع جماعة من الأكراد والتُّرْكمان، وهم نحو من ثمانمائة فارس أنهم يَثِبُون على السلطان إذا نَزَل من القلعة إلى المَيْدان فى يوم السبت للعب بالكرة يقتلونه ويُمَكِّنون الخليفة من الأمر والآستبداد بالمُلْك فحلَف السلطانُ آبنَ تَنْكِز على صحّة ما نقل فحلَف له وطلب يُحاققهم على ذلك، فبعث السلطان إلى الخليفة وإلى قُرْط وإلى إبراهيم بن قُطْلُقَتَمُر فأحضرهم وطلب سُودون النائب وحدّثه بما سَمِع، فأخذ سودُون يُنكِر ذلك ويستبعد وقوعَه منهم، فأمر السلطانُ بالثلاثة فحضروا بين يديه وذَكَر لهم ما نُقِل عنهم فأنكروا إلا قُرط، فإنّه خاف من تهديد السلطان، فقال: الخليفةُ طلبنى وقال: هؤلاء ظَلَمةٌ وقد آستَوْلَوْا على هذا المُلْك بغير رضائى، وإنى لم أُقلِّد برقوقًا السلطنة إلّا غصبًا، وقد أَخذ أموالَ الناس بالباطل وطلب منّى أن أقومَ معه وأنصرَ الحقَّ فأجبتُه إلى ذلك ووعدتُه بالمساعدة، وأن أجمعَ له ثمانمائة واحد من الأكراد والتُّرْكمان وأقوم بأمره، فقال السلطان للخليفة: ما قولك فى هذا، فقال: ليس لما قاله صحّة، فسأل إبراهيمَ آبن قُطْلُقتمر عن ذلك، فقال: ما كنت حاضرًا هذا الآتفاق، لكنّ الخليفة طلبنى إلى بيته بجزيرة الفيل(٢) وأعلمنى بهذا الكلام وقال لى: إنّ هذا مصلحة، ورغَّبنى فى موافقته والقيام لله تعالى ونُصْرة الحق، فأنكر الخليفةُ ما قاله إبراهيم أيضا وصار إبراهيم يذكر له أمارات والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، وآشتدّ

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٢١).
(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

حَنَقُ الملك الظاهر وسَلّ السيفَ ليضرب عُنُقَ الخليفة؛ فقام سُودون النائب وحال بينه و بين الخليفة، وما زال به حتى سَكَّن بعضَ غضبه . فأمر الملك الظاهرُ بقُرْط و إبراهيم يُسَمَّرا وآستدعى القضاة ليُفتوه بقتل الخليفة، فلم يُفْتوه بقتله وقاموا عنه، فأخذ الخليفةَ وسجنه بموضع فى قلعة الجبل وهو مقيَّد وسَمَّرَ قُرْط و إبراهيم وشُهِّرا فى القاهرة ومصر . ثم أُوقِفَا تحت القلعة بعد العصر فنزل الأمير أَيْدَكار(١) الحاجب وسار بهما ليوسَّطا خارج باب المحروق(٢) من القاهرة ، فابتدأ بقرط فوُسِّط وأبى أن يأخذوا إبراهيم [إذْ](٣) جاءت عِدّة من المماليك بأن الأمراء شفعوا فى إبراهيم ففُكَّت مساميرُه وسُجِن بخزانة شمائل(٤) .

ثم طَلب السلطان زكريّاءَ وعمر آبنَىْ إبراهيم عَمّ المتوكّل ، فوقع آختيارُه على عمر فولّاه الخلافةَ وتلقَّب بالواثق بالله ، كلُّ ذلك فى يوم الآثنين أوّل شهر رجب .

ثم فى يوم الآثنين ثامن شهر رجب أخلع السلطان على الطواشى بهادر الرومىّ وآستقرّ مقدّمَ المماليك السلطانية عِوَضا عن جَوْهر الصَّلاحى .

ثم فى يوم السبت ثالث عشره ركب السلطان إلى الميدان ثانى مرة للعب الكُرَة . ثم رَكب فى يوم السبت عشرينه ثالث مرّة . ثم رَكب فى يوم السبت سابع عشرينه إلى خارج القاهرة وعاد من باب النصر ونزل بالبيمارستان المنصورى .

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٢٣) : « بدكار الحاجب » .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٣) تكلة عن السلوك .
(٤) راجع الحاشية رقم ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

ثم رَكب منه إلى القلعة[(١)] ، فلم يتحرّك أحدٌ بأمر من الأمور .

ثم خَرَج السلطانُ إلى سَرْحة سِرْياقُوس على العادة فى كلّ سنة وأقام بها أياما وعاد وفى عوده قَبَض على سعد الدين نصر الله بن البَقَرِىّ ناظر الخاصّ بالخدمة . وخلع السلطان على موفَّق الدين أبى الفرج عبد الله الأسْلَمى بنظر الخاصّ عوضا عن آبن البقرى وأجرى على ابن البقرىّ العقوبة ثم ضربه بالمقارع ، بعـدما أخذ منه ثلثمائة ألف دينار .

وفيه شَفَع الأمراء فى الخليفة وتقدّم منهم الأميرُ أَيْتَمُش والأمير أَلْطُنْبغا الجُوبانىّ وقبّـلا الأرض وسألاَ السلطان فى العفو عنــه وترقّقا فى سؤاله ؛ فعدّد لهما السلطانُ ما أراد أن يفعله بقتله فما زالا به حتّى أمر بفكّ قيْده .

وفى هذه السنة توجه السلطان عدة مرار للصيد ببر الجيزة وغيرها ، وفى الأخير اجتــاز السلطان بخيمة الأمير قُطْلُقْتَمر العــلائىّ أمير جاندار ووقف عليها فخــرج قطلقتمر إليه وقدّم له أربعة أفراس فلم يقبلها فقبّل الأرض ثانيا وسأل السلطان أن يقبلَها ، فأجاب سؤالَه وقَبِلها وسار حتى نزل بمخيَّمه . وفى الحال آستدعَى بإبراهيمَ ابن قُطْلُقْتَمر المذكور من خزانة شمائل وأطلقه وخلَع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكَنْبُوش زَرْكَش ، وأعطاه ثلاثة أرؤس أُخَر وهى التى قدّمها أبوه للسلطان وأُذِنَ له أن يمشى فى الخدمة ووعده بإمْرة[(٢)] هائلة وأرسله إلى أبيه قطلقتمر المذكور فسر به سرورا زائدا وكان قطلقتمر فى مــدّة حبس آبنه لم يُحــدّث السلطانَ ولا الأمراءَ فى أمر آبنه بكلمة واحدة ، فأتاه الفَرَج من الله تعالى بغير مأَنَّة[(٣)] أحد .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٢٤) : « وعبر من باب القلعة » .

(٢) رواية السلوك ج ٣ ص ٤٢٨ : « برزق » .

(٣) رواية السلوك : « من حيث لا يحتسب » .

وفى هذه الأيام جمع السلطان القضاةَ وآشترى الأمير أَيْتَمُش البجاسِى وهو يوم ذاك رأسُ نَوْبة الأمراء وأطابَك وأ كبرُ جميع أمراء ديار مصر من ذرّيّة الأمير جُرْجى الإدريسىّ نائب حلب بحكم أنّ جُرْجى لمّـا مات لم يكن أيتمش ممّن أعتقه، فأخذه بعد موته الأميرُ بَجَاس وأعتقه من غير أن يَمْلِكه بطريق شرعى وأثبتوا ذلك على القضاة، فعند ذلك آشتراه الملك الظاهر من ذرّيّة جُرْجى بمائة ألف درهم وأعتقه وأنعم عليه بأربعة آلاف درهم[1] و بناحية سَفْط رشيد[2]. ثم خلع السلطان على القضاة والموقّعين الذين سجّلوا[3] قضيّة البيع والعِتْق.

وفى يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة أفرج السلطان عن الخليفة المتوكّل على الله، ونُقِل من سجنه بالبُرج إلى دارٍ بالقلعة وأُحْضِر إليه عيالُه.

ثمّ فى يوم السبت ثالث صفر من سنة ست وثمانين وسبعمائة قَبَض السلطان على الأمير يَلْبُغا الصغير الخازِندار، وعلى سبعة من المماليك وُشِىَ بهم أنهم قصدوا قتلَ السلطان فضربهم ونفاهم إلى الشام.

وفى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل قَدِم الأمير بَيْدَمُر الخُوارَزْمِىّ نائب الشام، فأجلسه السلطان فوق الأمير سُودُون النائب بدار العدل. ثم فى ثالث عشره خلَع عليه السلطان، وقَيَّد له ثمانيةَ جنائب من الخيل بقُماش ذهب، جرّوها الأوجاقيّةُ خلفَه.

(١) رواية السلوك (ح ٣ ص ٤٢٩): «وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم فضة».

(٢) المضاف اليه فيه خطأ فى النقل وصواب الاسم (سفط رشين) كما وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى والسلوك للمقريزى (ح ٣ ص ٤٢٩) وفى التحفة السنية لابن الجيعان من الاعمال البهنساوية وورد اسمها محرفا سفط ريشين بالخطط المقريزية وكذلك فى الخطط التوفيقية.

(٣) رواية السلوك: «الذين استحلوا».

وفى يوم الثـلاثاء ثامن عشره نزل السلطان لعيادة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس وقد توعك .

وفيه قدم الأمير بيدمر نائب الشام تقدمته للسلطان وكانت تشتمل على عشرين مملوكا وثلاثة وثلاثين جملا عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف والفرو وثلاثة (١) وعشرين كلبا سلوقيا، وثمانية عشر فرسا عليها أجلال حرير، وخمسين بغلا، واثنتين وثلاثين حجرة ومائة إكديش لتتمة مائتى (٢) فرس وثمانية قطر هجن بقماش ذهب وخمسة وعشرين قطارا من الهجن أيضا بكيران ساذجة (٣)، وأربعة قطر جمال بخاتى لكل جمل منها سنامان وثمانين جملا عرابا . وباسم ولد السلطان سيدى محمد عشرين فرسا وخمسة عشرة جملا وثيابا وغيرها . وفى عشرينه خلع عليه السلطان خلعة السفر وتوجه إلى محل ولايته بدمشق .

وفى خامس عشرينه نزل السلطان لعيادة ألطنبغا الجوبانى ثانيا ففرش له الجوبانى شقاق الحرير السكندرى وشقاق نخ من باب إسطبله إلى حيث هو مضطجع، فمشى عليها السلطان بفرسه، ثم بقدميه (٤) فنثرت عليه الدنانير والدراهم . وقدم له الجوبانى جميع ما عنده من المماليك والخيل، فلم يأخذ السلطان شيئا منها، وجلس ساعة عنده ثم عاد إلى القلعة .

وفى ثالث عشر جمادى الأولى غضب السلطان على القاضى تقى الدين عبد الرحمن ابن القاضى محب الدين محمد [بن يوسف بن أحمد] (٥) ناظر الجيوش المنصورة بسبب إقطاع الأمير زامل أمير عرب آل فضل وضربه بالدواة، ثم امر به فضرب بين

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٣٧) : « وثلاثة عشر » .
(٢) رواية السلوك مائة « فرس » . (٣) رواية السلوك : « سارحة » .
(٤) فى الأصلين : « ثم تقدم » . وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ ص ٤٣٨) .
(٥) الزيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٣٩) .

يديه نحو ثلثمائة عصاة وكان ترِفًا ، فحُمِل فى مِحَفّة إلى داره بالقاهرة ، فلَزِم الفراش إلى أن مات بعد ثلاثة أيام فى ليلة الخميس سادس عشر جُمادى الأولى . وأخلع السلطان على موفَّق الدِّين أبى الفرج [الأسلمى](١) ناظر الخاصّ وآستقرّ به فى نظر الجيش مضافًا لنظر الخاصّ والذّخيرة ولاستيفاء الصحبة .

وفى أثناء شهر رجب المذكور استبدل السلطان خان الزّكاة(٢) من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوُون بقطعة أرض وأَمَرَ بهدمه وعمارة مدرسة مكانَه ، وأقام السلطان على عِمارتها الأمير جَاركس الخليلىّ أمير آخور ، فابتدأ بهدمه وشرَع فى عمارة المدرسة المعروفة بالبَرْقُوقِيّة(٣) بين القصرين ، فلمّا كان يوم الاثنين ثانى شعبان مات تحت الهَدْم جماعةٌ من الفَعَلة . وفى خامسه ركب السلطان إلى رؤية عِمارته المذكورة وعاد إلى القلعة ، ثم سار إلى سَرْحة سِرْياقُوس على العادة بحريمه وخواصّه فى ندمائه وسائر الأمراء والأعيان ثمّ عاد بعد أيام .

ثمّ نزل فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان لِعيادة الشيخ أكْمَل الدِّين الشيخ بالشَّيْخُونيّة . ثمّ نزل فى يوم الخميس ثامن عشرة ليصَلّى عليه فظَهرَ أنه أُغمِىَ عليه ولم يَمُت ، فعاد السلطانُ ونزَل فى يوم تاسع عشره حتى صلّى عليه بمصَلاة المُؤْمِنِى(٤) من تحت القلعة ومَشَى على قدَمَيْه أمامَ النَّعْش من المُصَلّى إلى خانقاه شَيْخون مع الناس فى الجنازة بعد ما أراد أن يَحْمِل النعش غيرَ مرّة فتحمله الأمراءُ عنه وما زال واقفا على قبره حتى دُفِن وعادَ إلى القلعة ، كلُّ ذلك لاعتقاده فى دِينه وغزير علْمِه ولِقِدَم صحبته معه . ومن يوم مات الشيخ أكمل الدين صار الشيخ سراج الدين عمر البُلْقِينى يجلس مكانَه عن يمين السلطان .

---

(١) الزيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٤٠) . (٢) خان الزكاة سبق التعليق عليه
فى هذا الجزء والبرقوقية هى بذاتها المدرسة الظاهرية الآتى ذكرها . (٣) سيأتى الكلام عليها
فى هذا الجزء . (٤) هذه المصلاة سبق التعليق عليها فى هذا الجزء .

ثم خَلَع السلطان على الشـيخ عِزّ الدين يوسف بن محمـود الرّازىّ العَجَمىّ باستقراره فى مشيخة خَانقاه شَيْخون عِوَضا عن الشيخ أَكْمل الدين المذكور .

ثم فى حادى عشر شـوّال قَدِم الأمير يَلْبُغَـا الناصرىّ نائبُ حلب إلى القاهرة وعدّى إلى السلطان ببرّ الجيزة، وعاد معه من برّ الجيزة، بعد ما غاب [عن] (١) صحبة السلطان أياما فى يوم الخميس أوّل ذى القعدة . وفى خامسه خَلَع عليـه خِلْعة السَّفر وتوجّه إلى محلّ كفالته بحلب ، وهذا قدومُ يلبغا الناصرىّ ثانى مرّة ، بعد سلطنة الملك الظاهر برقوق .

وفى يوم الخميس ثانى ذى القعـدة أُسِّسَت المدرسة الظاهريّة (٢) ببين القصرين موضع خان الزكاة .

(١) فى الأصلين : « بعد ما غاب صحبة السلطان ... الخ » وما أثبتناه يستقيم به الأسلوب .

(٢) هذه المدرسة هى بذاتها المدرسة البرقوقيـة التى أنشأها السلطان برقوق فبـدأ فى وضع أساسها يوم ٨ ذى القعدة من سنة ٧٨٦ ﻫ كما ذكر المؤلف وأتم بناءها فى مستهل ربيع الأول سـنة ٧٨٨ ﻫ كما هو ثابت بالنقش فى عصابة ممتـدة بأعلى حائط وجهة المدرسـة ؛ ثم تكرر إثبات هـذا التاريخ فى عدة مواضع منها مذكور فيها بعد البسملة : أمر بإنشاء هـذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدين والدنيا أبو سعيد برقوق — و بعد ذكر ألقابه — وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ٧٨٨ ﻫ كما ذكرنا . وذكرها المقريزى فى خططه باسم الخانقاه الظاهرية (ص ٤١٨ ج ٢) فقال : إن هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية ، أنشأها الملك الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٦ ﻫ ثم قال : وقد ذكرت عند ذكر الجوامع فى هذا الكتاب . أى فى خططه ؛ ولم يتكلم عليها تفصيلا بل ذكرها إجمالا مع جميع المساجد الجامعة فقال : ومدرسة الظاهر برقوق (ص ٢٤٥ ج ٢) . ولما تكلم المقريزى على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال : ويجد على يسرته المدرسة الظاهرية الجديدة وقـد أصاب فى هذه التسمية تمييزا لها من المدرسة الظاهرية الركنية التى أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة ٦٦٢ ﻫ ، وهى كذلك بخط بين القصرين ، وهذه المدرسة التى يقال لها اليوم جامع السلطان برقوق لاتزال قائمة وعامرة بالشعائر الدينية بشارع المعز لدين الله الذى كان يسمى فى هذه المنطقة بشارع النحاسين وشارع بين القصرين بالقاهرة وهـذا الجامع من أجمل وأبدع مساجد القاهرة فى البناء والزخرفة . ومن أراد معرفة وصفه تفصيلا فليرجع إلى كتاب الدليل الموجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة للأستاذ محمود باشا أحمد مدير إدارة حفظ الآثار العربية سابقا طبع سنة ١٩٣٨ .

وفى يوم الآثنين رابع ذى الحِجّـة خَلَع السلطان على القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله بآستقراره فى وظيفة كِتابة السِّرّ على عادته بعد وفاة القاضى أَوْحد الدين.

وفى ثامن عشرين ذى الحِجّة آستجدّ السلطان لقرافة[1] مصر واليًا أميرَ عشرة وهو سليمان الكُرْدِىّ وأُخرِجت[2] عن والى مدينة مصر ولم يُعهد هذا فيما مَضَى .

وفيه نُقِل الأمير كَمَشْبُغا الحموىّ اليلبُغاوىّ من نيـابة صَفَد إلى نيابة طرابُلس عوضا عن مأمور القَلَمْطاوىّ وهذه ولاية كمشبغا لنيابة طرابلس ثانى مرّة .

وفى يوم الآثنين ثانى محرّم سنة سبع وثمـانين وسبعمائة آستقرّ الأمير سُودون المظفرىّ حاجب حُجّاب حلب فى نيابة حَماة بعد عزل الأمير صَنْجَك وتوجّه إلى طرابلس أميرًا بها .

وفى يوم الجمعة ثالث شهر رجب توجّه[3] الأمير حسن بُجَـا على البريد لإحضار يَلْبُغا الناصرىّ نائب حلب .

وفى عشرينه خرج من القاهرة الأمير كَمَشْبُغا الخاصّكىّ الأشرفىّ على البريد لنقل سُودون المظفَّرِى فى نيابة حَماة إلى نيابة حلب؛ عوضًا عن الأمير يَلْبُغا الناصرىّ. وأما الناصرىّ فإنّه لمـا وصـل إلى مدينـة بلبيس قُبِضَ عليـه وقُيِّد وحُمِـل إلى الإسكندريّة وآحتاط محمود شادّ الدواوين على أمواله بحلب ومن يومئذ أخذ أمرُ الملك الظاهر فى إدبار بقَبْضه على الأمير يلبغا الناصرىّ بغير ذنب .

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يريد بها وظيفة جديدة .

(٣) رواية السلوك (جـ ٣ ص ٤٥٣) : « وتوجه الأمير حسن بجا ... ... الخ . ولم يذكر التاريخ المذكور .

ثمّ فى يوم الأثنين ثانى عشرين ذى الحجّـة قَبض السلطان على الأمير أُلْطُنْبُغَا الجُوبانى أمير مجلس وقيّده وحَبسه ثم أفرج عنـه بعد أيام وخلَع عليه بنيابة الكَرَك عوضا عن تَمُرْدَاش القَشْتَمُرىّ .

ثم فى محـرّم سنة ثمـانٍ وثمـانين وسبعمائة قَبَض الملك الظاهر على جماعة من المماليك السلطانية وضربَهم بالمقارع لكلام بَلَغه عنهم أنهم اتّفقوا على الفَتْك به ، ثمّ قَبَض سريعًا على الأمير تَمُرْبُغا الحاجب ، وكان اتّفـق مع هؤلاء المذكورين وسَمَّره ومعـه عشرة من المماليك المذكورين ، [أَرْكَبَ](١) كلَّ مملوكَيْن على جَمَل ، ظهرُ أحدِهما إلى ظهر الآخر وأفرد تَمُربغا المذكور على جمل وحدَه ثم وُسِّطوا الجميعُ ، فكان هـذا اليوم من أشـنع الأيام ، وكَثُرَ الكلامُ بسـببهم فى حقّ الملك الظاهر إلى الغـاية .

وفى خامس عشرينه(٢) قَبَض السلطان على سـتة عشر من ممـاليك الأمير الكبير أَيْتَمَش ونُفُـوا إلى الشام . ثمّ تَتَبَّع السلطان مَن بَقِى من الممـاليك الأشرفية فقبض على كثير منهم وأُخرِجوا من القاهرة إلى عدّة جهات .

وفى يوم الخميس(٣) ثانى عشر شهر ربيع الأوّل رسَم السلطان بالإفراج عن الأمير يَلْبُغـا الناصرىّ نائب حلب كان ونَقَلَه من سجن الإسكندريّة إلى ثغر دِمْيـاط وأذِن له أن يركب و يتنزّه حيث شاء .

---

(١) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٩) .

(٢) فى « م » : « وفى حادى عشرينه » والتصويب عن « ف » والسلوك ج ٣ ص ٤٦٠

(٣) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٦١) : « وفى يوم الجمعة ثانى عشر ... الخ » .

وفى شهر ربيع الآخر غَضِب السلطان على مُوَفَّق الدين أبى الفرج ناظر الجيش وضربه نحو مائة وأربعين عصاةً(١) وأمر بحبسه .

وفى يوم الخميس رابع عشر جُمادَى الآخرة نُقِلت رِمَمُ أولاد السلطان الخمسة من مدافِنهم إلى القُبّة بالمدرسة الظاهريّة التى أنشأها الملك الظاهر بين القصرين ونُقلت أيضا رِمّةُ والد الملك الظاهر الأمير آنص عِشاءً والأمراء مشاةٌ أمامَ نَعْشِه ، حتى دُفِن أيضا بالقُبّة المذكورة .

ثمّ فى يوم الأربعاء حادى عشرة نزل الأمير جاركس الخليلىّ الأميرُ آخور إلى المدرسة الظاهريّة المقدّم ذكرُها بعدفراغها وهيّأ بها الأطعمةَ والحلاوات والفواكه . ثمّ رَكِب السلطان من الغد فى يوم الخميس ونزل من القلعة بأُمرائه وخاصّكيّته إلى المدرسة المذكورة، وقد اجتمع القضاةُ وأعيانُ الدولة ، فمدّ بين يديه سماطًا جليلا ، أوّله عند المحراب وآخره عند البَحْرة التى بوسط المدرسة ، وأكلَ السلطان والقضاةُ والأمراءُ والمماليكُ ، ثمّ تناهبت الناس بقيّتَه ، ثم مُدَّ سِماط الحَلَوات والفواكه ومُلِئَت البحرة التى بصَحْن المدرسة من مشروب السُّكَّر ، ثم بعد رفع السماط أخلع السلطان على الشيخ علاءالدين [علىّ] السِّيرامىّ(٢) الحنفىّ وقد استدعاه السلطان من بلاد الشرق واستقرّ مدرّس الحنفيّة وشيخ الصوفيّة وفَرَش له الأميرُ جاركس الخليلىّ السّجّادة بيده حتّى جَلَس عليها . ثم خَلَع السلطان على الأمير جاركس الخليلىّ شاد عِمارَة المدرسة المذكورة وعلى المُعَلِّم شهاب الدين أحمد بن الطُّولُونىّ المهندس ورَكِبا فَرَسين بقُماش ذهب . ثم خلع السلطان على خمسة عشر نفرًا من مماليك

---

(١) فى السلوك المصدر المتقدم : « نحو مائة وأربعين ضربة » .

(٢) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٦٧) .

جاركس الخليلىّ ممن باشروا العملَ مع أستاذهم وأنعم على كلّ منهم بخمسمائة درهم. ثم خَلَع السلطان على مُباشِرى العِمَارة .

ولمّا جلَس الشيخُ علاء الدين السِّيرامىّ[1] على السَّجّادة تكلَّم على قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ ﴾ الآية . ثم قرأ القارئُ عَشْرًا من القرآن ودعا . وقام السلطان وركب بأمرائه وخاصَّكيَّته وعاد إلى القلعة ، بعد أن خَرَج من باب زَوِيلَة ، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة .

ثمّ بدا للسلطان بعد ذلك أن يَقْبِض على الأمير بَيْدَمُر الخُوَارَزْمِىّ نائب الشام ، فأرسل طاوُوسًا[2] البريدىّ للقبض عليه ورَسَم للأمير تَمُربغا المَنْجكى أن يتوجّه على البريد لتقليد الأمير إشقَتَمُر المارِدِينىّ عِوَضه بنيابة الشام وكان إشقتمر بالقدُس بطّالا ، وقد تقدم أنّ إشقتمر هذا وَلِى نيابةَ حلب فى أيّام السلطان حسن الأولى و يلبغا أستاذُ بَرْقُوق يوم ذاك خَاصَّكىّ ، فانظُر إلى تقلُّبات الدهر .

وفى يوم الجمعة عاشر شهر رمضان من سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة أُقِيمت الجُمُعةُ بالمدرسة الظاهريّة المذكورة وخطب بها جمال الدين محمود القَيْصِرى العجمىّ المحتسب .

وحَجّ فى هذه السنة الأمير جَارِكس الخليلىّ بتجمُّل كبير وحَجّ من الأمراء كَمَشْبُغَا الخاصّكىّ الأشرفىّ ومحمد بن تَنْكِز [بن][3] بُغَا وجاركس المحمودىّ[4] .

(١) هو أحمد بن محمد شيخ الشيوخ الشهير بالعلاء السيرامى الحنفى شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية برقوق ، توفى بالقاهرة يوم الأحد ثالث جمادى الأولى سنة ٧٩٠ هـ وسيذكر المؤلف وفاته فى السنة المذكورة .

(٢) فى « ف » : « طاس » .

(٣) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٦٧) .

(٤) فى السلوك المصدر المتقدّم : " جاركس المحمدى " .

وفى يوم الاثنين [خامس](١) عشرين شوّال استدعَى السلطان زكريّا ابن الخليفة المعتصم بالله أبى إسحاق إبراهيم — و إبراهيم المذكور لم يلِ الخلافة — ابن المُسْتَمْسِك بالله أبى عبدالله محمد — وكذلك المستمسك لم يَلِ الخلافة — ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد العباسيّ وأعلمه السلطان أنّه يُريد أن يُنَصّبَه فى الخلافة ، بعد وفاة أخيه الواثق بالله عُمر .

ثم استدعى السلطان القضاةَ والأمراءَ والأعيانَ ، فلمّا اجتمعوا أظهر زكريّاءُ المذكورُ عَهْدَ عمّه المعتضد له بالخلافة ، فخَلَع السلطان عليه خِلْعَةً غيرخِلْعة الخلافة ونزل إلى داره . فلمّا كان يومُ الخميس ثامن عشرينه طَلَعَ الخليفةُ زكرياءُ المذكور إلى القلعة وأحضر أعيانَ الأمراء والقضاةَ والشيخَ سراج الدين عمر البُلْقِينيّ فبدأ البُلْقِينى بالكلام مع السلطان فى مبايعة زكريّاء على الخلافة فبايعه السلطان أوّلا ، ثم بايعه مَنْ حضر على مراتبهم ونُعِتَ بالمستعصِم بالله وخَلَع عليه خِلْعة الخلافة على العادة ونزل إلى داره وبين يديه القضاةُ وأعيانُ الدولة .

ثم طلع زكرياء المذكور فى يوم الأثنين ثانى(٢) ذى القعدة وخَلَع عليه السلطان ثانيا بمنظر المشهد النفيسيّ على عادة من كان قبله من الخلفاء ، ولم تكن هذه العادة قديما ، بل حدثتْ فى هذه السنين .

وفى خامس عشرين ذى الحجة قَدِم مُبَشِّر الحاجّ السَّيْفِيّ بُطَا الخاصّكيّ وأخبر أنّ الأميرَ آقبغا الماردينيّ أمير الحاجّ لمّا قَدِم مكّة خرج الشريف محمد بن أحمد ابن عَجْلان أمير مكّة لتلقّيه على العادة ونزل وقَبّل الأرض ثم قَبّل خُفّ جَمَل المَحْمِل .

---

(١) التكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٦٧) .

(٢) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٦٨) : « ثالث ذى القعدة » .

وعندما آنحنى وثب عليه فِدَاوِيّان ، ضربه أحدُهمـا بخنجر فى عُنُقه وهما يقولان : غريم السلطان نخرّ ميتا وتمّ نهارَه مُلْقىً حتى حَمَله أهلُه وواروْه وكان كُبَيْش على بُعْد، فقتَل الفِداوِيَّةُ رجلا آخر يَظنُّوه كُبَيْشًا وأقام أميرُ الحاجّ لابسَ السـلاح سبعة أيام خوفا من الفتنة، فلم يتحرّك أحدٌ، ثم خلع أميرُ الحاجّ على الشريف عِنان بآستقراره أميرَ مكّة عوضا عن محمد المذكور وتسلَّمها .

ثمّ فى تاسع عشرين ذى الحِجـة قدمت رسـلُ الحبشة بكتاب مَلِكهم الحَطّى وآسمه داود بن سيف أَرْعَد ومعهم هديّة على [أحد و](١) عشرين جَمَلا ، فيهـا من طرائف بلادهم ، من جُملتها قُدور قد مُلِئت حِمّصا صُنِـع من ذهب إذا رآه الشخص يظنّه حمصا وغير ذلك .

ثم فى يوم السبت سابع عشر صَفَر من سنة تسع وثمـانين وسبعمائة قَدِم الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ نائب الكَرَك بآستدعاء ، فأُخْلع عليه السلطان بآستقراره فى نيابة دِمَشق عوضا عن إشقْتَمُر المـارِدينىّ وعُزِل إشقتمر ولم تَكْمُل ولايتُه على دِمَشق عشرة أشهر وأقام ألطنبغا الجوبانىّ بالقاهرة ثلاثة أيام وسافر فى يوم تاسع عشره بعدما أنعم عليه الملك الظاهر بمبلغ ثلاثمـائة أَلْف درهم فِضّة وفَرَس بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكش وأرسل إليـه الأمير أَيْتَمِش بمـائة ألف درهم وعِدّة بُقَج ثياب وآستقرّ مُسَفِّره الأمير قَرْقُماس الظاهرىّ وخرج الجُوبانىّ من مصر بتجمُّل عظيم .

ثم رُسِم بآستقرار الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المِهْمندار فى نيابة حَماة عوضا عن الأمير سُودون العثمانى ، وآسـتقرّ سودون العثمانى على إقطاع محمـد بن المِهْمندار المذكور بحلب .

(١) التكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٧١) .

وفى آخر جُمَادَى الآخرة من السنة وهى سنة تسع وثمانين وَرَد الخبرُ على السلطان بأن تَيْمُور لَنْك صاحب بلادالعجم كَبَس الأمير قرا محمد صاحب مدينة تِبْرِيز (١) وكَسَره ففَرَّ منه قرا محمد فى نحو مائتى فارس وتوجّه بهم إلى جهــة مَلَطْيَة (٢) ونزل هناك ونزل تَيْمُــور لَنْك على آمــد (٣) فاستدعى السلطان القضاةَ والفقهاءَ والأمراءَ وتحــدّث معهم فى أخذ الأوقاف من البلاد بسبب ضَعْف عسكر مصر فكَثُر الكلام فى ذلك وصَمَّم الملك الظاهرُ على إخراج الجميع للجنــد، ثم رَجَع عن ذلك ورسم بتجهيز أربعة أمراء من أمراء الألوف بالديار المصريّة وهم : الأمير أَلْطُنْبُغَا المُعَلّم أميرُ ســلاح والأمير قَرْدَم الحَسَنى رأس نوبة النُّوب والأمير يُونُس النَّوْرُوزِىّ الدوادار الكبير والأمــير سُودون باق وسبعة أمراء أُخَر من أمراء الطبلخانات وعَيَّن معهم من أجناد الحَلْقة ثلاثمائة فارس فتجهّز الجميــعُ وخرجوا من القاهرة فى أوّل شهر رجب وساروا إلى حلب ونائبها يوم ذاك سودون المظفَّرى وقــد وصل إليه الخبرُ بأن قرا محمــدا واقع ابن تيمور لنك وكسره ورجع إلى بلاده .

وبعد خروج العسكر آســتدعى السلطان فى سادس (٤) عشرين شعبان من ســنة تسع وثمــانين المذكورة الشيخَ ناصرَ الدين آبن بنت الميــلق (٥) وولّاه قضاءَ الشافعيّة بالديار المصرية بعــد عزل القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء عنها بعــدما تمنّع

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء الثانى من هذه الطبعة .

(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٧٨) : « يوم الاثنين رابع شعبان » .

(٥) هو قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلى الصوفى قاضى قضاة الديار المصرية، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٧هـ، وراجع ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٧٢ ب) .

ابن الميلق المذكور من قبول القضاء تمنّعا زائدا وصلى ركعتى الآستخارة حتى أذعن، فألبسـه السلطان الملك الظاهر تشريف القضاء بيـده وأخذ طيلسانه يتـبرّك به ونزل و بين يـديه عظماءُ الدولة إلى المدرسـة الصالحية[(١)] ، فـداخل أربابَ الدولة بولايته خوفٌ ووهمٌ وظنّوا أنه يحمـل الناس على محْض الحق وأنه يسير على طريق السّلَف من القضاة، قال الشيخ تقىّ الدين المَقْريزىّ — رحمه الله — لِمَا أَلِفُوه من تشدّده فى وعظه وتفخُّمه فى مَنْطِقـه و إعلانه فى التّنكير على الكافة ووقيعتـه فى القُضاة وٱشتماله على لُبْس المتوسِّط من الخشن ومَعِيبِه على أهل التَّرَف .

وكان أوّل ما بدأ به أن عَزَل قضاة مصر كُلَّهم من العَرِيش[(٢)] إلى أُسْوان[(٣)] و بعد يومين تكلّم معـه الحاجّ مُفْلِـح[(٤)] مولى القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السرّ فى إعادة بعض مَنْ عزله من القضاة، فأعاده، فٱنحلّ ما كان معقودًا بالقلوب من مهابته . ثمّ قلَع زِيَّه الذى كان يَلْبَسُه ولَبِس الشاش الكبيرَ الغالى الثمن ونحوه وترفّع فى مقاله وفعاله، حتى كاد يصعَد الجوَ وشحّ فى العطاء ولاذَ به جماعةٌ غير مُحبَّبين إلى الناس فٱنطلقت ألسنةُ الكافّـة بالوقيعة فى عِرْضه واختلقوا عليـه ما ليس فيـه . انتهى كلام المقريزىّ باختصار .

قلت : كل ذلك والملك الظاهر لا يسمع فيه قولَ قائل، حتى كانت وقعـة النـاصرىّ ومِنْطاش مع الملك الظاهر برقوق وحُبِس الملك الظاهرُ بالكَرَكَ وكان هو قاضيا يومئذ فوَقع فى حقّ الظاهر وأساء القولَ فيـه ، فبلغ الظاهرَ ذلك قبل

(١) سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) سبق التعليق عليها فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ١٥٧) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) فى الأصلين : « عند القاضى ... الخ » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٧٣ ب) .

ذهابه إلى الكرك وهو بسجن القلعة فأسرّها فى نفسه على ما سنذكره فى محلّه فى سلطنة الملك الظاهر الثانية إن شاء الله تعالى .

ثمّ ورد الخبر على السلطان الظاهر بأن العسكر المجرّد من الديار المصرية عاد إلى حلب وكان توجّه نحو ديار بكر صحبة نوّاب البلاد الشامية وعاد وكان الأمير أَلْطُنْبُغَا الجُوبانىّ نائب الشام مقدّم العساكر وخرج بثقل عظيم وزردخاناه هائلة، جدّدها بدمشق حتى إنه رسم لفضلاء دمشق أن يَنْظُموا له ما يُنْقَش على أسنّة الرّماح، فنظَم له القاضى فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سرّ دمشق :

[البسيط]

إذا الغُبارُ علا فى الجوّ عِثْيَرُهُ * وأظلم الجوُّ ما للشمس أنوارُ
هذا سِنانِىَ نجمٌ يُستضاءُ بِهِ * كأنّنِى عَلَمٌ فِى رأسِهِ نارُ
والسيفُ إن نام مِلْءَ الجَفْنِ فِى غُلُفٍ * فإنّنِى بارزٌ للحربِ خطّارُ
إنّ الرماح لأغصانٌ وليس لها * سوى النجومِ على العِيدانِ أزهارُ

ونظم القاضى صدر الدين علىّ بن الآدمىّ الدمشقىّ الحنفى فى المعنى فقال :

[الكامل]

النصرُ مقرونٌ بضَرْبِ أسِنّةٍ * لَمَعانُها كَوَمِيضِ بَرْقٍ يُشرِقُ
سُبِكَتْ لِتَسْبِكَ كلَّ خَصْمٍ مارِدٍ * وتَطرّقَتْ لِمُعانِدٍ يتطرّق
زُرْقٌ[1] تفوقُ البِيضَ فِى الهَيْجاءِ إذْ * يَحْمَرُّ من دمِهِ العدوُّ الأزرق
يَنْسُجْنَ يومَ الحربِ كلَّ كتيبة * تحتَ الغُبارِ فنصرُهنّ محقّق

---

(١) رواية أحد المصادر : « سمر » .

ونظم الشيخ شمس الدين محمد المزيّن الدّمشقىّ فى المعنى وأجاد إلى الغاية :

[الكامـــل]

أنا أسمـرٌ والرايةُ البيضـاءُ لِى * لا لِلسيوفِ وسَلْ مِنَ الشُّجعانِ
لم يحـلُ لى عيشُ العُـداةِ لأننِى * نُودِيتُ يـومَ الجَمْـعِ بِالمُـرّانِ
وإذا تَغَـاتَمتِ الكُماةُ بِجَحْفَلٍ(١) * كَلَّمتُهم فِيـــهِ بِكلِّ لِسـانِ
فتخالهم غنمًا تُسـاقُ إلى الرّدى * قَهْـرًا لِمعظَمِ سَـطْوةِ الجُوبانى

ثمّ فى شوّال خَرَج السلطان من القاهرة إلى سِرياقُوس(٢) على العادة فى كل سنة، واستَدْعى به بالأمير يَلبُغـا الناصرىّ من ثَغْر دِميـاط(٣)، فوصل إلى سِرياقوس فى ثالث عشر شوّال(٤) وقبّل الأرض بين يدى السلطان، فأكرمه السلطان وأنعم عليه بمائة فَرَس ومائة جَمَل وسلاح كثير [ومال(٥)] وثياب وأشياء غير ذلك ، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف درهم فضة، وأهدَى إليـه سائرُ الأمراء على العادة، كل واحد على قَدْر حاله .

ثم عاد السلطان من سرياقوس فى أوّل ذى القَعْـدة ، وخَلَع على الأمير يلبغـا الناصرىّ المذكور فى خامس ذى القعدة من سنة تسع وثمانين المذكورة باستقراره فى نيـابة حلب على عادته ، عوضا عن سُودون المظفرىّ بحكم اسـتقرار سُودون المظفرىّ أتابك حلب وأَمَرَهُ بالتجهيز، وهـذه ولاية الناصرىّ الثالثة على حلب ،

(١) التغتمة : العجمة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجـزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٠) : « فوصل إلى المخيم بسرياقوس فى عشرين شوّال » .
(٥) زيادة عن السلوك المصدر المتقدّم .

فأصلح الأمير يلبغا الناصرى أمَره وتهيّأ للسفر، وخرج فى ثامن ذى القعدة إلى الرِّيدانيّة، بعد أن أخلع السلطان عليه خِلْعة السفر، وسافر من الريدانية فى تاسعه بتجمُّل عظيم و بَرْك هائل ومُسَفِّرُه الأميرُ جُمَق ابن الأمير أيتَمُش البَجَاسى، و بعد خروجه بثلاثة أيام قَدِم البريدُ من البلاد الشامية بأنّ تَمُرْبُغا الأفضلى الأشرفى المدعوّ مِنْطاش نائب مَلَطْيَة خرج عن الطاعة ووافقه القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس وقَرَا محمد التُّرْكُمانى ونائب البيرة و يلبغا المَنْجَكى وعدّة كبيرة من خُشداشيّة منطاش من المماليك الأشرفية وأنه آنضم عليه جماعة كبيرة من التُّركمان، فتشوّش السلطان فى الباطن ولم يُظْهِر ذلك، ونَدِم على توليته يلبغا الناصرى على نيابة حلب، غيرَ أنه لم يسعْه إلا السُّكات.

ثم رَكِب السلطان الملك الظاهر فى ثانى يوم جاء الخبرُ بعصيان منطاش وعدّى البحر إلى برّ الجيزة وتصيَّد وعاد فى سادس عشرينه، و بعد عوده بأيام وصل قاصدُ الأمير تمربغا الأفضلى الأشرفى المدعوّ منطاش نائب ملطية يخبر أنه مانافق وأنه باقٍ على طاعة السلطان، فأخذ السلطانُ فى أخبار القاصد وأَعْطَى، و بينما هو فى ذلك قَدِم البريدُ من حلب فى إثره يُخْبِر السلطان بأنّ منطاش المذكور عاصٍ، وأنه ما أرسل يقول: إنه باقٍ على الطاعَة إلّا يدفع عن نفسه حتى يخرجَ فَصْلُ الشتاء و يدخلَ فصلُ الربيع وتذوبَ الثلوج، فسيّر السلطان السيفى مَلِكْتَمُر الدوادار بعشرة آلاف دينار إلى الأمراء المجرّدين قبل تاريخه تَوسِعةً لهم، وأمره فى الباطن بالفَحْص عن أخبار مِنْطاش وحقيقة أمره، و بعد خروج مَلِكْتَمُر فشا الطاعون بالقاهرة ونواحيها فى شهر ربيع الأوّل من سنة تسعين وسبعمائة، وآشتغل الناس بمرضاهم وأمواتهم عن غيره.

ثم أخلع السلطان على الأمير أَيْدَكَار[١] العُمَرىّ اليَلْبُغاوِىّ الحاجب الثانى وأحد مقدّمى الألوف ، بآستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية ، عوضا عن قُطْلُوبغا الكُوكائىّ بعد شغورها عنه أربع سنين ، وأُضيف إليه نظرُ خانقاة شيخون ، وآستقرّ الأمير زين الدين أبو بكر بن سُنقر عوضه حاجبا ثانيا حاجب مَيْسرة بتقدمة ألف .

ثم فى حادى عشرين جُمادَى الأولى من السنة قَدِم صَرَاى تَمُر دوادار الأمير يُونُس النَّوْرُوزِىّ الدوادار ، ومملوك نائب حلب الأمير يَلْبُغا الناصرىّ يُخْبِران بأنّ العسكر توجّه إلى سيواس وقاتلوا عسكَرها ، وقد آستنجد أهلُ سيواس بالتتر[٢]، فأتاهم من التتر نحو الستين ألفا فحاربهم العسكر المصرىّ والحلبىّ يوما كاملا حتى هزموهم وحصروا سيواس بعدما قُتِل كثير من الفريقين وجُرِح معظمُهم ، وأنّ الأقوات عندهم عزيزة ، فجهّز السلطان للعسكر المذكور خمسين ألفَ دينار مصرية وشكّرهم وسار بالذهب مَلِكْتَمُر الدوادار ثانيا بعد قدومه مصر بأيام قليلة .

وكان خروجُ مَلِكْتَمُر فى هذه المرّة الثانية بالذهب فى سابع عشرين جمادى الآخرة[٣] ، هذا ما أخبره صراى تَمُر دوادار ثانى يُونُس الدَّوادَار .

وأمّا ما وَقَع من بعده هناك فإنّ العسكر تحرّك إلى الرحيل عن سيواس لطُول مُكْثِهم ، وعندما ساروا هجم عليهم التتر من خلفهم ، فآحترز الأمير يَلْبُغا الناصرىّ نائب حلب إلى جهةٍ حتى صار خلفَهم ، ثم طَرَقَهم بمن معه ووضع السيفَ فيهم ،

---

(١) هو أيدكار بن عبد الله العمرىّ اليلبغاوىّ . ذكر المؤلف له ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٤٣ ب) ، وقد ذكر فى السلوك للقريزى (ج ٣ ص ٤٨٩) باسم : « بدكار » وهو تحريف .

(٢) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) السياق يقتضى : « فى سابع عشرين جمادى الأولى » راجع السلوك (ج ٣ ص ٤٩٠) .

فقَتَل منهم خلائِقَ كثيرةً وأَسَرَ منهم نحوَ الألف وأخذ منهم نحو عشرة آلاف فرس وعاد العسكر سالمـًا إلى حلب؛ فقَدِم هـذا الخبر الثـانى أيضا على يد بعض مماليك الأمير يُونُس الدوادار ، فَسُرّ السلطان بذلك ودُقَّت البشائر بالديار المصرية ، ورَسَم السلطان بعَوْد العسكر المصرىّ إلى نحو الديار المصرية ، فعادوا إليها فى ثالث شعبان من سنة تسعين وسبعمائة ، فكانت غيبتُهم عن القاهرة سنة وعدّة أيام . ولمـّا وصلوا وطلعوا إلى القلعة أخلع عليهم السلطان الخِلَع الهـائلةَ وشكرهم ونزلوا إلى دورهم ، وكثُرت التهانئ لمجيئهم .

ثمّ فى خامس عشر شعبان المذكور طلبَ السلطان الأميرَ الطواشى بَهَادُر مقدّمَ المماليك السلطانية ، فلم يَجِدْه بالقلعة ثم أُحْضِر سكرانا من بيت على بحر النيل ، فَغَضِب السلطان عليه ونَفَاه إلى صَفَد على إمرة عشرة بها ، وأَخْلَعَ على الطواشى شمس الدين صَواب السَّـعدىّ المعروف بشَنْكل الأسود بتقدمة المـماليك السلطانية عوضًا عن بهادر المذكور ، وآستقرّ الطواشى سعد الدين بَشِير الشَّرَفىّ فى نيـابة المقدّم عوضا عن شَنْكل المذكور .

وحجّ فى هـذه السنة أيضا الأميرُ جَاركس الخليلىّ الأمير آخور الكبير أمير حاجّ الأوّل . وكان أميرَ حاجّ المَحمل الأمير آقْبُغا المَـارْدينىّ وخرج الحجّ من مصر فى عاشر شوّال ، وفى أثناء ذلك قَدِم الخبرُ بعصيان الأمير أَلْطُنْبغا الجُوبانىّ نائب الشام وأنه ضرب الأميرَ طُرُنْطَاى حاجب حجّاب دمَشق وآستكثر من آستخدام المماليك وشاع ذلك بالقاهرة وكثُرت القالة بين الناس بهذا الخبر ، فلمّا بلغ الأمير أَلْطُنبغا الجُوبانىّ ذلك أرسـل آستأذن السلطان فى الحضور إلى الديار المصرية ، فأذن له السلطـان فى ذلك وفى ظنّ كلّ أحد أنه لم يحضُر ، فعندما جاءه الإذن ركب البريدَ من دِمَشق

فى خواصّه وسار حتى نزل سِرْيَاقُوس خارجَ القاهرة فى ليلة الخميس سابع عشرين شوّال من سـنة تسعين المذكورة ، وبلغ السلطان ذلك فأرسل إليـه الأمير فارسا الصَّرغتمشىّ أميرَ جانْدار ، فقَبَض عليـه من سِرْياقوس وقيّـده وسيّره إلى سجن الإسكندرية صحبةَ الأمير أُلجِيْبُغا الجمالىّ الدوادار .

ثمّ رَسَم السلطان بأنّ طُرُنْطاى حاجب حُجاب دِمَشق يستقرّ فى نيـابة دمشق عوضًا عن الأمير أَلْطُنبغا الجوبانىّ المذكور ، وحَمَل إليه التشريفَ والتقليدَ الأميرُ سُودونُ الطُّرُنْطائىّ ، فعظُم مَسْكُ الأمير ألطنبغا الجوبانىّ على النـاس كونه ظهر للسلطان براءتُه ممّـا نقلَه عنـه أعداؤُه وكونه من أكابر اليلبغاوية ، ولم يَسَعْهم إلا السكات لفوات الأمر .

ثم كتبَ السلطانُ كتابا لأمراء طَرَابُلس وأرسله على يد بعض خواصّه بالقَبْض على الأمير كَمَشْبُغا الحَمَوِىّ اليَلْبُغاوِىّ نائب طرابُلُس ، فقَدِم سيفُه فى عاشر ذى القعدة فتأكّد تشويش الناس بمَسك كَمَشْبُغا أيضا ، فإنه أكبر مماليك يَلْبغا العمرىّ .

وممّن صار فى أيام أستاذه يَلْبُغـا أمير طبلخاناه ، وتوجّه الأميرُ شَـيْخ الصَّفَوِىّ بتقليد الأمير أَسَنْدَمر المحمّدىّ حاجب حُجَّاب طَرَابُلُس بنيابة طرابلس عوضا عن كمشبغا الحَمَوِىّ المقدّم ذِكْرُه .

ثم نَفَى السلطان الملكُ الظاهرُ الأمير كَمَشْبُغَا الخاصّكىّ الأشرفىّ ، أحد أمراء الطبلخانات ورأسَ نَوْبَةَ إلى طرابُلس ، فسار من دِمْياط[1] ، لأنّه كان فى البَرَك بالثّغْر المذكـور .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ثمّ قَدِم البريد بعشرين سَيْفًا من سُيوف الأمراء الذين قُبِض عليهم من أمراء البلاد الشامية، ثم كَتَب السلطان بالقَبْض على الأمراء البَطّالينَ ببلاد الشام جميعا، ثم أُعِيد سُودون العثمانىّ إلى نيـابة حَمَاة بحكم خروج كُشْلِى منهـا إلى نيابة مَلَطْيَة، عِوضًا عن منطاش، وكان كُشْلِى وَلِى نيابة حَمَاة قبل تاريخه بمدّة يسيرة عوضا عن ابن المهمندار.

ثم فى ثانى ذى القَعْدَة قَدِمَت رُسُلُ قرا محمـد وأخبروا أنه أخذَ مدينةَ تِبْرِيز[1]، وضَرَب بهـا السِّكّة بآسم السلطان الملك الظاهر برقوق، ودعا له على منابرها وسيّر دنانيرَ ودَرَاهِم، عليها آسم السلطان، وسأل أن يكون نائبًا بها عن السلطان فأُجيب بالشكر والثنـاء، هـذا والخواطرُ قد نَفَرت من الملك الظاهر لكثرة قَبْضـه على الأمراء من غير مُوجِب، وتخَوّف كلُّ أحد منه، على نفسه حتى خواصّه وكَثُر تَخَيُّلُ الأمراء منه، و بينما هم فى ذلك أُشِيع بالديار المصريّة بعِصْيان الأمير يَلْبُغا الناصرىّ نائب حلب، وكثر هذا الخبر فى محرّم سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وسبب ذلك أنه وَقَع بين الأمير يلبغا الناصرىّ و بين سُودُون المظفّرىّ أتابك حلب المعزول عن نيابة حلب قبـل تاريخه، وكاتَب كلٌّ منهما فى الآخر، فآحتار السلطانُ بينهما وقد قوى تخوّفه من الناصرىّ.

قال المَقْريزِىّ — رحمه الله —. وكان أَجْرَى الله سبحانَه وتعالى على أَلْسِنَة العامّة: من غَلَبْ، صَاحِبْ حَلَبْ، حتى لا يكاد صغيرٌ ولا كبيرٌ إلا يقول ذلك، حتى كان من أمر الناصرىّ نائب حلب ما كان. انتهى كلام المقريزىّ. —

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

ولمّا شاع ذلك جمعَ السلطان الأمراء والخاصّكيّة فى يوم الأحد خامس صفر بالمَيْدان من تحت القلعة وشَرِب معهم القِمِزّ، وقرّر لشربه معهم يَوْمَى الأحد والأربعاء، يروم بذلك أخذ خواطِرِهم .

ثمّ فى عاشره بعث السلطان هديّة للأمير يَلْبُغا الناصرىّ نائب حلب فيهـا عِدّة خيول بقُماش ذَهب [وَقَباء][1] واستدعاه ليحضُر ليعْمَل معه مَشُورة فى أمر مِنْطاش، فلمّا أتاه رسول السلطان بالحضور إلى الديار المصرية ، خَشِى أن يَفْعَل به كما فَعَل بالأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانى نائب الشـام من مَسْكه وحبسه بالإسكندرية ، فكَتَب يعتــذر عن الحضور إلى حضرة السلطان بحـركة التُّرْكُمان وعِصْيان مِنْطاش ، وأنه يتخوّف على البلاد الحلبية منهم، ومهما كان للسلطان من حاجة يُرسِل يعرّفه ليقوم بقضائهــا ، وعاد رســول السلطان إلى مصر بهــذا الجواب ، فلم يقبل السلطان ذلك منــه فى الباطن وقَبِله فى الظاهر وقد كَثُرَ تخيّــلُهُ منه ، وأخذ فى التدبير على الأمير يلبغا الناصرىّ مع خواصّــه ، حتى اقتضَى رَأْىُ الجميـع على إرسال تُلَكْتَمر[2] الدوادار إلى حلب بحِيــلة دَبَّرُوها ، فخَــرج تُلكتمر المحمّدىّ الدوادار المــذكور وعلى يده مثالان ليلبغا الناصرىّ نائب حلب ولسودون المظفرىّ أتابك حلب المقدّم ذكره أن يصطلحا بحضرة الأمراء والقضاة والأعيان وسير معه خلعتين يلبسانها بعد صلحهما وحمل السلطان فى الباطن مع ملكتمر عدّة مطالعات إلى سودون المظفرىّ وغيره من أمراء حلب وأرباب وظائفها بالقبض على الناصرىّ وقتــله إن امتنع من الصــلح وكان مملوك الناصرىّ قد تأخر بالقاهرة عن السفر لحلب ليفرّق كتبا

(١) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٩٩) .

(٢) فى الأصلين : « ملكتمر » وتصحيحه عن المنهل الصافى (ح ١ ص ٤٠٨ (ب)) .

من أستاذه على أمراء مصر، يدعوهم فيها إلى موافقته على الخروج على السلطان وأخر السلطان أيضا جواب الناصرى الوارد على يد مملوكه المذكور، عامدا حتى يسبقه تلكتمر الدوادار إلى حلب . وكان مملوك الناصرى المذكور يقظا حاذقا ، فبلغه ما على يد تلكتمر الدوادار من المطالعات بالقبض على أستاذه يلبغا الناصرى وعلم أنه عوق حتى سافر تلكتمر . ثم أعطى الجواب، فأخذه وخرج من مصر في يومه وسار مسرعا وجد في السوق حتى سبق تلكتمر الدوادار إلى حلب وعرف أستاذه بخبر تلكتمر كله سرا ، فأخذ الناصرى في الحذر . ويقال : إن تلكتمر الدوادار كان بينه وبين الشيخ حسن رأس نوبة الناصرى مصاهرة، فلما قرب من حلب بعث يخبر الشيخ حسنا المذكور بما أتى فيه ، فعلى كل حال احترز الناصرى . وهذا الخبر الثانى يبعد والأول أقرب وأقوى عندى من كل وجه .

ثم لما تحقق الناصرى ما جاء فيه تلكتمر احترز على نفسه وتعبأ، فلما قرب تلكتمر من حلب، خرج الأمير يلبغا الناصرى من حلب ولاقاه على العادة مظهرا لطاعة السلطان وقبل الأرض وأخذ منه مثاله وعاد به إلى دار السعادة[(1)] بحلب وقد اجتمع الأمراء والقضاة وغيرهم لسماع مرسوم السلطان وتأخر الأمير سودون المظفرى أتابك حلب عن الحضور ولم يعجبه ما فعله الملك الظاهر برقوق من حضوره عند الناصرى لمعرفته بقوة الناصرى وكثرة مماليكه ، فأرسل له الناصرى — غير قاصد — يستعجله للحضور فلم يجد بدا من الحضور وحضر وهو لابس آلة الحرب من تحت قماشه خوفا على نفسه من الناصرى وحواشيه، فعندما دخل سودون المظفرى إلى دهليز دار السعادة . جس قازان اليرقشى أمير آخور الناصرى كتفه فوجد السلاح،

(١) يراد بدار السعادة هنا دار الحكومة التى يقيم فيها الوالى أو الحاكم لإدارة شؤون الولاية أو المقاطعة وهذا هو المقصود هنا .

فقال : يا أمير! الذى يجىء للصباح يدخل دار السعادة وعليه السلاح وآلة الحرب، فسبّه سُودون المظفّرىّ فسلّ قازان سيفه وضربه به وأخذت سودون المظفّرى السّيوف من كل جانب من ممـاليك الناصرىّ الذين كان رتّبهم لهذا الأمر، فقُتِل سُودون المظفرىّ بعد أن جرّدت ممـاليكه أيضا سُيوفهم وقاتلوا ممـاليك الناصرىّ ساعة هيّنةً وقُتِل من الفريقين أربعة أنفس لا غيرُ وثارت الفتنة .

ففى الحال قبض الناصرىّ على حاجب حجّاب حلب وعلى أولاد المِهْمَنْدار وكانا مُقَدَّمَىْ ألوف بحلب وعلى عدّة أمراء أُخَر ممن يخشاهم ويخاف عاقبتهم . ثم ركب الناصرىّ إلى القلعة وتسلّمها وآستدعى التركمان والعربان وكتب إلى تَمُربُغا الأفضلىّ الأشرفىّ المعروف بمنطاش يدعوه إلى موافقته، فسُرّ منطاش بذلك وقدم عليه بعد أيام ودخل تحت طاعته. وكان الناصرىّ قد أباد مِنْطاش وقاتله، منذُ خرج عن طاعته وطاعة السلطان غير مرّة، وصار منطاش من جُملة أصحابه وتعاضد الأشرفيّـة واليلبُغاويّة، واليلبغاوية هم الأكثر، فإنّ الناصرىّ من كِبار اليلبغاويّة ومنطاش من كِبار الأشرفيّة، هذا مع ما انضم على الناصرىّ من أكابر الأمراء على ماسيأتى ذكره. وعاد مَلِكْتَمُر الدّوادار بهـذا الخبر فى خامس عشر صـفر، فكان عليـه خبرٌ غير صالح، فكتب السّلطان فى الحال إلى الأمير إينال اليوسفىّ أتابَك دِمَشق والمعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب بنيابة حلب ثانيـا . وجهّز إليـه التّشريف والتّقليد فى ثامن عشر صفر المذكور من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وكان إينال اليوسفىّ ممن آنحرف على السلطان فى الباطن من أيام ركوبه عليه، قبل أن يتسَلْطن وقَبَض عليه وحبسه سنتين، ثم أطلقه على إمرة بدِمَشق ثم ولاّه بعض البلاد الشامية وهى نيابة طرابُلس، ثم نقـله إلى نيابة حلب، فدام بهـا سنين، ثم عزله عنها بالأمير

يَلْبُغا الناصرى وجعله أتابك دِمَشق ، فصار فى نفسه حزازة من هذا كله على ما سيأتى ذكره .

ثم إن السلطان فى ثامن عشر صفر المذكور طَلَب الأمراء إلى القلعة وكلمهم فى أمر الناصرى وعصيانه وآستشارهم فى أمره ، فوقع الآتفاقُ على خروج تجريدة لقتاله وحلّف الأمراء على طاعته ، ثم خرج إلى القصر الأول وحلّف أكابر المماليك السلطانيّة .

ثم فى تاسع عشره ضُرِبت خَيْمة كبيرة بالمَيْدان من تحت القلعة وضُرب بجانبها عدّةُ صواوين برسم الأمراء ونزل السلطان إلى الخيْمة المذكورة وحلّف بها سائر الأمراء وأعيان المماليك السلطانيّة بل غالبهم . ثم مدّ لهم سِماطا جليلا فأكلوا وآنفضّوا .

ثم فى رابع عشرينه قدم البريدُ من دِمَشق بأنّ الأمير قَرَابُغا فرج الله والأمير بُزْلار العُمَرى الناصرى والأمير دِمرداش اليوسفى والأمير كَمشْبُغا الخاصّكى الأشرفى وآقبُغا قَبْجَق(١) آجتمع معهم عدّة كثيرة من المماليك المنفيِّين بطرابُلس ووثبوا(٢) على نائبها الأمير أَسَندمر المحمّدى وقبضوا عليه وقتلوا من أمراء طرابُلس الأمير صلاح الدين خليل بن سَنْجَر وآبنَه وقبضوا على جماعة كبيرة من أمراء طرابُلس ، ثم دخل الجميع فى طاعة الناصرى وكاتبوه بذلك وملكوا مدينة طرابُلس .

وفى يوم وصولِ هذا الخبر على السلطان عَرَضَ السلطان المماليك السلطانيّة ، وعيّن منهم أربعمائة وثلاثين مملوكا من المماليك السلطانيّة للسفر ، وعيّن خمسة من أمراء الألوف بديار مصر وهم : الأمير الكبير أَيْتَمُش(٣) البَجَاسى ، والأمير جَارَكْس

(١) رواية السلوك : (ج ٣ ص ٥٠١) : « حجق » .
(٢) رواية السلوك المصدر المتقدم : « وقبضوا ... الخ » .
(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٢) : « أيتمش الأتابك » .

الخليلى الأمير آخور الكبير والأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا أمير مجلس والأمير يونس النوروزى الدوادار الكبير والأمير أيدكار(١) حاجب الحجاب وعين من أمراء الطبلخاناه سبعة وهم: فارس الصرغتمشى وبكلمش العلائى رأس نوبة وجاركس المحمدى وشاهين الصرغتمشى وآقبغا الصغير السلطانى وإينال الجاركسى أمير آخور وقديد القلمطاوى من أمراء العشرات جماعة كبيرة .

ثم أرسـل السلطان للأمير أيتمش برسم النفقة مائتى ألف درهم فضـة وعشرة آلاف دينار ذهبا مصريا . ثم أرسـل إلى كل من أمراء الألوف ممن عين للسفر مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار ماخلا أيدكار حاجب الحجاب فإنه حمل إليـه مبلغ ستين ألف درهم وألفا وأربعمائة دينار .

ثم فى سادس عشرين صـفر المذكور قدم الخبر من الشام بأن ممـاليك الأمير سودون العثمانى نائب حماة اتفقوا على قتله ، ففر منهم إلى دمشق وأن الأمير بيرم العزى حاجب حجاب حماة سلم حماة إلى الأمير يلبغا الناصرى ودخل تحت طاعته، فعظم هـذا الخبر أيضا على السلطان حتى كاد يهلك وعرض الممـاليك ثانيا وعين منهم أربعة وسبعين نفرا لتتمة خمسمائة مملوك .

قلت : ولهـذا تعرف هذه الواقعة بوقعة الخمسمائة وبوقعـة شقحب(٢) وبوقعة الناصرى ومنطاش . انتهى .

وفى يوم الجمعة سابع عشرين صفر رسم السلطان للأمير بجاس(٣) نائب قلعة الجبل أن يتوجه إلى الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بالقلعة وينقله من داره إلى

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٢) : « بدكار » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٣) : « والى باب القلعة » .

البُرج من القلعة ويُضَيِّق عليه ويمنَع الناس من الدخول إليه، ففعل بَجَاس ذلك، فبات الخليفة ليلته بالبرج ثم أُعيد من الغد إلى مكانه بالقلعة، بعد أن كلّم السلطانُ الأمراءَ فى ذلك .

ثمّ رسَم السلطان للطّواشى زين الدين مُقبل الزّمام بالتّضييق على الأسياد أولاد[1] السّلاطين بالحوش السّلطانىّ من القلعة ومَنْع من يتردّدُ إليهم من الناس والفحْص عن أحوالهم، ففعل مُقبلٌ ذلك .

ثم فى يوم الآثنين ثانى شهر ربيع الأوّل خرج البريدُ من مصر بتقليد الأمير طُغَاى تَمُر القبلائى أحد أمراء دِمشق بنيابة طرابلس .

ثم فرّق السلطان فى المماليك نفقةً ثانيةً، فكانت الأولى لكل واحدٍ : خمسة آلاف دِرهم فضّة والثانية ألف درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح، فإنه فرّق فى أرباب الجوامك لكل واحدٍ جَملين ولكل آثنين من أرباب الأخْباز ثلاثةَ جمال ورتّب لهم [اللحم][2] والجرايات والعليقَ، فرتّب لكل من رءوس النُّوَب [فى اليوم][3] ستة عشْرَة عليقةً ولكلٍّ من أكابر المماليك عشر علائق ولكل من أرباب الجوامك خمسَ علائق . ورسم أيضا لكل مملوك من المماليك السلطانية بخمسمائة درهم بدمَشق .

ثم فى رابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور جلس السلطان بمسجد الرُّدَيْنىّ[4] داخل القلعة بالحريم السلطانىّ وآستدعى الخليفة المتوكّلَ على الله من مكانه بالقلعة، فلّما

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٣) : أولاد الملوك الناصرية .

(٢) التكلة عن السلوك المصدر المتقدّم . (٣) التكلة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٤) هذا المسجد لايزال قائما إلى اليوم داخل قلعة الجبل فى الجهة الشمالية الشرقية منها ويعرف بجامع سيدى سارية بالقرب من قصر الحرم الذى جدّده محمد على باشا الكبير فى سنة ١٢٤٣هـ = ١٨٢٧م. وقد دلنى البحث على أن الذى أنشأ هـذا المسجد هو أبو المنصور قسطة الأرمنىّ الذى كان واليا على الإسكندرية وذلك فى سنة ٥٣٥هـ يؤيد ذلك ماهو منقوش بالحفر على لوح من الرخام، كان مثبتا على =

دخل عليـه الخليفة قام الملك الظاهر له وتلقّاه وأخذ فى ملاطفته والآعتذار إليـه وآصطلحا وتحالفا ومضى الخليفة إلى موضعه بالقلعة ، فبعث السلطان إليه عشرة آلاف درهم وعدّة بُقَج ، فيها أثواب صوفٍ وقماشٌ سَكَنْدرىّ .

ثمّ تواترت الأخبار على السلطان بدخول سائر الأمراء بالبلاد الشامية والمماليك الأشرفيّة واليلبغاويّة فى طاعة الناصرىّ وكذلك الأمير سولى بن دلغادر أمير التركمان ، ونُعير أمير العُربان وغيرهما من التركمان والأعراب ، دخل الجميع فى طاعة الناصرى على محاربة السلطان الملك الظاهر وأنّ الناصرىّ أقام أعلاما خليفتيّةً (١) وأخذ جميـع القلاع بالبلاد الشامية ، واستولى عليهـا ما خلا قلعة الشام و بعلبكّ والكرك ، فقَلِق السلطان لذلك وكثر الآضطراب بالقاهرة وكثر كلام الناس فى هذا الأمر ، حتى

= باب هذا المسجد ومذكور فيه اسم منشئه وتاريخ إنشائه . والظاهر أنه لما جدد بناء هذا المسجد فى سـنة ٩٢٥ هـ نقل اللوح المذكور من المسجد ووضع على تربة أبى المنصور قسطة التى بجواره من الجهة الغربية ووضع المجدّد لوحا آخر بدلا عن السابق أثبت فيه آسمه وتاريخ بناء المسجد وتعميره .

وذكر لنا المقريزى سبب نسبة هذا المسجد إلى الردينى ، فإنه لما تكلم فى خططه على ما كان عليه موضع القلعة قبل بنائها (ص ٢٠٢ ج ٢) قال : و بالقلعة الآن مسجد الردينى وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الردينى الفقيه المحدّث وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه إلى هذا المسجد فعرف به .

ومن هـذا يعلم أنه لما أنشأ أبو المنصور قسطة هذا المسجد فى سـنة ٥٣٥ هـ آنتقل إليه أبو الحسن الردينى واستمر فى التدريس به إلى أن مات سنة ٥٤٠ هـ .

وفى سنة ٩٣٥هـ جدّد هذا الجامع سليمان باشا الخادم الذى كان واليا على مصر من قبل السلطان سليمان بن سليم خان العثمانى كما هو ثابت بالنقش فى لوح من الرخام مثبت بأعلى الباب الغربى للجامع المذكور.

وهذا الجامع طرازه عثمانى وله مئذنة رفيعة تشرف على القاهرة . وهو مسجد عامر بالشعائر و بجواره من الجهة الغربية تربة فيها قبر أبو المنصور قسطة وقبور أخرى لبعض المماليك وعلى شاهد كل قبر نوع لباس الرأس الذى كان يلبسه المملوك المدفون فيه وهى عدّة عمامات للرأس تكون مجموعة جملة مختلفة الأشكال والأحجام وترشدنا إلى نماذج ملابس الرأس عند المماليك الذين كانوا يحكمون مصر .

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٥٠٤) : « سناجق ... الخ » .

تجاوز الحدّ واختلفت الأقاويل ، كلُّ ذلك وإلى الآن لم تخرج التجريدة من مصر ، فلما بلغ السلطان هذه الأخبار رسم بخروج التجريدة ، فخرجت الأمراء المذكورون قبل تاريخه في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأوّل من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة إلى الرّيدانية بتجمل زائد واحتفال عظيم بالأطلاب من الخيول المزيّنة بسروج الذهب والكنابيش والسلاح الهائل ، لاسيما الأمير أيتمش والأمير أحمد ابن يلبُغا فإنهما أَمْعَنا في ذلك وكان للناس مدّةٌ طويلة لم يتجرّد السلطان إلى البلاد الشامية ولا عسكرُه ، سوى سفر الأمراء في السنة الماضية إلى سِيوَاس وكانوا بالنسبة إلى هذه التجريدة كَلاشيء وتَتَابَعَتْهم المماليك شيئا بعد شيء ، حتى سافر الجميع من الرَّيدانية في يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الأوّل المذكور .

ثمّ أخذ السلطان بعد خروج العسكر في استجلاب خواطر الناس وأبطل الرِّمَايات والسَّلَف على البرسيم والشعير وإبطال قياس القصب والقلقاس والإعفاء على ذلك كله .

ثم في يوم الثلاثاء [أوّل ربيع الآخر][1] قَدِم البريد بأن الأمير كَمُشبُغا المَنجَكي نائب بعلبكّ دخل تحت طاعة يلبُغا الناصري وكذلك [في خامسه قدم البريد بأن][2] ثلاثة عشَر أميرا من أمراء دِمَشق خرجوا بمماليكهم من دِمَشق وساروا إلى حلب ودخلوا في طاعة الناصري .

وأما العسكر الذي خرج من مصر فإنه لما وصل إلى غزّة أحسّ الأمير جارَكس الخليلي بمخامرة نائبها الأمير آقبُغا الصفوي فقبض عليه وبعثه إلى الكرك وأقرّ في نيابة غزّة الأمير حسام الدين بن باكيش .

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٠٥) . (٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

ثم فى عشرين شهر ربيع الآخر قدم على السلطان رســول قرا محمـد التركمانى ورســول الملك الظاهر مجد الدين عيسى صــاحب ماردين يُخبران بقدومهما إلى خابور ويستأذنان فى محاربة الناصرى فأُجيبا بالشكر والثناء وأُذن لهما فى ذلك(١) .

وأمّا العسكر فإنه سار من غزّة حتّى دخل دِمَشق فى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر المذكور، ودخلوا دمشق بعــد أن تلقّاهم نائبها الأمير [حسام الدين](٢) طُرُنْطاى، ودخلوا دمشق قبل وصول الناصرىّ بعساكره اليها بمدّة، وأقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق ، واشــتغلوا باللهو وأبادوا أهل دِمَشق شرًّا ، حتى سئمتهم أهل الشام وانطلقت الألسنة بالوقيعة فيهم وفى مُرْسِلهم .

قلت : هو مثل سائر : « الولد الخبيث يكون سبباً لوالده فى اللّعنة » وكذلك وقع ، فإنّ أهلَ دِمَشق لمّـا نفرت قلوبهم من المـماليك الظاهرية ، لم يدخلوا بعد ذلك فى طاعة الملك الظاهر ألبتّة على ما سيأتى ذكره .

وبينما هم فى ذلك جاءهم الخبر بنزول يَلبُغا الناصرىّ بعساكره على خان لاجِين(٣) خارج دمشق فى يوم السبت تاسع عشر شهر ربيع الآخر، فعند ذلك تهيّــأ الأمراء المصريّون والشاميون إلى قتالهم وخرجوا من دمشق فى يوم الآثنين حادى عشرينه إلى بَرْزة(٤) والتقَوْا بالنـاصرىّ على خان لاجِين ، وتصافقوا ثم اقْتَتلوا قتــالا شديدا ثبت فيه كلّ من الفريقين ثَباتا لم يُسمع بمثله ، ثمّ تكاثر العسكرُ المصرىّ وصدَقوا الحملة على الناصرىّ ومن معه فهزموهم وغيّروه عن موقفه .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٦) : « وأنهما ادخرا الأهم من هذا » .

(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٣) أطلنا البحث عن هذا المكان فلم نوفق للعثور عليه .

(٤) برزة : قرية من غوطة دمشق ينسب إليها جلة من العلماء الحفاظ عن معجم البلدان لياقوت جـ ١ ص ٥٦٣

ثمّ تراجع عسكر الناصرىّ وحمل بهم ، وٱلتقى العسكر السّلطانى ثانيا وٱصطدما صدمة هائلةً ثبت فيها أيضا الطائفتان وتقاتلا قتالا شديدا ، قُتل فيهـا جماعة من الطائفتين ، حتى ٱنكسر الناصرىّ ثانيا . ثم تراجع عسكرُه وعاد إليهم وٱلتقاهم ثالثَ مرّة ، فعندما تنازلوا فى المرّة الثالثة وٱلتحم القتالُ (١) ، أقلب الأمير أحمد بن يلبُغا أمير مجلس رُمحه ولَحِق بعساكر الناصرىّ بمن معه من مماليكه وحواشيه ، ثم تبعه الأمير أَيْدَكار العُمرىّ حاجب الحجاب أيضا بطُلْبِه ومماليكه ، ثم الأمير فارس الصَّرْغَتْمُشِىّ ثم الأمير شاهين [حُسين] (٢) أمير آخور بمن معهـم وعادوا قاتلوا العسكرَ المصرىّ ، فعنـد ذلك ضَعُف أمر العساكر المصريّة وتقهْقروا وانهزموا أقبحَ هزيمة ، فلمـا وَلّوا الادبار فى أوائل الهزيمة هجم مملوكٌ من عسكر الناصرىّ يقال له يُلبغـا الزينىّ الأعور وضرب الأمير جارَكس الخليل الأمير آخور بالسيف قتله وأخذ سَلَبَهُ وترك رمّته عاريةً ، إلى أن كفّنته ٱمرأة بعد أيام ودفنتْه .

ثم مَدّت التركمان والعرب أيديهم ينهبون مَن ٱنهزم من العسكر المصرىّ ويَقتلون ويأسرون مَن ظَفِروا به وساق الأمير الكبير أَيْتَمُش البَجاسىّ حتى لحق بدِمَشق وتحصّن بقلعتهـا وتمزّق العسكر المصرىّ وذهب كأنه لم يكن ودخل النـاصرىّ من يومه إلى دِمَشق بعساكره ونزل بالقصر من الميْدان وتسلّم بالقلعـة بغير قتال وأوقع الحـوطة على سائر [ما] (٣) للعسكر وأنزل بالأمـير الكبير أيْتمش وقيّـده هو والأمير طُرُنْطَاى نائب الشـام وسجَنَهما بقلعة دمشق وتَتَبّع بقيّـة الأمراء والممـاليك حتى قبض من يومه أيضا على الأمير بَكْلَمُش العـلائى فى عدّة من أعيان المماليك

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٧) : «فعندما تنازلوا فى المرّة الثانية أقلب الأمير أحمد... الخ» .

(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٠٨) يقتضيها السياق .

الظاهريّة ، فاعتقلهم أيضا بقلعة دمشق . ثم مَدّت التركمانُ والأجناد أيديَهم فى النهب ، فما عفّوا ولا كفّوا وتمادَوْا على هذا عدّةَ أيام .

وقدم هذا الخبر على الملك الظاهر من غزة فى يوم سابع عشرين شهر ربيع الآخر المذكور فآضطربت الناس آضطرابا عظيما لا سيما لمّا بلغهم قتـلُ الأمير جارَكس الخليلىّ والقبضُ على الأمير الكبير أيْتَمُش البَجاسِىّ وغُلّقت الأسواق وآنتُهِبت الأخباز وتشغّبت الزّعر وطغى أهلُ الفساد ، هذا مع ما للناس فيه من الشغل بدفن موتاهم وعظم الطاعون بمصر ، كلُّ ذلك و إلى الآن لم يَعرف السلطانُ بقتـل الأمير يونس النّوْروزىّ الدوادار على ما سيأتى ذكره .

وأما السلطان المـلك الظاهر برقوق فإنه لمّـا بلغه ما وقع لعسكره وَجَمَ وتحيّر فى أمره وعَظُم عليـه قتلُ جارَكس الخليـلىّ والقبض على أيتمش أكثر من آنهزام عسكره ، فإنهما و يونُس الدوادار كانوا همُ القائمين بتـدبير ملكه ، وأخذ يفحصُ عن أخبار يونس الدوادار المذكور ، فلم يقف له على خبر ، لسرعة مجىء خبر الوقْعة له من مدينة غزّة و إلى الآن لم يأته أحد ممن باشر الواقعة غير أنه صحّ عنده ما بلغه .

ثمّ خرج إلى الإيوان بالقلعة وآستدعى الأمراء والمماليك وتكلّم معهم السلطان فى أمر الناصرىّ ومنطاش وآستشارهم ، فوقع الآتفاق على خروج تجريدةٍ ثانيـة ، فآنفضّ الموكبُ وخرج السلطان فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر إلى الإيوان ، وعيّن من المماليك السلطانيّة ممن آختار سفره خمسمائة مملوك ، وأنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضّة لكل واحد ، ليتوجّهوا إلى دِمَشق صُحبة الأمير سودون الطُّرُنْطَائىّ ، وقام السلطان فكلّمه بعض خواصّه فى قِلّة من عُيّن من المماليك ، وأن العسكر الذى كان صُحبة أيْتَمُش كان أضعاف ذلك وحصَل ما حصَل ، فعَرض العسكر ثانيا وعيّن

خمسمائة أخرى ثم عيّن أربعمائة أخرى لِتَتمّة ألف وأربعمائة مملوك، وأنفق فى الجميع ألفَ درهم فضة، لكل واحد .

ثمّ أنفق السلطان فى المماليك الكتّابيّة لكل مملوك مائتى درهم فضّة ، فإنه بلغه أنهم فى قلق لعدم النفقة عليهم .

هذا، وقد طَمِع كُلّ أحد من المماليك وغيرهم فى جانب الملك الظاهر لِمَا وقع لعسكره بدِمَشق .

ثم عَمِل السلطان الموكب فى يوم الأربعاء أوّل جُمَادى الأولى ، وأنعم على كُلّ من قرابُغا البوبكرىّ وبجَاس النَّوْروزىّ نائب قلعة الجبل وشيخ الصّفوىّ وقَرْقَماس الطّشتَمُرىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، عوضا عمّن قُتِل أو أُمسِك بالبلاد الشامية .

ثم أنعم السلطان أيضا فى اليوم المذكور على كل من أَلْجِيبُغَا الجمالىّ الخازندار وأَلْطُنْبُغا العُثْمانىّ رأس نوبَة ويونس الإسْعردىّ الرّمّاح وقنق باى الأَلْجاوىّ اللالا وأسَنْبُغا الأُرغونىّ شاوىّ وبغداد الأحمدىّ وأرسلان اللّفّاف وأحمد الأرغونىّ وجرِبَاش الشّيْخىّ وأَلْطنْبُغا شادى وأَرنْبُغا[1] المنجكىّ وإبراهيم بن طَشْتَمُر العلائىّ الدوادار وقراكسك السيفىّ بإمرة طبلخاناه .

وأنعم على كل من[3] السيد الشريف بكْتَمُر الحسينىّ[2] والى القاهرة [كان] وقنق باى الأحمدى بإمرة عشرين . وأنعم على كل من بُطا الطّولُوتمرىّ الظاهرىّ ويلبُغا السودونىّ وسودون اليَحْياوىّ وتَنْبك[4] اليحياوىّ وأرغون شاه البَيْدَمُرىّ وآقبغا

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٩) : « وأروس بغا المنحكى » .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٩) : « الحسنى » . (٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٠) .

(٤) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « وناى بك اليحياوى » .

الجمـالىّ الهذبانىّ وفوزى الشعبانىّ وتغرى بردى البَشْبُغاوىّ والدكاتبه وبكلاط السعدىّ [١] وأرنبغـا [٢] العثمانىّ وشكرباى العثمانىّ وأسَنْبغا السيفىّ بإمرة عشرة، وكلّ هؤلاء ممـاليك الملك الظاهر برقوق وخاصّكيّته أمرّهم فى هـذه الحركة وكانوا قبل ذلك من جملة الخاصكيّة، ومنهم من هو إلى الآن لم يحضر من التجريدة .

ثمّ قَدِم البريد على السلطان من قطيا بأنّ الأمير إينـال اليوسفىّ أتابك دِمَشق المنعَم عليه بنيابة حلب بعد عصيان الناصرىّ والأمير إينال أمير آخور والأمير إياس أمير آخور دخلوا إلى غزّة فى عسكر كثيف من عساكر الناصرىّ وقـد صاروا قبل تاريخه من حزب الناصرىّ واستولّوا على مدينـة غزة والرّملة وتمزّقت عساكرها، فعظُم لهذا الخبر جزع الملك الظاهر وتحيّر فى أمره .

ثم فى يومه [٣] آستدعى السلطان القضاة والأمراء والأعيان وبعث الأمير سودون الطُّرنطائى والأمير قَرْقماس الطشْتَمُرىّ إلى الخليفة المتوكّل على الله بمسكنه فى قلعة الجبل فأحضراه، فلمّـا رآه الملك الظاهر قام له وتلقّاه وأجلسه، وأشار إلى القضاة فحلّفوا كلّا منهما للآخر على الموالاة والمناصحـة، وخلع السلطان على الخليفة المتوكل على الله المذكور خلعة الرضا ، وقيّد إليـه حِجْرة شهباء من خواصّ خيـل السلطان بسَرْج ذهب وكُنْبُوش مُزَرْكش وسلسلة ذهب وأُذِن له فى النزول إلى داره ، فركب ونزل من القلعة إلى داره فى مَوْكب جليـل ، وأُعيدت إقطاعاته ورواتبه وأُخْلِى له بيت بقلعة الجبل ليسكن فيه .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٠) : « السونجى » .
(٢) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « وأزدبغا » .
(٣) يريد يوم الأربعاء أوّل جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ .

ثم طلع الخليفة من يومه ونقل حرمه إلى البيت المذكور بالقلعة ، وصار يركب في بعض الأحيان وينزل إلى داره بالمدينة ثم يطلع من يومه إلى مسكنه بالقلعة ويبيت فيه مع أهله وحرمه ، واستمر على ذلك إلى ما سيأتي ذكره .

ثم في يوم الجمعة ثالث جمادى الأولى المذكورة قدم الأمير شهاب الدين أحمد ابن بقر أمير عرب الشرقية ، ومعه هجان الأمير جاركس الخليلي ، فحدث السلطان بتفصيل واقعة العسكر المصري مع الناصري ، وأنه فر مع الأمير يونس الدوادار في خمسة نفر طالبين الديار المصرية ، فعرض لهم الأمير عنقاء بن شطي أمير آل فضل بالقرب من خربة اللصوص من طريق دمشق ، وقبض على الأمير يونس الدوادار ووبخه لما كان في نفسه منه ، ثم قتله وحز رأسه وبعث به إلى الناصري ، فعندما بلغ السلطان قتل يونس الدوادار وتحققه كادت نفسه تزهق وكان بلغه هذا الخبر ، غير أنه لم يتحققه إلا في هذا اليوم وبقتل يونس الدوادار استشعر كل أحد بذهاب ملك الملك الظاهر .

ثم أصبح السلطان أمر بالمناداة بمصر والقاهرة بإبطال سائر المكوس من سائر ديار مصر وأعمالها ، فقام جميع كتاب المكوس من مجالسهم .

ثم في سادس الشهر[1] ركب الخليفة المتوكل على الله من القلعة بأمر السلطان الملك الظاهر ونزل إلى القاهرة ، ومعه الأمير سودون الفخري الشيخوني نائب السلطنة وقضاة القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وسائر الحجاب وداروا في شوارع القاهرة ورجل أمامهم على فرس يقرأ ورقة فيها : إن السلطان قد أزال المكوس والمظالم وهو يأمر الناس بتقوى الله وطاعته وإنا قد سألنا العدو

(١) يريد شهر جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ .

الباغى فى الصلح فأبَى وقد قَوِىَ أمرُه فأغْلِقوا دوركم وأقيموا الدروب(١) على الحارات وقاتِلوا عن أنفسكم وحريمكم ، فلمّـا سمع الناس ذلك تزايد خوفهم وقلقهم و يئس كلّ واحد من الملك الظاهر وأخذ الناس فى العمل للتوصّـل إلى الناصرىّ ، حتى حواشى برقوق لمّـا سمعوا هذه المقالةَ وقد تحقّقوا بسماعها بأنّ الملك الظاهر لم يَبْق فيه بقيّة يلقَى بهـا الناصرىّ وعساكرَه وقول الملك الظاهر : و إنا قد سألنا العـدوّ فى الصلح فأبى وقوِىَ ، فإنه كان لمّـا توجه العسكر من مصر لقتال الناصرى أمرهم أن يُرسلوا له فى طلب الصلح مع الناصرىّ ففعلوا ، فلم يَنْتظم صلحٌ ووقع ما حَكَيْناه من القتال وغيره .

ثمّ إن الناس لمّـا سمعوا هذه المناداة شرعوا فى عمل الدّروب فجُدِّد بالقاهرة دروب كثيرة وأخذوا فى جمـع الأقوات والآستعداد للقتـال والحصار وكَثُرَ كلامُ العامّة فيما وقع وهان الملك الظاهر وعساكرُه فى أعين النـاس وقلّت الحُرمَة وتجمّع الزُّعر ، ينتظرون قيـامَ الفِتْنة لينهَبُوا النـاسَ وتخوّف كلّ أحد على ماله وقُمـاشه ، كلُّ ذلك والناصرى إلى الآن بدِمَشق .

ثم آنقطع أخبـار الناصرىّ عن مصر لدخول الأمير حُسام الدين بن باكيش نائب غزة فى طاعة الناصرىّ .

ثم قَدِم الخـبر بدخول الأمير مأمور القَلَمْطَاوى نائب الكَرَك فى طاعة الناصرىّ وأنه سلّم له الكَرَك بمـا فيها من الأموال والسلاح ، فتيقّن كلّ أحد عند سماع هذا الخـبر أيضا بزوال مُلك الملك الظاهر . هـذا والأمراء والعساكر المُعيَّنَةُ للسـفر فى آهتمام ، غير أنّ عزائم السلطان فاترة وقد علاه وَلَهٌ وداخَلَه الخوف من غير أمر

(١) المقصود بالدروب هنـا الأبواب التى تقـام على رءوس الطرق والحارات داخل القاهرة لمنـع دخول الثوار إليها عند وقوع الثورات .

يوجِبُ ذلك . وكان السلطان لمّا عيَّن هذه التجريدة الثانية أرسل إلى بلاد الصعيد يطلب نجدةً فقَدِم إلى القاهرة فى هذا اليوم طوائف من عرب هوّارة نجدةً للسلطان ونزلوا تحت القلعة .

ثم أمر السلطان بحَفْر(١) خندق القلعة وتَوْعير طريق باب القلعة المعروف بباب القرافة وباب الحرس وباب الدّرفيل(٢) .

ثم أمر السلطان بسدّ خوخة(٣) الأمير أَيْدُغْمُش خارج بَابَىْ زويلة ، فَسُدَّت حتى صار لا يدخُل منها راكب ثم أمر السلطان فنُودِى بالقاهرة بإبطال مَكس النّشا والجلود .

---

(١) تبين لى من المعاينة أن هذا الخندق لا تزال بعض آثاره باقية فى الجهة الشرقية من القلعة ويفصل بينها وبين سفح جبل المقطم . وكان الغرض من حفره منع دخول الثوار إلى القلعة من أبوابها التى فى السور الشرقى عند وقوع الثورات والاضطرابات بسبب ما يقع من الخلاف بين الملوك والأمراء .

(٢) هذه الأبواب الثلاثة هى من أبواب القلعة فى سورها الشرقى تجاه جبل المقطم والخندق . وأما باب القرافة فقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من الجزء التاسع ، وهذا الباب قد سدّ من قديم . وأما باب الحرس الذى يعرف اليوم بباب المقطم فلا يزال باقيا ومفتوحا ويتوصل منه إلى الحوش السلطانى الذى فيه اليوم قاعة العدل وقصر الجوهرة ويوصل كذلك إلى القلعة وإلى بئر يوسف وإلى جامع محمد على باشا من الجهة الخلفية له وكان يعرف بباب الحرس حيث كان يقيم خلفه العساكر الذين يحرسون القلعة من الجهة الشرقية ويعرف الآن بباب المقطم لوقوعه تجاه جبل المقطم . وأما باب الدرفيل فقد سدّ كذلك من قديم وهو أول أبواب السور الشرقى للقلعة من الشمال ، ويليه باب القرافة فى الوسط ثم باب الحرس وهو باب المقطم فى الجنوب الشرقى من القلعة بالقاهرة .

(٣) هذه الخوخة هى من الأبواب الصغيرة فى سور القاهرة القبلى الذى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٨٤ هـ مع باب زويلة .

وتكلم المقريزى فى خططه على خوخة أيدغمش (ص ٤٥ ج ٢) فقال : إنها فى حكم أبواب القاهرة يخرج منها إلى ظاهر المدينة عند غلق الأبواب فى الليل وفى أوقات الفتن وينتهى الخارج منها إلى الدرب الأحمر واليانسية ويسلك من هناك إلى باب زويلة ويوصل إليها من داخل القاهرة إما من سوق الرقيق أو من حارة الروم ثم قال وهذه الخوخة فتحها فى السور الأمير علاء الدين أيدغمش الناصرى نائب دمشق مذ كان أمير آخور الملك الناصرى محمد بن قلاوون فى سنة ٧٤٠ هـ .

وبالبحث عن مكان هذه الخوخة تبين لى أنها اندثرت وكانت واقعة فى مدخل حارة الروم فى جهة شارع الدرب الأحمر وعلى بعد ١٧٠ مترا شرقى باب زويلة فى شارع الدرب الأحمر بالقاهرة .

وفى يوم الجمعة عاشر جُمَادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة خُطِب للخليفة المتوكّل على الله أبى عبد الله محمد ، فإنه أُعِيد إلى الخلافة من يوم خَلع عليه السلطان خامة الرِّضـا ، ثمّ قُرِئ تقليـده فى ثانى عشره بالمشهـد النَّفيسىّ [1] وحضره القضاة ونائب السلطنة . ولمّـا ٱنقضى مجلس قراءة التقليد توجّهوا الجميع إلى الآثار النّبوية [2] وقرءوا به صحيح البخارىّ ودعوا الله تعـالى للسلطان الملك الظاهر برقوق بالنصر و إخماد الفتنة بين الفريقين .

ثمّ فى يوم ثالث عشر أخلـع السلطان على الأمـير قرا دِمِرْداش الأحمـدىّ اليَلْبُغاوى بٱستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير أيتَمُش البجاسى بحكم حبسه بقلعة دِمَشق وعلى الأمير سودون باق باستقراره أمير سـلاح ، عوضا عن قَرا دمرداش المذكور وعلى الأمير قَرْقَماس الطَّشْتَمرىّ باستقراره دوادارا كبيرا عوضـا عن يُونُس النّوروزىّ المقتول بيد عنقاء أمير آل فضـل وعلى الأمير تَمُربغا [3] المَنجكىّ أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير جاركَس الخليلىّ المقتول فى واقعة الناصرىّ

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) كانت الآثار النبوية فى ذلك الوقت بمسجد ناحية أثر النبى إحدى قرى مركز الجيزة على شاطئ النيل الشرقى جنوبى مدينة مصر القديمة . وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الآثار المذكورة وكان مسجد هذه القرية يعرف قديما باسم رباط الآثار ذكره المقريزى فى خططه (ص ٤٢٩ ج ٢) فقال : إن هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق عمره الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ومات رحمه الله قبـل أن يكمله فأكمله الصاحب ناصر الدين محمد بن تاج الدين المذكور وقيل له رباط الآثار لأن فيـه قطعة خشب وحديد يقال إنها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها تاج الدين المذكور وحفظها بهذا الرباط يتبرك الناس بها و يعتقدون النفع بها . والرباط لا يزال قائمـا إلى اليـوم باسم جامع أثر النبى وأما الآثار فقد نقلت هى وغيرها إلى خزانة خاصة بها بجامع سيدنا الحسين بالقاهرة .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٣) : « قرابغا المنجكى » .

بدمشق وعلى قَرابُغا البُوبَكرىّ باستقراره أمير مجلس عوضا عن أحمد بن يَلْبُغا بحكم عصيانه ودخوله فى طاعة الناصرىّ وعلى آقبُغا المارِدينىّ باستقراره حاجب الحجاب عوضا عن أيدكار العُمرىّ الداخل أيضا فى طاعة الناصرى ونزل الجميع بالخِلَع والتشاريف .

ثمّ أنعم السلطان على الأمير صلاح الدين محمد [بن محمد](١) بن تَنْكز الناصرىّ نائب الشّام كان بإمرة طبلخاناه وعلى جُلبان الكمشبُغاوى الخاصكى الظاهرى بإمرة طبلخاناه .

وكَثُر فى هذه الأيام تحصين السلطان لقلعة الجبل فعَلِم بذلك كلّ أحد أنه لم تخرج تجريدة من مصر ولم يثبت الملك الظاهر لقتال الناصرىّ بما أفْزَزُوا من أحوال السلطان، خِذْلان من الله تعالى .

ثمّ أخذ السلطان ينقل إلى قلعة الجبل المناجنيقَ والمكاحلَ والعُدَد وأمر السلطان لسكّان قلعة الجبل من الناس بادّخار القُوت بها لشهرين .

ثمّ رسم السلطان للعلم أحمد بن الطُّولُونى بجمع الجّارين لسدّ فم وادى السدرة(٢) بجوار الجبل الأحمر وأن يبنى حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل .

ثمّ نُودىَ بالقاهرة بأنّ من له فرس من أجناد الحلقة يركب للحرب ويخرج مع العسكر، فَكَثُر الهرج وتزايد قلقُ الناس وخوفُهم وصارت الشوارع كلها ملآنة بالخيول الملبّسة، هذا و إلى الآن لم يَعْرِف السلطان ما الناصرىّ فيه وطُلِبَت آلات الحرب من الخوذ والقرقلات والسيوف والأرماح بكل ثمن غال .

(١) تكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٣) .

(٢) بالبحث تبين لى أن فم وادى السدرة مكانه اليوم الفضاء الواقع بين الجبل الأحمر و بين برج الظفر الواقع على رأس السور الشرقى لمدينة القاهرة .

وأما الجبل الأحمر، فسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ٢٦١ بالجزء السابع من هذه الطبعة .

ثمّ رسم السلطان للأمير حسام الدين حسين [بن علي][(١)] بن الكوراني والي القاهرة بسدّ باب المحروق[(٢)] أحد أبواب القاهرة فكلّمه الوالي في عدم سَدّه ، فنهره وأمره بسدّه وسدّ الباب الجديد[(٣)] أيضا أحد أبواب القاهرة ، ففعل . ثمّ سدّ باب الدّرفيل المعروف قديما بباب سارِيَة ويُعرف في يومنا هذا بباب المُدرّج[(٤)] .

ثمّ أمر السلطان بسدّ جميع الخُوَخ ، فسدّ عدّة خوخ وركّب عند قناطر السباع[(٥)] ثلاثة دروب : أحدها من جهة مصر والآخر من جهة قبو الكِرْماني[(٦)] والآخر بالقرب من المَيدان ثمّ بنى بالقاهرة عدّة دروب أخر وحفر خنادق كثيرة .

---

(١) تكملة عن السلوك (ح ٣ ص ٥١٤) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الكلام عليه في ص ١٨١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) قناطر السباع هي قناطر كانت فوق الخليج المصري بميدان السيدة زينب بالقاهرة وسبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ بالجزء السابع من هذه الطبعة .

وركب ثلاثة دروب أي ثلاثة أبواب أحدها من جهة مصر أي على مدخل شارع السدّ بجوار جامع السيدة زينب والثاني من جهة قبو الكرماني أي على مدخل شارع اللبودية والثالث بالقرب من الميدان أي على مدخل شارع الكومي وقد أصبح اليوم مدخل شارع اللبودية ومدخل شارع الكومي في دائرة ميدان السيدة زينب بالقاهرة .

ولما تكلم المقريزي في خططه على قنطرة آق سنقر (ص ١٤٧ ج ٢) قال : إن هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل إليها من خط قبو الكرماني ومن حارة البديعيين التي تعرف اليوم بالحبانية ويمر من فوقها إلى بر الخليج الغربي . ولما تكلم على جامع بشتاك (ص ٣٠٩ ج ٢) قال : إن هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل .

وبما أن حارة الحبانية وجامع بشتاك المعروف بجامع مصطفى باشا فاضل لايزالا موجودين بشارع درب الجماميز فيتبين مما ذكر أن خط قبو الكرماني كان واقعا شرقي الخليج المصري ومكانه اليوم القسم المتوسط من شارع درب الجماميز في المسافة بين سكة الحبانية وبين حارة السادات بالقاهرة .

ومما يلفت النظر أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم قبو الكرماني على حارة بشارع سويقة السباعين في بر الخليج الغربي في حين أن خط قبو الكرماني كان واقعا شرقي الخليج كما ذكرنا .

(٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

هذا والموت بالطاعون عَمَّال بالديار المصريّة فى كل يوم يموت عدّةٌ كبيرة .

وأما الأمير يَلْبُغا الناصرى نائب حلب وصاحبُه مِنْطاش نائبُ مَلَطْيَة بمن معهما، فإنّ الناصرى لمّا استقرّ بدِمَشق وملكها بعد الوقْعة، نادى فى جميع بلاد الشام وقلاعها بألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النوّاب والأمراء والأجناد ومن تأخّر سوى من عُيِن لحفظ البلاد قُطِعَ خبزه وسُلِبَت نعمته، فآجتمع الناس بأسرهم فى دمشق من سائر البلاد وأنفق الناصرى فيهم وتجهّز وتهيأ للخروج من دمشق وبرز منها بعساكره وأمرائِه من الأمراء والأكراد والتُّركمان والعربان وكان آجتمع إليه خلائق كثيرة جدّا فى يوم السبت حادى عشر جُمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المقدّم ذكرها، بعد أن أقرّ فى نيابة دمشق الأمير جَنْتَمُر المعروف بأخى طاز وسار الناصرى بمن معه من العساكر يريد الديار المصرية وهو يظنّ أنّه يلقى العساكر المصريّة بالقرب من الشام وآستمرّ فى سيره على هَيِّنَةٍ إلى أن وصل إلى غزّة، فتلقّاه نائبها حسام الدين بن باكيش بالتّقادم والإقامات، فسأله الناصرى عن أخبار عسكر مصر، فقال : لم يرد خبر بخروج عَسكر من مصر وقد أرسلت جماعة كبيرة غير مرة لكشف هذا الخبر ولم يكن منى تهاون فى ذلك، فلم يبلغنى عن الديار المصرية إلا أنّ برقوقا فى تخوّف كبير وقد آستعدّ للحصار فلم يلتفت الناصرى إلى كلامه، غير أنه صار متعجبا على عدم خروج العساكر المصرية لقتاله .

ثم قال فى نفسه : لعله يريد قتالنا فى فم الرمل بمدينة قطيا[1]، ليكون عسكره فى راحة من جواز الرّمل وأقامَ الناصرى بغزّة يومَه . ثم سار من الغد يُريد ديار مصر وأرسل أمامه جماعةً كبيرة من أمرائه ومماليكه كشّافة وآستمرّ فى السّير إلى أن نزل مدينة قَطْيا وجاء الخبر بنزول الناصرى بعساكره على قطيا فلم يتحرّك بحركة .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفى ليلة وصول الخبر فرّ من أمراء مصر جماعة كبيرة إلى الناصرىّ وهى ليـلة الثـلاثاء ثامن عشرين جُمَـادى الأولى المذكورة وهم : الأمير طُغَيْتَمُر الجَرَكْتَمُرى وأرسلان اللّفاف وأَرَنْبُغَا العثمانىّ فى عدّة كبيرة من المماليك ولحقوا بالناصرىّ ودخلوا تحت طاعته، بعدما صرفوا فى طريقهم الأمير عز الدين [أَيْدَمُر] (١) أبا دَرَقَة كاشف الوجه البحرى وقد سار من عند الملك الظاهر لكشف الأخبار، فضربوه وأخذوا جميع ما كان معه وساقوه معهم إلى الناصرىّ، فلما وصـلوا إلى الناصرى حرّضـوه على سرعة الحركة وعرّفوه ما الظاهر فيـه من الخوف والجبن عن ملاقاته، فقَوِىَ بذلك قلب الناصرى وهو إلى الآن يأخذ فى أمر الملك الظاهر و يُعطى .

ثم جلس الملك الظاهر صبيحة هرب الأمراء بالإيوان من قلعة الجبل وهو يوم الثلاثاء ثامن عشرينه وأنفق على المماليك جميعها، لكل مملوك من مماليك السلطان ومماليك الأمراء، لكل واحد خمسمائة درهم فضـة وآستدعاهم طائفة بعـد طائفة وأعطى كل واحد بيده وصار يحرّضهم على القتال معه و بكى بكاء شديدا فى الملأ .

ثمّ فرّق جميع الخيول حتى خيـل الخاصّ فى الأمراء والأجناد وأعطى الأمير اقبُغا المـارِدِينى حاجب الحجّاب جملة كبيرة من المـال ليفرّقه على الزُّعْر وعَظُمَ أمرُ الزعر و بطل الحكم من القاهرة وصار الأمر فيهـا لمن غلب وتعطّلت الأسـواق وأكثر الناس من شراء البُقْسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك .

ثم وصل الخبر على السلطان بنزول الناصرىّ على الصالحيّة (٢) بمن معه وقد وقف لهم عدّة خيول فى الرمل وأنّه لمـا وجد الصالحية خاليـة من العسكر سجد لله تعـالى

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٥) .

(٢) الصالحية إحدى قرى مركز فاقوس بمديريه الشرقية بمصر . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

شكرا ، فإنه كان يخاف أن يتلقّاه عسكر السلطان بها ولو تلقّاه عسكر السلطان لمـا وجد لعسكره منعة للقتال ، لضعْف خيولهم وشدّة تعبهم ، فلهذا كان حمْـدُه لله تعالى . وأخبر السلطان أيضا أنّ الناصرىّ لمّـا نزل إلى الصالحيّـة تلقّاه عربُ العائد مع كبيرهم الأمير شمس الدين محمـد بن عيسى وخدموه بالإقامات والشعير وغيرها فردّ بذلك رمَقَهُم .

فلمّا سَمِـع السلطان ذلك رَسَم للأتابك الأمير قرا دِمرْداش الأحمدىّ أن يتوجّه لكشف الأخبار[1] من جهة بركة الحبش مخافة أن يأتىَ أحد من قِبَل إطفيح[2] ، فسار لذلك[3] . ثم رتّب السلطان العسكر نَوْبتين : نَوْبة لحفظ النهار ونَوْبة لحفظ الليل وسيّر آبن عمه الأمير بَجْماس فى عدّة أمراء إلى المرج[4] والزيات[5] طليعة للكشف .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٧) : «الأجناد» .

(٢) من البلاد المصرية القديمة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقـدم : «وسـير عدة من الأمراء إلى جهـة مرج الزيات طليعة بكشف الخبر» .

(٤) المرج من القرى القديمة وهى اليوم من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر فى حدود ضواحى القاهرة كانت تسمى قديمـا مخلف مرج كما ورد فى قوانين الدواوين لابن مماتى قال : وهى من كفور عين شمس من أعمال الشرقية ووردت فى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سنة ١٢٢٤ ﻫ المرج وتعرف قديمـا بمرج التركمان من أعمال ضواحى مصر .

وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أرضها ١٤٠٠ فدان وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نفس .

(٥) دلنى البحث على أن الزيات هى القرية التى تسـمى اليوم القلج إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبيـة بمصر وفى تربيع [قائمة مساحة] سنة ٩٣٣ ﻫ قيـد زمامها فى دفاتر المكلفات باسم القلج نسبة إلى الشيخ قلج الرومى الأدهمى شيخ زاوية السلطان قايتباى بالمرج والزيات المتوفى سنة ٨٩١ﻫ كما ورد فى تاريخ مصر لابن إياس (ص ٢٣٩ ج ٢) وللاحتفاظ بالاسم القديم لهـذه القرية وهى الزيات لسهولة الاسترشاد الى زمامها القديم ضم آسمها فى تاريع سنة ١٢٢٨ ﻫ إلى اسم القرج وصارت القرية تعرف باسم القرج والزيات . وفى مساحة ١٢٧٥ ﻫ قيد زمامها باسم القرج وهو اسمها الحالى وحذف الاسم القديم . وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أرضها ٤٠٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٨٠٠٠ نفس بمـا فيهم سكان العزب التابعة لها .

ثمّ فى يوم الأربعـاء تاسع عشرين جُمَـادى الأولى المذكور أنفـق السلطان فى ممـاليك أمراء الطبلخانات والعَشَرات ، فأعطى كلّ واحد أربعمائة درهم فضة وأنفق السلطان أيضا فى الطَّبَرْداريّة [والبَزْداريّة][1] والأوجاقية وأعطاهم القِسِىّ والنُّشّاب . ثم رتّب من الأجنـاد البطّالين جماعةً بين شُرُفات القلعة ليرموا على مَنْ لعـلّه يُحاصر القلعة ، وأنفق فيهـم أيضا . ثم آستدعى السلطانُ رُماةَ قِسِىّ الرمل من ثَغر الإسكندرية لحضر منهم جماعة كبيرةٌ وأنفق فيهم الأموال .

ثم عاد الأمير جَمَاس بمن معـه من المرج والزيّات وأخبر السلطان أنه لم يقف للقوم على خبر .

ثم خرج الأمير سُودون الطُّرُنْطائىّ فى ليلة الخميس فى عدّة من الأمراء والمماليك إلى قُبّـة النصر للحرس وسارت طائفـة أخرى إلى بِرْكة[2] الحبش وبات السلطان بالإسطبل السلطانى ساهرا لم يَنَم ومعـه الأميرُ سُودون الشيخونى النائب والأتابك قرا دِمِرداش الأحمدىّ ، بعـد أن عاد من بِرْكة الحبش وعدّة كبيرة من الممـاليك والأمراء .

ثم توجّه الأمير قَرَابُغَا الأبو بكرىّ أمير مجلس فى يوم الخميس أوّل جُمادى الآخرة إلى قُبّـة النصر ، ثم عاد ولم يقف على خبر ، كلُّ ذلك لضعف خيـول عساكر الناصرى وَكَلِّهم من السفر، فلم يجد الناصرىّ لهم مَنَعة ، فأقام بهـم على الصالحية ليتراجع أمرُهم و تعود قُواهم ، هذا والأمراء بالديار المصريّة لابسون آلة الحرب وهم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة .

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٧) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وفى ليلة الخميس المذكورة هرب من المماليك السلطانية آثنان ومن مماليك الأمراء جماعة كبيرة بعد أَخْذهم نَفقة السلطان (١) وساروا الجميع إلى الناصرىّ .

ثمّ طلب السلطان أجناد الحلقة ، فدارت النقباء عليهم فأحضروا منهم جماعة كبيرة فُرِّقوا على أبواب القاهرة ورُتِّبوا بها لِحفْظها .

ثمّ ندبَ السلطان الأمير ناصر الدين محمدا آبن الدوادارى أحد أمراء الطبلخانات ومعه جماعة لحفظ قَياسر القاهرة وأغلق والى القاهرة باب البَرْقِيّة . ثمّ رتّب السلطان النِّفطيّة على بُرج الطبلخاناه السلطانية وغيره بقلعة الجبل .

ثمّ قدم الخبر على السلطان بنزول طليعة الناصرىّ بمدينة بلبيس (٢) ومقدّمها الطواشى طُقْطاى الرومىّ الطّشْتَمُرىّ .

ثم فى يوم الجمعة نزلت عساكر الناصرى بالبئر البيضاء (٣) ، فأخذ عند ذلك عسكر السلطان يَتسلّل إلى الناصرى شيئًا بعد شىء ، وكان أوّل من خرج إليه من القاهرة الأمير جبريل الخُوارَزْمىّ ومحمد بن بَيْدَمُر نائب الشام وبجمان المحمدى نائب الإسكندرية وغريب الخاصّكىّ والأمير أحمد بن أَرْغُون الأحمدىّ [اللّالا] (٤) .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٨) : « نحو الخمسين » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) هذه البئر كانت من مراكز البريد وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٤٤ بالجزء الثامن من هذه الطبعة . وأضيف إلى ما سبق ذكره بتلك الحاشية أن بئر البيضاء لم تكن قرية بل كانت مركز بريد منفرد ليس حوله ساكنون وكان ضمن خط سير السعاة بين سرياقوس وبلبيس . وقد لفت نظرى أن مصلحة البريد المصرى وضعت اسم البئر البيضاء على الخريطة المرفقة بكتاب تاريخ البريد فى مصر المطبوع سنة ١٩٢٤ فى مكان قرية البيضاء إحدى قرى مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية وهذا الوضع خطأ لا يتفق مع الواقع ، لأن بئر البيضاء كانت واقعة بأرض ناحية الزوامل بمركز بلبيس بمديرية الشرقية بمصر كما ذكرت فى الحاشية السابقة .

(٤) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٨) .

ثمّ نصب السلطان السناجق السلطانيّة على أبراج القلعة ودُقّت الكوسات الحربيّة فاجتمعت العساكر جميعها وعليهم آلة الحرب والسلاح ثم ركب السلطان والخليفة المتوكل على الله معه من قلعة الجبل بعد العصر وسار السلطان بمن معه حتى وقفا خلف دار الضِّيافة وقد آجتمع حول السلطان من العامة خلائق لاتُحصى كَثْرةً ، فوقف هناك ساعة ثم عاد وطلع إلى الإسطبل[1] السلطانى وجلس فيه من غير أن يلق حرباً وصَعد الخليفة إلى منزله بقلعة الجبل ، وقد نزلت الذِّلّة على الدولة الظاهريّة وظهر من خوف[2] السلطان و بكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة عليه .

فلمّا غَرَبت الشمس صعد السلطان إلى القلعة و بات بالقصر السلطانى ومعه عامّة مماليكه وخاصّكيّته وهم عدّة كبيرة إلى الغاية .

ثمّ فى يوم السبت ثالث جُمادى الآخرة نزل الناصرى بعساكره بِرْكة[3] الحُبّ ظاهر القاهرة ، ومعه من أكابر الأمراء الأمير تُمُربُغا الأفضلىّ الأشرفىّ المدعو منطاش والأمير بُزْلار العُمَرى الناصرىّ حسن والأمير كمُشْبُغا الحموى اليلبُغاوى نائب طرابُلس كان والأمير أحمد بن يَلبُغا العُمرى أمير مجلس والأمير أيْدَكار حاجب الحجاب وجماعة أُخَر من أمراء الشام ومصر وغيرها .

ثمّ تقدمت عساكر الناصرىّ إلى المرج و إلى مسجد التِّبن[4] ، فعند ذلك غُلِّقت أبواب القاهرة كلُّها إلا باب زَويلة وأُغلقت جميع الدروب والخُوَخ وسُدّ باب القرافة وآنتشرت الزُّعر فى أقطار المدينة تأخذ ماظَفِرت به ممّن يستضعفونه .

(١) هذا الإسطبل داخل سور القلعة من الجهة الغربية التى تشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة ويتوصل إليه من باب العزب وسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) فى السلوك (ج ٣ ص ٥١٩) : « من جزع السلطان » .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ثمّ ركب السلطان ثانيا من القلعة ومعه الخليفة المتوكل على الله ونزل إلى دار الضّيافة فقدم عليه الخبر بأنّ طليعة الناصرىّ وصلت الى الخراب طرف الحُسينيّة فلقيتهم كشّافة السلطان فكسرتهم .

ثمّ ندب السلطان الأمراء فتوجهوا بالعساكر إلى جهة قبّة النصر ونزل السلطان ببعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار .

ثمّ عاد إلى الإسطبل السلطانىّ وصحبته الأمراء الذين توجّهوا لقبّة النصر والكوسات تدقّ وهم على أُهْبَة اللّقاء ومُلقاة العدو وخاصّكيّة السلطان حوله والنُّفوط لاتفترّ والرُّميلة قد امتلأت بالزُّعر والعامة ومماليك الأمراء ولم يزالوا على ذلك حتّى أصبحوا يوم الاثنين[1] و إذا بالأمير آقْبُغا الماردينىّ حاجب الحجاب والأمير جُمق ابن أيتَمُش البَجاسى والأمير إبراهيم بن طشْتَمُر العلائى الدوادار قد خرجوا[2] فى الليل ومعهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ولحقوا بالناصرىّ .

ثمّ أصبح السلطان من الغد وهو يوم خامس[3] جُمَادى الآخرة، فرّ الأمير قَرْقَماس الطّشتَمُرى الدوادار الكبير وقرا دمرداش الأحمدىّ أتابك العساكر بالديار المصرية والأمير سودون باق أمير مجلس ولحقوا بالناصرىّ وكانوا فى عدّة وافرة من المماليك والخدم والأطلاب الهائلة، ولم يتأخر عند السلطان من أعيان الأمراء إلا آبنُ عمه الأمير جَمَاس وسودون الشّيخُونى النائب وسودون طُرنْطَاى وتَمُربُغا المنجكىّ وأبو بكر ابن سُنقُر و بيبَرس التّمـان تَمُرىّ وشيخ الصفوىّ ومقدم المماليك شَنكل وطائفة من أمرائه مشتَرواته وخاصّكيّته والعجب أنّ السلطان كان أنعم فى أمسه على الأمراء

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٢٠) : «يوم الأحد» .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدم : «وقد فروا فى الليل» .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٢٠) : «وفى يوم الأحد رابعه فر الأمير قرقاس الطشتمرى . الخ» .

الذين توجّهوا للناصرى لكلّ أمير من أمراء الألوف عشرة آلاف دينار ولكل أمير طبلخاناه خمسة آلاف دينار وحلّفهم على طاعته ونصرته وأعطى فى ليلة واحدة للأمير الكبير قرادمرداش الأحمدىّ ثلاثين ألف دينار دُفعة واحدة وخاتما مُثَمّنا ، قيمته آلاف عديدة ، حتى قال له : قرادمرداش المذكور : يا مولانا السلطان روحى فِدَاؤك لا تخف مادمتُ أنا واقف فى خدمتك أنت آمن ، فشكره السلطان ، فنزل من عنده فى الحال رَكِب وخرج من باب القرافة وقطع الماء الذى يجرى إلى القلعة وتوجّه مع مَنْ ذكرنا من الأمراء إلى الناصرىّ ، فلم يلتفت الناصرىّ لهم ذاك الالتفات الكلّىّ ، بل فعل معهم كما فعل مع غيرهم ممّنْ توجّه إليه من أمراء مصر . انتهى .

ولمّا بلغ السلطان نِفَاقُ هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء ، علم أنّ دولته قد زالت ، فأغلق فى الحال باب زَوِيلةَ وجميع الدروب وتعطّلت الأسواق وآمتلأت القاهرة بالزُّعر واشتدّ فسادُهم وتلاشت الدولة الظاهريّة وآنحلّ أمرُها وخاف والى القاهرة حسام الدين بن الكورانىّ على نفسه ، فقام من خلف باب زويلة وتوجّه إلى بيته وآختفى وبَقِىَ الناس غوغاء وقطع المسجونون قُيُودهم بخزانة شمائل (1) وكسروا باب الحبس وخرجوا على حميّة جملة واحدة ، فلم يردّهم أحدٌ بشُغل كلّ واحد بنفسه وكذلك فعل أهل حبس الدَّيْلَم (2) وأهل سجن

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(2) لما تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر من بينها سجنا بآسم حبس الديلم ولكنه لم يفرده بذكر ، كما كتب عن السجون الأخرى وإنما أشار إليه عند الكلام على خوخة الصالحية (ص ٤٥ ج ٢) وعلى دار الصالح طلائع بن رزيك (ص٦٧ ج ٢) وهذا الحبس ينسب إلى حارة الديلم التى تكلم عليها المقريزى فى خططه (ص ٨ ج ٢) وتكلمنا عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الرَّحبة(١) ، هـذا والسلطان إلى الآن بقلعة الجبل والنُّفوط عمّـالة والكوسات تدقّ حربيا ، ثمّ أمر السلطان مماليكه فنزلوا ومنعوا العامة من التوجّه إلى يَلْبُغا الناصرىّ ،

= ويستفاد ممـا ورد فى الخطط التوفيقية عند الكلام على شارع الكعكيين (ص ٩٥ ج ٢) أن هذا الحبس كان مستعملا إلى القرن الثـانى عشر الهجرى بدليـل ما ورد فى كتاب وقف إبراهيم أغا أغاة طائفة ملوك عزبان المحرر فى سنة ١١٠١ هـ واشترط فيه أن يصرف ما يزيد عن لوازم الوقف للمسجونين بحبس الديلم وحبس الرحبة .

وبالبحث عن مكان هذا السجن تبين لى أنه كان موجودا إلى أول حكم محمد على باشا الكبير وقد هدمته الحكومة وباعت أرضه فى ذلك الوقت ومكانه اليوم زقاق السباعى وما على جانبيه من المبانى وكان باب السجن داخل عطفة التومى عند تلاقيها بزقاق السباعى ، حيث كان الباب فى أول الزقاق الذى اتصـل بعطفة التومى وصار طريقا واحدة توصـل الآن بين حارة خوشقدم وبين شارع الدرديرى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

(١) لمـا تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر بينها سجنا باسم حبس الرحبة ولكنه لم يفرده بذكر كما كتب عن السجون الأخرى . وهذا الحبس ينسب إلى رحبة باب العيد لأنه كان قائمـا فى خط تلك الرحبة .

ويستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه على قصر الحجازية (٧١ ج ٢) أن هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسـة الحجازية أنشأته خوند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمـد بن قلاوون وزوج الأمير ملكتمر الحجازى وبعد وفاتها سكنه الأمراء إلى أن وضع الأمير جمال الدين يوسف الأستادار يده عليه أثناء توليه أستادارية الملك الناصر فرج برقوق فعمل هـذا القصر سجنا يحبس فيـه من يعاقبه من الوزراء والأعيان فصار موحشا يروع النفوس ذكره لمـا قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة وفى سنة ٨٢٠ هـ فكرت حكومة ذلك الوقت فى جعله سجنا عاما لأرباب الجرائم ، على أن ينقل إليه بعض المسجونين من سجن باب الفتوح الذى ضاق بمن فيه بسبب هدم سجن خزانة شمائل التى هـدمها الملك المؤيد شيخ وأدخلها فى جامعه عند باب زويلة وشرعت الحكومة فعلا فى عمله سجنا وأزالت كثيرا من معالم ذلك القصر إلا أنه ترك ولم يتخذ سجنا بعد ذلك .

وبالبحث عن مكان سجن الرحبـة تبين لى أن مكانه اليوم مبنى مركز بوليس قسم الجمالية أحد أقسام مدينـة القاهرة وإدارة دمغ المصوغات وبيت المـال فيما بين ميـدان بيت القـاضى وشارع بيت المـال وشارع خان جعفر بقسم الجمالية بالقاهرة .

فرجمهم العامّة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنّشاب ، قتلوا منهم جماعة تزيد عدّتهم على عشر أنفس .

ثمّ أقبلت طليعة الناصرىّ مع عدّة من أعيان الأمراء من أصحابه، فبرز لهم الأمير بَخْاس ابن عمّ السلطان فى جماعة كبيرة وقاتلهم وأكثر الرَّمْى عليهم من فوق القلعة بالسِّهام والنفوط والحجارة بالمقاليع وهم يوالون الكرّ والفرّ غير مرة وثَبَتَتْ السلطانيّة ثباتا جيِّدا غير أنهم فى علم بزوال دولتهم .

هذا وأصحابُ السلطان تتفرّق عنه شيئا بعد شىء ، فمنهم من يتوجّه إلى الناصرىّ ومنهم مَنْ يختفى خوفا على نفسه، حتى لم يَبْقَ عند السلطان إلّا جماعة يسيرة ممن ذكرنا من الأمراء، فلمّا كان آخر النهار المذكور أراد السلطان أن يُسلّم نفسه ، فمنعه مَن بَقِىَ عنده من الأمراء وخاصكيّته وقالت مماليكه : نحن نقاتل بين يديك حتى نموت، ثم سَلِّمْ بعد ذلك نفسك فلم يثق بذلك منهم ، لكنه شكرهم على هذا الكلام والسعد مدبر والدولة زائلة .

ثمّ بعد العصر من اليوم المذكور قَدِم جماعة من عسكر الناصرىّ عليهم الطواشىّ طُقْطَاى الرومى الطَّشْتَمُرىّ والأمير بُزْلار العُمرى الناصرىّ وكان من الشجعان والأمير أَلْطُنْبُغَا الأشرفىّ فى نحو الألف وخمسمائة مقاتل، يريدون القلعة، فبَرَزَ لهم الأمير بُطا الطُّولُوتَمُرى الظاهرىّ الخاصّكى والأمير شُكُرباى[1] العثمانىّ الظاهرىّ وسودون شُقْرَاق والوالد، فى نحو عشرين مملوكا من الخاصكيّة الظاهريّة وتلاقَوْا مع العسكر المذكور صدموهم صدْمة واحدة كسروهم فيها وهزموهم إلى قبّة النصر ولم يُقْتَل منهم غير سودون شقراق ، فإنه أُمسك وأُتِىَ به إلى الناصرىّ فوسّطه فلم يَقْتُل

(١) فى هامش ف ٤١٥ جـ ٥ طبع أمريكا : «سكرباى» .

الناصرى فى هذه الوقعة أحدا غيره لا قبله ولا بعده ، أعنى صبرا ، غير أن جماعة كبيرة قُتِلوا فى المعركة وردَ الخبر بنُصْرتهم على الملك الظاهر، فلم يَغْتَرّ بذلك وعلم أن أمره قد زال، فأخذ فى تدبير أمره مع خواصّه، فأشار عليه مَنْ عنده أن يستأمِن من الناصرى ، فعند ذلك أرسل الملك الظاهر الأمير أبا بكر بن سُنْقُر الحاجب والأمير بَيْدَمُر المنجكي[1] شادّ القصر بالمَنْجَاة إلى الأمير يَلْبُغا الناصرى أن يأخذا له أمانًا على نفسه و يترقّقَا له ، فسارا من وقتهما إلى قُبّة النصر ودخلا على الناصرى وهو بمخيمه وآجتمعا به فى خلوة فآمنــه على نفســه وأخذ منهما منجاة الملك وقال الملك الظاهر : أخونا وخُشْدَاشُنا ولكنّه يختفى بمكان إلى أن تُخْمد الفتنة، فإن الآن كلّ واحد له رأى وكلام ، حتى نُدبِّر له أمرا يكون فيه نجاته ، فعادا بهذا الجواب إلى الملك الظاهر برقوق وأقام السلطان بعــد ذلك فى مكانه مع خواصه إلى أن صــلّى عشاء الآخرة وقام الخليفة المتوكل على الله إلى منزله بالقلعــة على العادة فى كل ليلة وبَقِىَ الملك الظاهر فى قليل من أصحابه ، أَذِنَ لسودون النائب فى التوجّه إلى حال سبيله والنظر فى مصلحة نفسه، فوادعه وقام ونزل من وقته . ثمّ فرّق الملك الظاهر بقية أصحابه ، فمضى كلّ واحد إلى حال سبيله .

ثم آستتر الملك الظاهر وغيّر صِفَته، حتى نزل من الإسطبل إلى حيث شاء ماشيًا على قدميْه ، فلم يَعرف له أحد خبرا وآنفضّ ذلك الجمع كله فى أسرع ما يكون وسكن فى الحــال دقّ الكوسات ورمى مدافع النفط ووقع النهب فى حواصل الإســطبل حتى أخذوا سائر ما كان فيــه من السُّروج واللُّجم وغيرها والعبيّ ونهبوا أيضا ما كان بالمَيْدان من الغنم الضأن وكان عدّتها نحو الألفى رأس ونهبت طباق المماليك بالقلعة

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٥٢٢) : « المجدى » .

وطار الخبر فى الوقت إلى الناصرى فلم يتحرك من مكانه ودام بمخيّمه وأرسل جماعة من الأمراء من أصحابه فسار من عسكره عدّة كبيرة وآحتاطوا بالقلعة .

وأصبح الأمير يَلْبُغا الناصرىّ بمكانه وهو يوم الآثنين خامس جُمَادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ونَدَب الأمير منْطاش فى جماعة كبيرة إلى القلعة، فسار منطاش إلى قلعة الجبـل فى جموعه وطلع إلى الإسطبل السلطانىّ فنزل إليه الخليفة المتوكّل على الله أبو عبدالله محمد وسار مع منطاش إلى الناصرى بقبّة النصر، حتى نزل بمُخيّمه، فقام الناصرى إليه وتلقّاه وأجلسه بجانبه ووانسه بالحديث .

هذا وقد آنضمّت العامّة والزُّعر والتُّركمان من أصحاب الناصرى وتفرّقوا على بيوت الأمراء وحواصلهم ، فنهبوا ما وجدوا حتى أخربوا الدور وأخذوا أبوابها وخشَبها وهجموا منازل الناس خارج القاهرة ونهبوها واستمرّوا على ذلك وقد صارت مصر غوغاء وأهلُها رعيّةً بلا راع، حتى أرسل الناصرى الأمير ناصر الدين محمد بن الحُسَام وقـد ولّاه ولاية القاهرة فسار ابن الحسام إلى القاهرة فوجد باب النصر مغلوقا، فدخل بفرسه راكبا من جامع الحاكم[(١)] إلى القاهرة وفتح باب النصر[(٢)] وباب الفتوح[(٣)] وعند فتح الأبواب طرق جماعة كبيرة من عسكر الناصرىّ القـاهرة ونهبوا منها جانبا كبيرا، فقاتلهم الناس وقتلوا منهم أربعةَ نفر ومرّ بالناس فى هذه الأيام شدائد وأهوال، وبلغ الناصرى الخبر فبعث أبا بكر بن سُنْقُر الحاجب وتَنْكز بُغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة فدخلاها .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

ثمّ نُودِىَ بها من قِبَلِ الناصرى بالأمان ومنع النّهب، فنزل تنكز بُغا المذكور عند الجَمَلُون(١) وَسْط القاهرة ونزل سيدى أبو بكر بن سُنْقُر عند باب زويلةَ وسكَن الحال وهدأ ما بالناس وأَمِنوا على أموالهم .

وأمّا النـاصرى، فإنّه لمـّا نزل إليه الخليفة وأكرمه، كما تقـدّم وحضر قضاه القضاة والأعيان للهناء، أمَرَهم الناصرىّ بالإقامة عنـده وأنزل الخليفة بخَيْم وأنزل القضاة بخيمة أخرى ، ثمّ طلب الناصرىّ مَن عنـده من الأمراء والأعيان وتكلم معهم فيما يكون وسألهم فِيمن يُنَصَّب فى السلطنة بعد الملك الظاهر برقوق، فأشار أكابرهم بسلطنة الناصرىّ فامتنع الناصرى من ذلك أشدّ ٱمتناع وهم يُلِحّون عليـه ويقـولون له : ما المصلحة إلا ما ذكرنا وهو يأبى وٱنفضّ المجلس من غير طائل، فعنـد ذلك تقـدّم الناصرى بكتابة مرسوم عن الخليفة ، وعن الأمير الكبير يَلْبُغـا الناصرىّ بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بثَغْر الإسكندرية وهم : أَلْطُنْبُغا الجوبانى نائب الشام وقَرْدم الحَسَنى وأَلْطُنْبُغا المعـلّم أمير سلاح وإحضارهم إلى قلعة الجبـل والجميع يلبُغاويّه ، فسار البريد بذلك ثم أمر الناصرى بالرحيل من قبّـة النصر إلى نحـو الديار المصرية وركب فى عالم كبير من العساكر نحو الستين ألفـا ، حتى إنه

---

(١) يقصد المؤلف سوق الجملون الكبير، لأنه فى وسط القاهرة ، وأما الجملون الصغير فهو بالقرب من باب الفتوح وباب النصر أى القسم الشمالى من القاهرة . وقـد تكلم المقريزى فى خططه على سوق الجملون الكبير (ص ١٠٣ ج ٢) فقال : إن هـذا السوق بوسط سوق الشرابشيين، يتوصل منه إلى البندقانيين وإلى حارة الجودرية وغيرها . ولمـا تكلم على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال : ثم يسلك أمامه شاقا فى سـوق الشرابشيين فيجد عن يمينه قيسارية ٱبن قريش وإلى سوق العطارين وغيرها .

وبالبحث عن مكان سـوق الجملون المذكور تبين لى أنه لا يزال باقيا فى حارة الجملون الواقعة فى الحد البحرى لجامع السلطان الغورى تجاه قبـة السلطان المذكور ، القائمـة فى مكان قيسارية أمير على بشارع المعز لدين الله فى القسم الذى كان يسمى شارع الغورية بالقاهرة .

كان عليق جمالهم فى كل ليـلة ألفا [وثلثمائة] (١) إردب فول وسار النـاصرى بخيوله وبجيوشه حتى طلع إلى القلعـة ونزل بالإسطبل السلطانى وطلع الخليفـة إلى منزله بقلعة الجبل ونزل كلّ أمير فى بَيْت من بيوت الأمراء بديار مصر وجلس الناصرىّ فى مجلس عظيم وحضر إلى خدمته الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الغنّام وموفّق الدين أبو الفـرج ناظر الخاص والقاضى جمال الدين محمود ناظر الجيش والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر الشريف وغيرهم من أرباب الوظائف ، فأمرهم الأمير الكبير بتحصـيل الأغنـام إلى مطـابخ الأمراء ونُودِى فى القاهرة ثانيـا بالأمان .

ثمّ رسم للأمير تَنْكِزْبُغا رأس نوبة بتحصيل [ممـاليك] (٢) الملك الظاهر برقوق ، فأخذ تنكزبغا يتتبّع أثره وأصبح النـاس فى يوم الثـلاثاء سادس جُمَـادى الآخرة فى هَرْج كبير ومقالات كثيرة مختلفة فى أمر الملك الظاهر برقوق .

ثمّ آستدعى الأمير الكبير يَلْبُغَـا الناصرىّ الأمراء واستشارهم فيمن يُنَصِّـبه فى سلطنة مصر ، فكثُر الكلام بينهم وكان غرض غالب الأمراء سلطنة الناصرىّ ماخلا مِنْطاش و جماعة من الأشرفيّة ، حتى آستقرّ الرأى على إقامة الملك الصالح أمير حاج آبن الملك الأشرف شعبان فى السلطنة ثانيـا ، بعد أن أعيا الأمراء أمر النـاصرىّ فى عدم قبوله السّلطنة وهو يقول : المصلحة سـلطنةُ الملك الصالح أمير حاج ، فإن الملك الظـاهر برقوقا خلعـه من غير موجب ، فطلعوا فى الحال من الإسطبل إلى القلعة وآستدعَوُا الملك الصالح وسلطنوه وغيّروا لقبه بالملك المنصور

---

(١) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٢٧) .

(٢) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٢٨) يقتضيها السياق .

على ما سنذكره فى أوّل ترجمته الثانية — إن شاء الله تعالى — بعد أن نذكر حوادث سنين الملك الظاهر برقوق كما هى عادة كتابنا هذا من أوّله إلى آخره .

وأمّا الملك الظاهر برقوق فإنّه دام فى ٱختفائه إلى أن قُبِض عليه بعد أيام على ما سَنحكيه فى سلطنة الملك الصالح مُفصّلا إلى أن يُسْجن بالكَرَك و يعود إلى مُلكه ثانيا .

قلت : وزالت دولة الملك الظّاهر برقوق كأن لم تكن — فسبحان من لا يزول مُلْكه — بعد أن حكم مصر أميرا كبيرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما ، تفصيله مدّة تَحكُّمه أميرا منذ قَبضَ على الأمير طَشْتَمُر العلائىّ الدوادار فى تاسع ذى الحجّة سنة تسع وسبعين وسبعمائة إلى أن جلس على تخت المُلْك وتلقّب بالملك الظاهر فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيّام . وكان يقال له فى هذه المدة : الأمير الكبير أتابك العساكر ومن حين تسلطن فى سنة أربع وثمانين المذكورة إلى يوم تَرَك الملك وٱختفى فى ليلة الآثنين خامس جُمَادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ست سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما ، فهذا تفصيل تحكُّمه على مصر أميرًا أو سلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما . وذهب مُلكه من الديار المصريّة على أسرع وجه مع عظمة فى النفوس وكثرة مماليكه وحواشيه ؛ فإنه خُلِع من السلطنة وله نحو الألفى مملوك مشترى ، غير من أنشأه من أكابر الأمراء والخاصكيّة من خُشْداشيّته وغيرهم ؛ هذا مع ما كان فيه من القوّة والشّجاعة والإقدام ، فإنّه قام فى هذا الأمر بالقوّة فى ٱبتداء أمره وتوثّب على الرئاسة والإمْرَة بيده دَفعةً واحدة حسب ما تقدّم ذكره ، ولم يكن له يوم ذاك عشرة مماليك مشتراة ، وأعجبُ من هذا ما سيكون من أمره فى سلطنته الثانية عند

خروجه من حبس الكرك وهـو فى غاية ما يكون من الفقر وقلّة الحاشية ومع هـذا يملك مصر ثانيـا ، كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا . وما أرى هـذا الذى وقع للملك الظاهر فى خلعه من المُلْك مع ما ذكرنا إلّا خِذْلانا من الله تعالى ولله الأمر .

وقال المقريزى — رحمه الله — : وكان فى سلطنته مخلّطا يخلّط الصالح بالطالح.

وممـا حكاه المقريزىّ قال : وكان له فى مدته أشـياء مليحة ، منها : إبطاله ما كان يؤخذ من أهل البرُلُّس[(١)] وشـورى[(٢)] وبَلْطِيم[(٣)] من أعمـال مصر شـبه الجالية فى كلّ سنة .

قلت : وقد تجدّد ذلك فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ثانيا فى سنة سبع وأربعين وثمانمائة : قال وهو مبلغ ستّين ألف درهم فضّة يعنى عن الذى كان يؤخذ من هذه الجهات المذكورة ، قال : وأبطل ما كان يُؤخَذ على القمح بثَغر دِمْياط من المكوس وما كان يُؤخذ من معمل الفراريج بالجيزيّة وأعمالها والغربية وغيرها ، وما كان يُؤخذ على الملح من المكس بِعينْتاب[(٤)] وما كان يؤخذ على الدقيق بالبيرة[(٥)] من المكس . وأبطل

(١) البرلس هى البلدة التى تعرف اليوم باسم البرج إحدى قرى مأمورية البرلس بمديرية العربية بمصر. وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٢٤٨ بالجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) شورى هى قرية من القرى التى بإقليم البرلس الواقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى شمال الدلتا وهذه القرية هى الآن من توابع بلدة البرج التى كانت تسمى قديما البرلس بمأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر .

(٣) بلطيم هى من القرى القديمة فى مصر اسمها الأصـلى « أطوم » وو ردت فى رحلة ابن بطوطة باسم « ملطين » وقال : إنها قرية قرب البرلس ، ووردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى : « بلطيم » من أعمال النستراوية وهى الآن قاعدة مأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر . وكانت بلطيم واقعـة فى زمام ناحية مالية باسم نصف شرق البرلس . وفى سنة ١٩٢٣ أصدر وزير المـالية قرارا بفصلها بزمام خاص بها من أراضى تلك الناحية وبذلك أصبحت ناحية مالية قائمة بذاتها .

(٤) عينتاب قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وهى الآن من أعمال حلب .

(٥) البيرة بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهى قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات فى البر الشرقى الشمالى ولها واد يعرف بواد الزيتون به أشجار وأعين .

أيضا ما كان يُؤخذ فى طرابُلُس عنـد قدوم النـائب إليها — من قضاة البرّ وولاة الأعمال عن كل واحد خمسمائة درهم وأبطل أيضا ما كان يؤخذ فى كلّ سنة من الخيل والجمال والبقر والغنم من أهـل الشرقيّة من أعمال مصر. وأبطل ما كان يؤخذ من المكس بديار مصر على الدريس والحَلْفاء خارج باب النصر . وأبطل ضمان المغانى بالكرك والشوبك ومن منية ابن خصيب[1] وزفتة من أعمال مصر وأبطل رَمى الأبقار بعد فراغ عَمَل الجسور على أهل النّواحى وأنشأ من العمائر فى هـذه السلطنة الأولى المدرسة بخطّ بين القصرين من القاهرة ولم يُعمَّر داخل القـاهرة مِثلُها ولا أكثر معلوما منها وله أيضا الصهريج والسبيل بقلعة الجبـل تجاه الإيوان وعمّر الطاحون أيضا بالقلعة وأنشأ جسر الشريعة على نهر الأردن بطريق الشام وطـوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا وجدّد خزائن السلاح بثَغر الاسكندريّة وعمّر سـور دمنهور بالبحيرة وعمّر الجبال الشرقيّة بالفيوم وزاوية البرزخ بدمياط وبنى قناطر بالقُدس وبنى بحيرة برأس وادى بنى سالم قريبا من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال : وكان حازما مهابا مُحبًّا لأهل الخير والعلم إذا أتاه أحد منهم قام إليـه ولم يُعرف أحد قبله من الملوك [الترك] يقوم لفقيه وقلّما كان يُمكّن أحدا منهم من تقبيل يده، إلا أنه كان محبًّا لجمع المـال وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فكان لا يكاد يُولّى أحدا وظيفة ولا عملا إلا بمال وفسد بذلك كثير من الأحوال وكان مُولَعا بتقديم الأسافل وحطّ ذوى البيوتات .

قلت : وهذا البلاء قد تضاعف الآن حتّى خرج عن الحدّ وصار ذوو البيوت مَعْيَرة فى زماننا هذا . انتهى .

---

(١) منية ابن خصيب هى المدينة التى تعرف اليوم باسم المنيا قاعدة مديرية المنيا بالوجه القبلى بمصر وقد سبق التعليق عليها بالجزءين : الخامس والسادس . وأما زفتى فهى قاعدة مركز زفتى بمديرية الغربية بمصر وسبق التعليق عليها باسم منية زفتى فى الحاشية رقم ٥ ص ٢٧٧ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

قال : وغيّر ما كان للناس من الترتيب . واشتَهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة : إتيان الذكران من اشتهاره بتقريب المماليك الحِسان وتظاهر البراطيل وكان لا يكاد يُولّى أحدا وظيفة إلا بمـال واقتدى بهذا الملوك من بعده وكساد الأسواق لشحه وقلة عطائه ، فمساوئه أضعاف حسناته . انتهى كلام المقريزىّ من هذا المعنى .

قلتُ : ونحن نشاحح الشيخ تقىّ الديـن المقريزىّ فى كلامه حيث يقول : وحَدَث فى أيامه ثلاثة أشـياء قبيحة ، فأمّا إتيان الذكران ، فأقول : البـلاء قديم وقد نسب اشتهار ذلك من يوم دخول الخراسانيّة إلى العـراق فى نوبة أبى مسلم الخراسانىّ فى سنة آثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة .

وأما اقتناؤه المـماليك الحسان، فأين الشيخ تقى الدين من مشترى الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى حِسان المـماليك بأغلى الأثمـان الذى لم يقع للملك الظاهر فى مثلها ، حتى إن الملك الناصر محمـد قدّم جماعة من ممـاليكه ممن شُغف بمحبّتهم وأنعم عليهم بتقادم ألوف بمصر ولم يُطرّ شارب واحد منهـم، مثل بكتَمُر الساق ويَلْبغا اليحياوى وألْطُنْبغا المـاردينى وقوصون ومَلِكْتَمُر الحجازى وطُقُزْدَمُر الحموى وبَشْـتاك وطُغَاى الكبير وزوّجهم بأولاده ، فحينئذ الفرق بينهما فى هـذا الشأن ظاهر . وأما قوله : أخذَ البراطيل، فهذا أيضا قديم جدّا من القرن الثالث وإلى الآن، حتى إنه كان فى دولة الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون ديوان يعرف بديوان البَذْل (أعنى بديوان البِرْطيل) وشاع ذلك فى الأقطار وصارَ مَنْ له حاجة يأتى إلى صـاحب الديوان المذكور ويبذل فيما يَرُومه من الوظائف وهذا شىء لم يصل الملك الظاهر برقوق اليه .

وأما شُحّـه فهو بالنسبة لمن تقدّمه من الملوك شحيح وإلى مَن جاء بعـده كريم والشيخ تقى الدين ـــ رحمه الله ـــ كان له انحرافات معروفة تارة وتارة ولولا ذاك

ما كان يَحْكِى عنه فى تاريخه السلوك قوله : ولقـد سمعت العبد الصالح جمال الدين عبد الله السكسرىّ[١] المغربى يخبرنى[٢] — رحمه الله — أنه رأى قردا فى منامه صعد المنبر بجامع الحاكم فخطب ثم نزل ودخل المحراب ليصلّى بالناس الجمعة ، فثار الناس عليه فى أثناء صلاته بهم ، فأخرجوه من المحراب وكانت هذه الرؤيا فى أواخر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ثمـان وسبعين وسبعمائة ، فكان ذلك تقدّم الملك الظاهر برقوق على الناس وسلطنته تأويل هذه الرؤيا ، فإنه كان مُتَخلّقا بكثير من أخلاق القِرَدة شُحا [وطمعا][٣] وفَسادا ولكن الله يفعل ما يريد ولله الأمر من قبل ومن بعد . انتهى كلام المقريزى .

قلت : وتعبير الشيخ تقى الدين لهذه الرؤيا أن القرد هو الملك الظاهر فليس بشىء من وجوه عديدة ، منها : أن برقوقا لم يتسلطن بعد قتل الملك الأشرف إلا بعد أن تسلطَن ولد الملك الأشرف الملك المنصور علىّ وولده الملك الصالح أمير حاجّ . ثم تسلطن برقوق بعد ستّ سنين من وفاة الأشرف ومنها : أن الناس لمّـا أخرجوا القرد فى أثناء الصلاة كان ينبغى أن يعود و يصلّى بالناس بعـد إخراجه ثانيا صلاة أطْول من الصّلاة الأولى ، فإن برقوقا لمـا خُلِـع عاد إلى السلطنة ثانيا ومكثَ فيها أكثر من سلطنته الأولى حتى كانت تطابق ماوقع لبرقوق وقولُنا : إن الشيخ تقى الدين كان له تارات يُشْكُر فيها وتارات يُذم فيها ، فإنه لمـا صحب الملك الظاهر المذكور فى سلطنته الثانيـة وأحسن إليـه الظاهر أمعَن فى الثناء عليه فى عِدّة أماكن من مُصنفاته ونَسِى مقالته هذه وغيرها وفاته أن يغيِّر مقالته هذه ، فإنه أمعَن ، و يقال

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٢٥) : « السيسوى » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدم : « يخبر أبى رحمهما الله » .

(٣) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٢٦) .

فى المثل من شكر وذمّ ، فكأنما كذّب نفسه مرّتين . وبإجماع الناس أن الملك الظاهر برقوقا كان فى سلطنته الأولى أحسن حالا من سلطنته الثانية ، فإنه آرتكب فى الثانية أمورا شنيعة : مثل قتل العلماء و إبعادهم والغضّ منهم ، لمّا أفتوا بقتاله عند خروجه من الكرك ونحن أعرف بأحوال الملك الظاهر وآبنه الناصرمن الشيخ تقى الدين وغيره و إن كان هو الأسنّ ، ولم أرد بذلك الحطّ على الشيخ تقىّ الدين ولا التعصّب للملك الظاهر ، غير أن الحق يُقال والحق المحض فيه أنّه كان له محاسن ومساوئ وليس للإمعان محلٌّ ، كما هى عادة الملوك والحكّام . وبالجملة فهو أحسن حالا ممن جاء بعده من الملوك بلا مُدافعة . والله تعالى أعلم .

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، على أن الملك الصالح حاجّيًا حكم منها إلى تاسع عشر شهر رمضان ثم حكم الملك الظاهر فى باقيها .

وفيها تُوُفّى قاضى قضاة الحنفيّة بدمَشق هُمَام الدين أمير غالب ابن العلّامة قاضى القضاة قوام الدين أمير كاتب الإتقانى الفارابى الاتزارى الحنفى ، ولِىَ أوّلا حِسْبَة دمشق ثم القضاء بها ، وكان قليل العلم بالنسبة إلى أبيه ، إلّا أنه كان رئيسا حسن الأخلاق كريم النفس ، عادلا فى أحكامه وكان فى ولايته يعتمد على العلماء من نوّابه ، فمشى حالُه وشُكِرت سيرتُه إلى أن مات فى جُمَادى الأولى .

وتُوُفّى قاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب آبن الشيخ كمال الدين أحمد آبن قاضى القضاة علم الدين محمود(١) بن أبى بكر بن عيسى [بن بَدْرَان](٢) السعدىّ

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٣) : « علم الدين محمد » .
(٢) التكلة عن السلوك المصدر المتقدم .

الإخنائى المـالكىّ . وُلِدَ فى حدود العشرين وسبعمائة وتولّى القضاء بعـد موت القاضى برهان الدين إبراهيم الإخنائى وكان ضعيفا ، فجاءه التشريف من الملك الأشرف شعبان وأُلْقِىَ عليه على لحافه ، فلما عُوفِىَ لَبِسه و باشر القضاء وحسُنت سيرتُه إلى أ ن صُرِف بعلم الدين سليمان بن خالد بن نُعَيْم البِساطى فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ثم أُعِيد فى صفر سـنة تسع وسبعين وعُزِل فى السنة بالبساطىّ ثانيا ولزم دارَه إلى أن مات . وكان خيرًا ديِّنا مشكور السيرة .

وتُوفِّى الوزير الصـاحب كَرِيم الدين عبـد الكريم ابن الرُّوَيْهِب[1] فى سابع عشر شهر رمضان ، وقـد اتّضع حالُه وافْتقر وكان من أعيان الأقبـاط وباشر عِدّة مباشرات ، منها الوزرُ ونظرُ الدولة والاستيفاء وغير ذلك .

وتُوفِّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن عمـر بن محمـد ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد ابن دَقِيق العيد[2] موقِّع الحُكم فى خامس عشر صفر .

وتُوفى الشيخ جمال الدين محمد بن علىّ [بن يوسف][3] الأسوانىّ[4] فى يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأوّل وكان معدودا من الفضلاء .

وتوفى الأمير فخر الدين إياس بن عبـد الله الصَّرْغَتْمشىّ الحاجب أحد أمراء الطبلخانات فى ثالث شهر ربيع الآخر وكان فيه شجاعةٌ وعنـده كرم وتعصُّب لمن يلوذ به .

(١) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٤٩ ب) : « فى سابع عشرين شهر رمضان » .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٣) : « فى خامس عشرين صفر » .

(٣) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٤) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « الإسنوى » .

وتُوفّى الشيخ الإمام عزّ الدين عبد العزيز بن عبــد الحق(١) الأسيوطى الشافعى فى يوم الأحد(٢) عاشر ذى القعدة بعدما تصدّر للاشتغال والإفتاء عدّة سنين ودرّس بعدّة مدارس وكان من أعيان الشافعية .

وتُوفى الأمير زين الدين زُبالة الفارِقانىّ نائب قلعة دمشق بها فى شعبان .

وتُوفى السلطان الملك المعزّ حســين بن أُوَيْس آبن الشــيخ حسن بن حسين ابن آقبغا بن أَيْلكان المنعوت بالشيخ حسين سلطان بغداد وتَبْرِيز وما والاهما وكان سِبْط ألقان أرغون بن بو سعيد ملك التتار . وَلِى سلطنة بغداد فى حياة أبيه، لأن والده أُوَيْسا ، كان رأى منــاما يدلّ على موته فى يوم معين ، فآعتزل المُلْك وسلطن ولده هذا وقد تقدّم ذكرُه فى ترجمة والده المذكور فى ســنة ست وسبعين وسبعمائة . ودام الشيخ حسين هــذا فى المُلك إلى أن قتــله أخوه السلطان أحمــد ابن أُوَيْس وملك بغداد بعــده بإشارة نَجَاشيخ الكَجْحانىّ فى هذه السنة . وكان الشيخ حسين هذا ملكا شابا جميــلا(٣) جليلا شجاعا مِقداما كريما مُحبَّبا للرعية كثير البر قليــل الطمع ، ولقــد كانت العراق فى أيامه مطمئنة معمورة إلى أن ملكها أخوه أحمد بعــده فآضطربت أحوالها إلى أن قُتِــل ، ثم ملكها قرا يوسف وأولاده ، فكان خراب العراق على أيديهم . وبالجملة فكان الشيخ حسين هذا هو آخر ملوك بغداد والعراق .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ستة أذرع ونصف . مبلغ الزيادة عشرون ذراعا وثلاثة أصابع . وهى سنة الغَرَق لعظَم زيادة النيل .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٣) : « ابن عبد الخالق » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى الحجة » .

(٣) تكملة عن المنهل الصافى « ص ٤٢ ج ٢ (أ) » .

السنة الثانيـــة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر وهى سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّيَ الأديب المقرئ الفاضل شهاب الدين أبو العبـاس أحمد بن يحيى آبن مخـلوف بن مُرّ[1] بن فضل الله بن سـعد بن ساعد السعدىّ الأعرج الشاعر المشهور . كان لديه فضيلة وعلا قدرُه على نظم الشِّعر، وكان عارفاً بالقراءات، وقال الشعر وسنُّه دون العشرين[2] سنة . ومن شعره رحمه الله : [الكامل]

إنّ الكريمَ إذا تجّس عِرضُه * لو طَهّـــرُوه بزمزمٍ لم يَطهُرِ

مِمّا آعتراه من القَذَاوَةِ والقذى * لم يَنْقَ من نجِسٍ بسبعة أبحــرِ

وتُوفى الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله من صديق المعروف بالخطائى وهو مجرّد بالإسكندرية ، كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ورأس نوبة ، وكان ممن انضمّ على الأمير بركة الجُوبانىّ، فقَبضَ عليه برقوق وحبسه مدّة ثم أفرج عنه وأعاده على إمرته إلى أن مات . وخلَّف موجودا كبيرا آستولى عليـه ناظر الخاص .

وتُوُفِّيَ الأمير سيف الدين بَلَاط بن عبـد الله السَّيفى المعروف بالصـغير أمير سلاح وهو بطرابلس فى جُمادى الأولى، وكان حَشِما وقورا مشكور السيرة .

وتوفى الأمير سيف الدين تَمُربای بن عبد الله الأفضلىّ الأشرفىّ نائب صفد بها فى جمـادى الأولى ، وكان من أعيان المماليك الأشرفية وقد تقدّم أنّه ولِيَ نيابة

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٣٥) : « ابن محمد ... الخ » .

(٢) رواية المنهل الصافى (ح ١ ص ١٧١ ب) : « دون عشرسنين » .

حلب وغيرها ، ثم عزله الملك الظاهر فنقله فى عدة بلاد إلى أن ولّاه نيابة صفد ، فمـات بها .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام عَلَم الدين سليمان بن شهاب الدين أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن [بن أبى الفتح بن هاشم] [١] العسقلانىّ الحنبلىّ ، أحد فقهاء الحنابلة فى ثالث [عشرين] [٢] جمادى الآخرة .

وتوفى قاضى قضاه الشافعية بدِمَشق وَلِىّ الدين عبـد الله ابن قاضى القضاة بهاء الدين [٣] أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمّـام السبكى الشافعى بها فى هذه السنة .

وتوفى الأمير سـيف الدين قُطْلوبُغَا بن عبد الله الكوكائىّ حاجب حُجّاب دمشق فى سادس المحرّم . وكان أصله من ممـاليك الأمير كوكاى ، وترقى إلى أن صار من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية ، ثم ولى إمرة سلاح ، ثم نُقِل إلى حجوبية الحجّاب فى أوّل سلطنة الملك الظاهر برقوق عوضا عن سُودون الفخرىّ الشيخونىّ بحكم ٱنتقال سودون إلى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، فدام قُطْلوبُغَا هذا فى وظيفة الحجوبيّة إلى أن مات وشَغَرت الوظيفة وهى الحجوبية من بعده أربع سنين إلى أن وَليها أيدَكار العُمرىّ .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله دَوادار الأمـير الكبير طَشْتَمُر العلائىّ فى هذه السنة . وكان من جملة أمراء الطبلخانات بديار مصر ، وكان عارفا عاقلا مدبِّرا وله وجاهة فى الدول .

---

(١) تكملة عن السلوك (ح ٣ ص ٤٣٥) .

(٢) التكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقدّم (شهاب الدين) .

وتُوُفِّى الأمير شرف الدين موسى بن دَنْدار[1] بن قَرَمان أحد أمراء الطبلخانات فى ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى .

وتوفى مُسْتَوْفِى ديوان المرتجع أمين الدين عبد الله المعروف بجُعَيْص[2] الأسلمىّ فى [ثالث عشر[3]] المحرّم . كان من أعيان الكُتّاب القِبْطيّة .

وتُوفى القاضى شرف الدين موسى ابن القاضى بدر الدين محمد بن محمد ابن العلّامة شهاب الدين محمود الحلبى الحنبلى ، أحد موقّعى الدَّست بمدينة الرَّملة عائدا من القاهرة إلى دمشق فى رابع عشرين صفر، وكان من بيت كتابة وفضل .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانية أذرع سواء . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا . والله تعالى أعلم .

*

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر وهى سنة ست وثمانين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى الأمير سيف الدين بَهادُر بن عبد الله الجمالىّ المعروف بالمُشْرِف، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وأمير حاج المحمل فى ذى القعدة بعيون القصب[4] من طريق الحجاز وبها دُفِن وقبره معروف هناك . وكان مشكورَ السيرة، ولِىَ إمرة الحاج غير مرّة . رحمه الله تعالى .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٢٦) : « ابن دينار » .

(٢) هذه رواية (م) . وفى هامشها « بمعيص » . وفى السلوك (ج ٣ ص ٤٢٦) عبد الله ابن « حصيص » وبعد بحث طويل لم نعرف وجه الصواب فيه .

(٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٢٦) .

(٤) عيون القصب هى منزلة على البحر الأحمر فى طريق الحج بين العقبة والمويلح وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٠٥ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوُفِّى قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نُعَيْم بن مُقَدم ابن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائى البساطىّ المالكى قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية وهو معزول فى يوم الجمعة سادس عشر صفر وقد أناف على الستين سنة ، وأصل آبائه من قرية شَبْرا بَسْيون[(1)] بالغربية من أعمال القاهرة وُلِد هو ببساط[(2)] وكان فقيها فاضلا بارعا وَلِىَ قضاء مصر فى الدولة الأشرفيّة شعبان عوضا عن بدر الدين الإخنائىّ، بعد عزله و باشر بعفّة وتقشُّف واطّراح التكلُّف، حتى عُزِل فى سنة ثلاث وثمانين ولَزِم دارَه حتى مات .

---

(١) هى من القرى القديمة ، وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى من أعمال الغربية واستمرت معروفة بهذا الاسم إلى القرن الهجرى الماضى ، وفى سنة ١٢٥٩ ﻫ قيدت فى المكلفات باسم بسيون أى بحذف الصدر وهو اسمها الحالى . وبسيون الآن بلدة كبيرة من بلاد مركز كفر الزيات بمديرية الغربية . والظاهر أن هذه القرية كان اسمها مقيدا فى دفاتر الدواوين باسم شبرا بسيون وعلى لسان العامة بسبون بدليل أنها وردت فى حرفى الباء والسين فى قوانين الدواوين لابن مماتى ، ووردت فى كتب القبط شبراصا لقربها من بلدة صا الحجر . وكانت بسيون قاعدة لقسم بسيون أحد أقسام مديرية الغربية من سنة ١٨٢٦ . وفى سنة ١٨٧١ نقل ديوان المركز والمصالح الأميرية الأخرى من بسيون إلى مدينة كفر الزيات ، لوقوعها على السكة الحديدية الرئيسية الموصلة من مصر إلى الإسكندرية ولتوسطها بين بلاد المركز . وتبلغ مساحة أراضيها ٣٧٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ١٤٠٠٠ نفس .

(٢) يوجد اليوم بمصر بلدتان : «باسم بساط» وهما بساط التى بمديرية الغربية و بساط كريم الدين التى بمديرية الدقهلية ، والبلدة التى يقصدها المؤلف هى بساط التى فى الغربية ، وهى قرية قديمة اسمها المصرى « بسيا » والرومى « بياسنا » والقبطى « بسوط » وسماها العرب « بسوط قروص » تمييزا لها من بسوط أنقونيانة وهى بساط كريم الدين التى بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية ، كما ورد فى كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى ضمن أعمال السمنودية ، ثم حرف اسمها ، فوردت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان باسم بساط قروص من أعمال الغربية . وفى تاريع سنة ١٢٢٨ ﻫ بساط من غير تمييز وهو اسمها الحالى و يقال لها بساط النصارى لكثرة عددهم بها . وهى الآن إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية بمصر . تبلغ مساحة أراضيها ٢١٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٢٥٠٠ نفس .

وتُوفى الأمير سيف الدين طُنُج المحمّدى أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية، بعد أن أُخْرِج منفيًّا إلى دِمَشق، فمات بها وكان من أعيان الأمراء .

وتُوُفىَ العلّامة أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفى المصرى المولد والدار والوفاة، كاتب السر الشريف بالديار المصرية فى يوم السبت ثانى ذى الحجّة . وكان فقيها فاضلا عالمـا مُفْتيًا مشاركا فى عدّة علوم مع رياسة وحشمة، خَدَم عند الملك الظاهر برقوق موقّعا، فلمّا تسلطن ولّاه كتابة السر بالديار المصرية، فى شوّال سـنة أربع وثمـانين وسبعمائة، بعـد عزل القاضى بدر الدين محمـد بن فضـل الله فباشر الوظيفة بحُرْمة وافرة وحسُنت سـيرتُه وعظُم فى الدولة، فعاجلته المنيّة وعمرُه سبع وثلاثون سنة فى عُنْفُوان شبيبته وأُعِيـد بدر الدين بن فضل الله من بعده إلى كتابة السر .

وتُوُفِّى القاضى تقيّ الدين عبد الرحمن آبن القاضى محب الدين محمد بن يوسف ابن أحمد بن عبد الدائم [التَّيْمِيّ][1] الحلبى الأصل المصرى الشافعى ناظر الجيوش المنصورة فى ليلة الخميس سادس عشر جُمادى الأولى . وسبب موته أن الملك الظاهر برقوقا غَضِب عليه بسبب إقطاع زامل أمير العرب وضربه بالدواة ثم مدّه وضربه نحـو ثلاثمـائة عصاة، فحُمِل إلى داره فى مِحَفّـة ومات بعـد ثلاثة أيام أو أكثر .

وتُوُفِّى الأمير جمال الدين عبد الله آبن الأمير بكتَمُر الحسامىّ الحاجب أحد أمراء الطبلخاناه فى يوم الأربعاء خامس عشر جُمادَى الأولى بداره خارج باب النصر .

---

(١) تكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٤٨) .

وتُوفى الأمير علاء الدين على بن أحمد بن السائس الطَّيْبَرْسِىّ أستادار خَوَنْد بركة أمّ الملك الأشرف شعبان فى سادس شوّال وكان من أعيان رؤساء الديار المصرية وله ثروة .

وتوفى العلّامة قاضى القضاة صدر الدين محمد ابن قاضى القضاة علاء الدين على ابن منصور الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية ، وهو قاض فى يوم الآثنين عاشر شهر ربيع الأوّل وقد أناف على ثمـانين سنة فى ولايته الثانية وتولّى القضاء عوضه قاضى القضاة شمس الدين الطرابُلُسِىّ وتولى مشيخة الصرغتمشيّة من بعده العلّامة جلال الدين التبّانى . قال العينى — رحمه الله — كان إماما عالمـا فاضلا كاملا بَحْرًا فى فروع أبى حنيفــة مستحضِرا قويًّا ، وكان ريِّض الخُـلُق كثير التواضع والحِـلْم لَيِّنَ الجانب جميلَ المعـاشرة حسنَ المحاضرة والمذاكرة معتمدا على جانب الصدق فى أقواله وأفعاله سعيدا فى حركاته وسكناته . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى العــلّامة إمامُ عصره ووحيد دهره وأُعْجُوبة زمانه أكملُ الدين محمد بن محمد(١) بن محمود الرومى البَابَرْتِى(٢) الحنفىّ شيخ خانقاة شيخون(٣) فى يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان وحضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه ومشى أمام نعشه من مصـلّاة المُؤمنىّ إلى أن وقف على دَفْنــه بقُبّة الشيخونيّة ، بعــد أن همّ على أن يَحْمِل نعشَه غير مرة فتحمَّلَهُ أكابر الأمراء عنه . كان واحدزمانه فى المنقول والمعقول ونالته السعادة والجاه العريض حتى إن الملك الظاهر برقوقا مع عظمته كان ينزل فى موْكبه و يقف على باب خانقاه شيخون ، حتى يتهيّأ الشيخ أكمل الدين للركوب

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٤٩) : « ابن محمد » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٤ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

و يركب و يسير مع الملك الظاهر ، وقع له ذلك معــه غير مَرّة وهو الذى كان سببا لقيــام الملك الظاهر برقوق للقضاة ، فإنه كان يقــوم له إذا دخل عليــه ولا يقوم للقضاة ، لمــا كانت عادة الملوك من قبله فكمّلة الشيخ أكمل الدين هــذا فى القيام للقضاة ، حتى قام لهم وصارت عادةً إلى يومنــا هذا . و بعــد موته جلس الشيخ سراج الدين البُلْقِينِيّ عن يمين السلطان ، وقد آستوعبنا أحــواله فى المنهــل الصافى بأطول من هذا .

وتُوُفّى قاضى مكّة وخطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن على العُقَيْلِيّ النُّوَيرى الشافعى بمكة فى يوم الأربعاء[1] ثالث عشر شهر رجب .

وتُوُفّى عالِمُ بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن على [بن][2] الكَرْمانِيّ البغدادى الشافعيّ شارح البُخارِى فى المحرّم بطريق الحجاز وحُمِل إلى بغداد ودُفن بها . ومولده فى جُمَادى الآخرة سنة سبع عشرة[3] وسبعمائة وكان قَدِم مصر والشام . رحمه الله .

وتُوُفّى صائم الدهر الشيخ محمــد بن صديق التِّبْرِيزِيّ الصوفىّ فى ليلة الآثنين خامس عشر شهر رمضان بالقاهرة ، أقام [نيِّفا و][4] أربعين سنة يصوم (الدهر)[5] ويُفطِر على حِمّص بفَلْس لايَخْلِطه إلا بالمِلْح فقط . وكان على قَدَم هائل من العبادة .

وتُوُفّى الأمير الطواشى شِبْل الدولة كافور بن عبد الله الهندى الزُّمُرُّدِى الناصرى حسن فى ثامن شهر ربيع الأول وقد عُمِّر طويلا وهو صاحب التربة بالقرافة .

---

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٤٩) : « فى ليلة الأربعاء ... الخ » .

(٢) تكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٤٩) .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقدم : « تسع عشرة » .

(٤) التكلة عن السلوك المصدر المتقدم .

(٥) تكلة عن السلوك المصدر المتقدم .

وتُوُفِّىَ الأمير الكبير سيف الدين طَشْتَمُر بن عبــد الله العلائىّ الدوادار . كان من أجلّ الأمراء وهو أوّل دوادار وَلِيها بتقدمة ألف، ثم وَلِىَ نيابة الشام ثم أتابك العساكر بالديار المصرية إلى أن رَكِب عليه الملك الظاهر بَرْقوق قبل سلطنته وقَبَض عليه وحبسه مدّة وولى الأتابكيّة من بعــده ثم أخرجه إلى القــدس بطّالا، ثم ولّاه نيابة صفد ثم حماة إلى أن مات . وكان ديّنا خَيّرا وله مشاركة فى فنون وفيــه محبة لأهل العلم والفضل وكان يكتب الخطّ المنسوب ويُحِب الأدب والشعر .

وتُوُفِّىَ تاج الدين موسى بن سعد الله(١) بن أبى الفرج ناظر الخاصّ وهو معزول وكان يُعرف بآبن كاتب السعدىّ وكان من أعيان الأقباط .

وتُوُفِّىَ تاج الدين بن وزير بيته الأسلمىّ ناظر الإسكندرية بهــا فى شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المــاء القديم ثمانيــة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثمانية أصابع .

*
* *

السنة الرابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة سبع وثمانين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّىَ قاضى قضاة الحنفية بحلب تاج الدين أحمــد بن شمس الدين محمــد ابن محمد(٢) بدمشق فى هذه السنة، وكان فقيها فاضلا محدثا أديبا شاعرا ومات عن سنّ عاليـــة .

---

(١) رواية السلوك (ح ٣ ص ٤٥٠) : «ابن سعد الدين» .

(٢) رواية السلوك (ح ٣ ص ٤٥٧) : «محمد بن محبوب المحدّث» .

وتُوُفِّي[1] القاضى جمال الدين إبراهيم آبن قاضى قضاة حلب ناصر الدين محمد آبن قاضى قضاة حلب كمال الدين عمر آبن قاضى قضاة حلب عز الدين [أبى البركات[2]] عبد العزيز آبن الصاحب فخر[3] الدين محمد آبن قاضى القضاة نجم الدين [أبى الحسن[4]] أحمد آبن قاضى القضاة جمال الدين [أبى الفضل[5]] هبة الله آبن قاضى قضاة حلب محب الدين محمد آبن قاضى قضاة حلب جمال الدين هبة الله آبن قاضى قضاة حلب محب الدين أبى غانم محمـد آبن قاضى قضاة حلب جمال الدين هبة الله آبن القاضى نجم الدين أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد ابن عامر بن أبى جَرَادَة بن ربيعـة الحنفى المعروف بآبن العديم . مات عن نيّف وسبعين سنة .

قلت : هـو من بيت علم ورياسة وقد تقـدّم ذكْرُ جماعة من أقاربه ويأتى أيضا ذكْرُ جماعة منهم ، كلٌّ واحد فى محلّه ، إن شاء الله تعالى .

وتُوُفِّي رئيس التُّجّار[6] زكىّ الدين أبو بكر بن علىّ الخَرُّوبىّ المصرىّ بمصر القديمة فى يوم الخميس تاسع عشر المحرّم وخَلَّف مالا كبيرا .

وتُوُفِّي الأمير فخر الدين عثمان بن قارا[7] بن [حَيَّار][8] بن مهنّا بن عيسى بن مهنّا أمير آل فضل بالبلاد الشامية فى شهر ربيع الأوّل وكان من أجلّ ملوك العرب .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف ذكر له ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٩ ب) وذكر فيها ألقابا كثيرة لأجداده وهى تختلف عما ورد فى السلوك للقريزى .
(٢) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٧) .
(٣) رواية السلوك المصدر المتقدم : (ابن الصاحب محيى الدين أبى عبد الله محمد) .
(٤) تكملة عن السلوك المصدر المتقدم . (٥) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .
(٦) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤٨٤ ب) .
(٧) فى الأصلين : (قازان) وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٧٢ (ب)) .
(٨) التكملة عن الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٤٤٧) .

وتُوُفِّى الأمير سـيف الدين قَرَا بلاط بن عبـد الله الأحمـدى اليُلبُغاوىّ نائب الإسكندرية بها فى [نصف](١) شهر ربيع الآخر. وكان من أكابر ممـاليك الأتابك يلبُغَا العُمَرى الخاصّكى .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم نجم الدين أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين ابن عبد المحسن الراسوفىّ الدمشقى الشافعىّ المعروف بابن الحبّال فى جُمَادى الآخرة، — بعد عوده من مصر — بدمشق . وكان فقيها عالمـا متبحِّرا فى مذهبه، آنتهت إليه رياسة مذهب الشافعىّ بدمشق فى زمانه وتصدّى للإفتاء والتدريس والإشغال سنين عديدة .

وتُوُفِّى السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد بن النقيب جمال الدين أحمد آبن النقيب شمس الدين محمـد بن أحمـد الحَرَّانى الحلبى الحنفى عن سبع وأربعين سنة ولم يَلِ نقابة الأشراف .

وتُوُفِّى الشيخ الأديب شهاب الدين أحمـد بن عبد الهادى بن أحمـد المعروف بالشاطر الدمنهورىّ الشـاعر المشهور بعقبـة أيلا(٢) متوجِّها إلى الحجاز الشريف، فى العشر الأول من ذى القعدة . ومولده فى سـنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . وكان أديبا بارعا فاضلا، بارعا فى فنون لا سيّما : فى المترجم ونظم القَرِيض . ومن شعره فى مِرْوَحة : [الطويل]

ومخطوبةٍ فى الحرّ من كل هاجرٍ * ومهجورة فى البرد من كلّ خاطبِ
إذا ما الهوى المقصورُ هيَّج عاشقًا * أتت بالهوى الممدودِ من كل جانبِ

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٨) .
(٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين [أحمد](١) آقبُغا بن عبد الله الدَّوَادار فى شهر ربيع الآخر، وكان من المماليك اليلبُغاويّة من حزب خشداشية الملك الظاهر برقوق .

وتُوفى الرئيس شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن سَبْع العَبْسى" مستوفى ديوان الأحباس فى ثامن [عشر](٢) شعبان وكان معدودا من أعيان الديار المصرية .

وتُوفّى قاضى القضاة زَيْن الدين عبد الرحمن بن رُشْد المـالكىّ ، قاضى قضاة حلب بها . وكان معدودا من فقهاء المـالكية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

*
* *

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

فيها تُوفّى القاضى بدر الدين أحمـد بن شرف الدين محمد آبن الوزير الصاحب فخر الدين محمـد آبن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنّاء فى يوم الجمعة تاسع عشرين جُمادَى الآخرة بمدينة(٣) مصر عن نيّف وسبعين سنة. وكان فقيها عالمـا مُفتنًّا أديبا معدودا من فقهاء الشافعية . ومن شعره : [الكامل]

هُنِّئتَ ياعودَ الأراكِ بثغــره * إذْ أنت للأوطان غيرُ مفـارِقِ
إن كنتَ فارقتَ العقيقَ وبارقاً * ها أنت ما بين العُذَيْبِ وبارقِ

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٨).
(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .
(٣) يريد بمدينة مصر : الفسطاط (مصر القديمة) .

قلت : وأحسن من هذا قول ٱبن دِمرداش الدِّمَشقىّ فى المعنى: [الطويل]

أقول لِمسْواكِ الحبيبِ لك الهنا * بلثم فمٍ ما ناله ثغــرُ عاشقِ
فقال وفى أحشائه حُرَق الجَوَى * مقـالةَ صَبٍّ للديار مُفَـارِقِ
تذكَّرتُ أوطانى فقلبى كما ترى * أُعَلِّلُهُ بين العُــذَيْب وبارقِ

ولٱبن قُرْناص فى هذا المعنى وهو أيضا فى غاية الحسن : [الطويل]

سألتُك يا عود الأراكِ بأن تَعُــدْ * إلى ثغرٍ من أهوى فقبِّلْه مُشفقا
ورِد من ثَنيّاتِ العُـذَيْبِ مُنهِلًا * تسلسلَ ما بين الأُبَيْرِق والنَّقَـا

وتُوُفِّى السيد الشريف شهاب الدين أحمـد بن عَجْلان بن رُمَيْثة ، واسم رُمَيْثة مُنْجِد [ٱبن أبى نُمَىّ(١) سـعد] الحسنىّ المكىّ أمير مكّة فى حادى عشرين(٢) شـعبان عن نَيِّف وستين سنة بمكة ودُفِن بالمَعْلَاة . وكان حسن السِّيرة مشكور الطريقة . وولى إمرة مكة بعده ٱبنه محمد بن أحمد بأمر عمّه كُبَيْش بن عَجْلان .

وتُوُفِّى الشيخ عمـاد الدين إسماعيل أحدُ الأفراد فى الخطّ المنسوب المعروف بابن الزُّمُكْحُل، كان رئيسا فى كتابة المنسوب، كان يكتب سـورة الإخلاص على حَبة أرز كتابة بَيِّنَةً تُقرأ بتمامها وكمالها لا يَنْطَمِسُ منها حرف واحد — وكان له بدائعُ فى فنّ الكتابة وكتَبَ عِدّة مصاحف إلى أن مات (والزُّمُكْحُل بزاى مضمومة وميم مضمومة أيضا وكاف ساكنة وحاء مضمومة مهملة و بعدها لام ساكنة) .

وتُوفّى الأمير سيف الدين جُلْبان بن عبد الله الحاجب أحد أمراء الطبلخانات فى شهر رمضان . وكان عاقلا ساكنًا مشكورَ السيرة .

(١) التكلة عن المنهل الصافى : (ج ١ ص ٩٣ (أ) .
(٢) رواية المنهل الصافى المصدر المتقدّم (مات فى ليلة السبت العشرين من شعبان) .

وتُوفى الأمير غَرْس الدين خليل بن قَراجا بن دُلْغَادِر أمير التُّركمان البروقية[١] وصاحب أبلُستَين[٢] قتيلًا فى الحرب مع الأمير صارم الدين إبراهيم بن همر التُّركمانى، قريبا من مدينة مَرْعش[٣] عن نيِّف وستين سنة .

وتُوفى الأمير سُودن العلائى نائب حماة قتيلا فى محاربة التُّركمان أيضا . وكان ممن أنشأه الملك الظاهر برقوق وأظنّه من خشداشيّته .

وتُوفى الشريف بدر الدين محمد بن عُطَيْفة بن منصور بن جَمّاز بن شِيحة أمير المدينة النبويّة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام —

وتوفى الشيخ الزاهد العابد الصالح شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القِرَمى الحنفى بالقدس الشريف فى صفر . ومولده فى ذى الحِجّة سنة ستة وعشرين وسبعمائة . وكان كثير العبادة والتِّلاوة للقرآن حتى قيل : إنه قرأ فى اليوم والليلة ثمانى خَتَمات .

قلت : هذا شيء من وراء العقل فسبحان المانح .

وتُوفّى الشيخ الإمام[٤] العابد الصالح الورع شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إلياس القُونَوِى الحنفى بدمشق عن نيِّف وسبعين سنة . وكان إماما عالما زاهدا شديدًا فى الله . وقَدِم القاهرة غير مرّة وتصدّى للإقراء والتصنيف سنين عديدة وآنتفع الناس به . ومن مصنَّفاته المفيدة « شرح تلخيص المفتاح » و « كتاب درر البحار » ونَظَم فيه فقه الأربعة و « شرح مجمع البحرين » فى الفقه

(١) فى بعض النسخ : « البروقية » بالباء الموحدة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٧ ص ١٥٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) عقد له المؤلف ترجمة مطوّلة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٢٩ (ب)) كلها محاسن وغرر .

فى عشر مجلّدات، وشرح آخر فى ستة أجزاء، وله : « رسالة فى الحديث » وغير ذلك . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان وكان إماما فى وقته .

وتُوُفِّى أيضا قرينه فى عِلْم الميقات شمس الدين محمد بن الغزولىّ فى رابع شهر رجب . وكان أيضا من علماء هذا الشأن .

وتُوُفِّى ملك الغرب صاحب مدينة فاس وما والاها السلطان موسى ٱبن السلطان أبى عِنان فارس بن أبى الحسن المَرِينىّ فى جُمَادى الآخرة . وأُقِيم بعده المستنصر محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع بن أبى سالم فلم يتم أمرُه وخُلِع بعد قليل . وأقيم الواثق محمد بن أبى الفضل ٱبن السلطان أبى الحسن ، كلّ ذلك بتدبير الوزير ٱبن[(١)] مسعود وهو يوم ذاك صاحب أمر فاس .

وتُوفّى القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الزَّرْكَشى أمين الحُكم بحَاةَ بالقاهرة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأوّل وٱتُّهِم أنّه سَمَّ نفسَه، حتى مات لمالٍ بَقِى عليه، فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة .

وتُوُفِّى الأمير أحمد ٱبن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى جُمادَى الآخرة بمجلسه فى قلعة الجبل بالحوش السلطانىّ .

وتُوُفِّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن التّقىّ الحنبلىّ قاضى قضاة الحنابلة بدمشق بها[(٢)] فى هذه السنة .

(١) فى ف : «من يدى ... الخ» وفى م : « كل ذلك بين يدى الوزير مسعود » وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ ص ٤٧٥) وهو الأصح .
(٢) كلمة « بها » مقحمة .

وتُوفّى الأمير شرف الدين موسى المعروف بآبن الفافا أستدار الأمير أيتمش البجاسىّ فى تاسع شوال . وكانت لديه فضيلة وله ثروة عظيمة وحَشم . وكان من رءوس الظاهرية مذهبا وأثنى عليه الشيخ تقىّ الدين المقريزى . رحمه الله .

وتُوفّى السيد الشريف هيازع بن هبة الله الحسنىّ المدنىّ أمير المدينة النبويّة مات وهو فى السجن بثَغر الإسكندريّة فى شهر ربيع الأوّل .

وتُوفّى الشيخ شرف الدين صدقة ويُدْعَى محمد بن عمر بن محمد بن محمد العادلىّ شيخ الفقراء القادريّة بالفيوم فى جُمادى الآخرة . وكان ديّنا صالحا أحرم مرّة من القاهرة .

وتُوفّى علم الدين يحيى القِبْطى الأسلمى ناظر الدولة المعروف بكاتب ابن الدينارى فى شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع سواء . مبلغ الزيادة عشرون ذراعا، وقيل : تسعة عشرة ذراعا وسبعة عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر وهى سنة تسع وثمانين وسبعمائة .

وفيها تُوفّى الأمير سيف الدين طَيْنال بن عبد الله الماردينىّ الناصرىّ . كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وصار فى أيام الملك الناصر حسن أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية . ثم نفاه الناصر حسن إلى الشام ، فأقام بها إلى أن طَلَبه الملك الأشرف شعبان وأعاده إلى تقدمة ألف بديار مصر مدّة . ثمّ آنتزعه منه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وجعله نائب قلعة الجبل فدام على ذلك مدّة سنين .

ثمّ عزله وأخذ الطبلخاناه منه وأنعم عليــه بإمرة عشرة وتُرِك طَرْخانا إلى أن مات فى شهر رمضان وقد عُمِّر .

وتوفّى الأمير تاج الدين إسماعيــل بن مازن الهوّارىّ أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد فى هذه السنة وتَرَك أموالا جمّة .

وتوفى الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أُرْنان . كان أصله من نصارى مصر وأسلم وخدم فى ديوان الملك الظاهر برقوق فى أيام إمرته ، بعد أن باشر عنــد جماعة كبيرة من الأمراء . ولمـّا تسلطن ولّاه الوزارة على كره منــه وأحوال الدولة غير مستقيمة ، فلما وُزِّر نفَّذ الأمور ومشى الأحوال مع وفور الحرمة ونفوذ الكلمة والتقلّل فى الملبس بحيث إنه كان مثل أوساط الكُتّاب ودخل الوزارة وليس للدولة حاصل من عين ولا غلّة وقــد آستأجر الأمراء النواحى بأجرة قليلة ، وكفّ أيدى الأمراء عن النواحى وضبط المتحصّل وجدّد مطابخ السكّر ومات والحاصل فيــه ألف ألف درهم فضة وثلاثمــائة وستون ألف إردبّ غلّة وســتة وثلاثون ألف رأس من الغنم ومائة ألف طائر من الإوز والدّجاج وألف قنطار من الزيت وأربعمائة قنطار ماء ورد ، قيمة ذلك كله يوم ذاك خمسمائة ألف دينار ، هذا بعد قيامه بكُلَف الديوان تلك الأيام أحسن قيام .

وتُوفّى الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مُفلح الياسوفى (1) الطوسىّ الحنفىّ الشافعىّ بقلعة دِمَشق قتيلا بها ، بعد أن آعتُقل بها مدّة فى محنة رُمِى بها . وكان من الفضلاء العلماء عارفا بالفقه إماماً فى الحديث والتفسير عفيفا عن أمور الدنيا .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٣) : « الياسوفى » .

وتوفى الأمير سيف الدين طَقْتَمُش بن عبد الله الحسنىّ(١) اليلبُغاوىّ أحد أمراء الطبلخاناه فى سابع شهر رجب(٢) . كان من أعيان مماليك الأتابك يلبغا العمرىّ وممن قام مع الملك الظاهر برقوق .

وتُوفّى الشيخ الزاهد الوَرِع أمين الدين محمد بن محمد بن محمد الخُوَارَزْمِىّ النسفىّ اليلبُغاوى(٣) الحنفىّ المعروف بالحلواتىّ(٤) فى سابع عشرين شعبان ، خارج القاهرة . وكان ممن جمع بين العلم والعمل .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد القِرَمىّ الحنفىّ قاضى العسكر بالديار المصريّة فى سابع عشرين شهر ربيع الآخر . وكان فاضلا بارعا فى فنون من العلوم وكان خصيصا عند السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين .

وتوفى قاضى قضاة المالكيّة بحلب زين الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الجعيد الشهير بآبن رُشْد المالكىّ المغربىّ السِّجِلْمَاسىّ ، كان من فضلاء السادة المالكية وله مشاركة فى سائر العلوم وأفتى ودرّس وتولّى قضاءَ حلب وحسُنت سيرتُه .

وتوفى التاجر نور الدين على بن عِنان فى شوّال وكان من أعيان تجّار الكارم بمصر وخلّف مالا كبيرا .

وتوفىّ القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعىّ فى شعبان وكان فاضلا عالما محدّثا، حدّث عن وَزِيرَة والحَجّار .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٣) : « الحسينىّ » .
(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٣) : « مات فى تاسع عشرين رجب » .
(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٤) : « البلغارى » .
(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٤) : « الحلوىّ » .

وتُوفى الخطيبُ البليغ ناصر الدين محمـد بن على بن محمد [1] [بن محمد] بن هاشم ابن عبد الواحد بن عشائر الحلبى الشافعىّ بالقاهرة فى ليلة الأربعاء سادس عشرين شهر ربيع الآخر . وكان فقيها عالمـا عارفا بالفقه والحديث والنحو والشعر وغيره . وولى هو وأبوه خِطابَ جامع حلب وقَدِم إلى القاهرة فلم تطُل مدّته حتى مات .

وتُوفى [2] القاضى فتح الدين محمـد ابن قاضى القضاة بهـاء الدين [عبد الله بن] عبد الرحمن بن عَقِيل الشافعىّ مُوَقِّع الدَّرْج بالديار المصرية فى حادى عشرين صفر وكان معدودا من فضلاء الشافعية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وخمسة عشرا إصبعا .

*
* *

السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة تسعين وسبعمائة .

وفيها توفى [3] قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جَماعة الكنانى الشافعى قاضى قضاة مصر ثم دمشق بها وهو على قضائها فى ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان . ومولده فى سـنة خمس وعشرين وسبعمائة . وسمع الكثير بمصر والشام وبرع فى الفقه والعربية وولى خطابة المسجد الأقصى . ثم ولى القضاء بديار مصر ثم بالشام .

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٨٤) .

(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدم .

(٣) فى السلوك (ج ٤ ص ٤٩٦) : « ابن عبد الرحيم » .

قلت : وهو خلاف قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة وهو جدّ عبد الرحمن والد صاحب الترجمة .

وتُوُفّى الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأميوطى[(١)] الشافعى بمكة المشرفة فى ثانى شهر رجب بعد أن عُمِّر وأسمع صحيح مسلم وغيره . وكان فقيها بارعا أفتى ودرّس وأشغل سنين .

وتُوفّى الشيخ المُعتَقد إسماعيل بن يوسف الإنبابى بزاويته بناحية منبابة[(٢)] فى سلخ شعبان . وكان شيخا معتَقَدا وله كرامات . وللناس فيه اعتقاد وظنون حسنة . ترجمه الشيخ تقىّ الدين المقريزى وقد رآه وحضر عنده وذكر عن الوقت الذى كان يعمله بزاويته (— أعنى المولد — قبائح كان الإضراب عن ذكرها أليق) وإن كان هو كما قال : ممّا يقع به من الفساد من المتفرّجين والمترددين، غير أن السكات فى مثل هذا أحسن، كونه رجلا منسوبا إلى الصلاح ومن ذريّة الصالحين، على أننى أيضا أُنكِر هذا الوقت الذى يُعمل بالزاوية المذكورة إلى الآن وإبطالُه من أعظم معروف يُعمل، لِمَا تَرْتَكِب العَامّةُ فيه من الفسق وصار عندهم هذا الوقت من جملة النُّزه ويتواعدون عليه من قبل عمله بأيام ويتوجّهون إليه أفواجا. ومنهم من له سنين على ذلك وهو لا يعرف باب الزاوية ، غيرَ أنه صار ذلك عنده عادة، يتنزّه بها هو ومن يُريد هو وأمثاله ممّن لا خلاق لهم، فلا قوّةَ إلا بالله ما شاء الله كان .

(١) فى السلوك (ج ٤ ص ٤٩٦) : « محمد بن عبد الرحيم الأسيوطى » .

(٢) هذه الزاوية هى اليوم مسجد جامع بكفر الشيخ إسماعيل (الإمبابى) أحد أقسام بلدة إمبابة قاعدة مركز إمبابة بمديرية الجيزة بمصر وهو جامع عامر بالشعائر الدينية . وأما منبابة وهى إمبابة فسبق التعليق عليها فى الاستدراك المدرج فى صفحة ٣٨٠ بالجزء السادس من هذه الطبعة وفى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٧ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوفّى الأمير سيف الدين بهادُر بن عبد الله المَنْجَكىّ الأستادار وأحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى أوّل جُمادى الآخرة . وأصله من مماليك الأمير منجك اليوسُفِى الناصرىّ . وكان الملك الظاهر برقوق لمّا صار بخدمة منجك المذكور بقى بينهما أُنْسَةٌ وصحبة ، فلمّا تسلطن برقوق عرف له ذلك ورقّاه حتى ولاه الأستدارية العالية إلى أن مات وتولّى محمود بن على الاستدارية بعده . وكان بهادُر عنده معرفة وعقل وسياسة وتدبير ، ومات ولم ينتكب كونه كان فيـه إحسان للفقراء والصلحاء والغرباء وكان له صدقات كثيرة وبِرٌّ وافر . وكان أصله روميًّا وقيل إفرنجيا وأخذه الأمير منجك .

قلت : وهو أعظم أستدار ولى الأستدارية فى دولة الملك الظاهر برقوق إلى يومنا هذا وأوفرهم حرمة وأوقرهم فى الدول . — رحمه الله — .

وتُوفّى الوزير الصاحب علم الدين بن القسِّيس الأسلمى القبطىّ المعروف بكاتب سيدى فى آخر ذى الحجة ، بعد أن باشر عدّة وظائف أعظمهم الوَزَر .

وتُوفّى الرئيس أمين الدين عبد الله بن المجد فضـل الله بن أمين الدين عبد الله ابن ريشة القِبْطى الأسلمىّ ناظر الدولة فى ليلة الأربعاء سادس جُمادَى الأولى . وكان معدودا من أعيان الأقباط بالديار المصرية .

وتُوفّى الأمير سيف الدين سـيرج بن عبد الله الكَشْبُغاوىّ نائب قلعة الجبل ، فى تاسـع عشرين شهر ربيع الآخر وكان من جملة أمراء الطبلخانات وكان وَقُورا وله وجاهة .

وتُوفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة علاء الدين أحمد بن محمـد المعروف بالعلاء السِّيرامِىّ العجمىّ الحنفىّ شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية البرقوقية فى ثالث جُمادَى

الأولى وكان إماما عالما مقدّما مفتنّا أعجوبة زمانه فى الفقه وفروعه وعلمَى المعانى والبيان والأصول. وكان أدرك المشايخ وأخذ عنهم العلوم العقلية والنقلية وبَرَع ودرّس وأفتى فى بلاد العجم بمدينة هَرَاة وخُوَارَزْم وسَرَاى وقِرَم وتِبْرِيز، حتى شاع ذكره وبَعُد صيتُه ولمّا بنى الملك الظاهر مدرسته بين القصرين أرسل يطلبه على البريد حتى قَدِم فولّاه شيخ شيوخ مدرسته فدام بها إلى أن أدركته المنية ودُفِن بتربة(١) الملك الظاهر برقوق بالصحراء . وهو أحد من أوصى الملك الظاهر أن يُدْفَن تحت رجليه و يَبْنِى عليه مدرسة ففعل ذلك وكان دَيِّنًا خيِّرا عابدا صالحا . ولمّا مات طلب السلطان الشيخ سيف الدين السِّيرامى من حلب وولّاه عوضه شيخ الظاهرية وهو والد الشيخ نظام الدين يحيى وجدّ الشيخ عَضُد الدين عبدالرحمن شيخ الظاهرية المذكورة الآن .

وتُوُفّى القاضى تقىّ الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس المالكى أحد أعيان موقِّعِى الدست بالديار المصرية فى سابع عشر شعبان. وكان كاتبا فاضلا عُيِّن لكتابة السرّ بديار مصر غير مرّة .

وتُوفِّى الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج(٢) والى الفيّوم فى هذه السنة. كان أبوه من أمراء الألوف بالديار المصرية وكذلك جَدُّه وكان هو من جملة أمراء الطبلخانات . رحمه الله تعالى .

وتُوفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قطلوبُغَا المحمدى المعروف بقشقلندق أحد أمراء العشرات فى ثانى جمادى الآخرة وكان له وجاهة وعنده فروسية .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لهذه التربة .

(٢) رواية السلوك (ح ٣ ص ٤٩٧) : « ابن مفلح » .

وتُوفّى القـاضى عز الدين أبو اليمن محمـد بن عبد اللطيف بن الكويك الرّبعى الشافعى فى ثالث[(١)] عشر جمادى الأولى عن خمس وستين سنة وكان له سماع ورواية ولديه فضيلة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة تسـعة عشر ذرعا وأربعة أصابع . وكانـ الوفاء سابع عشر مسرى أحد شهور القبط .

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٩٨) : « فى ثانى عشر ... الخ » .

ذكر سلطنة الملك المنصور حاجى الثانية على مصر

السلطان الملك الصالح ثم المنصور حاجى ٱبن السلطان الملك الأشرف شعبان ٱبن الأمير الملك الأمجد حسين ٱبن السلطان الملك الناصر محمد ٱبن السلطان الملك المنصور قلاوون .

وقد تقدّم ذكرُ نسبه أيضا فى سلطنته الأولى .

وكان سبب عوده للملك أنه لمـا وقع ما حكيناه من خروج الأمير يلبغا الناصرى وتمر بغا الأفضلى المدعو منطاش بمن معهما على الملك الظاهر برقوق ووقع ما حكيناه من الحروب بينهم إلى أن ضعُف أمر الملك الظاهر وٱختفى وترك ملك مصر وٱستولى الأمير الكبير يلبغا الناصرى على قلعة الجبل وكلّمه أصحابه على أنه يتسلطن فلم يفعل وأشار بعود الملك الصالح هذا وقال : إن الملك الظاهر برقوقا خلعه بغير سبب وطلب أكابر الأمراء من أصحابه مثل الأمير منطاش المقدم ذكره والأمير بُزْلا العُمَرِى الناصرى والأمير قرادمرداش الأحمدى وغيرهم ، وكلّمهم فى عوْد الملك الصالح الى السلطنة ثانيا فأجاب الجميع وطلعوا من الإسطبل(١) السلطانى إلى الحوش من قلعة الجبل وجلس الأتابك يلبغا الناصرى به وطلب الملك الصالح هذا من عند أهله وقد حضر الخليفة والقضاة و بايعوه بالسلطنة وألبسوه خِلْعتها وركب من الحوش بأُبّهة(٢) المُلك وشعار السلطنة إلى الإيوان بقلعة الجبل والأمراء المذكورون مشاة بين يديه وأجلسوه على تخت الملك وغيّروا لقبه بالملك المنصور ولم نعلم بسلطان تغيّر لقبه قبله ولا بعده، فإنّه كان لقبه أولا الصالح وصار الآن فى سلطنته

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الثانية المنصور وقلده الخليفة أمور الرعيـة على العادة وقبّـل الأمراء الأرض بين يديه ودقّت النواقيس والكوسات ونودى باسمه بالقاهرة ومصرو بالأمان والدعاء للملك المنصور ثم للأتابك يلبغا وتهديد مَن نهب فآطمأنت الناس .

ثم قام الملك المنصور إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه وآستقر الأمير الكبير يلبغا النـاصرى أتابك العساكر بالديار المصرية ومدبّر المملكة وصاحب حلّها وعَقْدها ، ففى الحال أمر الناصرى للأمير أَلْطُنْبغا الأشرفى والأمير أرسلان اللفاف وقراكسك والأمير أَردُبُغا العثمانى أن يكونوا عند السلطان الملك المنصور بالقصر ، وأن يمنعوا من يدخل عليه من التُّركمان وغيرهم . ونزل الأتابك يلبغا الناصرى إلى الإســطبل السلطانى حيث هو سكنه وخلع على الأمير حسام الدين حسين بن على آبن الكُورانى بولاية القاهرة على عادته أولا فسرّ الناس بولايته . وتعيّن الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن عبد الرزّاق بن إبراهيم بن مكانس مُشير الدولة وأخوه فخـر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته وأخوهما زين الدين لنظر الجهات ، وأعاد جميع المكوس التى أبطلها الملك الظاهر برقوق .

ثم نُودِى بالأمان للماليك الجراكسة وأن جميـع المماليك والأجناد على حالهم وأنّ الأمير الكبير لا يُغيِّر على أحد منهم شيئا مما كان فيه ولا يُخرِج عنه إقطاعه .

ثم فى يوم الأربعاء سادس الشهر قدم الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى نائب الشام كان والأمير الطنبغا المعلم أمير ســلاح كان والأمير قردم الحسنى رأس نَوْبة النُّوب كان من سجن الإسكندرية وطلعوا إلى السلطان وترحّب بهم الأمير الكبير يلبغا الناصرى .

ثم نُودى ثانيا بالقاهرة بأن مَنْ ظهر من المماليك الظاهرية فهو على حاله باقٍ على إقطاعه ومن آختفى منهم بعد النداء حَل ماله ودمُه للسلطان .

ثم رسم الأمير الكبير للا مير سودون الفخرى الشيخونى نائب السلطان للديار المصرية بلزوم بيته ، وأما محمود الأستادار فإنه توجه إلى كريم الدين بن مكانس وترامى عليه فتكلم ابن مكانس فى أمره مع الأمير الكبير وأصلح شأنه معه على مال يحمله للا مير الكبير يلبغا الناصرى وجمع بينهما فآمنه الناصرى ونزل الى داره .

ثم فى ثامن جمادى الآخرة المذكورة اجتمع الأمراء فى الخدمة السلطانية على العادة ، فأُغْلِق بابُ القلعة وقُبض على تسعة من الأمراء المقدّمين وهم : الأمير سودون الفخرى الشيخونى النائب المقدم ذكره وسُودُون باق وسُودون طُرُنْطاى وشيخ الصفوى وقجماس الصالحى ابن عم الملك الظاهر برقوق وأبو بكر بن سنقر وآقبغا الماردينى حاجب الحجاب وبجاس النّوروزى ومحمود بن على الأستدار المقدم ذكره أيضا وقُبض أيضا على جماعة من أمراء الطبلخانات وهم : عبد الرحمن بن منكلى بُغا الشمسى وبُورى الأحمدى وتمربغا المنجكى ومنكلى الشمسى الطرخانى ومحمد بن جُمَق بن أيتمش البجاسى وجرجى وقرمان المنجكى وحسن خجا وبيبرس التمان تمرى وأحمد الأرغونى وأسنبغا الأرغونى وشادى وقنق باى اللّالَا السيفى ألجاى وجرباش الشيخى الظاهرى وبغداد الأحمدى ويونس الرمّاح وبَرْسْبُغا الخليلى وبُطَا الطُّولُوتَمُرى الظاهرى ونُوص المحمدىّ وتَنْكِز العثمانى وأرسلان اللّفّاف وتَنْكِز بغا السيفى وألطنبغا شادى وآقبغا اللاجينى وبلاط المنجكى وبَجْمان المحمدى وألْطُنْبُغا العثمانى وعلىّ بن آقتمر من عبد الغنى وإبراهيم بن طشتمر الدوادار وخليل بن تنكز بغا ومحمد بن الدوادارى وحُسام الدين حسين بن على الكورانى والى القاهرة وبلبل الرومى الطويل والطواشى صواب السعدى المعروف بشَنْكل مقدّم المماليك والطواشى مقبل الزمام الرومى الدوادارى .

ثم قُبض على نيِّف وثلاثين أمير عشرة وهم: أزدمر الجركانى وقُـارِى الجمالى وجُلْبان أخو مامق وقَرَطَاى السيفى ألجاى اليوسفى وآقبغـا بورى الشيخونى وصـلاح الدين محمد بن تَنْكِز بغا وعبـدوق العلائى وطُولُو بُغا الأحمـدى ومحمد بن أرْغُون شاه الأحمدى و إبراهيم آبن الشيخ على بن قرا وغريب بن حاجى وأسَنْبُغا السيفى وأحمد بن حاجِّبك بن شادى وآقبغا الجمالى الهيـدبانى الظاهرى وأمير زه بن مَلِك الكَرَج وجُلبان الكَمَشْبُغَاوى الظاهرى قَرَاسُقل وموسى بن أبى بكر بن رَسْـلان أمير طَبَر وقُنُـق باى الأحمـدى وأمير حاج بن أيتمش وكَمَشْبُغا اليوسفى ومحمد بن آقتمر الصاحبى الحنبلى النائب وآقبغا الناصرى حطب ومحمد بن سُنْقر المحمدى وبهادر الفخرى ومحمد بن طُغاى تمر النظامى ويُونُس العثمانى وعمر بن يعقوب شاه وعلى بن بلاط الكبير ومحمد بن أحمد بن أرغون النائب ومحمـد بن بكتمر الشمسى وأُلجيبغا الدوادر ومحمـد بن يُونُس الدوادار وخليل بن قرطاى شاد العمائر ومحمـد بن قرطاى نقيب الجيش وقطلوبك أمير جاندار وعلى جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية .

ثم شَفَعَ فيه جمـاعةٌ من الأمراء فأفْرِج عنهم : منهم صواب مقـدّم المـاليك المعروف بشنكل، والطواشى مقبل الدوادارى الزِّمام، وحسين بن الكورانى الوالى وجماعة أخر، وأخرج جِماس آبن عم الملك الظاهر برقوق على البريد إلى طرابلُس.

وفيـه نودى بالقاهرة ومصر : مَنْ أحضَر السلطان الملك الظاهر برقوق إلى الأمير الكبير يلبغا الناصرى ، إن كان عاميًّا خُلِـع عليـه وأُعْطِى ألف دينار، وإن كان جنديًّا أُعطِى إمرة عشرة بالديار المصرية ، وإن كان أمير عشرة أُعطى طبلخاناه ، وإن كان طبلخاناه أُعْطِى تقدمة ألف . ومن أخفاه بعـد ذلك شُنِق وحُلّ مالُه ودَمُه للسلطان .

ثم فى ليلة الجمعة حُملوا الأمراء المسجونون بقلعة الجبل إلى ثغر الإسكندرية ما خلا الأمير محمود الأستدار وبَقيت المماليك الظاهرية فى الأبراج متفرقةً بقلعة الجبل ، ثم أُطلق الأمير آقبغا الماردينى حاجب الحجّاب ، وأخرج من الحرّاقة (١) لشفاعة صهره الأمير أحمد بن يلبُغا العمرى أمير مجلس فيه فردّ معه أرسلان اللفّاف ومحمد بن تنكز شَفَعَ فيهما أيضا بعضُ الأمراء .

وفيه أيضا نُودِى على الملك الظاهر برقوق وهُدِّد مَنْ أخفاه فكثُر الدعاء من العامة للملك الظاهر برقوق وكثُر الأسف على فقده ، وثَقُلت أصحاب الناصرى على الناس ونَفَروا منهم ، فصارت العامّة تقول :

راح برقوق وغِزلانه ، وجاء الناصرى وتيرانه .

ثم قبَض الناصرى على الطواشى بهادُر الشهابى مقدّم المماليك ، كان الذى كان الملك الظاهر عزله من التقدمة ونفاه إلى طرابُلس ، فحضر مع الناصرى من جملة أصحابه ، فاتُّهم أنه أخفى الملك الظاهر برقوقا ، فنُفِى إلى المرقب (٢) وخُتِم على حواصله ونفى معه أسنبغا المجنون .

وفى ثانى عشره سُجن محمود الأستدار وهو مقيَّدٌ بالزردخاناه .

وفيه ألزم الأميرُ الكبيرُ يلبُغا الناصرى حسين بن الكُورانى الوالى بطلب الملك الظاهر برقوق وخشّن عليه فى الكلام بسببه ، فنزل ابن الكورانى من وقته وكرر النداء عليه بالقاهرة ومصر وهَدّد من أخفاه بأنواع العذاب والنَّكال .

هذا وقد كثُر فساد التركمان أصحاب الناصرى بالقاهرة ، وأخذوا النساء من الطرقات ومن الحمامات ، ولم يتجاسر أحد على منعهم .

---

(١) الحرّاقة : ضرب من السفن : فيها مرامى نيران يرمى بها العدوّ فى البحر .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفيه قَلَعَ العسكرُ السلاح من عليهم ومن على خيولهم ، وكانوا منذ دخولهم وهم بالسلاح إلى هذا اليوم .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة غُمِز على الملك الظاهر برقوق من بيت أبى يزيد، وأَمْرُه : أنه لمـّا نزل بالإسطبل بالليل سار على قدميه حتى وصل إلى بيت أبى يزيد أحدِ أمراء العشرات وآختفى بداره ولم يُعرف له خبر ، وكثر الفحص عليه من قِبَـل الناصرى وغيره و هُجِم فى مدّة آختفائه على بيوت كثيرة فلم يقف له أحد على خبر وتكرَّرَ النداء عليه والتّهديد على من أخفاه ، فخاف الملك الظاهر من أن يُدَلّ عليه فيُؤخذ غصبا باليد فلا يُبْقَى عليه ، فأرسل أعلم الأمير الطُّنْبُغا الجوبانى بمكانه فتوجّه إليه الجوبانى وآجتمع به وأخذه وطلع به إلى الناصرى على ما سنذكره.

وقيل غير ذلك ،وهو أنه لمـا نزل الملك من الإسطبل السلطانى ومعه أبو يزيد المذكور لا غيرُ، تبعه نُعمانٌ مِهْتار الطشتخاناه إلى الرُّمَيْلة ، فردّه الملك الظاهر ، ومضى هو وأبو يزيد حتى قَرُبا من دار أبى يزيد ، فتوجّه أبو يزيد قبـله ، وأخلى له دارا ، ثم عاد إليه وأخفاه فيها .

ثم أخذ الناصرىّ يتتبع أثر الملك الظاهر برقوق حتى سـأل المهتار نعمانَ عنه ، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد ، وأنه لمـّا تبعه ردّه الملك الظاهر ، فعند ذلك أمر الناصرى حسين بن الكورانىّ بإحضار أبى يزيد المذكور ، فشدّد فى طلبه ، وهجم بيوتا كثيرة ، فلم يقف له على خبر ، فقَبَض على جماعة من أصحاب أبى يزيد وغلمانه وقرّرهم فلم يجد عندهم علما به (١) ، وما زال يفحص على ذلك حتى دلَّه بعضُ الناس على مملوك أبى يزيد ، فقَبَض عليـه ، وقبض آبنَ الكورانى على آمرأة المملوك وعاقبها

(١) فى ف : « خبرا به » .

فدلّته على موضع أبى يزيد وعلى الملك الظاهر، وأنهما فى بيت رجل خيّاط بجوار بيت أبى يزيد ، فمضى ٱبن الكُورانىّ إلى البيت ، وبعث إلى النـاصرىّ يُعلِمه ، فأرسل إليه الأمراء .

وقيـل غيرُ ذلك وجه آخر ، وهـو أن السلطان الملك الظاهر لمـّا نزل من الإسطبل كان ذلك وقت نصف الليل من ليـلة الآثنين المقدّم ذكرُها ، فسار إلى بحر النيل، وعدّى إلى برّ الجيزة ونزل عند الأهرام، وأقام هناك ثلاثة أيام، ثمّ عاد إلى بيت أبى يزيد المذكور، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة، فحضر ممـلوك أبى يزيد إلى الناصرى وأعلمه أن الملك الظاهر فى بيت أسـتاذه، فأحضر الناصرىّ فى الحال أبا يزيد ، وسأله عن الملك الظاهر فاعترف أنه عنده ، فأخذه أَلْطُنبُغا الجوبانى وسار به إلى البيت الذى فيه الملك الظاهر برقوق، فأوقف أبو يزيد الجوبانى بمن معـه ، وطلع هو وحده إلى الملك الظاهر وحدّثه الخبر، ثم أذن أبو يزيد للجوبانى ، فطلع فلما رآه الملك الظاهر برقوق قام له وهَمَّ بتقبيل يديه فٱسـتعاذ بالله الجوبانى من ذلك، وقال له : ياخَوَند ، أنت أسـتاذنا ونحن مماليكك ، وأخذ يُسَكِّن رَوْعه، حتى سكن ما به .

ثم ألبسه عمامة وطَيْلَسانا وأنزله من الدار المذكورة، وأركبه،وأخذه وسار من صليبة[1] ٱبن طولون نهارا، وشَقّ به بين الملأ من الناس إلى أن طلع به إلى الإسطبل السلطانى بباب السلسلة حيث هو سكنُ الأمير [الكبير] يلبغا الناصرى ، فأُجْلِس بقاعة الفِضة من القلعة وأُلزِم أبو يزيد بمال الملك الظاهر الذى كان معه ، فأحضر كيسا وفيه ألفُ دينـار ، فأنعم به الناصرى عليه ، وأخلع عليه ، ورتَّب الناصرى

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

فى خدمة الملك الظاهر مملوكين وغلامَه المِهتار نُعْمان ، وقُيِّـد بقَيْد ثقيل ، وأجرَى عليه من سِماطه طعاماً بكرة وعشيا ، ثم خلع الناصرىّ على الأمير حُسام الدين حسن الكَجْكَنِىّ بآستقراره فى نيابة الكَرَك عوضا عن مأمور القَلَمْطاوِىّ .

ورسم بعزل مأمور ، وقُدُومه إلى مصر أميرَ مائة ومقدّم ألف بها .

هذا بعد أن جمع الناصرى الأمراء من أصحابه وشاورهم فى أمر الملك الظاهر برقوق بعـد القبض عليه ، فآختلفت آراء الأمراء فيه ، فمنهم من صَوَّب قَتله ، وهم الأكثر ، وكبيرُهم منطاش ، ومنهم مَنْ أشار بحبسه وهم الأقل ، وأكبرهم الجوبانىّ فيما قيل ، فمـال الناصرىّ إلى حبسه لأمر يُريده الله تعالى ، وأوصى حُسام الدِّين الكَجْكَنِى به وصايا كثيرة حسب ما يأتى ذكْرُه فى محلّه ، فأقام الكجكنى بالقاهرة فى عمـل مصالحه إلى يوم تاسـع عشر جمادى الآخرة ، وسافر إلى محـل كفالته بمدينة الكَرَك .

وعند خروجه قَدِم الخـبر على الناصرى بأن الأمير آقبغا الصغير وآقبغا أستدار آقْتَمُر ، اجتمع عليهما نحو أربعمائة مملوك من المماليك الظاهرية ليركبوا على جنتمر نائب الشام ويملكوا منه البـلد ، فلمّا بلغ جنتمر ذلك رَكب بمماليكه وكبسهم على حين غفلة ، فلم يُفْلِت منهم إلا اليسيرُ وفيهم آقبغا الصغير المذكور ، فسرّ الناصرى بذلك ، وخلع على القاصد .

ولـمّـا وصل هذا الخبر إلى مصر رَكبَ منطاش وجماعةٌ من أصحابه إلى الناصرىّ وكلّموه بسبب إبقاء الملك الظاهر ، وخَوّفوه عاقبةَ ذلك ، ولا زالوا به حتى وافقهم على قتله ، بعد أن يصل إلى الكَرَك ويُحْبَس بها ، وآعتذر إليهم بأنه إلى الآن لم يُفَرِّق الإقطاعات والوظائف لآضطراب المملكة ، وأنه ثَمَّ مَنْ له ميلٌ للظاهر فى الباطن ،

وربّما يثُور بعضهم عند قتله ، وهذا شيء يُدْرَكُ فى أيّ وقت كان ، حتى قاموا عنه ونزلوا إلى دورهم .

ثم أخذ الناصرى فى اليوم المذكور يَخلع على الأمراء باستقرارهم فى الإمريات والإقطاعيات ، فاستقر بالأمير بُزْلار العُمَرى الناصرى حسن فى نيـابة دِمَشق ، والأمير كَمَشْبُغا الحموى اليلبُغاوى فى نيابة حلَب ، وبالأمير صَنْجَق الحسنيّ فى نيابة طرابُلس ، وبالأمير شهاب الدين أحمـد بن محمد الهيدَبانيّ فى حجـوبية طرابلس الكبرى .

ثم فى حادى عشرينه عَرَض الأمير الكبير يلبغا الناصرى المماليكَ الظاهريّة وأفرد من المستَجَدِّين مائتين وثلاثين مملوكا لخدمة السلطان الملك المنصور حاجيّ صاحب الترجمة وسبعين من المشتروات أنزلهم بالأطباق وفرّق مَن بقِى على الأمراء، وكان العَرْض بالإسطبل، وأَنعم على كلٍّ من آقبغا الجمالى الهيدبانيّ أمير آخور ويلبغا السُّودُونيّ وتَنْبَك اليَحْياوى وسُـودون اليحياوى بإمرة عشرة فى حلب ، وهؤلاء الأربعة ظاهريّة من خواصّ مماليك الملك الظاهر برقوق، ورسم بسفرهم مع الأمير كمشبُغا الحمويّ نائب حلب .

ثم فى ليلة الخميس ثانى عشرين جُمادَى الآخرة رسم الناصرى بسفر الملك الظاهر برقوق إلى الكَرَك ، فأُخْرِج من قاعة الفِضّـة فى ثلث الليل من باب القرافة أحد أبواب القلعة ومعه الأمير أَلْطُنْبغا الجُوبانِى ، فأركبوه هجيناً ومعه من مماليكه أربعة مماليك صِغار على هُجُن، وهم قُطْلُوبغَا الكَرَكى وبَيْغان الكركى وآقباى الكَرَكى وسودون الكَرَكى ، والجميع صاروا فى سـلطنة الملك الظاهر الثانيـة بعد خروجه من الكرك أمراء ، وسافر معه أيضا مِهْتارُه نُعْمان ، وسار به الجوبانى إلى قبـة النصر خارج

القاهرة ، وأسلمه إلى الأمير سيف الدين محمد بن عيسى العائدى ؛ فتوجه به إلى الكرك من على عجرود[(١)] حتى وصل به إلى الكرك ، وسلمه إلى نائبها الأمير حسام الدين الكجكنى وعاد بالجواب ، فأنزل الكجكنى الملك الظاهر بقاعة النحاس من قلعة الكرك ، وكانت ابنــة الأتابك يلبغا العمرى الخاصكى أستاذ الملك الظاهر برقوق زوجة مأمور المعزول عن نيـابة الكرك هناك ، فقامت للملك الظاهر برقوق بكل ما يحتاج ، كونه مملوك أبيها يلبغا ، مع أن الناصرى أيضا مملوك أبيها ، غير أنها حبب إليهـا خدمة الملك الظاهر ، ومدت له سماطا يليق به ، وآستمرت على ذلك أياما كثيرة ، وفعلت معه أفعالا ، كان آعتادها أيام سلطنته .

ثم إن الكجكنى أيضا آعتنى بخدمته لمـا كان أوصاه الناصرى به قبل خروجه من مصر ، ومن جملة ما كان أوصاه الناصرى وقرره معــه أنه متى حصل له أمر من منطاش أو غيره فليفرج عن الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك ، فآعتمد الكجكنى على ذلك ، وصار يدخل إليه فى كل يوم ويتلطف به ويعده أنه يتوجه معه إلى التركمان ، فإنه له فيهم معارف ، وحصن قلعــة الكرك وصار لا يبرح من عنده نهاره كله ، ويأكل معه طرفى النهار سماطه ، ولا زال على ذلك حتى أنس به الملك الظاهر وركن له حسب ما يأتى ذكره .

وأما الناصرى فإنه بعــد ذلك خلع على جماعة من الأمراء ، فآستقر بالأمير قطلوبغا الصفوى فى نيابة صفد ، وبالأمير بغاجق فى نيابة ملطية ، ثم رسم فنودى بالقاهرة بأن المماليك الظاهرية يخدمون مع نواب البلاد الشامية ، ولا يقيم أحد منهم بالقاهرة ، ومن تأخر بعد النــداء حل ماله ودمه للسلطان ، ثم نودى بذلك من الغد ثانيا .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٤ من هذا الجزء .

وفي رابع عشرينه برز النوابُ إلى الرَّيْدَانِيّة للسفر بعد أن أخلع الناصري على الجميع خِلَع السفر .

ثم في سادس عشرينه خَلَع السلطان الملك المنصور على الأمير يلبغا الناصري بآستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية وأن يكون مدبِّر المملكة ، وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى بآستقراره رأس نَوْبة الأمراء وظيفة بركة الجوبانى وعلى الأمير قرا دِمِرْداش الأحمدى وآستقر أمير سلاح ، وعلى الأمير أحمد بن يلبغا وآستقر أمير مجلس على عادته أوّلا ، وعلى الأمير تَمُرْ باى الحسنى ، وآستقر حاجب الحجاب ، وخَلَع على القضاة الثلاثة بآستمرارهم ، وهم : القاضى شمس الدين محمد الطَّرَابُلسى والقاضى جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى والقاضى ناصر الدين نصر الله الحنبلى ، ولم يَخلع على قاضى القضاة ناصر الدين ابن بنت ميلق الشافعى ، لتوعُّكه ، ثم خلع على القاضى صدر الدين المُناوِى (١) مفتى دار العدل ، وعلى القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر الجميع بآستمرارهم .

وفي هذا اليوم سافر نُوَّابُ البلاد الشامية ، وسافر معهم كثيرٌ من التُّرْكُمَان واجناد الشام وأمرائها ، وفيه نُودِى أيضا بألَّا يتأخَّر أحد من مماليك الملك الظاهر برقوق إلّا من يكون بخدمة السلطان ممّن عُيِّن ، ومن تأخر بعد ذلك شُنِقَ ، ثم نُودِى على التركمان والشاميين والغرباء بخروجهم من الديار المصرية إلى بلادهم .

وفي يوم الخميس خلع الناصرى على الأمير آقبغا الجوهرى بآستقراره أستادارا ، وعلى الأمير آلابغا العثمانى دوادارا كبيرا ، وعلى الأمير أَلْطُنبغا الأشرفىّ رأس نوبة ثانيا ، وهى الآن وظيفة رأس نوبة النُّوَب ، وعلى الأمير جُلبان العلائى حاجبا ، وعلى الأمير بلاط العلائى أميرَ جاندار ، وعلى شَهْرِى نائب دوركى باستمراره .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثمّ فى سلخ جُمادَى الآخرة فرّق الناصرى المِثَالاتِ(١) على الأمراء، وجعلهم أربعةً وعشرين تقدمة على العـادة القديمة ، أراد بذلك أن يُظْهِر للناس ما أفسده الملك الظاهر برقوق فى أيام سلطنته من قوانين مصرُ، فشكره الناس على ذلك .

ثم نُودِى بالقاهرة بالأمان : ومن ظُلِم من مدّة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ، ليأخذ حقّه .

ثم فى يوم السبت أوّل شهر رجب وقف أوّل النهار زامرٌ على باب السلسلة تحت الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرىّ، وزَعَق فى زَمْره؛ فلما سمعه الناس آجتمع الأمراء والمماليك فى الحال، وطَلَعوا إلى خِدْمة الناصرىّ، ولم يُعْهَد هذا الزَّمْر بمصر قبل ذلك على هـذه الصورة، وذكروا أنها عادة ملوك التتار إذا ركبوا يَزْعَقُ هذا الزامرُ بين يديه ، وهو عادة أيضا فى بلاد حلب ، فآستغرب أهلُ مصر ذلك وآستمرّ فى كلّ يوم مَوْكب .

وفيه أيضـا رَسَمَ الناصرىُّ أن يكون رُءوس نُوَب السِّلاحدارِيّة والسُّـقَاة والجَمَدَارِيّة سِتّة لكل طائفة على ما كانوا أوّلا قبل سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين ، فإن الأشرف هو الذى آستقرّ بهم ثمـانية ، وخلع الناصرى على قطلوبغا الفخرى بآستقراره نائب قلعة الجبل عوضا عن الأمير بجَاس .

وفى خامسه قَدِم الأمير نُعَيْر بن حَيَّار بن مُهَنّا ملِك العرب إلى الديار المصرية ، ولم يحضُرْ قطّ فى أيام الملك الظاهر برقوق، وقَصَـد بحضوره رؤيَةَ الملك المنصور

---

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عنـد الكلام على الروك الناصرى (ص ٨٧ ح ١) أن المثالات جمع مفرده مثال ، وهو عبارة عن ورقة أى وثيقة رسمية تصدر من ديوان الخراج إلى كل جندى أو مملوك مبينا فيها مقدار ما خصه بالفدان من الأرض الزراعية التى يستغلها وحدودها وآسم الإقليم والقرية والقبالة أى الحوض الكائن فيه الأرض التى خصصت له .

وتقبيل الأرض بين يديه ، فخلَع السلطان عليه ، ونزل بالميدان الكبير من تحت القلعة ، وأُجْرِي عليه الرَّواتب .

وفيه خُلِع على الأمير آلابُغا العثمانى الدوادار الكبير بآستقراره فى نظر الأحباس مضافا لوظيفته ، وقرقماس الطَّشْتَمُرى وآستمرّ خازندارا .

وفى ثامنه خُلِع على الأمير نُعَيْر خِلْعة السفر وأُنعِم على الطواشى صواب السعدى شَنْكَل بإمرة عشرة ، وآستُرْجعت منه إمرة طبلخاناه ، ولم يقع مثل ذلك أن يكون مُقَدّم المماليك أمير عشرة .

وفيه خَلَع السلطان الملك المنصور على شخص وعَمِله خَيّاط السلطان ، فطلبه الناصرى وأخذ منه الخلْعة ، وضربه ضربا مُبَرِّحا ، وأسلمه لشادّ الدواوين ، ثم أفْرَج عنه بشفاعة الأمير أحمد بن يَلْبُغا أمير مجلس ، فشقّ ذلك على الملك المنصور ، فقال : إذا لم يُنَفَّذ مرسومى فى خَيّاط فما هذه السلطنة ؟ ثمّ سكت على مَضَض .

وفى أوّل شعبان أُمِر المؤذّنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا فى الآذان ، إلّا آذان المغرب : الصلاة والسلام عليك يارسول الله عِدّة مَرّات ، وسبب ذلك أن رجلا من الفقراء المُعتَقَدين سَمِع فى ليلة الجمعة بعد أذان العشاء : الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكان العادة فى ليلة الجُمعة بعد أذان العشاء يُصَلِّى المؤذنون على النبىّ صلى الله عليه وسلم مِرارًا على المئذنة ، فلمّا سمِعَ الفقيرُ ذلك قال لأصحابه الفقراء : أتحبون أن تسمعوا هذا فى كل أذان ؟ قالوا : نعم ، فبات تلك الليلة ، وأصبح وقد زَعَم أنّه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى منامه يأمره أن يقول لمُحْتَسِب القاهرة نجم الدين الطَّنْبَدى أن يأمر المؤذنين أن يُصَلُّوا على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عقيبَ كلِّ أذان ، فمَشَى الشيخ إلى المحتَسِب المذكور وقَصّ عليه ما رآه ، فسرّه ذلك ، وأمَرَ به فبقِي إلى يومنا هذا .

ثم إن الناصرىّ أنزل السبعين الذين قرّرهم بالأطباق من مماليك برقوق وفرّقهم على الأمراء، ورَسَم أيضا بإبطال المقدّمين والسوّاقين من الطّواشيّة، ونحوهم، وأنزلهم من عند الملك المنصور، فاتّضح أمرُ السلطان الملك المنصور، وعرف كلّ أحد أنه ليس له أمرٌ ولا نَهْى فى المملكة .

* * *

ذكرُ ٱبتداء الفتنة بين الأمير الكبير يلبغا الناصرى و بين الأمير تَمُربُغا الأفضلىّ المدعو مِنْطاش :

ولمّا كان سادس عشر شعبان أُشيع فى القاهرة بتنكُّر منطاش على الناصرىّ ، وٱنقطع منطاش عن الخدمة، وأظهر أنه مريض، ففَطِن الناصرىّ بأنه يُريد يعمل مَكيدة ، فلم ينزل لعيادته ، و بعث إليه الأميرَ أَلْطُنبغا الجُوبانى رأس نَوْبة كبيرا فى يوم الآثنين سادس عشر شعبان المذكور ليعوده فى مرضه ، فدخل عليه ، وسلّم عليه ، وقضى حَقّ العيادة ، وهمّ بالقيام، فقَبَض عليه منطاش وعلى عشرين من مماليكه ، وضرب قَرْقَماس دوادار الجوبانى ضربًا مُبرّحا، مات منه بعد أيام .

ثم رَكِب منطاش حال مَسْكه للجوبانىّ فى أصحابه إلى باب السلسلة وأخذ جميع الخيول التى كانت واقفةً على باب السلسلة وأراد ٱقتحام الباب ليأخذ الناصرىّ على حين غَفلة، فلم يتمكّن من ذلك، وأغلق الباب، ورَمَى عليه مماليك الناصرىّ من أعلى السور بالنُّشّاب والحجارة، فعاد إلى بيته ومعه الخيول، وكانت دارُه دار مَنْجك[(١)] اليوسفىّ التى ٱشتراها تَمُربغا الظاهرىّ الدوادار وجدّدها بالقرب من مدرسة السلطان حسن[(٢)]، ونَهب منطاش فى عَوْده بيتَ الأمير آقْبُغا الجوهرىّ الأُستدار وأخذ خيولَه وقماشَه .

(١) هذه الدار سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

ثم رَسَم منطاش فى الوقت لمماليكه وأصحابه بالطلوع إلى مدرسة السلطان حسن، فطلعوا إليها وملكوها ، وكان الذى طلع إليها الأمير تنكز بغا رأس نوبة والأمير أزدمر الجوكندار دوادار الملك الظاهر برقوق فى عدّة من المماليك ، وحمل إليها منطاش النُّشّاب والحجارة، ورموا على من كان بالرُّميلة(١) من أصحاب الناصرى من أعلى المئذنتين ومن حول القُبّة ، فعند ذلك أمر الناصرى مماليكه وأصحابه بلبس السلاح وهو يتعجّب من أمر منطاش كيف يقع منه ذلك وهو فى غاية من قلّة المماليك وأصحابه، وبلغ الأمراءَ ذلك، فطلع كلُّ واحد بمماليكه وطُلْبه إلى الناصرى .

وأمّا منطاش فإنّه أيضا تلاحقت به المماليك الأشرفيّة خُشدا شيتُه والمماليك الظاهرية، فعَظُم بهم أمرُه، وقَوِيَ جَأْشُه، فأمّا مجيءُ الظاهريّة إليه فرجاءً لخلاص أستاذهم الملك الظاهر برقوق والأشرفية، فهم خُشدا شيّتُه، لأن منطاش كان أشرفيّا ويلبغا الناصرى يلبغاويًّا خُشداشًا لبرقوق، وانضمت اليلبغاويّة على الناصرى وهم يوم ذاك أكابرُ الأمراء وغالبُ العسكر المصرى، وتجمّعت المماليك على منطاش حتى صار فى نحو خمسمائة فارس معه، بعدما كان سبعون فارسا فى أوّل ركوبه ، ثم أتاه من العامّة عالَمٌ كبير، فترامى الفريقان واقتتلا .

ونزل الأمير حُسام الدّين حُسين بن الكُورانى والى القاهرة والأمير مأمور حاجب الحجاب من عند الناصرى، ونُودِى فى الناس بنَهْب مماليك منطاش، والقبض على مَن قَدرُوا عليه منهم، وإحضاره إلى الناصرى فخرج عليهما طائفة من المنطاشيّة فضربوهما وهزموهما، فعادوا إلى الناصرى، وسار الوالى إلى القاهرة ، وأغلق أبوابها : واشتدّ الحربُ، وخرج منطاش فى أصحابه ، وتقرّب من العامّة، ولاطفهم

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وأعطاهم الذهب ، فتعصّبوا له وتزاحموا على ٱلتقاط النُّشّاب الذى يُرْمى به من أصحاب الناصرىّ على منطاش وأَتَوْه به ، و بالغوا فى الخدمة لمنطاش ، حتى خرجوا عن الحدّ ، فكان الواحدُ منهــم يَثِب فى الهواء حتى يَخْطَفَ السهمَ قبــل أن يأخذه غيرُه ، و يأتى به منطاش وطائفةٌ منهم تنقُــل الحجارة إلى أعلى المدرسة الحَسَنِيّة(١) ، وٱستمرّوا على ذلك إلى الليل ، فبات منطاش ليلةَ الثلاثاء سابع عشر شعبان على باب مدرسة السلطان حسن المذكورة والرمىُ يأتيه من القلعة من أعوان الناصرى ، .

هذا والممــاليك الظاهريّة تأتيه من كلّ فجّ ، وهو يَعِدُهم و يُمَنّيهم حتى أصبح يوم الثلاثاء وقــد زادت أصحابه على ألف فارس ، كلُّ ذلك والناصرى لا يكترث بأمر منطاش ، و يُصلح أمرَه على التراخى ٱستخفافا بمنطاش وحواشيه ، يُحرِّضه على سرعة قتال منطاش و يحذِّرونه التهاون فى أمره .

ثمّ أتى منطاش طوائفُ من ممــاليك الأمراء والبطّالة وغيرهم شيئاً بعد شىء ، فحسُن حالُه بهم ، وٱشتدّ بأســه ، وعظُمت شــوكتُه بالنسبة لمــا كان فيه أوّلا ، لا بالنسبة لحواشى الناصرىّ وممــاليكه ، فعند ذلك نَدَب النــاصرىُّ الأمير بَجْمان والأمير قرابُغا الأبو بكرى فى طائفة كبيرة ومعهم المعلِّم شهاب الدين أحمــد بن الطُّولونى المهندس وجماعة كبيرة من النجّارين والنقّابين لينقبُوا بيت منطاش من ظَهْره حتى يدخلوا منه إلى منطاش و يقاتلوه من خَلْفه والناصرى من أمامه ، ففَطِن منطاش بهم ، فأرسل إليهم فى الحال عِدّةً من جماعته قاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذوا قَرابُغــا وأَتَوْا به إلى منطاش ، فرتّب عِدّة رماة على الطبلخاناه السلطانيــة ، وعلى المدرســة الأشرفيّة التى هدمها الملك الناصر فرج ، وجعــل الملك المؤيّدُ مكانهــا

(١) راجع الحاشية رقم ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بيمارستانا فى الصوة ، فرَمَوْا على منطاش بالمدافع والنُّشّاب ، فقُتِل عدّةٌ من العوامّ ، وجُرِح كثير من المنطاشية ، هذا وقد آنزعج الناصرى وقامَ بنفسه وهيّأ أصحابه لقتال منطاش ، ونَدَب من أصحابه من أكابر الأمراء جماعةً لقتاله ، وهم الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس ، والأمير جُمَق آبن الأتابك أيتَمَش البَجَاسِىّ فى جمع كبير من المماليك ، فنزلوا وطردوا العامّة من الرُّمَيْلة ، فحملَت العامّة من أصحاب منطاش عليهم حَمْلةً واحدة هزموهم فيها أقبحَ هزيمة .

ثم عاد أحمد بن يلبغا المذكور غيرَ مرّة ، وآستمرّ القتال بينهما إلى آخر النهار والرَّمْىُ والقتال عمّال من القلعة على المدرسة الحسنيّة ومن المدرسة على القلعة و بينما هم فى ذلك خَرَج من عسكر الناصرىّ الأمير آقبغا المَارِدِينىّ بطُلْبة وصار إلى منطاش فتسلّل الأمراء عند ذلك واحدا بعد واحد، وكلُّ من يأتى منطاش من الأمراء يُوكّل به واحد يحفظه ويُبْعث به إلى داره، ويأخذ مماليكه فيقاتل الناصرى بهم .

فلمّا رأى حُسين بن الكُورانى الوالى جانبَ الناصرىّ قد آتضع خاف على نفسه من منطاش وآختفى ، فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلى نائب حسين آبن الكورانى وولّاه ولاية القاهرة ، وألزمه بتحصيل النُّشّاب ، فنزل فى الحال إلى القاهرة، وحَمل إليه كثيرا من النشاب .

ثم أمره منطاش فنادى بالقاهرة بالأمان والآطمئنان و إبطال المكس والدعاء للأمير الكبير منطاش بالنصر .

هذا وقد أخذ أمرُ الناصرىّ فى إدبار، وتوجّه جماعةٌ كبيرة من أصحابه الى منطاش ، فلمّا رأى الناصرىّ عسكرَه فى قِلّة وقد نَفَر عنه غالبُ أصحابه ، بعث لخليفة المتوكّل على الله إلى منطاش يسأله فى الصلح و إخماد الفتنة ، فنزل الخليفة

إليه وكلّمه فى ذلك ، فقال له منطاش : أنا فى طاعة السلطان ، وهو أستاذى وآبنُ أستاذى ، والأمراءُ إخوتى وما غريمى إلا الناصرىّ [(١)] ، لأنّه حلَف لى وأنا بسيواس ثم بحلب ودِمَشق أيضا بأننا نكون شيئا واحدا ، وأن السلطان يحكم فى مملكته بما شاء ، فلمّا حصل لنا النصرُ وصار هو أتابك العساكر ، آستبد بالأمر ، ومنع السلطان من التّحكُّم ، وحَجَر عليه ، وقرّب خشداشيتَه اليلبُغاوية وأبعدنى أنا وخشداشيتّى الأشرفية ، ثم ما كَفَاه ذلك حتى بعثنى لقتال الفلّاحين ، وكان الناصرى أرسله من جملة الأمراء إلى جهة الشرقية لقتال العُرْبان ، لمّا عَظُم فسادُ فلّاحيها .

ثم قال منطاش : ولم يُعطِنى الناصرى شيئا من المال سوى مائة ألف درهم ، وأخذ لنفسه أحسنَ الإقطاعات وأعطانى أضعفَها ، والإقطاع الذى قرّره لى يَعْمَل فى السنة ستمائة ألف درهم ، واللهِ ما أَرْجِع عنه حتى أَقْتُلَه أو يَقْتُلَنِى ، ويتسلطن ويَستبدّ بالأمر وحدَه من غير شريك ، فأخذ الخليفةُ يلاطفُه فلم يَرْجِع له ، وقام الخليفة من عنده وهو مصمِّم على مقالته ، وطلع إلى الناصرى وأعاد عليه الجواب .

فعند ذلك رَكِب الناصرىّ بسائر مماليكه وأصحابه ، ونزل بجَمْع كبير لقتال منطاش وصَفّ عساكرَهُ تُجاه باب السلسلة [(٢)] ، وبَرَزَ إليه منطاش أيضا بأصحابه وتصادما وآقتتلا قتالا شديدا ، وثبت كلٌّ من الطائفتين ثباتًا عظيما ، فخرج من عسكر الناصرى الأميرُ عبدالرحمن آبن الأتابك منكلى بغا الشمسى صهر الملك الظاهر برقوق بمماليكه ، والأمير صلاح الدين محمد بن تَنْكِز نائب الشام ، وكان أيضا من خواصّ الملك الظاهر برقوق ، وسار صلاح الدين المذكور إلى منطاش ومعه خمسة أحمال نُشّاب وثمانون حِمْلَ مأْكَل وعشرة آلاف درهم وآنكسر الناصرى وأصحابه وطلع إلى باب السلسلة ،

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

فتراجع أمرُه، وٱنضمّ عليه من بَقِى من خشداشيته اليلبُغاوية، ونَدَب لقتال منطاش الأميرَ أحمد بن يلبغا أمير مجلس ثانيا، والأميرَ قرا دِمُرداش الأحمدى أمير سلاح، والأمير أَلْطُنْبغا المعلّم، والأمير مأمور القَلَمْطاوى حاجب الحجّاب، والجميع يلبُغاوية، ونزلوا فى جمع موفور من العسكر وصدموا منطاش صدمة هائلة، وأحمى أظهرَهم مَنْ فى القلعة بالرمى على منطاش وأصحابه، فأخذ أصحاب منطاش عند ذلك فى الرمى من أعلى المدرسة بالنشّاب والنفط، وٱلتحم القِتالُ، من فوق ومن أسفل، فٱنكسر عسكر الناصرى ثانيا، وٱنهزموا إلى باب السلسلة .

هـذا والعامّة تأخذ النُّشّاب من على الأرض وتأتى به منطاش وهـو يتقرّب منهـم ويترفّق لهم، ويقول لهم : أنا واحد منكم وأنتم إخواننا وأصحابنا، وأشـياء كثيرة من هذه المقولة، هذا وهم يبذلون نفوسهم فى خدمته ويتلاقطون النُّشّاب من الرُّميلة مع شدة رمى الناصرى عليهم من القلعة .

ثم ظَفِر منطاش بحاصل للأمير جركس الخليلى الأمير آخور وفيه سلاحٌ كثير ومالٌ، وبحاصل آخر لبكلمش العلائى، فأخذ منطاش منهما شـيئا كثيرا، فقوى به، فإنّه كان أمرُه قد ضعف من قلّة السلاح لا من قلّة المقاتلة، لأن غالب من أتاه بغير سلاح .

ثم نَدَب الناصرىُّ لقتاله الأميرَ مأمورا حاجبَ الحُجّاب والأمير جُمَق بن أَيْتَمُش والأمـيرَ قرَاكسك فى عدة كبيرة من اليلبُغاويّة وقـد لاح لهم زوال دولة اليلبُغاوية بحبس الملك الظاهر برقوق، ثم بِكَسْرة الناصرىّ من منطاش إن تمّ ذلك ؛ فنزلوا إلى مِنطاش وقد بذلوا أرواحهم، فبرز لهم العـامة أمام المنطاشية، وأكثروا من رميهم بالحجارة فى وجوههم ووجوه خيولهم حتى كسروهم، وعادوا إلى باب السلسلة .

كلّ ذلك والرمى من القلعة بالنُّشّاب والنفوط والمدافع متواصل على المنطاشية، وعلى مَنْ بأعلى المدرسة الحسنية، حتى أصاب حجر من حجارة المدفع القبةَ الحسنية فخرقها، وقتَلَ مملوكا من المنطاشية، فلمّا رأى منطاش شـدّة الرمى عليه من القلعة أرسـل أحضر المعلّم ناصر الدين محمد بن الطَّرابُلُسى وكان أسـتاذا فى الرمى بمدافع النّفط، فلمّا حضر عنده جرّده من ثيابه ليوسّطه من تأخُّره عنه فاعتذر إليه بأعذار مقبولة، ومضى ناصر الدين فى طائفة من الفرسان وأحضر آلات النفط وطلع على المدرسة ورمى على الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرى حتى أحرق جانبا من خيمة الناصرى وفرّق جمعَهم، وقام الناصرىُّ والسلطانُ الملك المنصور من مجلسهما ومضَيَا إلى موضع آخر آمتنعا فيه، ولم يَمْضِ النهار حتى بلغت عِدّة فرسان منطاش نحو الألفى مقاتل .

وبات الفريقان فى تلك الليلة لا يُبْطِلان الرّمى حتى أصبحا يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليـك الأمراء إلى منطاش، ثم خرج من عسكر النـاصرى الأمير تَمُربای الحسَنِیّ حاجب الحجّاب، والأمير قردم الحسنى رأس نوبة النُّوَب فى جماعة كبيرة من الأمراء، وصاروا إلى منطاش من جملة عسكره، وغالب هؤلاء الأمراء من اليلبُغاوية .

ثم ندب الناصرىّ لقتال منطاش الأميرَ أحمدَ بن يلبغا أميرَ مجلس، والأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح، وعَيَّن منهم جماعة كبيرة، فنزلوا وصدموا المنطاشية صدمة هائلة انكسروا فيها غيرَ مرّة، وآبن يلبغا يعود بهـم إلى أن ضعف أمره، وآنهزم وطلع إلى باب السلسلة، هـذا والقوم يتسللون من الناصرى إلى منطاش والعامة تُمْسِك مَنْ وجدوه من التُّرك ويقولون له : ناصرىّ، أم منطاشىّ فإن قال: ناصرى أنزلوه من على فرسه وأخذوا جميع ما عليه وأتوا به إلى منطاش .

ثم تكاثرت العامة على بيت الأمير أَيْدكَار حتى أخذوه بعد قتال كبير وأَتَوْا به إلى منطاش ، فأكرمه منطاش ، وبينما هو فى ذلك جاءه الأمير أَلْطُنْبُغا المعلّم بطُلْبه ومماليكه ، وكان من أجل خُشْداشية الناصرى وأصحابه ، وصار من جملة المنطاشية ، فسُرَّ به منطاش .

ثم عَيّن له ولأَيْدكار موضعًا يقفان فيه ويُقاتلان الناصرى منه ، وبينما منطاش فى ذلك أرسل إليه الأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح يسأله فى الحضور إليه طائعا فلم يأذن له ، ثم أتاه الأميرُ بلُّوط الصرغتمشى بعد ما قاتله عِدّة مرار وكان من أعظم أصحاب الناصرى .

ثم حضر إلى منطاش جُمَق بن أيتمش واعتذر إليه ، فقَبِل عذرَه ، وعظُم أمر منطاش ، وضعُف أمر الناصرىّ ، واختل أمره وصار فى باب السلسلة بعدد يسير من مماليكه وأصحابه ، ونَدِم الناصرىّ على خَلْع الملك الظاهر برقوق ، وحبسه لمّا عَلِم أن الأمر خرج من اليلبُغاوية وصار فى الأشرفية حيث لا ينفعه الندم .

فلمّا أَذّن العصر قام الناصرىّ هو وقرا دِمرداش الأحمدى أمير سلاح وأحمد ابن يلبغا أمير مجلس وآقبغا الجوهرى الأستادار وآلابغا العثمانى الدوادار والأمير قراكسك فى عدّة من المماليك وصَعِدَ إلى قلعة الجبل ونزل من باب القرافة ، وعندما قام الناصرىّ من باب السلسلة وطلَع القلعة ونزل من باب القرافة أعلم أهلَ القلعة منطاش فركِبَ فى الحال بمن معه وطَلع إلى الإسطبل السلطانىّ وملَكه ووقع النهبُ فيه فأخذ من الخيل والقُماش شيئا كثيرا وتفرق الذُّعْر والعامّة إلى بيوت المنهزمين ، فنهبوا وأخذوا ما قَدرُوا عليه ومنعهم الناسُ من عِدّة مواضع و بات منطاش بالإسطبل .

وأصبح من الغــد وهو يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، وطلع إلى القلعة إلى السلطان الملك المنصور حاجى وأعلمه بأنه فى طاعته وأنه هــو أحقّ بخدمته لكونه من جملة المماليك الذين لأبيه الأشرف شعبان ، وأنه يَمتثِل مرسومَه فيما يأمره به وأنه يريد بمـا فعـله عِمارةَ بيت الملك الأشرف — رحمـه الله — فسُرَّ المنصورُ بذلك هو وجماعةُ الأشرفية ، فإنهم كانوا فى غاية ما يكون من الضّيق مع اليلبُغاوية من مدّة سنين .

ثم تقدّم الأمير منطاش إلى رُءوس النُّوَب بجمع من المماليك و إنزالهم بالأطباق من قلعة الجبل على العــادة ، ثم قام من عند السلطان ونزل إلى الإسـطبل بباب السلسلة ، وكان ندَب جماعة للفَحْص على الناصرى ورُفقته ، ففى حال نزوله أحضر إليه الأمير أحمــد بن يلبغا أمير مجلس ، والأمير مأمور القلمطاوى ، فأمر بحبسهما بقاعة الفِضّة من القلعة وحَبَس معهما أيضا الأمير بَجْمان المحمّدىّ ، وكَتَب منطاش بإحضار الأمير سُــودون الفخرىّ الشيخونىّ النائب من ثغر الإسكندرية ، ثم قَدِم عليه الخبرُ بأنّ الأمراء الذين توجّهوا فى أثر الناصرىّ أدركوه بِسَرْياقُوس وقبضوا عليه ، و بعد ساعة أُحْضَر الأمير يلبغا الناصرىّ بين يديه فأَمَر به فَقُيِّد وحُبِس أيضا بقاعة الفِضّة ، ثم حُمِل هو والجُوبانِىّ فى آخرين إلى سجن الإسكندرية فحَبَسوهما[(1)] ، وأخذ الأميرُ منطاش يتتبّع أصحابَ الناصرىّ وحواشيه من الأمراء والمماليك .

فلمّـا كان يوم عشرين شعبان قبضَ على الأمير قَرادِمُرْداش الأحمــدى أمير سلاح فأَمَر به منطاش فقُيِّد وحُبِس ثم قَبَض منطاش على جماعة كبيرة من الأمراء ، وهم : الأمير أَلْطُنْبُغا المعلِّم ، والأمير كشلى القَلَمْطَاوى ، وآقبُغا الجوهرىّ ، وأَلْطُنْبُغا

(١) السياق يقتضى « فحبسوهم » .

الأشرفى، وآقبغا العثمانى ، وفارس الصرغتمشى ، وكمشبغا ، وشيخ اليوسفى ، وعَبْدوق العلائى ، وقُيِّد الجميع وبَعَث بهم إلى ثغر الإسكندرية، فحُبِسُوا بها .

ثم فى حادى عشرينه أنعم منطاش على الأمير إبراهيم بن قُطْلُقْتَمُر الخازندار(١) بإمرة مائة وتقدمة ألف، وٱستقرّ أمير مجلس عوضاً عن أحمد بن يلبغا دَفْعةً واحدةً من إمرة عشرة ، ثم أخلع السلطانُ الملك المنصور على الأمير منطاش بٱستقراره أتَابَك العسكر ومدبِّر الممالك عوضا عن يَلْبُغا الناصرى المقبوض عليه، ثم كتب منطاش أيضا بإحضار قُطْلُوبُغَا الصَّفَوِى نائب صَفَد، والأمير أَسَنْدَمُر الشرفى، ويعقوب شاه وتمان تمر الأشرفى ، وعيَّن لكل منهم إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية .

ثم فى ثانى عشرينه قَبَض على الأمير تمربای الحسنى حاجب الحُجَّاب بديار مصر، وعلى الأمير يلبغا المنجكى ، وعلى إبراهيم بن قُطْلُقْتَمُر أمير مجلس الذى ولّاه فى أمسه، ثم أطلقه وأخرجه على إمرة مائة وتقدمة ألف بحلب لأمر ٱقتضى ذلك .

ثم فى ثالث عشرين شعبان المذكور قَبَض منطاش على أَرْسلان اللَّفاف، وعلى قراكسك السيفى ، وأَيْدَكَار العُمَرى حاجب الحجّاب ، وقَرْدَم الحسنى، وآقبغا المارديني وعدّة من أعيان المماليك اليَلْبُغاوية وغيرهم .

ثم قَبَض على الطواشى مُقْبِل الرُّومى الدَّوادارى الزِّمام ، وجَوْهر اليلبغاوى لالا السلطان الملك المنصور ، ثم قَبَض منطاش على الطواشى صَنْدل الرومى المَنْجَكى خازندار الملك الظاهر برقوق وعذَّبه على ذخائر برقوق وعَصَره مِرارا حتّى دلّ على شىء كثير، فأخذها منطاش وتقوّى بها .

(١) كذا فى (ف) وفى (م) الجاندار .

وفى ثامن[1] عشرينه وصــل سُودون الشيخونى النــائب من سجن الإسكندريّة فأمره منطاش بلزوم بيته .

ثم أنفق منطاش على مَن قاتل معه من الأمراء والمــاليك بالتدريج ، فأعطى لمــائة واحد منهم لكل واحد ألف دينــار ، وأعطى لجماعة أُخَر لكلّ واحد عشرة آلاف درهم ، وُدونَهم لكل واحد خمسة آلاف درهم ، ودُونهم لكل واحد ألف درهم ، ودُونهم لكلّ واحد خمسمائة درهم . وظهر على منطاش الملل من المــاليك الظاهريّة والتخوُّف منهم ، فإنه كان قد وعدهم بأنه يُخْرِج أستاذَهم الملك الظاهر برقوق من سجن الكَرَك إذا آنتصر على الناصرىّ ، فلم يفعــل ذلك ، ولا أنعم على واحد منهم بإمرة ولا إقطاع ، و إنمــا أخذ يُقَرِّب خُشداشيته وممــاليكه وأولاد الناس ، فَعَزَّ عليهم ذلك فى الباطن ، وفَطِن منطاش بذلك ، فعاجلَهم بأن عمل عليهم مكيدةً ، وهى :

أنه لَمّــا كان يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المذكورة طلب سائرَ المــاليك الظاهريَّةَ على أنّه ينظــر فى أمرهم ويُنْفِق عليهــم ويترضَّاهم ، فلمّا طلعوا إلى القلعة أَمَر منطاش فَأَغْلَق عليهم بابَ القلعة ، وَقَبَض على نحو المــائتين منهم .

حدّثنى السَّيفى إينال المحمودى الظاهرى قال : كنت من جُملتهم ، فلمّا وقفنا بين يَدَى منطاش ونحن فى طَمْعة النَّفقَة والإقطاعات ، ظهرَ لِى من وجه منطاش الغَدْر ، فتأخَّرتُ خلفَ خشداشيتى ، فلَمّــا وقع القبضُ عليهم رميتُ بنفسى إلى الميدان ، ثم منه إلى جهة باب القرافة ، وآختفيتُ بالقاهرة . انتهى .

---

(١) فى (ف) : «ثانى» والسياق يقتضى ما أثبتناه كما فى (م) .

ثم بعث منطاش بالأمير جُلْبان الحاجب، وبَلاط الحاجب، فقَبض على كثير من المماليك الظاهريّة، وسُجِنوا بالأبراج من قلعة الجبل .

قلت : لا جرم، فإنه مَنْ أعان ظالمًا سُلِّط عليه، وفي الجملة أن الناصرىّ كان لحواشي برقوق خيرًا من منطاش، غير أنّه لكل شيء سبب، وكانت حركةُ منطاش سببا لخلاص الملك الظاهر برقوق، وعَوْده إلى مُلكه على ما سيأتي ذكرُه، ثم أمر منطاش فنُودى بالقاهرة أن مَنْ أحضر مملوكا من مماليك برقوق فله كذا وكذا ، وهدّد مَن أَخْفَى واحدًا منهم .

قلت : وما فعله منطاش هو الحزم ، فإنّه أزال من يخشاه ، وقرّب مماليكه وأصحابه، وكاد أمره أن يتمّ بذلك لو ساعدتْه المقاديرُ، وكيف تساعده المقاديرُ وقد قُدِّر بعَوْد برقوق إلى ملكه بحركة منطاش وبركوبه على الناصرىّ .

ثم في ثالث شهر رمضان قَبَض منطاش على سُودون النائب وألزمه بمال يحمله إلى خزانته . وفيه شَدّد الطلب على المماليك الظاهريّة ، وألزمَ سودون النائب المتقدّم ذكره بحمل ستمائة ألف درهم كان أنعم عليه بها الملك الظاهر برقوق في أيام سلطنته .

ثم خَلَع على حسين ابن الكوراني بعوده إلى ولاية القاهرة ، وحرّضه منطاش على المماليك الظاهريّة .

ثم قَدِمت الأمراء المطلوبون من البلاد الشاميّة، وخَلَع منطاش عليهم، وأنعم على كلّ منهم بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية دَفْعة، ولم يَسْبِق لهم قبل ذلك أخذُ إمرة عشرة بديار [مصر](١) .

(١) زيادة عن : « ف » يقتضيها السياق .

وفيه ظَفِر منطاش بذخيرة كانت للملك الظاهر برقوق بجوار جامع الأزهر .

وفيه أفرج منطاش عن الأمير محمود بن على الأستادار بعــد ما أخذ منه جملةً كبيرة من المــال، ثم أمسك منطاش جماعةً من أعيان المماليك الظاهرية ممّن كانوا ركبوا معه فى أوائل أَمْره، وبهم كان آستفحلَ أمرُه، وأضافهم إلى مَنْ تقدّم من خشداشيّتِهم، وحبس الجميعَ بأبراج قلعة الجبل، ولم يَرِقَّ لأحد منهم .

قلت : لعله تَمثَّل بأبيات المتنبى : (الكامل)

لا يخدَعَنّــك من عدوّك دمعــهُ * وآرحَمْ شــبابك من عدو ترْحمُ

لا يَسلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى * حــتى يُراقَ على جوانبــه الدمُ

وبينما منطاش فى ذلك ورد عليــه البريد بخروج الأمير نُعَيْر عن الطاعة غضــبا للناصرى، وأنه آتفق هو وسولى بن دُلْغادِر ونهبا بلادًا كثيرة من الأعمال الحلبيّة، فلم يَلتَفت منطاش إلى ذلك وكَتَب لهما يستعطفهما على دخولهما تحت الطاعة .

ثم بعد أيام ورد البريدُ أيضا بخروج الأمير بُزْلَار العُمَرى الناصرى حسن نائب الشام عن طاعة منطاش غَضَــبًا للأمير يلبغا الناصرى ، فكَتَبَ إليه أيضا مكاتبة خَشَّنَ له فيها .

ثم أخذ منطاش فيما يفعله فى أمر دِمَشــق وغيرها — على ما سيأتى ذكره — بعد أن يُقَعِّدَ له قواعدَ بمصر، فبدأ منطاش فى اليوم المذكور بالقبض على الطواشى صواب السَّعدى المعروف بشَنْكَل مقدّم المــاليك السلطانية .

وخلعَ على الطواشى جَوْهر وأعاده لتقدمة المماليك، ثم أنعم على جماعة من حواشيه ومماليكه بإقطاعات كثيرة، وأنعم على جماعة منهم بتقدمة ألف، وهم : ولده الأمير ناصر الدين محمــد بن منطاش، وهى أحسن التقادم ، والأمير قطلوبُغا الصّفَوى ،

وأسندمر بن يعقوب شاه وتمان تمر الأشرفى وأيدكار العمرى وأسندمر الشرفى رأس نوبة منطاش وجنتمر الأشرفى، ومَنْكَلى باى الأشرفى، وتُكا الأشرفى، ومنكلى بغا خازندار منطاش وصَراى تمر دوادار منطاش وتمر بغا الكَريمى، وألطُنْبُغا الحلبىّ ومبارك شاه .

ثم أنعم على جماعة كبيرة بإمرة طبلخاناه، وعشرينات وعشرات، فممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه : الشريف بَكْتمر الحسنى، وأبو بكر بن سُنْقُر الجمالى، ودِمُرداش القَشْتَمرى وعبد الرحمن بن منكلى بُغا الشمسى على عادته أوّلا، وجُلْبان السعدى، وآروس بغا صلغيه وإبراهيم بن طشتمر الدوادار وسرُبُغَا الناصرى، وتنكز الأعور الأشرفى، وصراى تمر الأشرفى، وآقبغا المنجكى، ومَلِكتمر[1] المحمدى، وقرابغا السيفى، وقطلوبغا الزينى، وتمر بغا المنجكى وأرغون شاه السيفى ومقبل السيفى منطاش أمير سلاح وطيبرس السيفى رأس نوبة، وبيرم خجا الأشرفى، وألطنبغا الجربُغاوى، ومنجك الزينى، وبُزْلار الخليلىّ، ومحمد بن أَسَنْدَمر العلائى، وطَشْبغا السيفى منطاش، وإلياس الأشرفى، وقطلوبغا السيفى، وشيخون الصرغتمشى، وجُلبان السيفى، وألطُنْبُغا الطازى، وإسماعيل السيفى، وحسين بن الكورانى .

وأنعم على كل ممن يُذْكر بإمرة عشرين[2]، وهم : غريب الخطائى وبايجى الأشرفى، ومنكلى بغا الجُوبانى، وقرابغا الأحمدى، وآق كبك[3] السيفى، وفرج شادّ الدواوين، ورمضان السيفى، ومحمد بن مغلطاى المسعودى والى مصر .

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة[4] : صلاح الدين محمد بن تنكز، زيادة على ما بيده، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقى، ومحمد بن يونس الدوادار، وعلىّ

(١) رواية «ف» : «تلكتمر» .   (٢) فى «ف» بإمرة عشرة . وما أثبتناه عن «م» .
(٣) كذا فى «م» والذى فى «ف» «كتك» .   (٤) كذا فى «م» ورواية «ف» : « بإمرة عشرين » .

الجَرَكْتَمُرى، ومحمد بن رجب بن محمـد التركمانى، ومحمد بن رجب بن جنتمر من عبد الغنى وجوهر الصـلاحى، وإبراهيم بن يوسف بن برلغى ولؤلؤ العـلائى الطواشى، وتَنْكِز العثمانى وصراى تَمُر الشرفى الصـغير، ومنكلى بُغا المنجكى، وآق سـنقر الأشرفى، رأيت أنا المذكور فى دولة الملك الأشرف برسـباى فى حدود سنة ثلاثين وثمانمائة وقدشاخ وجاركس القرابغاوى، وأسنبغا التاجى، وسنقر السيفى، وكزل الجوبانى، وقرابغا الشهابى، وبك بلاط الأشرفى، ويلبغا التركمانى، وأرنبغا الأشرفى، وحاجى اليلبغاوى، وأرغون الزينى، ويلبغا الزينىّ وتمر الأشرفى وجنبغا الشرفى، وجقمق السـيفى، وأرغون شاه البكلمشى، وألْطُنْبغا الأشـقر، وصراى السيفى، وألطنبغا الإبراهيمى، وآقبغا الأشرفى وأُلْجيبغا السيفى. انتهى.

ثم فى خامس عشر شهر رمضان نودى على الزُّعْر بالقاهرة ومصر مَن حَمَل منهم سيفا أو سكّينا أو شالق بحجر وُسِّط وحَرَّض الموالى عليهم، فقطع أيدى ستة منهم فى يوم واحد.

وفى يوم عشرين شهر رمضان ورد البريد بأن بُزْلَار نائب الشـام مسكه الأمير جَنْتَمُر أخوطاز فكاد منطاش أن يَطِيرَ من الفرح بذلك، لأن بزلار كان من عظماء الملوك[(١)] ممن كان الملك الظاهر برقوق يخافه، ونفاه إلى الشـام، فوافق الناصرىّ، فولاه الناصرى نيـابة الشام دفعة واحدة مخافةً من شرّه، وكان من الشجعان حسب ما يأتى ذكره فى الوفيات.

ولمّا أن بلغ منطاش هـذا الخبرُ قلع السلاح عنه وأمر أمراءه ومماليكه بقلع السلاح، فإنهم كانوا فى هذه المدّة الطويلة لا يسين السلاح فى كلّ يوم.

ثمّ فى الحـال قبض منطاش على جُمَـق بن أيْتَمَش البجاسىّ وعلى بيرم العلائى رأس نوبة أيتمش.

(١) هكذا ورد فى «ف» و «م».

وفيه قَدِم سيف الأمير بُزْلار المقدّم ذكره ، وكان من خبره أن منطاش لمّا آنتصر على الناصرىّ وملك مصر أرسل إلى الأمير بُزْلار المذكور بحضوره إلى مصر فى ثلاثة سُروج لا غيرُ على البريد، فأجابه بزلار : لا أحضر اليه إلا فى ثلاثين ألف مقاتل ، وخاشــنه فى رَدّ الجواب ، وخرج عن طاعتــه ، فخادعه منطاش حسب ماتقدّم ذكره، وكتب فى الباطن للأمير جَنْتَمُر أخى طاز أتابك دِمَشق بنيابة دمشق إن قَبَض على بزلار المذكور ثم سيّر ، إليه التشريف بذلك ، وكتب إليه أن محمد ابن بَيْدَمر يكون أتابك دمشق عِوضَه ، وجبريل حاجب حُجّاب دِمَشق ، فلمّا بلغ جنتمر ذلك عرّف الأمراء المذكورين الخبر، وآتّفق مع جماعة أُخَر من أكابر أمراء دمشق وركبوا على بزلار المذكور على حين غفلة وواقعوه ، فلم يثبت لهم ، وآنكسر ومُسِك وحُبِس بقلعة دمشق ، وأرسل جنتمر سيفه إلى منطاش ، وآستقرّ عوضَه فى نيابة دمشق، فسرّ منطاش بذلك غايةَ السرور .

فلم يتمّ سرُورُه ، وقَدِم عليه الخبر بما هو أَدهى وأمرّ ،وهو خروجُ الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك ، وأنه آستولى على مدينتها ووافقــه نائبها الأمير حسام الدين حسن الكجكنى ، وقام بخدمته وقد حضر إلى الملك الظاهر برقوق آبنُ خاطر أمير بنى عُقبة من عرب الكرك ودخل فى طاعته ، وقَدِم هذا الخبر من آبن باكيش نائب غزة ، فلمّا سمع منطاش ذلك كاد يهلك وآضطربت الديار المصرية ، وكثُرت القالةُ بين النــاس ، وآختلفت الأقاويل ، وتشغّب الذعر وكان من خبر الملك الظاهر برقوق أن منطاش لمّـا وثب على الأمير وأقهر الأتابك يلبغا الناصرى وحبسه وحبس عدّة من أكابر الأمراء ، عاجَلَ فى أمر الملك الظاهر برقوق بأن بعث إليه شخصا يُعــرف بالشهاب البريدى ومعه كتبٌ للأمير حُسام الدين الكجكنى نائب الكرك وغيره بقتل الملك الظاهر برقوق من غير مراجعة ، ووعده بأشياء غير نيابة الكرك ،

وكان الشهاب البريدىّ أصله من الكرك، وتزوج ببنت قاضى الكرك القاضى عماد الدين أحمد بن عيسى المقيّرىّ الكركى، ثم وقع بين الشهاب المذكور و بين زوجته، فقام أبوها عليه حتى طلّقها منه، وزوجها بغيره، وكان الشهاب مغرما بها، فشقّ ذلك عليه، وخرج من الكرك وقدم مصر وصار بريديًّا وضرب الدهر ضَرَباته حتى كان من أمر منطاش ما كان، فآتصل به الشهاب المذكور ووعده أنه يتوجّه لقتل الملك الظاهر برقوق، فجهزه منطاش لذلك سرًّا وكتب على يده إلى الأمير حسام الدين الكجكنى نائب الكرك كتبا بذلك وحثّه على القيام مع الشهاب المذكور على قتل برقوق وأنه يُنزله بقلعة الكرك ويُسكِنه بها حتى يتوصّل لقتل الملك الظاهر برقوق .

وخرج الشهاب من مصر ومضى إلى نحو الكرك على البريد حتى وصل قرية المقيّر[(١)] بلد صهره القاضى عماد الدين قاضى الكرك الذى أصله منها، فنزل بها الشهاب ولم يكتُم ما فى نفسه من الحقد على القاضى عماد الدين، وقال : والله لأُخْرِبن دياره وأزيد فى أحكار أملاكه وأملاك أقاربه بهذه القرية وغيرها، فآستوحش قلوبُ الناس وأقاربُ عماد الدين من هذه الكلام وأرسلوا عرّفوه بقصد الشهاب وما جاء بسببه قبل أن يصل الشهاب إلى الكرك، ثم ركب الشهاب من المقيّر وسار إلى الكرك حتى وصلها فى الليل، وبعث للنائب مَنْ يصيح به من تحت السور، فمنعوه من ذلك، وأحسّ الكجكنى بالأمر، فلمّا أصبح أحضره إلى دار السعادة، وقرأ كتاب السلطان الذى على يده، وكتاب منطاش ومضمونهما أمور أُخَر غير قتل الظاهر برقوق، فآمتثل النائب ذلك بالسمع والطاعة .

---

(١) موضع معروف (انظر تاج العروس مادة قير) .

فلمّا انفضّ الناس أخرج الشهاب إليه كتابَ منطاش الذى بقتــل برقوق ، فأخذه الكجكنى منــه ليكون له حُجّــة عند قتله السلطان برقوق ، ووعده بقضاء الشغل، وأنزل الشهاب بمكان قلعة الكرك قريبا من الموضع الذى فيه الملك الظاهر برقوق ، بعد أن آستأنس به ، ثم قام الكجكنى من فوره ودخل إلى الملك الظاهر برقوق ومعــه كتاب منطاش الذى بقتله ، فأوقفه على الكتاب ، فلمّــا سمعه الملك الظاهر كاد أن يهلك من الجــزع ، فحلف له الكجكنى بكل يمين أنه لا يسلّمــه لأحد ولو مات ، وأنه يُطْلِقه ويقوم معه ، وما زال به حتى هدأ ما به ، وطابت نفسه ، وآطمأنّ خاطرُه .

هــذا وقد آشتهر فى مدينة الكَرَك بمجىء الشهاب بقتل الملك الظاهر برقوق لخفّــة كانت فى الشهاب المذكور ، وأخذ القاضى عماد الدين يخــوِّف أهلَ الكرك عاقبةَ قتل الملك الظاهر برقوق وينفرهم عن الشهاب حتى خافوه وأبغضوه ، وكان عماد الدين مطاعا فى أهــل بلده ، مسموع الكلمة عندهم لِمَــا كانوا يعهدون من عقله وحسن رأيه، وثَقُل الشهاب على أهل الكرك إلى الغاية، وأخذ الشهاب يُلِحُّ على الأمير حُسام الدين نائب الكرك فى قتــل الملك الظاهر برقوق ، وبقى النــائب يُسوِّف به من وقت إلى وقت ، ويُدافعه عن ذلك بكلّ حجّة وعُذر فزاد الشهاب فى القول حتى خاشنه فى اللفظ ، فعند ذلك قال له الكجكنى : هذا شىء لا أفعله بوجه من الوجوه حتى أكتبَ إلى مصر بمــا أعرفه وأسأل عن ذلك ممّن أَثِق به من أصحابى من الأمراء .

ثمّ أرسل البريد إلى مصر بأنه لا يدخل فى هذا الأمر، ولكن يُحضر إليه مَن يتسلّمه منه ويفعل فيه ما يُرْسَم له به ، وكان فى خدمة الملك الظاهر غلامٌ من أهل الكرك يُقَال له : عبدالرحمن ، فنزل إلى جماعة فى المدينة وأعلمهم أن الشهاب قد حضر ،

لقتل أستاذه الملك الظاهر ، فلمّا سمعوا ذلك آجتمعوا فى الحال ، وقصدوا القلعة وهجموها حتى دخلوا إلى الشهاب المـذكور وهو بسكنه من قلعة الكرك ، ووثبوا عليه وقتلوه، ثم جرّوه برجله إلى الباب الذى فيه الملك الظاهر برقوق، وكان نائب الكرك الكجكنى عند الملك الظاهر، وقد آبتدءوا فى الإفطار بعد أذان المغرب ، وهى ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان من ســنة إحدى وتسعين وسبعمائة المقــدّم ذكُرها ، فلم يشعُر الملك الظاهر والكجكنى إلا وجماعة قد هجموا عليهم وهم يدعون للملك الظاهر بالنصر، وأخذوا الملك الظاهر بيده حتى أخرجوه من البُرْج الذى هو فيه ، وقالوا له : دُسْ بقدمك عند رأس عدوّك ، وأَرَوْه الشهاب مقتولا ، ثم نزلوا به إلى المدينة فدُهِش النائب ممّـا رأى ، ولم يجـد بُدًّا من القيام فى خدمة الملك الظاهر وتجهيزه ، وآنضمّ على الملك الظاهر أقـوامُ الكرك وأجنادها ، وتسامع به أهلُ البلاد، فأَتَوْه من كلّ فجّ بالتقادم والخيول ، كلٌّ واحد بحسب حاله ، وأخذ أمرُ الملك الظاهر برقوق من يوم ذلك فى آستظهار على ما سيأتى ذكرُه .

وأمّا أمر منطاش فإنه لمّـا سمع هذا الخبر وتحقّقه عَلِم أنه وقع فى أمر عظيم ، فأخذ فى تدبير أحواله ، فأوّل ما آبتدأ بمسك الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار، وأحد أمراء الألوف بديار مصر ، و بمسك الأمير شاهين الصرغتمشى أمير آخور، و بمسك قطلوبك أستادار الأتابك أيتمش البجاسىّ ، وعلى جماعة كبيرة من المـماليك الظاهريّة ، وتداول ذلك منه أياما .

ثم أنعم منطاش على جماعة من الأمراء بأموال كثيرة، ورسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى مدينــة غزّة صحبة أربعة أمراء من مقــدّمى الألوف بالديار المصرية ، وهم : أســندمر اليوسفى ، وقطلوبغا الصفوى ، ومنكلى باى الأشرفىّ ، وتمربغا الكريمى ، وأنفق فى كلّ أمير منهم مائة ألف درهم فِضّة. ثم عيّن منطاش مائة مملوك

للسفر صحبةَ أمير الركب إلى الحجاز ، وآستمرّ منطاش فى عمل مصَالحه إلى أن كان يوم سابع شوّال خلع السلطان الملك المنصور على الأمير منطاش المذكور، وفوّض إليه تدبير الأمور ، وصار أتابك العساكر كما كان يلبغا، أراد منطاش بذلك إعلام الناس أنه ليس له غرض فى السلطنة ، وأنه فى طاعة الملك المنصور آبن أستاذه .

ثمّ خلع الملك المنصور أيضا على الأمير قطلوبغا الصَّفَوِى المقدم ذكرُه فى الأربعة أمراء المعينين للسفر بآستقراره أمير سلاح، وعلى تمان تمر الأشرفىّ باستقراره رأس نوبة النوب، وعلى أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس،وعلى أَلْطُنبغا الحلبى دوادارا كبيرا ، وعلى تُكَا الأشرفىّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف وعلى إلياس الأشرفىّ أمير آخور بإمرة طبلخاناه ، وعلى أرغون شاه السيفى رأس نوبة ثالثا بإمرة طبلخاناه ، وعلى تمربغا المنجكى رأس نوبة ، رابعا بإمرة طبلخاناه ، وعلى قطلوبغا الأَرْغُونى أستدارا ، وعلى جَقْمق شادّ الشراب خاناه ، ثم خلع على تمان تمر رأس نوبة بنظر البيمارستان المنصورى ، وعلى أَلْطُنبغا الحلبى الدوادار الكبير بنظر الأحباس ، ثم بطل أمر التجريدة المعيّنة إلى غزة خوفا من المماليك لئلا يذهبوا للملك الظاهر برقوق .

ثم فى تاسع شوّال خَلَع على الأمير أَيْدكار بآستقراره حاجب الحُجّاب وعلى أمير حاج بن مغلطاى حاجبا ثانيا بتقدمة ألف .

وفيه سَمَّر منطاش أربعةً من الأمراء ، وهم : سودُون الرمَّاح أمير عشرة ، ورأس نوبة ، وأَلْطُنبغا أمير عشرة أيضا ، وأميران من الشام ، ووُسِّطوا بسوق الخيل فى عاشره لميلهم إلى الملك الظاهر برقوق .

ثم أخلع منطاش على تَنْكِز الأعور بآستقراره فى نيابة حماة عوضا عن طُغاى تمر القبلاوى، وفيه حُمل جِهاز خَوَنْد بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور،

هـذا لتُرَّف على الأمير الكبير منطاش، وكان على خمسمائة جمل وعشرة قُطُر بغال، ومشى الحجاب وغالب الأمراء أمام الجهاز، فخلع عليهم منطاش الخِلَع السَّنِيّة، وبنى بها من ليلته، بعد أن آهتمّ بالعُرس آهتماما زائدا، وعند ما زُفّت إليه عَلّق منطاش على شَرْبوشها دينارًا زنتُه مائتا مِثقال، ثم ثانى مرّة دينارا زنته مائةُ مثقال وفَتَحَ للقصر بابا من الإسطبل بسبب ذلك بجوار باب السرّ، هـذا مع ما كان منطاش فيه من شُغل السرّ من آضطراب المملكة بعد مَسْكه الناصرىّ وغيره .

وفيه أَخْرَج عدّةً من المماليك الظاهريّة إلى قُوص[1]، وبينما منطاش فى ذلك قدم عليه الخبر بأن الأمراء المقيمين بمدينة قُوص من المنفيّين قبـل تاريخه خرجوا عن الطاعة، وقبضوا على والى قُوص، وحبسوه وآستَوْلَوْا على مدينـة قوص، وآنضم عليهم جماعة كبيرة من عُصاة العُربان، فندَبَ منطاش لقتالهم تمربغا الناصرى، وبِيرَم خَجا، وآروس بغا من أمراء الطبلخاناة فى عدّة مماليك .

ثم قَدِم عليه الخـبرُ بأن الأمير كَمَشْبغا الحموى اليلبُغاوى نائب حلب خرج عن الطاعة، وأنه قبض على جماعة من أمراء حلب بعد أن حارب إبراهيم بن قُطْلُقْتمر الخازندار، وقَبَض عليه ووسَّطه هو وشهاب الدين أحمد بن أبى الرضا قاضى قضاة حلب الشافعى بعد أن قاتلوه ومعهم أهلُ بانقوسا[2]، فلمّا ظَفِر بهم كمشبغا المذكور قتَلَ منهم عِدّة كبيرة .

---

(١) كانت مدينة قوص قاعدة لإقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة الى قوص من عهـد الدولة الفاطمية الى آخر أيام حكم المماليك . وفى أيام الحكم العثمانى آندمجت الأعمال القوصية كلها بما فيها مدينة قوص فى ولاية جرجا التى كانت تمتـدّ فى ذاك الوقت على جانبى النيل من مدينة أسيوط شمالا الى وادى حلفا عند الشلال الثانى جنوبا ، ولما أنشئت مديرية قنا فى سـنة ١٨٨٣ م تبعت لهـا مدينة قوص وجعلت قاعدة لأحد أقسام هذه المديرية ، ولا تزال قوص قاعدة لمركز قوص بمديرية قنا الى اليوم .

(٢) هى قرية من قرى حلب ، سميت باسم جبـل بانقوسا ؛ وهو فى ظاهر حلب من جهـة الشمال (انظر ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ و ج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا) .

قلت : وإبراهيم بن قطلقتمر هذا هو صاحب الواقعة مع الملك الظاهر برقوق لمّا آتفق مع الخليفة هو وقُرْط الكاشف على قتل الملك الظاهر، وقبض عليهما الظاهر، وعزل الخليفة وحبسه سنين، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كله، وهو الذى أنعم عليه منطاش فى أوائل أمره بإمرة مائة ، وتقدمة ألف بمصر، وجعله أمير مجلس عوضا عن أحمد بن يلبغا ، ثم أخرجه بعد أيام من مصر خوفا من شرّه إلى حلب على إمرة مائة وتقدمة ألف، فدام بها إلى أن كانت منيّتُه على يد كَمَشْبغا هذا .

ثم قَدِم الخبرُ على منطاش بأن الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة جمع العشران وسار لمحاربة الملك الظاهر برقوق، فسُرّ منطاش بذلك، وفى اليوم وَرَدَ عليه الخبر أيضا بقوّة شَوْكة الأمراء الخارجين عن طاعته ببلاد الصعيد ، فأخرج منطاش فى الحال الأميرَ أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس فى نحو خمسمائة فارس نجدةً لمن تقدّمه من الأمراء إلى بلاد الصعيد ، فسار أسندمر بمن معه فى ثالث عشرينه ، وفى يوم مَسِيره ورد البريدُ من بلاد الصعيد بآتفاق ولاة الصعيد مع الأمراء المذكورين .

وكان من خبرهم أنه لمّا آستقر أبو درقة فى ولاية أُسْوَان سار إلى آبن قُرْط ، وآتّفق معه على المخامرة، وسار معه إلى قوص، وأفرج عمن بها من الأمراء المقدّم ذكرُهم . وكان عِدّة الأمراء الذين بقُوص زيادة على ثلاثين أميرا، وعدّة كبيرة من المماليك السلطانية الظاهرية ، فلما بلغ خبرُهم الأميرَ مبارك شاه نائب الوجه القبلى آجتمع معه أيضا نحو ثلثمائة مملوك من الظاهرية وآتفقوا على المخامرة أيضا، وآستمالَ مبارك شاه عرب هوّارة وعربَ آبن الأحدب، فوافقوه، وآستولوا على البلاد، فلمّا خرجت تجريدةُ منطاش الأولى لهم آنتهت إلى أسيوط ، فَقَبض عليهم مبارك شاه المذكور، وأفرج عمّن كان معهم من المماليك الظاهرية؛ فلما بلغ

منطاش ذلك أخرج أسـندمر بن يعقوب شـاه كما تقدّم ذكرُه، وسار إليهم من الشرق، وتوجّه إلى جهة الصعيد بمَن معه، فلقِيه الخارجون عن الطاعة، فواقعهم أسندمر بمن معه، فكسروه ، فرَسم منطاش بخروج نجدة لهم من الأمراء والمماليك وأجناد الحَلقــة ، و بينما هو فى تجهيز أمرهم جاء الخبرُ أن أسندمُر واقع مبارك شاه ثانيا وكَسره ، وقَبض عليه ، وأرسله إلى منطاش ، فقَدِم مقيدا ، فرسم منطاش بحبسه فى خزانة شمائل[1] .

ثمّ فى يوم سابع عشرينه عيّن منطاش تجريدة إلى جهة الكَرَك فيها أربعة وقيل خمسة أمراء من مقدّمى الألوف ، وثلاثمائة مملوك ، ثم أخرج منطاش الأمير بلُّوط الصرغتمشى ، والأمير غريب لكشف أخبار الملك الظاهر برقوق بالكرك .

وأما الملك الظاهر برقوق فإنه لمـا أنزله عوامّ الكرك من قلعتها إلى المدينة وقاموا فى خدمته ، وأتته العربان ، وصار فى طائفة كبيرة ، ووافقـه أيضا أكابرُ أهل الكرك ، فقوى شَوكتُه بهم ، وعَزم على الخروج من الكرك ، وبرّز أثقاله إلى ظاهر الكرك ، فاجتمع عند ذلك أعيانُ الكرك عنـد القاضى عماد الدين أحمد بن عيسى المقيّرى قاضى الكرك وكلموه فى القيام على الملك الظاهر برقوق مراعاة للملك المنصور حاجّى ، وللأمير منطاش ، واتفقوا على قبضه و إعلام أهل مصر بذلك ، وأنهـم يعتذرون لمنطاش أنه لم يخـرج من حبسه بالكرك إلا باجتماع السفهاء من أهل الكرك ، ليكون ذلك عذرا لهم عند السلطان ، و بعثـوا ناصر الدين محمدا أخا القاضى عماد الدين المذكور ، فأغلق باب المدينـة ، و بقِى الملك الظاهر برقـوق داخل المدينة وحِيلَ بينه و بين أثقاله ومعظم أصحابه .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

فلمّا قام الملك الظاهر برقوق ليركب فرسه بلغه ذلك ، وكان القاضى علاء الدين علىّ كاتب سر الكرك ، وهو أخو القاضى عماد الدين يكتب للملك الظاهر فى مدة خُروجه من حبس الكرك ، و بالغ فى خدمته ، وآنضمّ عليه ، فلما رأى ما نزل بالملك الظاهر و بلغه آتفاقُ أهل المدينة مع أخيه القاضى عماد الدين على القبض على الملك الظاهر برقوق أعلم الملك الظاهر بذلك ، وقوّى قلبه ، وحرّضه على السير إلى باب المدينة ، فركب معه برقوق ، وسار حتى وصل إلى الباب وجده مُغْلقا وأخوه ناصر الدين قائم عند الباب ، كما أمره أخوه عماد الدين قاضى الكرك ، فما زال علاء الدين بأخيه ناصر الدين المذكور حتى فتح له الباب ، وخرج بالملك الظاهر منه ولَحِق ببقية أصحابه ومماليكه الذين كانوا حضروا إليه من البلاد الشامية ، فأقام الملك الظاهر بالثّنية[1] خارج الكرك يوما واحدا ، وسار من الغد فى يوم ثانى عشر بن شوال الى نحو دمشق ، ونائبها يوم ذاك جنتمر أخو طاز ، وقد وصل إليه الأمير الطنبغا الحلبى من مصر نائبا بحلب عوضا عن الأمير كمشبغا الحموى ، فاستعدّوا لقتال الملك الظاهر ، ومعهما أيضا حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة بعساكرها .

ثم أقبل الملك الظاهر برقوق بمن معه ، فآلتقوا على شَقْحَب[2] قريبا من دمشق ، واقتتلوا قتالا شديدًا ، كسروا فيه الملك الظاهر غير مرّة ، وهو يعود إليهم و يقاتلهم إلى أن كسرهم ، وآنهزموا إلى دمشق وقتل منهم مايزيد على الألف ، قاله المقريزى ،

(١) أطلنا البحث عن تحقيق هذا المكان لنتعرّف وجه الصواب فيه فى المصادر التى تحت يدنا فلم نقف على ما يقربنا الى الصواب ، وقد ورد فى نسخة (م) « التنية » وفى هامشها هكذا : « بالبتية » وقد وقع اختيارنا على رواية : « التنية » لأنها أقرب الى الصواب .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣/من الجزء الثامن من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

فيهم خمسة عشر أميرا، وقُتِل من أصحاب الملك الظاهر ستون نفسا ، ومن أمرائه سبعة نفر ، فهى أعظم وقعة كانت للملك الظاهر برقوق فى عمره .

وركب الملك الظاهر أقفية الشاميين إلى دمشق، فآمتنع جَنْتَمر بقلعة دمشق، وتوجّه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميرا، ونحو ثلاثمائة وخمسين فارسا وقد أُثخِنُوا بالجراحات ومعهم نائب صفد وقصدوا الديار المصرية .

فلم يمض غيرُ يوم واحد حتى عاد آبنُ باكيش نائب غَزّة بجماعة كبيرة من العُربان والعشير لقتال الملك الظاهر ، و بلغ الملك الظاهرَ ذلك فأرسل الوالد وقلمطاى لكشف الخبر ، فعادا إليه بسرعة بحضور آبن باكيش ، فركب الملك الظاهر فى الحال وخرج إليه وآلتقى معه وقاتله حتى كسره، وأخذ جميعَ ما كان معه من الأثقال والخيول والسلاح ، تَقَوّى الملك الظاهر بذلك، وأتاه عدة كبيرة من مماليكه الذين كانوا بالبلاد الشامية فى خدمة أمراء الشام، ثم دخل فى طاعته الأمير جبريل حاجب حجاب دمشق، وأمير على بن أَسَنْدمر الزَّينى، و جَقْمَق الصفوِى، ومُقبِل الرومى ، وصاروا من جملة عسكره ، فعند ذلك ركب الملك الظاهر إلى دمشق ، وحصرها وأحرق القُبَيبات وأخربها ، فهلك فى الحريق خلق كبير وأخذ أهل دمشق فى قتال الملك الظاهر برقوق، وأفحشوا فى أمره بالسب والتوبيخ ، وهو لا يفترّ عن قتالهم؛ و بينما هو فى ذلك أتاه المدد من الأمير كمشبغا الحموِى نائب حلب ومن جملة المدد ثمانون مملوكا من المماليك الظاهريّة البرقوقية، فلما بلغ جنتمر مجيئُهم أخرج إليهم من دمشق خمسمائة فارس ليُحيلُوا بينهم و بين الملك الظاهر، فقاتلتْهم المماليك الظاهريّة وكسرتهم، وأخذوا جميع ما كان معهم، وَأَتَوْا بهم إلى أستاذهم الملك الظاهر، ففرح بهم غاية الفرح .

قال الوالد : فعنـد ذلك قوى أمرنا ، وآستفحل وآستمّروا على حصار دمشق و بينما هم فى ذلك و إذا بُنَعَيْر قد أقبل فى عربانه يريد قتال الملك الظاهر برقوق ، فخرج الملك الظاهر وقاتله فكسره ، واستولى على جميع ما كان معـه فقوى الملك الظاهر بما صار إليـه من هذه الوقائع من الخيـل والسلاح وصار له برْك كبير بعد ما كان معه خيمة صغيرة لا غيرُ، وكانت مماليكه فى أخصاص، وكلٌّ منهم هو الذى يخدُم فَرسه بنفسه. والآن فقد صاروا بالخِيَمِ والسلاح والغِلمان، هذا ومماليك الملك الظاهر يتَداول مجيئهم إليه شيئا بعـد شيء ممن كان نفاهم الناصرى ومنطاش إلى البلاد الشامية .

ووصل الخبر بهـذه الوقائع كلِّها إلى منطـاش فى خامس عشر ذى القعـدة، فقامت قيامة منطاش لمـا سمع هذه الأخبار وأخذ فى تجهيز الملك المنصور حاجى للسفر لبـلاد الشام لقتال الملك الظاهر برقوق ، وأمر الوزير مُوَفَّق الدين بتجهـيز ما يحتاج إليه السلطان، فلم يجد فى الخزانة ما يُجَهِّز به السلطان، وآعتذر بأنّ المـال آنتُهِب وتفرّق فى هذه الوقائع فقبل عذره وسأل منطاش قاضى القضاة صدر الدين المُنَاوِى الشافعى. وكان ولّاه قضاء القضاة قبل تاريخه بمدة يسيرة بعد عزل ناصر الدين آبن بنت الميلق . وقال له : أقرِضنى مال الأيتام ، وكانت إذ ذاك أموالا كثيرة، فآمتنع المُنَاوِى من ذلك، ووعظه فلم يؤثر فيه الوعظ، وختم على جميع مال الأيتام، ثم رَسَم منطاش لحاجب الحُجّـاب ولناصر الدين محمـد بن قَرَطَاى نقيب الجيش بتفرقة النقبـاء على أجناد الحَلْقـة، وحثّهم على التجهيز للسفر ، و بينما هم فى ذلك قدم عليـه الخبر بكسرة آبن باكيش نائب غزة ثانيا من المـلك الظاهر برقوق ، وأَخذ الملك الظاهر ما كان معه ، فاشتدّ عنـد ذلك الآضطرابُ وكَثُر الإرجافُ ووقع الآهتمامُ بالسفر ، وأزعج أجنادَ الحلقة ، وآستدعى منطاش الخليفة المتوكّل

على الله والقضاة ، والشيخ سراج الدين عمـر البُلْقِينى ، وأعيـان الفقهاء ، ورتبوا صـورة فُتْيَـا فى أمر الملك الظاهر برقوق، وآنفضوا من غير شىء وفى اليوم ورد على منطاش واقعةُ صَـفَد ، وكان من خبرها أن مملوكا من ممـاليك الملك الظاهر برقوق يقال له يَلْبُغا السالمىّ كان أسلمه الظاهر إلى الطواشى بَهادُر الشهابى مقدّم المماليك ، فرباه بهادر ورتّبه خازنداره وآستمرّ على ذلك إلى أن نَفَى الملك الظاهر بهادر إلى البلاد الشامية، فصار يَلْبُغا السالمى المذكور عند صواب السعدى شَنْكل لمّا آستقر مقدم المماليك بعد بهـادر المذكور ، وصار دواداره الصغير ، فلمـا قَبَض النـاصرىّ على شَـنْكل المذكور ، خَدَم يلبغـا السالمىّ هـذا عنـد الأمير قُطْلُو بك النظامى نائب صـفد ، وصـار دواداره ، وسـار مع أهل صفد سـيرة حميدةً إلىأن قدم إلى صفد خبر الملك الظاهر برقوق، وخروجه من حبس الكرك، جمع النظامى عسكر صـفد ليتوجّه بهم إلى نائب دمشق نجـدةً على الظاهر، وأبق يلبغا السالمى بالمدينة، فقام يلبغا السالمى فى طائفة من المماليك الذين آستمالهم، وأفرج عن الأمير إينـال اليوسفى نائب حلب كان، وعن الأمير بَجْمَاس ابن عم السلطان الملك الظاهر برقوق، ونحو المـائتين من المماليك الظاهرية من سجن صَفد ونادى بشعار الملك الظاهر برقوق وأراد القبض على الأمير قُطْلو بك النِّظامى ، فلم يثبت النظامى، وفرّ فى مملوكين فآستولى السالمىّ ومَنْ معه على مدينة صفد وقلعتها، وصار الأمير إينال اليوسفى هو القائم بمدينة صـفد ، والسالمى فى خدمته ، وأرسَـلُوا إلى الملك الظاهر بذلك، وكان هذا الخبر من أعظم الأمور على منطاش، وزاد قلقه، وكثرت مقالةُ الناس فى أمر الملك الظاهر، ثم تواترت الأخبارُ بأمر الملك الظاهر، وفى حادى عشرينه ورد الخـبر على منطاش بوصول نائب غزة حُسام الدين بن باكيش وصحبته الأمير قُطْلُو بك النِّظامى نائب صفد المقدّم ذكره . والأمير محـمد

ابن بَيْدَمرى أتابك دمشق ، وخمسة وثلاثون أميرا من أمراء دمشق ، وجَمْعٌ كبير من الأجناد قد هُزِمُوا الجميع من الملك الظاهر برقوق ، وقدموا إلى القاهرة وهم الذين قاتلوا برقوقا مع جَنْتَمر نائب الشام ، وقد تقدّم ذكر الواقعة ، فرسم منطاش بدخولهم القاهرة .

وفى هذا اليوم آستدعى منطاش الخليفة المتوكل على الله والقضاة والعلماء بسبب الفُتْيا فى الملك الظاهر برقوق وفى قتاله ، فكَتَب ناصر الدين الصالحى موقّع الحُكم فُتْيا فى الملك الظاهر برقوق تتضمّن : عن رجل خلع الخليفة والسلطان وقتل شريفًا فى الشهر الحرام والبلد الحرام وهو مُحرِمٌ ، يعنى عن أحمد بن عجلان صاحب مكة ، واستحل أخذ أموال الناس وقَتل الأنفس وأشياء غير ذلك ، ثم جعل الفُتْيا عشر نسخ ، فكتب جماعةٌ من الأعيان والقضاة .

ثم رسم منطاش بفتح سجن قديم بقلعة الجبل كان قد آرتدم وسجن فيه عدّة من المماليك الظاهرية المقبوض عليهم قبل تاريخه ثم وجد منطاش ذخيرة بالقاهرة للأمير جركس الخليلى فى بيت جمال الدين أستاداره : فيها خمسمائة ألف درهم ، ونحو خمسين ألف دينار ، فأخذها منطاش ، ثم أخذ أيضا من مال ابن جركس الخليلى نحو ثلثمائة ألف دينار مصرية .

ودخل الأمراء المنهزمون من الشام إلى القاهرة ، وهم قُطلوبك النِّظامى نائب صفد ، وتَنْكِز الأعور نائب حماة ، ومحمد بن أيدمر أتابك ، دمشق ، ويلبغا العلائى أحد مقدّمى دمشق ، وآقبغا الأشرفى نائب قلعة الروم ، ومن الطبلخانات دمرداش الأُطروش وَالِى الولاة ، وأحمد بن تَنْكِز ، وجُوبك الخاصكى الأشرفى ، وقطلوبك جَنْجَق وخير بك . ومن العشرنيات آقبغا الوزيرى وأَزْدَمُر القَشْتَمرى وقنق الزَّيْنى ، ومَنْكِلى بغا الناصرى ، وآقبغا الإينالى وأحمد بن ياقوت ، ومن

العشرات أَسَنْبُغا العلائى، وطغاى تمر الأشرفى ومصطفى البَيْدَمُرى، وقرا بغا السيفى من أمراء صفد، وتغرى بَرْمش الأشرفى، ومنجك الخاصّكى وبجقار السيفى .

ومن أمراء حماة جنتمر الإسعردىّ، وألطنبغا الماردينى، وبكلمش الأرغونى القِرَمى، وأسنبغا الأشرفى، وحسين الأيتمشى، ومن المماليك عدّة مائتين وعشرين نفرا . وفى يوم قدم هؤلاء أفرج منطاش عن الأمير قرقماس الطشتمرى، واستقر خازندارا على عادته، وعن شيخ الصفوى الخاصكى، وعن أرغون السلامىّ، ويلبغا اليوسفى، ونزلوا إلى دورهم .

ثم نُودِى بأمر منطاش أن الفقهاء والكتّاب لا يركب أحد منهم فرسا، وأن الكُتّاب الكبار يركبون البغال .

ثم رسم بأخذ أكاديش الجمّالين وخيل الطواحين الجياد، ورسم بتَتَبُّع المماليك الجراكسة، فطلبهم حسين بن الكورانى وأخذهم من كل موضع .

ثم رسم منطاش بتخشيب المماليك الظاهرية المسجونين بقلعة الجبل فى أيديهم وأرجلهم .

ثم فى حادى عشرينه . اجتمع الأمراء وأهل الدولة مع الأمير منطاش واتّفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور حاجّى بالأمر، وأثبتوا رُشْدَه بحضرة القضاة والخليفة فرَسَم السلطان بتعليق الجاليش على الطبلخاناه ليعلم الناس بسفر السلطان إلى الشام لقتال الملك الظاهر برقوق . ثم أحضر منطاش نسخ الفَتْوَى فى الملك الظاهر برقوق وقد أُزيد فيها واستعان على قتال المسلمين بالكفّار وحضر الخليفة المتوكّل على الله والقضاة الأربعة والشيخ سراج الدين عمر البُلقِينىّ وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضى العسكر وابن خلدون المالكى وابن الملقّن وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء

وجماعة أخر، فحضر الجميع بحضرة السلطان الملك المنصور بالقصر الأبلق (١) وقُدِّمت إليهم الفتوى فكتبوا عليها بأجمعهم كتابة شنيعة على قدر النهى وآنصرفوا إلى منازلهم.

ثم نُودى على أجناد الحلقة للعرض وهُدِّد مَن تأخر منهم وكُتب لعرب البحيرة بالحضور للسفر مع السلطان إلى الشام.

ثم خلع منطاش على أمير حاج بن مغلطاى الحاجب باستقراره أُستادارا. ثم أنعم السلطان على الأمراء القادمين من الشام لكل أمير مائة ومقدم ألف بفرس بقماش ذهب ولمن عداهم بأقبية ورتّب لهم اللحم والجامكيات والعَليق وأخذ منطاش يستعطفهم بكل ما تصل إليه القدرة.

وفي سابع عشرينه أُخْلِيت خزانة الخاص بالقلعة وسُدَّت شبابيكها وبابها وفُتح من سقفها طاقة وعُملت سجنا للماليك الظاهرية.

ثم في يوم السبت أوّل ذى الحجة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة قدم الخبر على منطاش من الصعيد بأن العسكر الذى مع أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الظاهرية بمدينة قُوص (٢) وكسرهم وقبض عليهم فسر منطاش بذلك وخفّ عنه بعضُ الأمر ودُقّت البشائر لذلك ثلاثة أيام.

وفيه أنفق منطاش على الأمراء نفقة السفر فأعطى لكل أمير من أمراء الألوف مائةَ ألف درهم فضة وأعطى لكل أمير من أمراء الطبلخانات خمسين ألف درهم فضة، ثم أمر منطاش بسدّ باب الفرج (٣) أحد أبواب القاهرة وخوخة أيدغمش.

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لهذا القصر. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٣) باب الفرج هو أحد الأبواب الثلاثة التي في الجهة الغربية من القاهرة (انظر الخطط المقريزية ص ٣٨٠ ج ١).

ثم قبض منطاش على متّى بَطْرك النصارى وألزمه بمـال وعلى رئيس اليهود وألزمه أيضا بمـال فقرّر على البطرك مائة ألف درهم وعلى رئيس اليهــود خمسين ألف درهم .

ثم طلب منطاش الشيـخ شمس الدين محمد الرَّكْراكى المـالكى وألزمه بالكتابة على الفتــوى فى أمر الملك الظاهر برقوق فامتنع من الكتابة غاية الامتناع فضربه منطاش مائة عصاه وسَجَنه بالإسطبل .

ثم فى خامس عشر ذى الحجة برز الأمراء الشاميون من القاهرة الى ظاهرها للتوجه إلى الشام أمام العسكر السلطانى . وفيه قبض منطاش على الخليفة المخلوع من الخلافة زكريا : وأخذ منه العهــد الذى عَهِده إليه أبوه بالخلافة وأشهد عليــه أنه لا حَقّ له فى الخلافة .

ثم قَدِمت الأمراء ماخلا أسندمر بن يعقوب شاه من تجريدة الصعيد ومعهم المـاليك الظاهرية الذين كانوا خرجوا عن الطاعة بقوص مقيدين فخلع منطاش على الأمراء وأخذ المـاليك غرّق منهم جماعة فى النيل ليلا وأُخْرِج بستة من الجب بالقلعة موتى خنقا .

ثم قــدم الأمير أسندمر بن يعقوب شاه من بلاد الصعيد ومعه الأمراء الخارجون عن الطاعة : وهم الأمير تَمُرباى الحسنى وقرابغا الأبو بكرى ، و بَجْمـان المحمــدى ومنكلى الشــمسى وفارس الصرغتمشى وتمــربغـا المنجكى وطوجى الحسنى وقرمان المنجكى ، وبيبرس التمـان تمرى وقراكسك السيفى وأرســلان اللفــاف ومقبل الرومى وطغاى تمر الجركتمرى وجرباش التمـان تمرى الشيخى و بغداد الأحمدى و يونس الإسعردى وأردبغا العثمانى وتنكز العثمانى و بلاط المنجكى وقرابغا المحمدى وعيسى التركمانى وقراجا السيفى وكمشبغا اليوســفى وآقبغا حطب

وبك بلاط فأُوقفوا الجميع بين يدى السلطان ومنطاش زمانا ثم أمر بهم فحبسوا وأفرج عن جماعة : منهم الأمير قنق باى الألجائى اللالا وآقبغا السيفى وتمر باى الأشرفى وفارس الصرغتمشى وخلَع عليهم ثم سَجنَ منطاش بخزانة شمائل وخزانة الخاص التى سُدَّ بابُها قبل تاريخه الأميرَ محمود بن على الاستادار وآقبغا الماردينى وآيدمر أبو زلطة وشاهين الصرغتمشى أمير آخور وجمق بن أيتمش البجاسى وبطا الطولو تمرى الظاهرى وبهادر الأعسر وعِدّة كبيرة من الأمراء والمماليك الظاهرية .

وفيه ألزم منطاش سائر مباشرى الديوان السلطانى وجميع الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم وفرسا وقرّر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص ، حتى من كان له عشرة وظائف فى عِدّة دواوين يحمل عن كل وظيفة خمسمائة درهم وفرسا فنزل بالناس ما لم يعهدوه فتوزّعوا ذلك فجاء جملة الخيل التى أُخذت من المباشرين خيلا وعينا ألفَ فرس .

ثم أحضر منطاش من ألزم من أجناد الحلقة للسفر فأعفاهم على أن يُحضِر كلٌّ منهم فرسا جيّدا فأحضروا خيولهم فأخذ جِيادها وردّ ما عداها .

ثم ألزم منطاش رءوس نوّاب الحجاب وغيرها بحَمْل كل واحد منهم خمسة آلاف درهم وعدتهم أربعة .

وفى يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة نزل السلطان الملك المنصور حاجى من قلعة الجبل ومعه الأمير الكبير منطاش وتوجّها بالعساكر المصرية إلى الرّيْدانية [(١)] خارج القاهرة بتَجَمُّل عظيم إلى الغاية .

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

فلمّا نزلا بالمخيّم استدعى منطاش قاضى القضاة صدر الدين محمد المُناوِى الشافعى إلى الريدانية وألزمه بالسفر معــه إلى الشام فآمتنع من ذلك وسأل الأعفاء فأعفِىَ وخلعَ على قاضى القضاة بدر الدين محمد آبن أبى البقــاء بآستقراره عوضه فى قضاء ديار مصر على أن يُعطِى مال الأيتام ويُعطِى من ماله مائة ألف درهم أخرى فضة، وخلع عليه ودخل القاهرة من باب النصر بالتشريف .

قلت : هذا هو الكريم الذى تكرّم بمــاله ودينه .

ثم رسم منطاش بحبس الخليفة زكرياء والأمير سُودون الشيخونى النائب بقاعة الفضة من القلعة .

ثم نزل الوزير موفّق الدين أبو الفرج وناصر الدين أبى الحسام إلى خان(١) مسرور بالقاهرة حيث هو مُودَع مال الأيتام ، وأخذ منــه بأمر منطاش ثلاثمــائة ألف

(١) هذا الخان تكلم عليــه المقريزى فى خططه (ص ٩١ ج ٢) فقال : خان مسرور مكانان : أحدهما كبير والآخر صغير، فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين، كان موضعه خزانة الدرق إحدى خزائن القصر الكبير . والصغير منهما بجوار الكبير على يمنــة من سلك من ســوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر ويقال : لهذين الخانين الفندق الكبير والفندق الصــغير ويشتمل الكبير منهما على تسعة وتسعين بيتا للسكنى ومسجد جامع يقام فيه صلاة الجمعة والجماعة .

ثم قال : ومسرور صاحب الفندقين كان من خدام القصر واختص به السلطان صلاح الدين وقدمه على حلقته .

ثم قال : وقد أدركت فندق مسرور الكبير فى غاية العمارة ، تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم . وكان فيــه أيضا مودع الحكم الذى فيــه أموال اليتامى والغياب . وكان من أجل الخانات وأعظمها فى القاهرة .

وبالبحث عن مكان هذين الخانين تبين لى بعد الأطلاع على ما ذكره المقريزى فى خططه عن مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) وعن ســوق باب الزهومة (ص ٩٧ ج ٢) أن هذين الخانين مكانهما اليوم مجموعة المبانى التى تحد اليوم من الغرب بشارع المعز لدين الله (شارع الجواهرجية والحردجية سابقا) ومن الشمال والشرق شارع خان الخليلى ومن الجنوب شارع جوهر القائد (شارع السكة الحديدة سابقا) وكان الخان الصغير فى الجهة الشمالية لهــذه المجموعة المشرفة على شارع خان الخليلى . وأما الجامع الذى كان بالخان الكبير فقد خرب ولم يبق منــه إلا زاوية صغيرة تعرف بزاوية الجوهرى ، بابها بشارع خان الخليلى من جهته الشرقية للقاهرة .

درهم، وألزم أمين الحُكم بالقاهرة أن يحصل تتمّة خمسمائة ألف درهم ، وألزم أمين الحكم بمصر أن يحمل مائة ألف درهم ، وألزم أمين الحكم بالحسينيّة أن يحمل مائة ألف درهم قَرْضا ، كُلّ ذلك حسب إذن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء .

وفيه آستدعى منطاش القضاة إلى الرَّيْدانية بكرة فأُجلسوا بغير أكل إلى قريب العصر، ثم طُلِبوا إلى عند السلطان، فعقدوا عَقْدَهُ على بنت الأمير أحمد آبن السلطان حسن بصداق مبلغه ألف دينار وعشرون ألف درهم .

وعقدوا أيضا عقد الأمير قطلوبغا الصفوى على آبنة الأمير أيدمر الدوادار .

وفى ثانى عشرينه رحل الأمير الكبير منطاش فى عدّة من الأمراء جاليشا للسلطان، ثم رحل السلطان الملك المنصور والخليفة والقضاة وبقية العساكر بعد أن أُقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا الأشرفى ومعه الأمير دمرداش القَشْتَمُرىّ، وأقيم بالإسطبل السلطانى الأمير صراى تمر، وبالقاهرة الأمير قُطلوبغا الحاجب، وجعل منطاش أمر الولاية والعزل إلى صراى تمر .

ثم رحل السلطان من العكرشة إلى جهة بُلَبِيْس (١) ، فتقنطر عن فرسه ، فتطيّر الناس من ذلك بأنه يرجع مقهورا ، وكذلك كان . ثم سار السلطان وسائر العساكر إلى غزة فى ثامن المحرم من سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وعليهم آلةُ الحرب والسلاح .

وأما أمراء الديار المصرية فإن منطاش أمر قبل خروجه حسين بن الكورانى بالآحتفاظ على حواشى الملك الظاهر برقوق فأخذ آبن الكورانى يتقرب إلى

(١) هى بركة لها حوض ، لا يزال موجودا ومعروفا تحت رقم ٤٧ من أراضى أبى زعبل وشرق سكنها .

منطاش بكل ما تصل قدرته إليه من ذلك أنه توجّه إلى قاعة البيسريّة[(١)] بين القصرين حيث هو سكن الخَوَنْدات إخوة الملك الظاهر برقوق الكبرى والصغرى أم الأتابك بيبرس وهجم عليهن بالقاعة المذكورة ، وأخَذ بيبرس من أمّه أخذا عنيفا ، بعد أن أفحش فى سبّهنّ ، و بالغ فى ذم الملك الظاهر والحطّ منه ، وأخذ الخوندات حاسرات هن وجواريهنّ مسبّيات يسحبهنّ بشوارع القاهرة وهنّ فى بكاء وعويل حتى أبكَيْن كلَّ أحد ، وحصل بذلك عبرة لمن اعتبر ، ولا زال يسحبهنّ على هذه الصورة إلى باب زويلة فصادف مرورهنّ بباب زويلة دخول مقبل نائب الغيبة من باب زويلة ، فلما رأى مقبل ذلك أنكره غاية الإنكار، ونَهَر حسين ابن الكُورانى على فعله ذلك ، وردهن من باب زويلة ، بعد أن أركب الخوندات وسترهن إلى أن عُدن إلى قاعة البيسرية ، فكان هذا من أعظم الأسباب فى هلاك حسين بن الكورانى على ما يأتى ذكره فى سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية إن شاء الله تعالى .

ثم نادى حسين بن الكورانى على المماليك الظاهرية أنّ مَنْ أحضر مملوكا منهم كان له ألفا درهم .

وأما السلطان الملك المنصور ومنطاش فإن الأخبار أتتهما بأن الأمير كُمُشْبُغا الحموى نائب حلب لم يزل يبعث يَمُدّ الملك الظاهر من حلب بالعساكر والأزواد والآلات والخيول وغير ذلك ، حتى صار لبرقوق بَرْك عظيم ، ثم خرج من بعد ذلك من حلب بعساكرها وقدم على الملك الظاهر لنصرته ، فعظم أمر الملك الظاهر به إلى الغاية ، وكثرت عساكره ، وجاءته التركمان والعربان والعشير من كلّ فجّ ، فلما

(١) هذه القاعة ذكرها المقريزى فى خططه باسم الدار البيسرية (ص ٦٩ ج ٢) وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

بلغ ذلك منطاش جدّ فى السير هو والسلطان والعساكر إلى نحو الملك الظاهر برقوق .

وبلغ الملك الظاهر مجيء الملك المنصور ومنطاش لقتاله فترك حصار دمشق وأقبل نحوهم بعساكره ومماليكه حتى نزل على شقحب (١) ، ونزل العسكر المصرى على قرية المليحة وهى عن شقحب بنحو البريد ، وأقاموا بها يومهم ، وبعثوا كشافتهم ، فوجدوا الملك الظاهر برقوقا على شَقْحب ، فتقدم منطاش بالسلطان والعساكر إلى نحوه بعد أن صف منطاش عساكر السلطان ميمنة وميسرة ، وقَلْبا وجَناحين ، وجعل للميمنة رديفا ، وكذلك للميسرة ، هذا بعد أن رتّب الملك الظاهر برقوق أيضا عساكره ، غير أنه لم يتصرف فى التعبية كتصرف منطاش لقلة جنده .

ووقف منطاش فى الميمنة على ميسرة الظاهر برقوق ، وٱلتقى الفريقان فى يوم الأحد رابع عشر المحرم فى سنة اثنتين وتسعين وتصادما ، وٱقتتل الفريقان قتالا عظيما لم يقع (٢) مثله فى سالف الأعصار وحمل منطاش من الميمنة على ميسرة الظاهر ، وحمل أصحاب ميمنة الظاهر على ميسرة الملك المنصور ، وبذل كلّ من الفريقين جهده ، وثبتت كلّ طائفة للأخرى ، فكانت بينهما حروب شديدة ٱنهزم فيها ميمنة الملك الظاهر وميسرته ، وتبعهم منطاش بمن معه ، وثبت الملك الظاهر فى القلب ، وقد ٱنقطع عنه خبر أصحابه ، وأيقن بالهلاك ، وبينما هو فى ذلك لاح له طلائع السلطان الملك المنصور ، وقد انكشف الغُبار عنه ، فحمل الملك الظاهر بمن بَقِى معه على الملك المنصور ، فأخذه وأخذ الخليفة المتوكل على الله والقضاة والخزائن ، ومالت

(١) هى قرية فى الشمال الغربى من عباغب يقال لها « تل شقحب » ذكرها دسود فى الكلام عن وادى العجم من ضواحى دمشق . انظر كتاب التخطيط التاريخى بسوريا القديمة والمتوسطة لربيه سنة ١٩٢٧ طبع باريس .

(٢) فى م « يرَ » والمعنى عليه مستقيم .

الطائفة التى ثبتت معــه على أثقال المصريين ، فأخذوها على آخرها ، وكانت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة[(١)] .

ووقع الأمير جماس ٱبن عم الملك الظاهر فى قبضــة، منطاش، فلم يتعوّق ، ومرّ فى أثر المنهزمين وهو يظن أن الملك الظاهر أمامه إلى أن وصــل إلى دمشق وبها نائبها الأمير جنتمر أخو طاز فقال له منطاش قد كسرنا الظاهر برقوقا ، وفى الغد يقدم السلطان الملك المنصور، فٱخرج إلى لقائه ، فمشى ذلك على جنتمر وٱحتار منطاش فيما يفعل فى الباطن ، ولم يَعرف ما حصل بعده للملك المنصور ، ومع هذا كله فى نفسه أن الملك الظاهر برقوق قد ٱنكسر .

وأما أمر السلطان الملك الظاهر برقوق وأصحابه فإن الأمير كمشبغا نائب حلب كان على ميمنة الملك الظاهر برقوق فلما ٱنهزم من منطاش تمّ فى هزيمته إلى حلب وتبعــه خلائق من عســاكر حلب وغيرها ، وفى ظن كمشبغا أن الملك الظاهر قد ٱنكسر، وتبعه فى الهزيمة الأمير حسام الدين حسن الكُجُكُنى[(٢)]، نائب الكرك ، ومعه أيضــا عدة كبيرة من عساكر حلب والكرك فسار بهم إلى الكرك كما سار كمشبغا إلى حلب فلم يصل كل واحد من كمشبغا والكجكنى حتى قاسى شدائد ومحنا .

هذا مع أنهم قطعوا رجاءهم من نصرة الملك الظاهر برقوق، غير أن كل واحد ينظر فى مصلحة نفسه فيما يأتى .

وأما الملك الظاهر فإنه لم يتأخر عنده إلا نحو من ثلاثين نفرا، أعنى من المماليك الظاهرية الذين كانوا معه عنــد أخذه الملك المنصور . وأما من بَقِى من التركمان والغَوغاء فأزيد من مائتى نفر .

(١) فى « م » « الوصف » . (٢) ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٩ ب) بضم الكافين وسكون الجيم ومعناه : (اليوم الصعب) .

ولما قَصد الملك الظاهر السلطان الملك المنصور حاجِّيًّا والخليفة والقضاة وأخذهم ومَلَكَ العصائب السلطانية وقف تحت العصائب ، فلما رآه المنصور آرتاع ، فسكَّن الملك الظاهر رَوْعه ، وآنسه بالكلام ، وسلّم على الخليفة والقضاة ، وبَشَّ في وجوههم وتلطّف بهم ، فإنه لمّا رآه الخليفة كاد يَهْلِك من هيبته ، وكذلك القضاة ؛ فما زال بهم حتى آطمأن خواطرُهم .

هذا بعد أن سَلبَت النَّهابةُ القضاة الثلاثة جميعَ ما عليهم ، قبل أن يقع بصر الملك الظاهر عليهم ، ماخلا القاضي الحنبلي ناصر الدين نصر الله ؛ فإنه سَلِم من النهب ، لعدم ركوبه وقت الحرب ، ولم يركب حتى تحقّق نُصْرة الملك الظاهر برقوق ، فعند ذلك ركب وجاء إليه مع جملة رُفْقته ، وأما مباشرو الدولة فإنهم كانوا توجهوا الجميع إلى دمشق ، هذا بعد أن قُتِل من الطائفتين خلائقُ كثيرة جدًّا يطول الشرح في ذكرها .

وآستمر الملك الظاهر واقفا تحت العصائب السلطانية والملك المنصور والخليفة بجانبه ، وتلاحق به أصحابُه شيئا بعد شيء ، وتداول مجيئُهم إليه ، وجاءه جمع كبير من العساكر المصرية طوعا وكرها ، فإنه صار الرجل منهم ، بعد فراغ المعركة يقصد العصائب السلطانية ، فيجد الملك الظاهر تحتها ، فلم يجد بُدًّا من النزول إليه وتقبيل الأرض له ، فإن خافه الملك الظاهر قَبَض عليه ، وإلّا تركه من جملة عسكره .

وآستمر الملك الظاهر برقوق يومه وليلته على ظهر فرسه بسلاحه ، وحوله مماليكهُ وخواصُّه .

قال الوالد فيما حكاه بعد ذلك لمماليكه وحواشيه : وبات كلٌّ منا على فرسه ، على أن غالبَنا به الجراح الفاشية المُنْكِية (١) ، وهو مع ذلك بسلاحه على فرسه ،

(١) في ف : « المنكى » .

لم يَغْفُ أحدٌ منـا تلك الليلة، من السرور الذى طَرَقَنا، وأيضا من الفكر فيما يصير أمرنا بعد ذلك إليه، غيرَ أننا حصل لنا ولخيولنا راحةٌ عظيمة، ببياتنا تلك الليـلة فى مكان واحد وتشاورنا فيما نفعل من الغد، وكذلك السلطان الملك الظاهر، فإنه أخذ يتكلّم معنا فيما يُرتِّبه من الغد، فى قتال منطاش ونائب الشام، فما أصبح باكر نهار الأثنين إلا وقد رتبنا جميع أحوالنا وصار الملك الظاهر فى عسكر كثيف وتهيّأنا لقتال منطاش وغيره وبعـد ساعة وإذا بمنطاش قد أقبـل من الشام فى عالَم كبير، من عسكر دمشق وعوامِّها وممن تراجع إليـه من عسكره، بعـد الهزيمة، فتواقعنا، فحصل بيننا وقعة من شروق الشمس إلى غروبها ووقع بيننا وبينهم قتالٌ لم يُعهد مثله فى هذا العصر. وبذل كلٌّ منا ومنهم نفسه، فقاتلنا عن أرواحنا لاعن أستاذنا، لأننـا تحقّق كل منا أنه إن انهزم بعد ذلك لا بقاء له فى الدنيـا والمنطاشية أيضا قالوا كذلك وأنكسر كل منا ومنهم غير مرة ونتراجع . هذا والملك الظاهر يكرُّ فينا بفرسـه كالأسد ويشجِّع القوم ويعدهم ويُمنِّيهـم، ثم قصدنى شخص من الأمراء يقال له آقبغا الفيل وحَمَـل علىّ فحملتُ عليه وطعنتُه برمحى ألقيتُه عن فرسه ، فرآه الملك الظاهر، فسأل عنى، فقيل له : تَغْرِى بَرْدِى فتفاءل بآسمى . وقال مامعناه : الله لا يُنَوِّلُنِى ما فى خاطرى إن كنتُ ما أُرقِّيك إلى الرتب العالية . انتهى .

قلت : ومعنى اسم تغرى بردى باللغة التركية : الله أعطى، فلهذا تفاءل الملك الظاهر به، لمّـا قيل له، تغرى بردى واستمر كلٌّ من الطائفتين تبذل نفسها لنُصرة سلطانها إلى أن أرسل الله سبحانه وتعالى فى آخر النهار ريحًا ومطرا فى وجه منطاش ومَن معـه ، فكانت من أكبر الأسـباب فى هزيمته وخذلانه ولم تغرب الشمس حتى قُتِـل من الفريقين خلائقُ لا يُحصيها إلا الله تعـالى : من الجنـد والتُّركمان والعُرْبان والعامّة وَوَلّى منطاش هو وأصحابه مُنهزما إلى دِمَشق، على أقبح وجه .

وعاد الملك الظاهر برقوق بمماليكه إلى مخيّمه بالمنزلة المذكورة ولم يكن فى أحد من عسكره مَنَعَــة أن يتبع منطاش ولا عسكره وآستمرّ الملك الظاهر بمـنزلة شَقْحب سبعة أيام، حتى عَزَّت عنده الأقوات وأُبيعت البَقْسماطة بخمسة دراهم فضة وأبيع الفرس بعشرين درهما والجمل بعشرة دراهم، وذلك لكثرة الدواب وقلّة العَلَف . وغَنِم أصحاب الملك الظاهر أموالا جزيلة .

وفى مــدة إقامة الملك الظاهر بشقحب ، قَدِم عليــه جماعة كبيرة من الأمراء والتركمان والعربان والممــاليك .

ثم جَمَع الملك الظاهر مَنْ معه من الأمراء والأعيان بحضرة الخليفة والقضاة، وأشهد على الملك المنصور حاجى يخلع نفسه من السلطنة وحكم بذلك القضاة .

ثم بُويِــع الملك الظاهر برقوق بالسلطنة وأثبت القضاةُ بيعتَه وخلع على الخليفة والقضاة .

ثم وُلِّى الأميرُ إياس الجرْجاوى نيابةَ صفد والأمير قُدَيد القَلمطاوى نيابة الكرك والأمير آقبغا الصغير نيابة غَزّة .

ثم تهيّأ الملك الظاهر للعَوْد إلى الديار المصرية ورحل من شقحب فأتاه عنــد رحيله منطاش بعسكر الشــام ووقف على بُعد، فآستعدّ الملك الظاهر للقائه فـلم يتقدّم منطاش .

ثم وَلَّى إلى ناحيــة دمشق فأراد الملك الظاهر أن يتبعه فمنعه من ذلك أعيانُ دولته وقالوا له : أنت سلطان مصر أم سلطان الشام امض إلى مصر وآجلس على تخت الملك ، فتصير الشام وغيرُها فى قبضتك، فصوّب الملك الظاهر هــذا الرأى وسار من وقته بمن معه من الملك المنصور والخليفة والقضاة إلى جهة الديار المصرية .

ثم أرسل الملك الظاهر يأمر منصور حاجب غزة بالقبض على حُسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة ، فقبض عليه وآستولى على مدينة غزة وقيَّد آبن باكيش المذكور وبعث به إلى الملك الظاهر، فوافاه بمدينة الرملة[1] فأوقفه بين يديه ووبّخه ، ثم ضربه بالمقارع ، ثم حمله معه إلى غزّة فضربه بها أيضا ضربا مُبرِّحا . وكان يوم دخول السلطان الملك الظاهر إلى غزة يومَ مستهلّ صفر من سنة آثنتين وتسعين وسبعمائة .

وأمّا أمر الديار المصرية ، فإنه أشيع بكسرة الملك الظاهر لمنطاش ، يوم رابع عشر المحرم، وهو يوم الوقعة، قاله الشيخ تقى الدين المقريزى — رحمه الله — وهذا شىء من العجائب .

وفى هذه الأيام ورد من الفيُّوم محضرٌ على نائب الغَيْبة مُفْتَعل بأن حائطا سقط على الأمراء المسجونين بالفيُّوم، ماتوا تحته ، وهم : الأمير تمرباى الحسنى حاجب

(١) الرملة : مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك فى خلافة أبيه عبد الملك وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها . وكانت فى العصور الوسطى قصبة فلسطين وهى الآن مركز قضاء بآسمها وهى واقعة فى الجنوب العربى من يافا على خط سكة الحديد على بعـد ٤٠ ميلا تقريبا من القـدس الشريف . مبانيها من الحجر وطرقها ضيقة ومياهها غير وفيرة . وأشهر حاصلاتها الحبوب والفواكه والزيتون ومسجدها الجامع كنيسة بناها الصليبيون ودير اللاتين بها ، فيه الغرفة التى بات فيها نابليون ليلة مروره بجيشه فى فلسطين وفى غربيها مقام النبى صالح و بقربه المئـذنة التى بناها قلاوون ، وفيهـا معامل الصابون ومعاصر آستخراج الزيوت و يزيد سكانها عن ٨ آلاف نسمة منهم ألفان من النصارى .

راجع صبح الأعشى ج رابع ص ٩٩ وجغرافية فلسطين لحسين روحى ص ١٠٠ والقاموس الجغرافى الإنجليزى لبنكوت . والآن يوجد بها مطار كبير موقعه فى الجهة الجنوبية الشرقيـة من الرملة ومستشفى حكومى ، وفيها مبنى عظيم يشتمل على ما يأتى : دار للحكمة الشرعية والأهلية والبريد والتلغرافات والبوليس ودائرة الحاكم ، وهـذه الأماكن كلها تقع فى أرض فضاء قـرب مقام النبى صالح عليه السلام فى الجهة الشمالية منه .

الحجّاب وقرابغا الأبو بكرى أحد مقدَّمى الألوف وطوغاى تَمُر الجَرَكْتَمُرى أحد أمراء الألوف أيضا ويُونُس الإسعردى الرماح الظاهرىّ وقازان السيفىّ وتَنْكز العثمانى وأردبغا العثمانىّ وعيسى التركمانىّ .

قال المقريزى : هذا والكتبُ المزوّرة تَرِد على أهل مصر فى كل قليل، بأنّ السلطان الملك المنصور انتصر على الملك الظاهر برقوق، ومَلَك الشام، وأنّ الظاهر هَرَب، فدَقّ البشائرَ لذلك أياما، ولم يَمْشِ ذلك على أعيان الناس، مع أن الفتنة لم تزل قائمةً فى هذه المدة بين الأمير صَرَاى تَمُر نائب الغيبة وبين الأمير تُكَا الأشرفىّ المقيم بقلعة الجبل وكل منهما يحترز من الآخر.

واتّفق مع ذلك أن الأمراء والمماليك الظاهريّة الذين سُجِنوا بخزانة الخاصّ من القلعة زرعوا بَصَلا فى قصريّتَيْن فخّار وسقوهما فنجُب بصَلُ إحدى القصريّتين ولم يَنْجُب الآخر، فرفعوا القصريّة التى لم ينجب بصلُها، فإذا هى مثقوبة من أسفلها وتحتها خُلُوٌّ، فما زالوا به حتى اتّسع وأفضى بهم إلى سِرْداب مشَوْا فيه حتى صَعِد بهم إلى طبقة الأشرفية(١) من قصور القلعة القديمة وكان منطاش سدّ بابها الذى يُنزل منه إلى الإسطبل السلطانى، فعاد الذين مشَوْا وأعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم وهم نحو الخمسمائة رجل ومشوا فيه ليلة الخميس ثانى صفر وقد عملوا عليهم الأميرَ بُطَا الطولُوتَمُرِى الظاهرى رأسا وحاربوا باب الأشرفية : حتى فتحوه فثار بهم الحُرّاس الموكّلون بحفظ الباب وضربوا مملوكا يُقال له تَمُربغا، فقتلوه وكان ابتدأ بالخروج، فبادر بُطا بعده ليخرج فضربه الحارس ضربة كما ضرب تمربغا قبله، سقط منها بطا إلى الأرض، ثم قام وضرب بقيده الرجلَ الحارسَ ضربةً كما ضربه

(١) سبق التعليق عليها باسم القاعة الأشرفية فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

صَرعه وخرج البقيّة وصرخوا المماليك : ياتُكَا يامنصور وجعلوا قيودَهم سلاحَهم ، يقاتلون بها وقصدوا الإسطبل السلطانى ، فآنتبه صَرَاى تمر ، فسمع صياحَهم تُكا يامنصور ، فلم يشكّ أنّ تُكا ركب عليه ليأخذه بغتــة لِمــا كان بينهما من التخاصم وَقَوِى خوفُه ، فنهض فى الحال ونزل من الإسطبل من باب السلسلة ، وتوجّه إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب وكان قريبا من الإسطبل بالرُّمَيْلة ، فملك بطا ورُفْقتُه الإسطبل وآحتوى على جميع ما كان فيه من قُماش صَرَاى تمر وخيله وسلاحه وقبض على المنطاشيّة وأفرج عن المحبوسـين من الظاهريّة وأخذ الخيولَ التى كانت هناك وأمر فى الوقت بدقّ الكوسات ، فدقّت فى الوقت نحو ثُلُث الليل الأوّل فآستمروا على ذلك إلى أن أصبحوا يوم الخميس ونَدِم صَرَاى تمر على نزوله من الإســطبل ولبِسَ هو وقطلوبغا الحــاجب آلةَ الحرب وأرســلوا إلى تُكا بأن يُقاتل المــاليك الظاهرية من أعلى القلعة وهم يقاتلونهم مِــن تحت ، فَرمَى تكا عليهم من الرفرف والنصر وساعده الأميرُ مقبل أمير سلاح ودمِرْداش القَشْتَمُرى بمن معه من مماليكهم والمماليك المقيمين بالقلعة ، فقاتلهم المماليك الظاهريّة وتسامعت المماليك الظاهرية البطّالة ومَنْ كان مختفياً منهم ، فجاءوهم من كل مكان ، وكذلك المــاليك اليلبُغاوية وغيرهم من حواشى الملك الظاهر برقوق ، ومن حواشى يلبغا النــاصرىّ وغيره من الأمراء المسوكين وكبسوا سجن الدَّيْلَم ، وأخرجوا مَن كان به محبوسا من المــاليك وغيرهم . ثم بعثوا إلى خِزانة شمائل فكسروا بابهــا وأخرجوا مَن كان بها أيضا من المــاليك اليلبُغاويّة والظاهريّة وغيرهم ، ثم فعلوا ذلك بحبس الرحبة فقَوِى أمرُ بُطا ورفقته وكثر جمعهم فخاف حسين بن الكورانى وهرب وآختفى .

ثم ركب الأمير صراى تمر والأمير قطــلوبغا حاجب الحجّاب فى جمع كبير من مماليكهم وغيرها وخرجا لقتال بُطا وأصحابه ، فنزل بطا بمن معــه وقد تهيّأ للقتال ،

وقد صار فى جمع كبير وآجتمعت عليه العوام لمعاونته ، فلما تصافقا خامر جماعة من المنطاشـيّة وجاءوا إلى بُطا ، وصـدم بطا المنطاشـية فكسرهم ، فآنحازوا إلى مدرسة السلطان حسن ، فلما رأى تُكا ذلك خرج إلى الطبلخاناه ورمى على بطا وأصحابه بالنُّشاب ومدافع النفط ، فنزل طائفة من الظاهرية إلى بيت قطـلوبغا وملكوه ، ونقبوا منه نقبا طلعوا منه إلى المدرسة الأشرفية بالصُّوّه[(١)] ، وصعدوا إلى سطحها تجاه الطبلخاناه السلطانية ورموا على مَنْ بالطبلخاناه ، من أعوان تكا فانهزموا فملك الظاهرية الطبلخاناه فحاصروا مَن هو بمدرسة السلطان حسن وكان بها طائفة من التركمان قد أعدّهم منطاش لحفظها ، فصاحوا وسألوا الأمان لشدة الرمى عليهم بمكاحل النفط ، فآنهزم عنـد ذلك أيضا مَنْ كان من الرماة على باب المدرج أحد أبواب القلعة وسارت الظاهرية واليلبغاوية إلى بيوت الأمراء فنهبوها .

كلُّ ذلك والقاهرة فى أَمْن مع عدم مَن يحفظها ولم يمض النهار حتى وصـل عددُ الظاهرية إلى ألف ، وأمدّهم ناصر الدين أستادار منطاش بمائة ألف درهم ، ثم طلب بُطا ناصر الدين محمـد بن العادلى ، وأمره أن يتحدّث فى ولاية القـاهرة عوضا عن آبن الكورانى ، فدخلها آبن العـادلى ونادى فيهـا بالأمان والدعاء للملك الظاهر برقوق ، فسُرّ الناس بذلك سرورا زائدا .

ثم فى يوم الجمعـة ثالث صفر سَلّم الأمير تُكا قلعـة الجبل إلى الأمير سُودون الشيخونى النـائب ، ثم أقام بُطا فى ولاية القـاهرة منجك المنجكى ، عوضا عن ابن العادلى ، فركب ودخل القاهرة ونادى أيضا بالأمان والدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

وفيه نزل الأمير سُودون النائب من القلعة ومعه تُكا الأشرفى ودمرداش القَشْتَمُرى ومُقبل السيفى أمير سلاح، إلى عند الأمير بُطَا فقبض بُطَا عليهم وقيّدهم وبالغ فى إكرام الأمير سودون النائب وبعثه إلى الأمير صراى تمر، فنزل سودون إلى صراى تمر وما زال به حتى كفَّه عن الرمى وأخذه هو وقطلوبغا وسار فتكاثر العامّة عليهما يريدون قتلهما والأمير سُودون النائب يمنعهم من ذلك أشدّ المنع، فلم يلتفتوا إليه ورجموهما رجمًا متتابعا كاد يهلك الجميع، فآحتاجوا إلى الرمى بالنشّاب عليهم وضَرْبِهم بالسيوف فقُتِل منهم جماعة كبيرة، فطلع سُودون النائب بهما وبمن كان معهما إلى الإسطبل، فقيّدهم بطا أيضا وسجنهم وأمر بمن فى المدرسة من المقاتلة فنزلوا كلّهم .

وأذهب الله تعالى الدولة المِنطاشية من مصر فى نحو ثلاثة أيام كأنها لم تكن، ورَكِب الأمير سُودون الشيخونى النائب وعبَر إلى القاهرة والمنادِى يُنادى بين يديه بالأمان والدعاء للملك الظاهر برقوق وأرسل إلى خطباء الجوامع فدعوا له فى خطبة الجُمعة وأطلق بُطا زكرياء المخلوع عن الخلافة والشيخ شمس الدين محمد الركراكىّ المالكى وسائرَ مَن كان بالقلعة من المسجونين وصار بُطا يتتبع المنطاشية ويقبض عليهم كما كان منطاش يتتبع الظاهريّة ويقبض عليهم .

وفى أثناء ذلك قَدِم أحمد بن شكر الدليل وأشاع الخبرَ بالقاهرة بأن الملك الظاهر برقوقا قادمٌ إلى الديار المصريّة، ثم قدم جُلْبان العيسوى الخاصّكى وأخبر برحيل الملك الظاهر برقوق من مدينة غزّة فى يوم الخميس ثانى صفر، فدُقّت البشائر وتَخَلّق الظاهريةُ بالزعفران وكتب بُطا للسلطان يُخبره بما آتفق وأنهم ملكوا ديار مصر وأقاموا الخطبة باسمه وبجميع ما وقع لهم مفصَّلا وبعثوا بهذا الخبر

الشريفَ عِنـانْ بن مُغامس[1] ، ومعه آقبغا الطولوتمرى المعـروف باللَّكّاش أحد المماليك الظاهريّة ، في يوم السبت رابع صفر ، ثم كتب بُطا إلى سـائر الأعمال بالقبض على المنطاشيّة والإفراج عن الظاهريّة و إرسالهم إلى الديار المصرية .

ثم طلب بُطا حسين بن الكُورانى فى الإسـطبل ، فلمـا طلع أراد المماليك الظاهرية قَتْلَه لقُبْح ما فعل فيهم ، فشَفَع فيه سُودون النائب .

ثم خلع عليـه بُطا وأعاده إلى ولاية القاهرة وأمره بتحصيل المنطاشـية فنزل فى الحال ونادى مَنْ قَبَضَ على مملوك منطاشى أو أشرفىّ فله كذا وكذا ، ثم قبَض بُطا على الأمير قطـلوبغا والأمير بورى صهر منطاش ، والأمير بيـد مرشادّ القصر والأمير صلاح الدين محمد بن تَنكز وحبسهم بالقلعة ، ثم حصّن بطا القلعـة تحصينا زائدا ورتّب الرماة والنفطية والرجال حتى ظنّ كلُّ أحد أنه يمنع الملك الظاهر من طلوع القلعة .

قلت : وكان الأمر كما ظنّـه النـاس حسب ما حكاه الوالد بعـد ذلك كما سنذكره الآن فى محلّه .

قال : وكثر الكلام فى أمر بُطا ، ثم أمر بطا الفخرى بن مكانس بعمـل سِماط فى الإسطبل السلطانىّ فصار الأمراء والمماليك بأجمعهم يأكلون منه فى كل يوم عند الأمير بُطا .

ثم قَـدِم كتابُ الملك الظاهر إلى بُطا على يد سـيف الدين محمـد بن عيسى العائدىّ يأمره بتجهيز الإقامات إليه .

(١) ذكره المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (جـ ٢ ص ٤٩٢ ب) .

ثم قَـدِم كتاب الملك الظاهر بتفصيل الوقعـة بينه و بين منطاش ، ثم قَدِم كتاب آخر عقيبه ، كلّ ذلك ولم تطمئن النفوس بعَوْد المـلك الظاهر إلى ملكه ولا آرتفع الشكّ، بل كان بُطا يخشى أن يكون ذلك مكيدة من مكايد منطاش ، وهو ينتظر جوابَ كتابه للملك الظاهر، حتى قَدِم آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش ، وقد ألبسه الملك الظاهر خِلْعة سنيّة شَقّ بها القاهرة، فعند ذلك تحقّق كل أحد بنُصرة الملك الظاهر برقـوق ونُودِى بالأمان والاطمئنان ، ومن ظُلِم أو قُهِر فعليه بباب الأمير بُطا .

ثم قبض بُطا على حسين بن الكورانى وقيّده بقَيْد ثقيل جدًّا ونُهِبت دارُه وصار الصارم يأخذ آبنَ الكُورانى فى الحـديد ، كما يُؤخذُ اللصوص ويضربه ويعصره ثم نُقِـل من عنـد الصارم الوالى إلى الأمير ناصر الدين محمـد بن آقبغا آص شادّ الدواوين ، فعاقبه أشدَّ عقوبة .

وفى تاسعه قَدِم تَغْرِى بَرْدِى البشبغاوىّ الظاهرىّ وهو والد كاتبه إلى القاهرة بكتاب السلطان يتضمّن السلامَ على الأمراء وغيرهم وبأمور أخر .

وأمّا ما وعدنا بذكره من أمر بُطـا وأنه كان حدّثتْه نفسُـه بملك مصر فى الباطن، حكى لى الوالد ـــ رحمه الله ـــ ، قال : لمـا قَدِمتُ إلى مصر وتلقّانى بُطا وسلّم علىّ وعانقنى وأخذ يسألنى عن أستاذنا الملك الظاهر برقوق وكيف كانت الوقعة بينـه و بين منطاش وصار يفحص عن أمره حتى رابنى أمرُه ، فكان من جملة ما سألنى عنه بأن قال : يا أخى تَغْرِى بَرْدِى مع أستاذِنا صِبيانٌ مِلاحٌ شجعان أم ممـاليك ملفّقة ، فقلت : مع أستاذنا جماعة إذا أَجْرَوْا خيولهم هدموا باب السلسلة بإنقابها وأقلّهم أنت وأنا إيش هذا السؤال . أما تعرف أغواتك وخُشداشيّتك ،

فقال : صدقتَ، وكم مثلنا فى خجداشيّتنا عند أستاذنا وأخذ ينتقل بى إلى كلام آخر بمـا هو فى مصالح السلطان الملك الظاهر . انتهى .

وعنـد قدوم الوالد إلى الديار المصريّة تزايد سرورُ النـاس وفرحُهم وتحقّقوا عَود الملك الظاهر إلى مُلكه .

ثم قَدِم تَنْبك الحسنىّ الظاهرىّ المعروف بتَنَم من الإسكندرية وكان أرسله بُطا لنـائب الإسكندرية وقـد آمتنع من الإفراج عن الأمراء المسـجونين إلّا بكتاب السلطان .

ثم ألْزَمَ بطا الفخرَ بنَ مكانس بتجهيز الإقامات والشُّقَق الحرير للفرش فى طريق الملك الظاهر حتى يمشى عليها بفَرَسه عند قدومه إلى القاهرة .

ثم قَدِم من ثغر دِمياط الأمير شيخ الصفوىّ وقبق باى السيفىّ ومقبل الرومىّ الطويل وأَلْطُنبغا العثمانىّ وعبدوق العلائى وجرجى الحسنىّ وأربعة أمراء أُخَر .

وفى عاشره شُدِّد العذابُ على آبن الكورانىّ وأُلزِم بحمل مائة ألف درهم فضة ومائة فرس ومائة لُبس حربىّ .

وفى حادى عشر صـفر قَدِم البريدُ بنزول السـلطان الملك الظاهر إلى منزلة الصالحية فخرج الناس أفواجا إلى لقائه ونُودِى بزينة القاهرة ومصر فتفاخر الناس فى الزينة ونزل السلطان بعساكره إلى العِكْرِشة فى ثالث عشر صفر .

وأمّا أمر منطاش وما وقع له بعد ذلك وبقيّة سياق أمر الملك الظاهر برقوق ودخوله إلى القاهرة وطلوعه إلى قلعة الجبل وجلوســه على تخت المُلك يأتى ذكرُ ذلك كلّه مفصّلا فى ذكر سلطنته الثانية من هذا الكتاب، بعد أن نذكر من تُوفِّى من سـنة إحدى وتسعين وسبعمائة التى حَكَم فى غالبها على مصر الملكُ المنصور حاجىّ، ثم نعود إلى ذكر الملك الظاهر وسلطنته الثانية — إن شاء الله تعالى — .

وأما الملك المنصور حاجى فإنه عاد إلى ديار مصر صحبةَ الملك الظاهر برقوق محتفظا به وهو فى غاية ما يكون من الإكرام وطلَع إلى القلعة وسكَن بهـا بالحوش (١) السلطانى على عادة أولاد الأســياد ودام عند أهله وعياله إلى أن مات بها فى ليلة الأربعاء تاسع عشر شوّال ســنة أربع عشرة وثمـانمـائة ودُفِن بتربة (٢) جدّته لأبيه خوند بركة بخطّ التبّانة بالقرب من باب الوزير خارج القاهرة ، بعــد أن تسلطن مرّتين وكان لُقِّب فى أوّل سلطنته بالملك الصالح وفى الثانيــة بالملك المنصور، ولا نعلم سلطانا غُيِّر لقبُه غيرَه ومات الملك المنصور هذا عن بضع وأربعين سنة وقد تعطّلت حركتُه وبَطلَت يداه ورجلاه مدّة ســنين قبل موته وكان ماحصل له من الاسترخاء من جهة جواريه على ما قيــل : إنّهم أطعموه شيئا بَطلَت حركتُه منــه وذلك لسوء خُلُقه وظُلمه .

حدّثنى غيرُ واحد من حواشى الملك الظاهر برقوق ممّن كان يُباشر أمر الملك المنصور المذكور قال : كان إذا ضرب أحدا من جواريه يتجاوز ضربُه لهنّ الخمسمائة عصاة ، فكان الملك الظاهر لمـّا يسمع صياحَهنّ يُرســل يشفَع فيهنّ فلا يُمكنه المخالفة فيُطلق المضروبة ، وعنده فى نفسه منها كمين ، كونه ما اشتفى فيها وكان له جوْقة مغان كاملة من الجــوارى ، كما كانت عادت الملوك والأمراء تلك الأيام نحو خمس عشرة واحدة ، يُعرَفْن من بعده بمغانى المنصور، وكنّ خدَمْن عند الوالد بعد موته ، فلمّا صار الملك الظاهر برقوق يَشفع فى الجوارى لمـّا يسمع صياحَهنّ ، بَقِى المنصور إذا ضرب واحدة من جواريه يأمر مغانيَه أن يزفُّوا بالدُّفوف وتَزْعَق

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧ من هذا الجزء حيث تجد شرحا وافيا له .

(٢) هذه التربة لا تزال باقية بمدرسة أم الملك الأشرف شـعبان التى سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٥٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

المواصيل فتصيح الجاريةُ المضروبةُ فلا يسمعها الملك الظاهر ولا غيرُه، فَفَطِن بذلك حريمُ الملك الظاهر وأعلموه الخبرَ، وقُلْن له إذا سَمِع السلطانُ زَفَّ المغانى فى غير وقت المغنى فيعلم السلطان أنّه يضرب جوارِيَه وخَدَمه، فعلم الظاهر ذلك، فصار كُلّما سَمِع المغانىَ تَزُفُّ أرسل إليه فى الحال بالشفاعة، وله من ذلك أشياء كثيرة. وكان الملك الظاهر قبل أن يتَكَسَّح يُرسِل خلفَه فى مجلس أُنْسه ويُنادمه فى غالب الأوقات وتكرر ذلك منه سنين وكان إذا غَلَب عليه السُّكْر تَسفَّه على الملك الظاهر ويُخاطبه بآسمه من غير تحشُّم فيبتسم الملك الظاهر ويقول لحواشى الملك المنصور: خُذُوا سيِّدى أمير حاج ورُدُّوه إلى بيته، فيقوم على حاله وهو مستمرٌّ فى السَّبّ واللّعن، فيعظمُ ذلك على حواشى الملك الظاهر ويُكَلِّمون الملك الظاهرَ فى عدم الآجتماع به، فلا يلتفت إلى كلامهم فيُصْبِح المنصور يعتذر للسلطان فيما وقع منه فى أمسه، فلمّا تكرر منه ذلك غير مَرّة تركه وصار لا يجتمع به إلّا فى الأعياد والمواسم، فلما بَطلَت حركتُه انقطع عنه بالكلّيّة.

* * *

السنة التى حكم فى أولها الملك الظاهر برقوق إلى ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة وحكم فى باقيها الملك المنصور حاجّى.

ولم يكن له فى سلطنته إلا مجرّد الآسم فقط والمتحدّث فى المملكة الأتابك يلبغا الناصرىّ ثم تَمُربغا الأفضلى الأشرفىّ المدعو منطاش وهى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

وفيها كان خَلْع الملك الظاهر برقوق من السلطنة وسلطنة الملك المنصور هذا كما تقدم ذكره.

وفيها فى ذى الحِجّة كانت وقائعُ بين المــلك الظاهر برقوق وبين جنتمر نائب الشام بعد خروجه من سجن الكرك .

وفيها تُوُفِّى خلائقُ كثيرة بالطاعون والسيف وكان الطاعونُ وقع بالديار المصرية فى أيام الفتنة ، فكان من أجل ذلك أشدَّ الطواعين وأعظمها خَطْبًا لما دها الناسَ من شدّة الطاعون وأهوال الوقائع ، فمّن قُتِل من الأعيان : القاضى شهاب الدين أبو العبــاس أحمــد بن عمر بن أبى الرضا قاضى قضاة الشافعيّة بحلب . وخبرُه أن الملك الظاهر برقوقا لمــا خرج من سجن الكَرَك ووافقه الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب ثار عليه شهاب الدين هذا محاماةً لمنطاش وجمع أهل بآنقوسا وحرّضهم على قتال كمشبغا المــذكور وأفتى بجَواز قتال برقوق ، فرَكب كمشبغا وقاتلهم فكسرهم وقتل كثيرا من البَانْقُوسيّة ممّن ظفر به ، ففَرَّ شهاب الدين هذا إلى ظاهر حلب ، فأُخذ قريبا من حلب وأُتِىَ به إلى كمشبغا فقتله صَبرا ، وعمره زيادة على أربعين ســنة ، أثنى على عِلْمه القاضى علاء الدين بن خطيب الناصريّة والشيخ تقىّ الدين المقريزىّ رحمهما الله — وذكر عنه قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ — رحمه الله — مساوى وقبائح ، نسأل الله تعالى السلامةَ فى الدِّين ، ذكرناها فى ترجمتــه فى تاريخنا المنهل الصافى .

قلت : والجمــع بين هــذه الأقوال هو أنه كان عالمــا غيرَ أنه كان خبيثَ اللسان ، يرتكب أمورا شنيعة مشهورة عنه عند الحلبيين .

وتُوُفِّى قتيلا الأمير صارم الدين إبراهيم آبن الأمير قُطْلُقتَمُر الخازندار بحلب قتله أيضا الأمير كمشبغا الحــوى بحلب ، وقد قام بنُصْرة منطاش وقاتل كمشبغا فلمّا ظَفِــر به كمشبغا وسّــطه فى شوال وإبراهيم هــذا هو الذى كان وقع له مع الملك الظاهر برقوق ماوقع ، لمــا آتفق مع الخليفة المتوكّل على الله ووافقهما الأمير قُرْط

الكاشف على قتل الملك الظاهر برقوق ونمّ عليهم وظَفِر بهم برقوق وخلع الخليفةَ وحبَسه ووسّط قُرْط الكاشف وحبس إبراهيم هذا مُدّة ثم أطلقه لأجل أبيه قطلقتمر، ثم أنعم عليه بإمرة فلمّا خُلع الملك الظاهر وحُبِس، قام عليه إبراهيم هذا وآنضم مع الناصريّ ومنطاش وصار من جملة أمراء الطبلخاناة، ثم كان مع منطاش على الناصرى، فلمّا ملك منطاش الديار المصرية أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر وآستقرّ أميرَ مجلس عوضا عن الأمير أحمد بن يَلْبُغا فلم يقنَع بذلك و بدا منه أمور فأخرجه منطاش بعد أخذه الإمرة بدون السبعة أيام إلى حلب أميرَ مائة ومقدَّم ألف بها، فدام بها حتى ثار أهل بانقوسا على كمشبغا نائب حلب وافقهم إبراهيم هذا فظَفِر به كمشبغا ووسطه .

قلت: ما كان جزاؤه إلا ما فعله به كمشبغا وكان شُجاعا غير أنه كان يحب الفتن ويُثير الشرور — عفا الله تعالى عنه — .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أحمد بن أبى يزيد بن محمد المعروف بمولانا زادة السِّيرامىّ العجمىّ الحنفى والد العلّامة محبّ الدين محمد آبن مولانا زادة فى يوم الأربعاء حادى عَشر المحرّم بالقاهرة وكان إماما مُفْتَنّا فى علوم كثيرة ؛ وهو أوّل من وَلِى درس الحديث بالمدرسة الظاهريّة البرقوقيّة ودام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكْرُه .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين تُلَكْتَمُر بن عبد الله أحد أمراء الطبلخانات بالطاعون فى جُمادىَ الأول وكان من خواصّ الملك الظاهر برقوق .

وتُوُفّى قتيلا الأمير سيف الدين جاركس بن عبد الله الخليلى اليلبُغاوى الأمير آخور الكبير وعظيم دولة الملك الظاهر برقوق ، قُتِل فى محاربة الناصرىّ خارج

دمَشق ، فى يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الأول[(١)] و بقتله تخلْخلت أركانُ دولة المـلك الظاهر برقوق وكان أميرا مُهابا عاقلا عارفا خبيرا سَيُوسا وله بالقاهرة خان يعـرف بخان الخليـلى[(٢)] ومآثر بمكة وغيرها وخلّف أموالا كثيرة أخذها منطـاش وفرّقها فى أصحابه .

وتُوفِّى الأمير يُونس بن عبـد الله النَّورُوزى اليلبُغاوى الدوادار الكبير ، قتله الأمير عنقاء بن شَطِّى[(٣)] أمير آل مِرا بخَرِبة اللصوص وهو عائد إلى الديار المصرية ، بعد انهزامه من الناصرى وكان أيضا أَحدَ أركان الملك الظاهر برقوق و إليه كان تدبير المملكة وكان خَدمه و باشر دواداريّته من أيام إمْرته وكان عاقلا مدبِّرا حازما وهـو صاحب الخان خارج مدينة غزّة وغيره معروفة عمائرُه بآسمه ولا يحتاج ذلك إلى التعريف به ، فإننا لا نعلم أحدا فى الدولة التركيّة سُمِّى بيونس الدوادار غيره ثم دوادار زماننا هذا الأمير يُونُس الدوادار السيفى آقباى ، انتهى .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين بُزلار بن عبـد الله العُمَرى ثم الناصرى نائب الشام قتيلا بها وكان أصله من مماليك الملك الناصر حسن اشـتراه وربّاه مع أولاده وقرأ

---

(١) فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٩٤) أنه توفى يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر .

(٢) هذا الخان بخط الزراكشة العتيق ، كان موضعه تربة القصر التى فيها قبـور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفـران ، أنشأه الأمير جهاركس الخليـلى أمير آخور الملك الظاهر برقوق وأخرج منهـا عظام الأموات فى المزابل على الحمير وألقاها بكيان البرقية هوانا بها . (راجع خطط المقريزى المصـدر المتقدّم حيث تجد شرحا وافيا لهذا الخان) .

(٣) هو عنقاء بن شطّى الأمير سيف الدين أمير آل مرا (بكسر الميم وبالراء المفتوحة المهـملة وألف بعـدها) .

وكان معدودا من الملوك ، وكان وقع بينه وبين يونس النوروزى الدوادار وحشة فى أوّل دولة الملك الظاهر برقوق (راجع ترجمته فى المنهل الصافى جـ ٢ ص ٤٩٣ ب) .

القرآن وتأدّب ومَهَر في الخط المنسوب وبَرَع في عدة علوم لاسيما علم الفلك والنجوم مع تقدّمه في أنواع الفروسية والشجاعة المُفْرِطة وأنواع الملاعيب، مع ذكاء وفطنة وذوق وعقل ومحاضرة حسنة وحُسن شكاله، ولاه الملك الظاهر برقوق نيابة الإسكندرية، ثم عزله وجعله من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم خافه، فقبض عليه ونفاه إلى طرابُلُس فلمّا كانت نَوْبة الناصرية اتفق مع جماعة قليلة من أصحابه ومَلَك طرابُلُس من نائبها أَسَنْدَمُر ووافق الناصريّ على قتال الملك الظاهر برقوق، فلمّا ملك الناصريّ مصر خلع عليه بنيابة دِمَشق، فولِي دمشق ودام به إلى أن قبض منطاش على الناصريّ، فغضِب بُزْلار المذكور للناصري وخرج عن الطاعة، نخادعه منطاش وأرسل مُلَطِّفات إلى جَنْتَمُر بنيابة دمشق فآتّفق أمراء دمشق مع جنتمر ووثبوا عليه على حين غفلة، فركب وقاتلهم، وكاد يهزمهم لولا تكاثروا عليه ومسكوه وحبسوه بقلعة دمشق، حتى أرسل منطاش بقتله فقُتِل، وسنّه نيِّف على خمسين سنة، وكان من محاسن الدنيا، حدّثني الشيخ موسى الطرابُلسيّ قال: لمّا نفاه الملك الظاهر برقوق إلى طرابُلُس صَحِبْتُه فكنتُ أقعُد لتكبيسه فأجد أضلاعَه صفيحة واحدة، انتهى.

وتُوُفِّي الشيخ المعتَقد حسن الخبّاز الواعظ، كان صاحب الشيخ ياقوت الشاذليّ وتلقّن منه وتزوّج با بنته وترك بيع الخبز وآنقطع بزاويته خارج القاهرة وجلس للوعظ حتى مات في حادي عشرين شهر ربيع الآخر ودُفِن بالقرافة وكان للناس فيه آعتقاد حسن ولوعظه تأثير في القلوب.

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين سُودون المظفريّ أتابك حلب قتيلا بها بيد مماليك الأمير يلبغا الناصري حسب ما تقدم ذكره في ترجمة الملك الظاهر برقوق وكان أصله من مماليك قُطلوبغا المظفّري أحد أمراء حلب وبها نشأ وخدم الأمير جُرْجي

الإدرِسي نائب حلب وصار خازندارَه ثم صار من جملة أمراء حلب ، ثم ولّاه برقوق حجوبية حلب ثم أتابكا بها ، ثم نقله إلى نيابة حَماة ، ثم إلى نيابة حلب بعد القبض على يلبغا الناصري ، ثم عزله الظاهر عن نيابة حلب بالأمير يلبغا الناصري المذكور وجعله أتابك حلب ، فكان بينهما مباينةٌ كبيرة وكان الناصري يزدريه ودام على ذلك حتى بلغ الظاهرَ خروجُ الناصري عن الطاعة وكتب ملطّفا لسُودون المظفرى هذا بنيابة حلب على عادته وأرسل الملك الظاهر بصلحهم ، فلمّا دخل سودون المذكور إلى دِهليز دار السعادة(١) أخذته سيوف مماليك الناصرى حتى قُتِل .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين صَرَاى الطويل أحد أعيان المماليك اليلبغاوية خارج القاهرة فى شهر ربيع الأوّل وكان أحد أمراء الطبلخاناة بالديار المصرية .

وتُوفِّى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن سليمان بن خير السكندرى المالكى فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان وكنيته أبو القاسم ، مولده بالإسكندرية فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وبها نشأ وطلب العلم وسَمِع الحديث وتفقّه بأبيه وغيره وبرَعَ فى الفقه والأصول وشارك فى غيره وجلس مع الشهود بالثغر ، ثم ولى به نيابة الحكم ، ثم نُقل إلى قضاء الديار المصرية ، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين سليمان بن خالد البساطى بعد عزله فى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وحُمدت سيرته إلى الغاية ودام مدة سنين إلى أن عُزل بالقاضى ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون ، ثم أعيد بعد ذلك إلى أن مات قاضيا ، وتولّى بعده تاج الدين بَهْرَام بن عبد الله بن عبد العزيز الدَّميرى .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لها .

وتُوفّى إمام السلطان الملك الظاهر برقوق الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان ٱبن رَسُول بن يوسف بن خليل بن نوح الكَرَادىّ (بتخفيف الراء المهملة) الحنفىّ المعروف بالأشقر، فى يوم الخميس رابع عشرين شهر ربيع الآخر، كان أصله من البلاد الشمالية وٱشتغل بها ثم قَدِم القاهرة فى عُنفوان شبابه فى الدولة الأشرفيّة شعبان بن حسين وٱشتغل بها على علماء عصره، حتى شارك فى عِدّة فنون و صَحِب الملك الظاهر فى أيام إمرته، فلما تسلطن الملك الظاهر قرّره إمامه وتقدم فى دولته ثم ولى قضاء العسكر، ثم مشيخة الخانقاه البيبرسيّة إلى أن مات وكان حسن الهيئة جميلَ الطريقة وهو والد القاضى محبّ الدين محمد بن الأشقر كاتب سرّ الديار المصرية الآن وقد سألتُ من ولده المذكور عن أصل آبائه فقال : أصلنا من بلاد القِرَم وكان جدّى عالمـًا مفتيًا وكان والد جدّى ملكا بتلك البلاد، انتهى .

وتوفى الأمير سيف الدين إِشقَتَمُر بن عبد الله المـارِدينىّ الناصرى نائب حلب والشام، غيرَ مرّة بطّالا بحلب فى شوّال، كان أصله من مماليك صاحب مارِدين وبعثه إلى الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فربّاه الناصر وأدّبه وكان يَعرِف ضَرْب العُود ويُحسن الموسيقى وكان ماهرا فى عِدّة فنون، فقرّبه أستاذُه الملك النّاصر حسن، وجعله من أعيان خاصّكيّته، ثم أَمّره ثم تنقّل بعد موت أستاذه فى عدة وظائف إلى أن ولّاه الملك الأشرف شعبان نيابة حلب بعد وفاة قطلوبُغا الأحمدىّ، فباشرها نحو سنة ونصف وعُزِل بالأمير جُرْجِى الناصرى الإدريسىّ، ثم ولى نيابة طرابلس عوضا عن قَشتَمُر المنصورىّ، ثم اعيد بعد مدة إلى نيابة حلب عوضا عن قشتمر المنصورىّ المذكور، فى سنة إحدى وسبعين بعد قتل يلبغا أستاذ الملك الظاهر برقوق وكان إِشقَتمر خُجداش يلبغا وصاحبه ومن أقرانه، فباشر نيابة حلب مدّة ثم عُزِل وأُعيد إلى نيابة طرابلس والسواحل

عوضا عن أَيْدَمُر الدوادار ، ثم أعيد إلى نيابة حلب مرّة ثالثة فى سنة أربع وسبعين فباشر نيابة حلب إلى أن عُزِل فى ســنة خمس وسبعين بالأمير بَيْدَمُر الخُوَارَزْمِىّ وتولى نيابة دمشق ، فباشر نيابة دمشق أربعة أشهر وعُزِل وأعيد إلى نيابة حلب رابع مرّة، فطالت مدّته فى هذه الولاية ،وغزا سِيس[1] وفتحها فى سنة ست وسبعين وكان فتحا عظيما وسُرّ الملك الأشرف شعبان بفتحه ، وفيه يقول الشيخ بدر الدين[2] حسن بن حبيب : [السريع]

المَــلِكُ الأشْــرَفُ إقبــاله * يُهْــدِى له كُلَّ عزيزٍ نَفِيسْ
لمَّـا رأى الخضــراء فِى شامةٍ * تَخْتَال والشــقراءُ عجباً تَمِيسْ
وعَايَن الشَّهْبـاءَ فِى مُلْــكه * تَجرِى وتُبدِى مايَسُرُّ الجَلِيسْ
ساق إلى ســوق العِدَى أدْهمًا * وساعد الجيشَ على أخذِ سِيسْ

وآستمــرّ على نيابتها إلى أن عُزِل بالأمير مَنْكلِى بُغا الأحمدىّ البــلدىّ وقُبِض عليه وحُبِس بالإسكندرية ثم أُطلِقَ وتوجه إلى القدس بطالا ، كل ذلك و إلى الآن لم يكن برقوق من جملة المماليك السلطانية، بل كان فى خدمة مَنْجك، ثم من بعده فى خدمة الأســياد أولاد المــلك الأشرف شعبان، ثم أُعِيد إلى نيابة حلب خامس مرة عوضا عن تمرباى الأفضلىّ الأشرفىّ فى سنة إحدى وثمانين، ثم نُقِل بعد عشرة أشهر إلى نيابة دمشق، عوضا عن بَيْدَمُر الخُوارَزْمِىّ فى سنة آثنتين وثمانين، فدام بدَمشق إلى أن عُزِل فى محرم سنة أربع وثمانين وتوجّه إلى القدس بطّالا ، فدام بالقدس إلى أن أُعيــد إلى نيابة دمشق ثالث مرة، من قِبَل الملك الظاهر برقوق

---

(١) سيس : عاصمة أرمينية الصغرى (كليكلية) وكانت مدينة كبيرة ، لهــا أسوار ولها بساتين ونهر صغير وهى الآن بلدة فى جنوب آسيا الصغرى (راجع أبوالفداء ص ٢٥٧ ، وفلسطين الإسلامية لاسترانج ص ٥٣٨ والقاموس الجغرافى) .

(٢) رواية ف : (الشيخ شرف الدين) .

فى سنة ثمان وثمانين ، ثم عُزِل بعد أربعة أشهر (١) ورُسِم له أن يتوجّه إلى حلب بطّالا ، فدام بحلب إلى أن مات وكان فيه كل الخصال الحسنة لولا حُبُّه لجمع المال .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة بدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقِينىّ الشافعىّ قاضى العساكر فى يوم الجمعة سابع عشر شعبان ودُفِن بمدرسة (٢) أبيه بحارة بهاء الدين قراقوش وكان أعجوبةً فى الذكاء والحفظ مفتنًا فى عِدّة علوم وهو أسنّ من أخيه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينىّ وكان له نظم ونثر ومما يُنْسَب إليه من الشعر : [الرمـــل]

كسروا الجرّة عمـدا * سَقَوا الأرضَ شرابا
قلتُ والإسلام دِينى * ليتنى كنت تـــرابا

وتُوُفّى العلامة شمس الدين محمود بن عبد الله النَّيْسابُورىّ الحنفىّ المعروف بابن أخى جار الله، فى سابع جُمادَى الأولى وكان عالمـا مفتنًا فى علوم كثيرة .

وتُوُفّى تاج الدين عبد الله وقيل : أمين الدين بن مجد الدين فضل الله بن أمين الدين عبد الله بن رِيشة القبطىّ المصرىّ ناظر الدولة ، فى سادس جُمادَى الأولى .

---

(١) فى ف : « بعد أشهر » .

(٢) هـذه المدرسة لم يتكلم عليها المقـريزى فى خططه وإنما أشار إليها السخاوى فى الضوء اللامع فى آخر ترجمة عمر بن رسلان بن نصير الكنانى البلقينى ، فقال : إنه مات يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة سنة ٨٠٥ هـ بالقاهرة ودفن بمدرسته التى أنشأها بالقرب من منزله فى حارة بهاء الدين عند ولده بدر الدين محمد المتقدّم ذكره ، وأقول : إن هذه المدرسة أنشئت سـنة ٧٩٥ هـ ولا تزال باقية إلى اليوم باسم جامع البلقينى بشارع بين السيارج الذى يعـرف قديما بحارة بهاء الدين قراقوش بالقاهرة وهو جامع صغير قديم عامر بالشعائر إلا أنه فى حاجة إلى العمارة والاصلاح ولا يزال قبر منشئ هذه المدرسة وقبر ولده بدر الدين محمد وقبر ولده أبى البقاء صالح المتوفى سنة ٨٦٨ هـ باقية بهذا الجامع .

وتُوفّى الأمير قرا محمـد التُّرْكمانىّ صاحب الموصل، قتيلا فى هـذه السنة وهو والد قرا يوسف صاحب تِبْريز، وَجدّ بنى قرا يوسف ملوك العراق ، الذين خَرِبت بغدادُ وغيرُها فى دولتهم وأيامهم .

وتُوفّى الأمير الطواشى سابق الدين مثقال بن عبدالله الجمالىّ الحبشىّ الزِّمام وأصله من خدّام الملك الأمجد والد الأشرف شعبان ، تنقّل فى عِدة وظائف إلى أن صار زماما للدور السلطانيــة ، فلمّا أن قُتِل المـلك الأشرف عزله أَينَبك البدرىّ وولّى عوضه مقبلا الرومىّ الطواشى اليلبُغاوىّ ودام مثقال بطّالا ســنين وصادره برقوق وحصل له مِحن ، ثم أفرج عنه فصار يتردّد إلى مكة والمدينة إلى أن مات بِبدْر من طريق الحجاز فى ذى القعدة ودُفِن عند الشهداء فى ليلة الجمعة تاسع عشرينه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع ، والله تعالى أعلم .

* * *

انتهى الجزء الحادى عشر من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثانى عشر وأوله : ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

تنبيـــه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية والمدن والقرى المصرية القديمة وغيرها مع تحديد أماكنها من وضع العــلامة المحقق المرحوم محمــد رمزى بك ، الذى كان مفتشا بوزارة المـالية وعضوا فى المجلس الأعلى لإدارة حفظ الآثار العربية ، كالتعليقات السابقة فى الأجزاء المـاضية ابتداء من الجــزء الرابع . ولا يسعنا إلا أن نسأل الله جلت قدرته أن ينزل على قبره شآبيب رحمته وأن يجزيه الجزاء الأوفى على خدمته للعلم وأهله . وكانت وفاته رحمه الله يوم الاثنين ١٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٦٤ هـ (٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ م) .

فهرس

الجـــزء الحـادى عشر

من

كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

فهرس الملوك والسلاطين الذين تولوا مصر (*)

من سنة ٧٦٢ — ٧٩١ هـ

(س)

(*) يلاحظ أنه آبتداء من سلطنة السلطان صلاح الدين رئيس الأسرة الأيوبية لقب بالسلطان ولقب بذلك أولاده ومن تولى بعده من الملوك والسلاطين إلى آنتهاء الكتاب سنة ٨٧٢ هـ (١٣٦٧ م) وقد فاتنا ابتداء من سلطنة صلاح الدين آن نبدل بكلمة (ولاة) كلمة (سلاطين وملوك) إلى آخر سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة ومن سلطنة المنصور أبى بكر بن الناصر محمد بن قلاوون سنوالى ذكرهم بأسماء سلاطين وملوك إلى آخر الكتاب .

فهرس الأعلام

(ب)

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ض)

(ط)

(م)

(ن)

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط

(ن)

(هـ)

(ى)

فهرس أسماء البلاد والجبال والأماكن والأنهار وغير ذلك

(ا)

(ب)

(خ)

(د)

(ص)

(ض)

(ك)

(ن)

(و)

(ى)

فهرس وفاء النيل من سنة ٧٦٢ إلى سنة ٧٩١

فهـــرس أسماء الكتب

(خ)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

فهـــرس الموضـــوعات

الخطـأ والصـواب

ص	س	خطـأ	صـواب
٧	٧	أُرغون	أَرِغون
٢٣	٩	خِطابة	خطابة
٣٣	٦	تمرقبا	تمرقيا
٣٤	١٦	العلابى	العلاّئى
٤٩	٢٠	العكيين	الكعكيين
٤٩	٢٢	القاهرة	بالقاهرة
٨٩	٦	الثـالثه	الثـالثة
١٠٦	١٨	الحادى عشر	العاشر
١٠٩	١٩	بجم الدين	نجم الدين
١٣٢	١٦	وعِمِل	وعمِل
١٤١	٢٨	بعد ما دثرا	بعد اليوم ما دثرا
١٤٢	١٥	دبه	دبة
١٤٢	٢٩	الأصليه	الأصلية
١٤٤	٦	واستقل	واشتغل
١٤٧	١٣	ثاروا	ساروا
١٤٩	١٧	دمراش	دمرداش
١٥٤	٢	وأمير سلاح	أمير سلاح
١٨٣	٨	قاعة	قاعدة

ص	س	خطـــأ	صـــواب
١٨٦	٩	الشعر	الشعرا
١٩٠	١٠	جـــزاما	جـــزافا
١٩٢	١٢	بایَ	بای
٢١٦	١٣	حُمدان	حَمدان
٢٤٢	١٠	الغـابة	الغـاية
٢٤٥	١٧	المـاردبنى	المـاردينى
٢٦٥	٩	يُلبغـا	يَلبغـا
٢٦٥	١٠	الخليـل	الخليـلى
٢٦٥	١٥	بالقلعـة	القلعـة
٢٩٧	٩	القـذاوه	القـذارة
٣٠٦	٢٠	الثامن	السـادس
٣١٧	١١	المـا كى	المـالكى
٣٢٦	٣	الكَجكَنى	الكُجكُنى
٣٥٣	١٤	ابن قرط	ابن قرط الكاشف
٣٦٤	٩	أبى الحسام	أبو الحسام
٣٨٧	١٠	القِـــرَم	القِـــرِم

قام بتصحيح هـذا الجزء والأجزاء السابقة ٱبتـداء من الجزء الثانى مع وضع فهارس شاملة لكل جزء من أجزائه .

محمد البرداى منصور
المحرر بالقسم الأدبى
بدار الكتب المصرية

* * *

بعون الله وجميل توفيقه تم طبع الجزء الحادى عشر من كتاب "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة" بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الاثنين ٥ من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧٢ هـ (٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٢ م) ما

محمود عثمان الرزاز

مراقب المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠/١٩٤٩/٣٠٠٠)

